

892.7B

A6121d1A

v. 1-2

c. 1

دِيْوَانُ الْمَعَانِي

لِلْإِمَامِ اللَّغَوِيِّ الْأَدِيبِ أَبِي هِلَالِ الْعَسْكَرِيِّ

الجزء الأول

عن نسختي الامامين العظيمين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركي
الشنقيطي رحمهما الله ، الاولى في خزانه الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة
وهي مقابلة بقراءة العلامة الشيخ عبد العزيز شاويش رحمه الله ،
والثانية في دارالكتب المصرية العامرة ، مع مقابلة بعضهما بنسخة
المنحفة البريطانية بواسطة المستشرق الأستاذ الدكتور كرنكو
المتفضل بالنظر في تصحيحه

عنيت بنشره

مكتبة دارالكتاب

لصالحيتها

القاهرة - باب الخلق - حارة الجداوى ١

سنة ١٣٥٢ وحقوق الطبع محفوظة

كلمة عن حياة المؤلف

عن معجم الأدباء لياقوت وعيون التواريخ لابن شاكر

وشذرات الذهب لابن العماد، وغيرها

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي
العسكري .

قال أبو طاهر السلفي : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردي
رحمه الله بهمدان عنه فأنشئ عليه ووصفه بالعلم والفقہ^(١) معاً ، وقال كان يبرز احتراماً
من الطمع والدناءة والتبذل - وذكر فيه فصلاً هو في سؤالي عنه - وكان الغالب عليه
الأدب والشعر ، وله في اللغة كتاب وسمه بالتمخيص كتاب مفيد ، وكتاب الصناعتين
صناعتى النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً^(٢) .

ومن جملة من روى عنه : أبو سعد السمان الحافظ بالري ، وأبو الغنائم بن حماد
المقري ! . وأنشدني أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري نفسه :

قد تعاطاك شبابٌ وتفشاك مشيبٌ
فأنى مالىس يمضى ومضى مالا يؤوبٌ
فتأهبٌ لسقامٍ ليس يشفيه طبيبٌ
لاتوهمه بعيداً إنما الآتى قريبٌ

ومما أنشدنا القاضي أبو أحمد الموحّد بن محمد بن عبد الواحد الحنفي بنسبته قال
أنشدنا أبو حكيم أحمد بن إسماعيل العسكري أنشدنا أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوي لنفسه بالعسكر :

(١) في نسخة « العفة » مكان « الفقه » . (٢) سيذكر باقي مصنعاته بعد .

إذا كان مالى مالٌ من يلقطُ العجمُ وحالى فيكم حالٌ من حاكٍ أو حجمٌ
 فأين انتفاعى بالاصالةِ والحجا وما ربحتُ كفى على العلم والحكم
 ومن ذا الذى فى الناس^(١) يبصرُ حالى فلا يلعنُ القرطاسَ والخبرَ والقلم
 ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الحنفى بنسبته قال أنشدنى أبو حكيم اللغوى قال
 أنشدنا أبو هلال العسكري لنفسه :

جلوسى فى سوقٍ أبيعُ وأشترى دليلٌ على أن الأناجَ قسرودُ
 ولا خيرَ فى قومٍ تذلُّ كرامهم ويعظمُ فيهم نذلهم ويسودُ
 وتهجوهمُ عنى رثانةُ كسوفى^(٢) هجاءٌ قبيحاً ما عليه مزيدُ
 ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضى بالسوس قال أنشدنا
 المظفر بن طاهر بن الجراح الأستراباذى قال أنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله
 ابن سهل اللغوى العسكري لنفسه :

يا هلالاً من القصورِ تدلُّ صامٌ وجهى لقلتيه وصلى
 لستُ أدرى أطلالَ ليلى أم لا كيفَ يدري بذلك من يتقلى
 لو تفرغتُ لاستظالةِ ليلى ولرعى النجومِ كنتُ محلى
 هذا آخر ما ذكره السلفى من حال أبى هلال .

قال ياقوت : وهذه الأبيات الأخيرة التى منها * لست أدرى أطلال ليلى أم لا *
 والبيت الذى بعده رأيت فى بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم^(٣)
 هذا عن السلفى . وذكر غيره أن أباه هلال كان ابن أخت أبى أحمد العسكري .
 وله من الكتب بعد ما ذكره السلفى : كتاب ديوان المعانى وهو من أحسن الكتب^(٤)

(١) فى عيون التواريخ (فى الدهر) . (٢) فى عيون التواريخ (رثانة مابسى)

(٣) لعل الغلط من الراوى لأن أباه هلال نفسه ذكر الأبيات فى الجزء

الأول من هذا الكتاب فى الصفحة ٣٥٠ منسوبة لخالد الكاتب .

(٤) يثنى ابن شاكر فى عيون التواريخ على (ديوان المعانى) فقلعه اطلع عليه .

وكتاب جمهرة الأمثال . كتاب معاني الأدب . كتاب من احتكم من الخلفاء
إلى القضاة . كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد . كتاب شرح الحماسة . كتاب
مفاخرة الدرهم والدينار . كتاب المناسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب
العمدة . كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب ما تلحن فيه الخاصة . كتاب
أعلام المعاني في معاني الشعر . كتاب الأوائل . كتاب ديوان شعره . كتاب
الفرق بين المعاني . كتاب نواذر الواحد والجمع . كتاب الفروق .

قال ياقوت : وأما وفاته فلم يباغى فيها شيء ، غير أنى وجدت في آخر كتاب
الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إتمام هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت
من شعبان سنة ٣٩٥ ، ولبعضهم :

وأحسن ما قرأتُ على كتاب بخطَّ العسكريُّ أبي هلالٍ
فلو أنى جعلتُ أميرَ جيشٍ لما قانتُ إلا بالسؤال
فإنَّ الناسَ ينهزمونَ منه وقد ثبتوا لأطرافِ العوالي
وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة :
فترتُ صبوتي وأقصرَ شجوى وأنا نبي السرورُ من كلِّ نحوٍ
إنَّ رَوْحَ الشتاءِ خلصَ رُوحى من حرورِ تشوى الوجوه وتكوى
بردَ الماءِ والهواءِ كأنَّ قد سرقَ البردُ من جوانحِ خلو
ريحه تلمسُ الصدورَ فنشفي وغماماته تصوبُ فتروى *
لستُ أنسى منه دَمائِمَ دجنٍ ثمَّ من بعده نَضارةَ صحوٍ
وجنوباً تبشرُ الأرضَ بالقَطْرِ كما بُشِّرَ العليلُ بيوٍ
وغيوماً مطرِزاتِ الخواشي بوميضٍ من الهروقِ وخفوٍ
كلما أرختِ السماءُ عُراها جمعَ القطرِ بينَ سفلى وعلوٍ
وهي تعطيكِ حينَ هبتِ شمالاً بردَ ماءٍ فيها ورقَّةٌ جَوِّ
وزرى الأرضِ في ملاءةٍ تلج مثلَ ريطٍ لبسته فوقَ فروٍ

فاستعارَ العراءُ^(١) منها لباساً
فكانَ الكافورَ موضعَ ترويضٍ
وليالٍ أطلنَ مُدَّةَ درسي
مرّاً لي بعضها ببقهٍ وبعضاً
وحدثتُ كأنه عُقدُ رِيّا
في حديثِ الرِّجالِ رَوْضَةُ أنسٍ
ومن شعره في ارتفاعِ السفلى :

لا يفرنكمُ علوُ لئيمٍ
فارتفعَ الفریقِ فيه فوضوحُ
فعلوا لا يُستحقُّ سفالُ
وارتفاعُ المصلوبِ فيه نكالُ

(١) في الأصل « العراء » . (٢) أكثر هذه الأبيات غير موجود في ديوان المعاني ، مما يدل على كثرة نظم أبي هلال وسعة ديوانه رحمه الله .



مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com

٧١
ما تعدت فيه طورك عندي فمختر منه يا ابن طير
رحمتهى ابو احمد عن ابيه عن احمد قال حدثني ابو د عامه الشاعر
قال كتب العنابي الى مالك بن طوف يستورده ويستدركه ويدعوه
الى صله الرحم والقرايه بينه وبينه وكان ما كتبت ان فرائك من
قرب منك خيرته وان ابن عمك من عم نفعه وان عيسر نكس
احسن معاشرتك وان احب الناس اليك امدام بالمنفعه
عليك وان اهدام الي مودتك من اهداك اليك ولا لا قول
ولقد بلوت الناس ثم سبوتهم ووصلت ما قطعوا من الاسباب
فاذا القرايه لا تقرب قاطعا واذا الموده اقرب الانساب
قال ابو هلال رحمه الله
هذا اخر ما راينا تضمنه هذا الكتاب وبالله التوفيق
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

(صورة آخر النسخة الشنقيطية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جلائل نعمه وفواضل آلائه وقسمه والرغبة اليه فيما يزلف لديه ويمهد المتزلة عنده ويوجب الحظوة قبله والصلوة على خير برئته محمد وعترته . قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : جمعت في هذا الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن وأبداع ما روى في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلى عوادبها وشذاذها ، وتخيرت من ذلك ما كان جيد النظم محكم الرصف غير مهلهل رخو ولا متجمد فيج ، وهذا نوع من الكلام لا يزال الأديب يسأل عنه في المجالس الخافلة والمشاهد الجامعة إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه ومقدار حفظه فإن سبق إليه بالجواب جل قدره وفخم أمره ، وإن نسكص عن ميدانه وشال في ميزانه قلت الرغبة فيه وانصرفت القلوب عنه ، وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى ^(١) قال : كان بعض من ينتحل الأدب يريد الدخول في جملة أبي الفضل محمد بن الحسن بن العميد ^(٢) لمنادته ، وشفع له في

(١) هو شيخ المصنف وسميه اللغوي العلامة ، يروى عنه في هذا الكتاب كثيراً ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم والتحقيق في التأليف ، توفي سنة اثنين وثمانين وثلاثمائة . وقد اختلط السميان على صاحب الأعلام وهما في الإمامة علمان .

(٢) الملقب بالجاحظ الثاني ، كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم ، وأما

ذلك جماعة من بطائنه فأحضره يوماً وفاوضه ليقف على مقداره في المعرفة فقال له
 فيما قال : ما أحسن ما قيل في صفة شعر ؟ فبقي ملياً يتفكر فقال أبو الفضل : فند عند
 خاطر كُحْداجة ، ثم قال هات أيها الشيخ فقلت أحسن ما قاله قديم في ذلك قول الشاعر :

فان أهلك فقد أبيتُ بعمى قوافي تُعجبُ المتمثلينا
 لذيدات المقاطع محكمات لو أن الشعرَ يلبسُ لارتدبنا

وأحسن ما قاله محدث قول أبي تمام^(١) :

ووالله لا أنفكُ أهدي شوارداً إليك يُحملنَ الثناء المنخلا
 مُتخالُ به بُرداً عليك محبراً وتحسبها عقداً عليك مُفصلاً
 أذّن من السلوى وأطيبَ نفحةً من المسك مفتوقاً وأيسرَ محملاً
 أخفَّ على رُوحٍ وأنقلَ قيمةً وأقصرَ في سمع الجلبس وأطولاً
 ويُزهى به قومٌ ولم يمدحوا بها إذا مثل الرأوى بها أو تمثلاً

الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد ، كان كامل الرياسة جليل القدر ، من بعض
 أتباعه الصاحب بن عباد ، ولأجل صحبته له قيل له الصاحب ، وكان له في الرسائل اليد
 البيضاء . قال الثعالبي : كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد ..
 وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد فلما رجع إليه قال له كيف وجدت بها ؟ فقال
 بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد ، وكان يقال له الاستاذ . وكان سائساً مدبراً
 للملك قائماً بحقوقه ، وله شعر رقيق ، وقصده جماعة من مشهورى الشعراء من
 البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح ، منهم أبو الطيب المتنبي ، توفي سنة ٣٦٠ .
 (١) هو حبيب بن أوس الطائفي الشاعر المشهور ، ولد بسورية وجاب البلاد
 ومدح الخلفاء وغيرهم ، قال ابن الأثير : أما أبو تمام فرب معان وصيقل ألباب
 وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فمن حفظ شعر الرجل
 وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في
 البلاغة ما قالت حزام ، مات سنة ٢٣١ - كما في شذرات الذهب وغيره .

وقوله : إن القوافي والمساعي لم تزل
 هي جوهرٌ نثرٌ فان ألفته
 في كل معترك وكل مقامة
 فاذا القصائد لم تكن خفراءها
 من أجل ذلك كانت العُرب الأثلي
 وتند عندهم العلا الأعلى التي
 جعلت لها مُرراً القريض^(٣) قيودا
 قال وبقي الرجل لا يبيض بكلمة ثم خرج ولم يعد . قوله فند يعني أن خاطره بطيء ،
 وفند هذا مخنث كان بالمدينة مولى لعائشة بنت أبي وقاص^(٤) ، وكانت بعثته
 ليقتبس ناراً فأتى مصر وأقام بها سنة ثم جاء بنار وهو يعدو فعثر فتبدد الجمر فقال
 تعست العجيلة فقالت فيه :

بعثتك قابساً فلبثت حولا
 وقال الشاعر : مارأينا لغراب^(٥) مثلاً
 غير فند أرسلوه قابساً
 فتمثلت العرب به فقالت أبطأ من فند . وحداجة رجل يضرب به المثل في
 السرعة فقيل أسرع من حداجة^(٧) .

وممن سبق إلى الجواب عن هذا النوع فخطي النضر بن شميل^(٨) ابن برنا أبو

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « مثل الجمان » وهو اللؤلؤ . (٢) في الديوان
 المطبوع « يدعون هذا » . (٣) في الديوان « مرر القصيد » . (٤) في مجمع الأمثال :
 بنت سعد بن أبي وقاص . (٥) غراب إسم رجل . (٦) المشملة كساء تجتمع فيه
 المقدحة بالآلتها ، وقيل ثوب يشتمل به وقيل غير ذلك . (٧) وهو رجل من عبس .
 (٨) وهو النضر بن شميل المازني البصري كان رأساً في الحديث رأساً في اللغة
 والنحو ثقة صاحب سنة ، ضاقت معيشته بالبهرة فرحل إلى خراسان فشيعة من
 البصرة نحو من ثلاثمائة عالم ، توفي سنة ٢٠٣ كما في شذرات الذهب وغيره .

أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن حامد قال
حدثنا أبو بشر محمد بن ناصح الاصبهاني عن النضر بن شميل المازني قال : كنت
أدخل على المأمون في سمرة فدخلت عليه ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر
ما هذا القشف ^(١) فقلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مر وشديد فأ تبرد
بهذه الخلقان ، قال لا ولكنك قشف فأجرينا الحديث إلى أن أخذ المأمون في ذكر
النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله
ﷺ « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سدادٌ من عوز » فقلت
صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن علي بن أبي
طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا تزوج الرجل المرأة
لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز » قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فقال
يا نضر كيف قلت سداد قلت يا أمير المؤمنين السداد ههنا لحن قال ويحك أنلحنني
قلت إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال فالفرق بينهما ؟ قلت
السداد القصد في الدين والسبيل ، والسداد البلغة وكل ماسدت به شيئاً فهو
سداد ، قال وتعرف العرب هذا ؟ قلت نعم العرجي ^(٢) يقول :
أضاعوني وأى فسى أضاعوا يوم كريمة وسداد تغر
قال قبيح الله من لأدب له ، ثم أطرق ملياً ثم قال : أنشدني أخلب بيت قائمه العرب
قلت حمزة بن بيض ^(٣) يقول في الحكم بن مروان :

(١) القشف : رثابة الهيبة . (٢) هو الشاعر المشهور ، منسوب الى العسرج
منزلة بين مكة والمدينة ، وكان حبسه محمد بن هشام المخزومي أمير مكة لما شبب
بأمه فأقام بالحبس سبع سنين ومات فيه عن ثمانين سنة ، وبعد البيت المذكور :
وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحري
(٣) شاعر مجيد من أهل الكوفة ، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم
الى بلال بن أبي بردة . توفي سنة ١٢٠ و « بيض » بكسر الباء الموحدة وسكون

يقولون لي والعيون هازعة^١ أقم علينا يوماً فلم أقم
 أي الوجوه انتجعت قلت لها وأي وجه إلا إلى الحكم
 متى يقل صاحباً سرادقه هذا ابن بيض بالباب بيتهم
 قد كنت أسلمت فيك مقتبلاً فهات ادخل أو قتي سلمى
 فقال أحسن ماشاء ، أنشدني أنصف بيت قائته العرب قلت ابن غزوية المدني
 حيث يقول :

إني وإن كان ابن عمي واغراً لمزاحم^٢ من خلفه وورائه
 وميمده بصري وإن كان امراً مستزحزحاً في أرضه وصمائه
 وأكون والى سره فأصونه حتى يحين علي وقت أدائه
 وإذا الحوادث أجحفت بسوامه^(١) فُرنت صحبحتنا إلى جربائه
 وإذا دعا باسمي لتركب مركبا صعباً قعدت له على سبائه^(٢)
 وإذا رأيت له رداءً فاضراً لم يُلْفِنِي مُتَمَنِيًا لردائه
 فقال أحسن ماشاء ، أنشدني أقنع بيت للعرب قلت الراعي^(٣) حيث يقول :

أطلب ما يطلب الكريم من السرزق لنفسى فأجمل^٣ الطلبي
 وأحلب^٤ الذرة الصفاء ولا أجهد أخلاف غيرها حلبا
 إني رأيت الفتى الكريم إذا رغبته في صنعة رغبنا
 والنذل لا يطلب العلاء ولا يعطيك شيئاً إلا إذا رهبنا
 مثل الحمار الموقع السولا يحسن شيئاً إلا إذا ضربنا
 ولم أجد غرة الخلائق إلا الدين لما اعتبرت^٥ والحسبنا

الياء آخر الحروف وآخرها ضاد معجمة ، على مانص عليه في الوافي بالوفيات
 والتاج ، ويضبطه كثيرون بالفتح وهو خطأ . (١) السوام : الأبل . (٢) السبساء
 بالسكسر : منتظم فقار الظهر ، ومن الفرس حاركة ، ومن الحمار ظهره . القاموس .
 (٣) هو الشاعر عبيد بن حصين الراعي النيمري ، من معاصري جرير والفرزدق .

قد رَزَقُ الخَافِقُ المَقِيمُ وما شَدَّ بَعِيثُ رَحَلًا ولا قَبَا
 وَمُجَرَّمُ الرِّزْقِ ذُو المَطِيَّةِ والسَّرْحَلِ وَمَنْ لا يَزَالُ مُفْتَرِبًا
 فقال أحسن ماشاء ، ممالك يا نضر ؟ فقلت أريض لي بمرور أنصابها وأمددها قال
 ألا ^(١) نفيديك مع ذلك مالا ؟ قلت إني إلى ذلك محتاج قال فأخذ القرطاس وكتب
 ولأدرى ما كتب ، قال كيف تقول من التراب إذا أمرت أن ترتب ؟ قلت أتربه ،
 قال فهو ماذا ؟ قلت مترب ، قال فمن الطين ؟ قلت طينه ، قال فهو ماذا ؟ قلت مطين ،
 قال هذه أحسن من الأولى ثم قال يا غلام أتربه وطنه ، ثم صلى بنا العشاء ثم قال
 لخادمه تبلغ معه إلى الفضل بن سهل . فأثبته فلما قرأ الكتاب قال يا نضر إن أمير
 المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فأخبرته ولم أكذب به فقال
 لحنت أمير المؤمنين فقلت كلا إنما نحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه
 وقد تتبع الفقهاء ، فأمر لي الفضل بثلاثين ألفاً فأخذت ثمانين ألفاً بحر فاستفاده مني .
 وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال أخبرنا أحمد بن يحيى المهلبي قال
 حدثني أبي قال جرى في مجلس الواثق بالله تعالى ذكر ما قيل في أصحاب النبيذ
 فأمرت أن يسأل أبو محم عن أحسن ما قيل في ذلك فسئل بعد أن أحضر فقال أحسنه
 قول حكيم وهو شاعر عصره النمر بن تولب العكلي ^(٢) :

وَفِيَّةٌ كَالسِّيُوفِ أَحْصَرَمُ لا أَحْصَرُ فِيهِمْ ولا بَجَلُ
 بَيْضٌ مَسَامِيحٌ فِي الشِّتَاءِ وَإِنْ أَخْلَفَ نَجْمٌ عَنْ وَبَلِهِ وَبَلُوا ^(٣)
 لا يَتَأَرَّوْنَ ^(٤) فِي المَضِيقِ وَإِنْ نَادَى مُسْنَدٌ أَنْ انزَلُوا نَزَلُوا
 لا يَمْتَرِي شَرِبْنَا اللِّجَاءَ وَقَدْ تُوهِبُ فِينَا القِيَانُ وَالْحَلَلُ

فاستحسن الواثق الأبيات ووهب ^(٥) أبا محم .

(١) في نسخة « أفلا » . (٢) من شعراء الجاهلية أدرك الإسلام كبيراً ،

وكان وجيهاً جواداً . (٣) الوبل : المطر الشديد . (٤) تَأَرَى بالمكان : احتبس .

(٥) في نسخة « ووصل » .

حاجة الأديب إلى هذا الفن شديدة وفاقته اليه عتيدة ، وأولى ما يصنف ويؤلف
ويقرب مأخذة ويسهل ما كانت الحاجة اليه هذه الحاجة فوقت العناية عليه وانصرفت
بالاهتمام اليه حتى تهذب وتثقف وتشذب وتदानت شعبه وتقاربت سبله ولم أبال
مألني فيه من زيادة تعب وفضل كد ونصب إذ لم يكن الانسان يبلغ ما يريد وينال
ما يريد ^(١) إلا بتكلفة لغوب ^(٢) ومواصلة دؤوب لاسيا إذا كان الغرض الذي
ينزع اليه جسيما يكسبه حسن الذكر ويمنحه طيب النشر من علم يتقنه أو يصنفه
ويدونه أورياسة أرادها فارادها وسيادة طلب اقتيادها وليس ذلك للمتواني المتهاون
ولا المتواكل المتواهن ، وقد قيل :

سَهَرَتْ عِيُونُهُمْ وَأَنْتَ عَنِ الَّذِي قَأَسُوهُ حَالِمٌ
وقيل : وإن سيادة الأقسام فأعلم لها صداء مطامعها طويل
وقيل : إن السيادة والرياسة والعلو أعبأهن كما علمت ثقال
وقيل : وإن جسيات الأمور منوطه بمستودعات في بطون الأساود
وقلت : * إن الأمور مريحها في المتعب * وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم
السرى » وقيل * ما لمن لم يركب الأهوال حظ * وقلت :

ولم يتسهل للفتي درك العلاء إذا هو لم يصبر على المتصعب

ومن كانت له حاجة في الشيء اشتغل به وفرغ له واستندب التعب فيه حتى بلغ
مراده منه وقيل :

طوامس لي من دونهن عداوة ولى من وراء الطامسات حبيب
بميد على من ليس يطلب حاجة وأما على ذي حاجة فقريب

والذي حداني على جمع هذا النوع أيضا اني لم أجد فيه كتابا مؤلفا ولا كلاما مصنفا
يجمع فنونه ويحوى ضروره ، ورأيت ما تفرق منه في أثناء الكتب وتضاعيف
الصحف غير مقنع يشقى الراغب ويكفي الطالب فجمته ههنا وأضفت إلى كل نوع منه

(١) أراغ : أراد وطلب . (٢) أي متعبة أشد تعب كما في القاموس .

ما يقاربه من أمثاله وما يجرى معه من أشكاله ليكون مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة ،
وجعلته نظماً وثراً وخبراً وشعراً لأبعث به نشاط الناظر وأجلى به صداء الخاطر
لأن الخروج من ضرب إلى ضرب أنقى لللال وأعدى على السلال من لزوم نهج
لا يتعداه والاقصار على أمر لا يتوخى سواه .

وجعلته إثني عشر باباً : الباب الأول : في التهانى والمديح والافتخار .

الباب الثانى : في الخصال .

الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .

الباب الرابع : في الغزل وأوصاف الحسان .

الباب الخامس : في ذكر النار والطبخ وأنواع الطعام وصفات الشراب
وما يجرى مع ذلك .

الباب السادس : في ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر وما يجرى مع ذلك .

الباب السابع : في ذكر السحاب والمطر والثلوج والمياه وصفات البساتين
والرياض والأشجار والثمار والرياحين والنسيم وما يجرى مع ذلك .

الباب الثامن : في ذكر السلاح والحرب وما يشبه ذلك .

الباب التاسع : في ذكر القلم والخط والكتابة وصفة البلاغة وما يجرى مع ذلك .

الباب العاشر : في ذكر الخيل والابل والسير والغلوات والسراب وصفة
سائر الحيوانات .

الباب الحادى عشر : في ذكر الشباب والمشيب والعلل والموت والمرأى
والتعازى والزهد .

الباب الثانى عشر : في صفات أشياء مختلفة .

ثم رأيت أصحابنا يشكون طولها وكبر حجمه وبعد غايته فجعلت كل باب منه
ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليخف محمله ويقرب مأخذه ، على أن فوائد الكتاب
على قدره في صغره وكبره ولكن ينبغي أن يحمل على كل بقدر طاقته ويكلف

على حسب مقدرته ويحدث بما ينشط لاستماعه ويتسع لوعيه ، وتقريب الحكمة
حكمة ثانية ويكسوها المحبة ويوجد اليها الرغبة ، وأرجو أن أوافق الصواب في
جميع ماضمنت هذه الأبواب ، وإن وجد في بعض فصوله خطأ أو تعرض فيه زلل
أو تخلله خلل فغير بديع ولا قبيح شنيع لأن النقصان منوط بالإنسان لا يسلم منه
خَلقه وخَلقه وقوله وفعله وقد شمل العيب كل شيء حتى صارت في وجنة القمر
سفةة ، وقد قلت :

وفي كل شيء حينَ تَحْسِبُ أمرَه معائبُ حتى البدرُ أكافُ أسفَعُ
والشيء إذا سلم جله فقد حسن كله وبالله التوفيق :

﴿ كتاب المبالغة ﴾

في المديح والتهاني والافتخار وهو الباب الأول
من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المديح ﴾

سمعت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى يقول أمدح بيت
قاله العرب قول النابغة الذبياني^(١) .

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملكٍ دونها يتذَّبذب^(٢)

(١) هو زياد بن معاوية ، لقب بالنابغة لنبغه في الشعر ، كان يعرض عليه
الشعراء قصائدهم في سوق عكاظ ، وهو أحد أصحاب المعلقات ، كان حظي بأقبال
النعمان بن المنذر ، ثم هرب خيفة من بطشه بعد أن شيب بزوجه ، ثم عفا عنه
ورجع إليه ، مات سنة ١٨ قبل الهجرة . وقيل لقب بالنابغة ببعض شعره .

(٢) السورة : المقام والمكانة ، والملك : الملك ، ويتذذبذب : يضطرب .

بأنك شمسٌ والملوك^(١) كواكبٌ إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكبٌ
ثم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس قال حدثني أبو ذكوان قال : أدخلت
إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأهواز خدمته فقال ما تقول في شعر النابغة * ألم تر أن
الله أعطاك سورة - البيتين فقلت ما عندي فيه إلا الظاهر المشهور يقول فضلك على
الملوك كفضل الشمس على الكواكب فقال نفهم معناه قبل هذا إنما يعتذر إلى
النعمان من مدحه آل جفنة الغسانيين وتركه له ويريد أن له في مدحه لهم عذراً
ألا ترى إلى قوله :

ولكنني كنتُ امرأةً لى جانب من الأرض فيه مُسترادٌ ومَذْهَبٌ
مُملوك^(٢) وإخوان إذا ما أتيتهم أحكمم في أموالهم وأقرب
حكمتك في قوم أراك اصطفيتهم^(٣) فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا
يقول لانهني على شكري وقد أحسنوا إلى إذ لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك كما
أحسنتم إلى قوم فشكروك عند أعدائك فقد أحسنوا ولم يذنبوا ، ثم قال اعمل على أني
أذنبت فمن أين نجد من لا يذنب فقال :

ولست بمُستَبقٍ أخاً لانه على شعث أي الرجال المهذب
فإنك مظلوما فعبد ظلمته وإن يك ذا عتبي فمثلك يُعتب
يقول مثلك بعفو ويحسن وإن كان عاتباً وفي كرمك ما يفعل ذلك ولك
العتبي والرجوع إلى ما يجب ، ثم فضله عليهم فقال :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكبٌ
يقول ما صاحت لي أنت فاني لا أريد غيرك من الملوك كما أن من طلعت عليه

(١) في الأصل هنا «النجوم» مكان «الملوك» الموجودة في ديوان النابغة
المطبوع ، وفي الأصل بعد أسطر كذلك . (٢) وهم ملوك غسان . (٣) الذي في
ديوان النابغة المطبوع « كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم » .

الشمس لم يحتاج الى النجوم . قال أبو ذكوان وما رأيت أعلم بالشعر منه . ثم قال لو أراد كاتب بليغ أن ينثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به في أضعاف كلامه ، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس . وقد سبق بعض شعراء كندة النابغة الى هذا المعنى فقال يمدح عمرو بن هند :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لِعَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ عَصْبَةً وَهُوَ طَائِبٌ
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت على كل ضوء والملوك كواكب
وقالت صفية الباهلية :

أَخْسَى عَلَى مَالِكِ رَبِّ الزَّمَانِ وَلَا يُبْقِي الزَّمَانَ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَيْلَ يَسْنُنَا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ
ومن ههنا أخذ أبو تمام :

كَانَ بَنِي نَهْجَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ
وقال نصيب في معنى النابغة :

هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ وَهَلْ يَشْبَهُ الْبَدْرَ الْمَضِيءَ الْكَوَاكِبُ
ومثل قول النابغة * احكم في أموالهم وأقرب * قول الأشجع (١) :

لَا تَعْتَدِلُونِي فِي مَدِيحِي مَعْشَرًا خَطَّابُوا الْمَدِيحَ إِلَى الْأَمْوَالِ
يَتَزَحَّزِحُونَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا عَنْ كُلِّ مُتَّكِرٍ مِنَ الْأَجْلَالِ

وسمعت أبا أحمد يقول : أبرع بيت قيل في المديح قول النابغة :

فَانْكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلَسْتُ أَنْ الْمَتَأَى عَنْكَ وَاسِعِ

ثم قال أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرنا عون بن محمد الكندي أخبرنا قعنب بن محرز قال سمعت الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول كان زهير يمدح السوقة ولو ضرب أسفل قدميه مائة على أن يقول مثل قول النابغة * فانك كالليل الذي هو مدركي *

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي من فحول الشعراء ، مدح البرامكة ، وتقرب

من الرشيد ، ومات بعده .

ماقاله فما لا يقول مثله زهير كان غيره أبعد منه .
 أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن السكن بن سعيد عن محمد بن
 عباد قال سمعت أبا عبد الله نفظويه يذكر عن الفراء قال قال الكسائي حضرت
 مجلساً للخليل بن أحمد وقد جمع بينه وبين يونس بن حبيب ^(١) عند العباس بن
 محمد في مفاصلة اللغات ومجاريها ونوادير الاعراب ومذاهب العرب ومجازها وأخبارها
 فكان الخليل كالسابق قرن به ذوالزوائد الحطيم في حلبة المضار الى أن تذاكروا ^(٢)
 الاشعار والشعراء فأكثر يونس من ذكر زهير وتقديمه وذكر الخليل النابغة
 وقدمه وعظم أمره فقال العباس للخليل بم تذكر النابغة؟ قال كان النابغة أعذب
 على أفواه الملوك وأبسط قوافي شعر كأن الشعر ثمرات تدانين من خلد فهو يجتنيهن
 اختياراً، له سهولة السبق وبراعة اللسان ونقاية الفطن لا يتوعر عليه الكلام لعدو به
 مخرجه وسهولة مطابقه . أخبرنا شيخ باهله يكنى أبا جحران النابغة وقد
 على النعمان معتدراً من تلك البلاغات ومعه اعتذاره الذي يقول فيه :

* فانك كالليل الذي هو مدركي * فقال النعمان أقبل منك عنك وأصفح
 لقدرك عنك ثم أمر نخلع عليه خلع الرضا وكن حبرات خضر مطرفة بالدر في قضب
 الذهب وانصرف الى منزله . قال الباهلي وإن النابغة جاء يوماً مستأذناً معتدراً فقال له
 الحاجب الملك على شرا به قال فهو وقت الملق والشعر تقبله الأفتدة عند السكر فان يبلغ
 لي فلق المجد عن غررموا به فانت قسيم ما أفدت . فقال الحاجب والله ما نفي عنايتي بك
 بدون شكرك لي فكيف أرغب فيما تصف ودون ما ترغب رهبة التعدي فهل من سبب
 يمكن الاستئذان . فقال النابغة فعلت ما يجب عليك في الأدب وقضاؤها معقود

(١) هو الأديب النحوي ، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ،
 وهو في الطبقة الخامسة في الأدب بعد علي كرم الله وجهه ، اختلف اليه أبو عبيد
 أربعين سنة وخلف الأحمر عشرين سنة ، وله عدة تصانيف ، توفي سنة ١٨٢

(٢) في الأصل « تذاكر »

بشكرك فمن عنده ؟ قال خالد بن جعفر الكلابي فقال أين أنت عنه بما أقول لك قال قل قال تقول له خاليا إن زياداً يقول إن قدرك فوق الغمام ووفاءك وفاء الكرام - وقال الفراء تقول له خاليا إن زياداً يقول إن من قدرك نيل الدرّك بك - وزكاة الجاه رفق المستعين وناحيته من الشكر ما علمت وحاجتي ملاطمة الأسباب حتى يحرك ذكراً يمكن بمثله الاستئذان - وقال الفراء يجري ذكراً - فلما صار خالد إلى بعض ما بيعت موارد الشراب نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك أبا البسام حادث النعم قال خالد هناك عيشك كل ما نحن فيه تجديد للترفضيل وإتمام للشرف وكل ذلك ببقاء الملك وحسن مواده فإذاك فأخبره بما قال النابغة فقال آذنه بالطاعة وانتظار المراجعة وكان خالد رفيقاً بتأني الأمور ^(١) والأسباب لطفاً وحسن بصيرة في الارتياح فدخل متبسماً وهو يقول :

ألا لملك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد
ثم قال واللوات والعزى لكأني أنظر إلى أملاك ذي رعين ^(٢) وذى فابش ^(٣)
وقد مدت لهم قصبات المجد إلى معالي الاحساب ومناكب الانساب في حلية أنت
- أبيت اللعن - غرتها فجئت سابقاً متمهلاً وجاؤا لم يتم لهم سعى ، وجاء زياد
فقال النعمان والله لا أنت في وصفك أبلغ احساناً من إحسان النابغة فينا في نظم
قوافيه ، فقال خالد أيها الملك واللوات ما أبلغ فيك حسناً إلا غره قدرك استحقاقاً
للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضرّاً لقال وقلنا ، فقال النعمان النابغة يا غلام نخرج
الحاجب فقال النابغة ما وراءك قال رفع الحجاب وأذن في السيادة والافضال فدخل
فانتصب بين يدي النعمان وحياه بتحية املك ثم قال أبا فخر - أبيت اللعن - ابن
جفنة وأنت سانس العرب وغرة الحسب واللوات لا مسك أبهى من يومه ولقدالك

(١) في نسخة « يتأني للأمر » . (٢) ذو رعين : لقب ملك من أذواء اليمن
كما في المرصع لابن الأثير . (٣) ذو فابش . أحد أذواء اليمن ، اسمه يزيد ، من بني
بحصب ، وهو أبو سلامة الذي مدحه الاعثي ، على مافي المرصع لابن الأثير .

أحسن من وجهه ولبسارك أسمح من يمينه ولبعدك أكثر من قومه ولنفسك أكبر
من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من رفته ولهزلك أصوب من
جده ولغترك أبسط من شبره ولاملك خير من أبيه ، ثم أنشأ :

أخلاقٌ مجتهدك جلت ما لها حصر في البأس والجود بين البدو والحضر
متسوجٌ بالمعالي فوق مفرقيه وفي الوغى ضيقم في صورة القمر
قال فتهلل وجه النعمان بالسرور وأمر فحشي فمه دراً ، وقال مثل هذا ترتاح القلوب
وبمثلها تمدح الملوك ، ثم قال الخليل أفيحسن زهير أن يقول مثل هذا ؟ فقال يونس
لعباس اني لا أعجب مما حدث عن قصة النابغة وشعره قوله :

* وفي الوغى ضيقم في صورة القمر *

أجود شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين ومن شعر المحدثين
قول أبي العتاهية ^(١) يمدح الرشيد وولده :

بنو المصطفى هارون بين سريره فخير قيام حوله وقعود
بقلب الحياض المهابة بينهم عيون ظباء في قلوب أسود
وأخذه مسلم بن الوليد فقال * كأن في سرجه بدرأ وضرغام *
وقلت : فتى على نفسه من نفسه رصداً يصدّه ان نطق الشين والذاما ^(٢)
ما زال يقسم ما لا ثم بفرمه ما زال له مال غنائماً وغرّاما
أغر أربع يحكي الغيث مكرمة والنجم منزلة والطود أحلاما
تجسد ^(٣) حين يبدو ان تقول له كأن في سرجه بدرأ وضرغام
وقد تداول الناس معنى قوله * كأنك كالليل الذي هو مدركي *

(١) غلب عليه هذا اللقب لعتوه ، وهو من مقدمي المولدين من طبقة بشار
وأبي نواس ، كان يبيع الفخار قبل أن يقول الشعر ويرع فيه ، يقال أطبع الناس
بالشعر بشار والسيد الخيري وأبو العتاهية ، توفي سنة ٢١١ .

(٢) الذام : العيب . (٣) في الأصل « يحاه » .

فقال الفرزدق :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لكنت كشيءٍ أدر كنهه مفادره
وهو دون قول النابغة لأن الليل أعم من الريح والريح أيضاً يمتنع منه
بأشياء ، والليل لا يمتنع منه بشيء . وأخذ الأخطل ^(١) قول الفرزدق ^(٢) فقال :
فأنت كالدهر مَبْثُوتًا حَبَائِلُهُ والدهرُ لاملجأ منه ولا هَرَبُ
ولو ملكتُ عِنانَ الريحِ أُصرِّفُهُ في كل ناحية ما فانتك الطلب
وأخذ مسلم البيت الأول من الأخطل فقال :
وإنَّ أميرَ المؤمنينَ وفِعْلُهُ لسكالدهرٍ لا غاد بما فَعَلَ الدهرُ
وهو أيضاً مأخوذ من قول النابغة : وأخذهُ أبو تمام فقال :

خَشَعُوا لَصَوْتِكَ التي هي عندهم كَلِمَاتٌ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَادُ
فَالْقَوْلُ هَمْسٌ وَالنَّدَاءُ إِشَارَةٌ خَوْفَ اتِّقَامِكَ وَالْحَدِيثُ سِرَادُ
وأخذه علي بن جبلة ^(٣) فقال :
وما لِمَرِي حَاوَلْتَهُ مِنْكَ مَهْرَبٌ ولو رَفَعْتَهُ فِي السَّمَاءِ الْمُطَالِمُ
يَلِي هَارِبٌ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ ظِلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ الصَّبْحِ لَا مِع
وقال البحترى ^(٤) :

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في العراق ، ودخل الشام ومدح
المماليك الأمويين ، كان لا يظهر من شعره إلا المتخير . مات سنة ٩٠ .
(٢) يقول ابن خلسكان : أجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل
ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وكان بينهم مهاجاة وتفاخر ، يقال لولا شعر
الفرزدق لذهب ثلث اللغة ونصف أخبار الناس ، كان لا ينشد عند الخلفاء إلا قاعداً
توفي في البصرة سنة ١١٠ . (٣) هو العكوك الآتي .

(٤) هو الوليد بن عبيد الطائي البحترى - نسبة إلى جد اسمه بحتر - قال المبرد :
أنشدنا شاعر دهره ونسيج وحده البحترى ، عرض أول شعره على أبي تمام فقال له

ولوانهم كَبُوا السُّكُوكَ لَمْ يَكُنْ لِمَجْدَمٍ مِنْ خَوْفِ بَأْسِكَ مَهْرَبٌ
وقلت في قريب منه :

ويدنو له المطلوبُ حتى كأنما يواكب ضوء الصبح في كل مطلبٍ
وقالوا أمدح بيت قائته العرب قول أبي الطمجان (١) :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ناقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتابه
ومثله قول الخطيئة (٢) :

نمشى على قول أحساب أضأت لنا كما أضأت نجوم الليل للساوى
ومثله قول الآخر :

وجوه لو أن المدججين اعتشوا (٣) بها صدعن الدجى حتى يرى الليل بنجلى
وقال بعض الأعراب في رجل : مادفته في سواد إلا محاه ولا قابلت به مدأ

إلا كفاه . ومثل قوله * صدعن الدجى * قول بعض المحدثين :
ومصباحنا قمر زاهر كقوس جبين يشق الدجى
وقلت : وأنشق ثوب الظلام عن قمر يضحك في أوجه الدجنات

أنت أشعر من أنشدنى وكتب له بذلك فعظم وبجل ، وقال له أبو تمام : نعت
إلى نفسى فقال أعينك بالله فقال ان عمرى ليس بطويل وقد نشأ لطفى مثلك ،
فمات بعدها بسنة . وكانت وفاة البحترى سنة ٢٨٤ (١) هو حنظلة بن الشرقى
القينى من الشعراء الجاهليين ، أدرك الإسلام ، ومات قبيل الهجرة .

(٢) هو جرول بن أوس العبسى من الشعراء المحضرمين ، اشتهر بالمهجو
حتى هجا والديه ونفسه . ولعل في البيت تحريفاً فى رواية الأغاني :

نمشى على ضوء إحسان أضاء لنا ماضوات ليلة القمر للساوى

(٣) الدج : السير من أول الليل . واعتشوا : استضاؤوا .

كأما النجم حين قابله قبيعة (١) في نصاب مرآة
 وقلت: بليل كما ترْفُو الغزاة أسود على أنه من نُورِ وَجْهِكَ أَيْضُ
 كواكبه زهر وُصِفَ كأنها قبائع منها مُذَهَبٌ وَمُفَضُّ
 وقلت: وذى غنج يأوى إلى فرعه الدُّجى ولكنها عن وَجْهِهِ تَتَفَرِّجُ
 فنيه ظلامٌ بالصباح مُقْنَعٌ وفيه ظلامٌ بالصباح مُتَوَجِّجُ
 وقول أبي الطمجان مولى ابن أبي السمط:

فتى لأبيالي المدلجون بنوره إلى مابه ألا تضيء الكواكبُ
 له حاجبٌ عن كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجبُ
 وقول الآخر:

من البيض الوجوه بنى سنان لو انك تستضيء بهم أضوا
 وقول الآخر:

غلامٌ رماه الله بالحسن يافعا له سجاى لا تشق على البصر
 كأن الثريا عُلقت في جبينه وفي أنفه الشعرى وفي وجهه القمر
 ولما رأى المجد استعيرت ثيابه تردى بثوب واسع الذيل واتزر
 إذا قيلت العوراءُ غض كأنه ذليلٌ بلا ذلٍّ ولو شاء لا تنصر
 وقول الآخر (٢):

إخترت فناء بني عمرو فانهم أو لو فضول وأقدار وأخطار
 إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهدوا فالجهد يخرج منهم طيب أخبار
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار سر غير اسرار
 هيئون ليئون أيسار ذوو يسر أرباب مكرمة أبناء إيسار
 من تلق منهم نقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يهدى بها السارى

(١) قبيعة السيف كسفينية: ماعلى طرف مقبضه من فضة أو حديد.

(٢) تروى هذه الأبيات عن الجاحظ كما سيأتي.

وهذا عندي أمدح شيء قيل في وصف جماعة .

وأشدهنا أبو أحمد لعيسى بن أوس في الجنيد بن عبد الرحمن (١) :

إلى مُستنيرِ الوجهِ طالَ بسؤدد تقاصرَ عنه الشاهقُ المتظاولُ
مدحتكَ بالحق الذي أنتَ أهله ومن مدحِ الأقوامِ حقَّ وباطلِ
بميش الندي مادمتَ حياً فإن تمت فليس لحيٍّ بعد موتك طائلِ
وما لأمريء عندي مُخيِّلةٌ نعمة سواك وقد جادت على مخايلِ

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى :

فتى لو ينادي الشمس ألفت قناعتها أو القمر الساري لأتقى المقالدا

وهذا وقول أبي الطمجان من الغلو ، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك ولو كان مذموماً لما جعلوا هذين البيتين من أمدح ما قالت العرب وهما من الغلو على ماها عليه ، ومثل هذا الغلو قول طريح بن اسماعيل (٢) :

أنتَ ابنُ مُسلنطح البطاح ولم يضرب عليك الخيَّ والولج
لو قلت للسيل دع طريقك والسموج عليه كالهضب يمتلج
لارتدَّ أوساخ أو لكان له في جانب الأرض عنك مُنعرج
وهذا من أعلى الغلو لأن السيل لا ترد وجهته هيبة ولا مخافة ، والعرب تقول أجراً من السيل فيهمز ولا يهمز والهمز من الجراء قوت ترك الهمز من الجري ، ويقال في المثل لأفعل كذا حتى يرد وجه السيل ، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ وإنما جئت به لمكان غلوه ، ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه ورووه بكل لسان قول أبي تمام في المعتصم :

يُؤمنُ أبي اسحق طالت يدُ العلاء وقامت قنأة الدين واشتدَّ كاهله

(١) هو الجنيد بن عبد الرحمن المرى الأمير ولي خراسان وغيرها وكان

أجود الأجواد ، توفي سنة ١١٥ . (٢) هو طريح بن اسماعيل الثقفى الشاعر ،

لزم الوليد بن يزيد الأموى وبالغ في مدحه .

هو البحر من أي النواحي آتيته فُجِئَهُ المعروفُ والجودُ ساحله
 نمودَ بسطَ الكفِّ حتى لوانه أرادَ انقباضاً لم نطعمهُ أنامله
 ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه لجادَ بها فليتنق الله سائله
 وقلت في قريب منه :

وكيف بيت الجار منك على صدى وكفك بحر جنة البحر ساحله
 أخبرنا أبو أحمد قال سمعت أبا بكر - يعني ابن دريد - يحكى عن أبي حاتم قال
 قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول : انكم معاشر أهل الحضرة لتخطئون المعنى ان
 أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول كأنه الأسد ويصف المرأة بالحسن فيقول
 كأنها الشمس ، لم لا يجمعون هذه الأشياء بهم أشبه ثم قال لانشدك شعراً يكون
 لك اماماً ثم أنشدني :

إذا سألت الوردى عن كل مكرمة لم تلفٍ نسبتها إلا إلى الهول
 فتى جواداً أعاد النيل نائله فالنيلُ يشكرُ منه كثرة النيل
 وليس هذا الشعر مختاراً عندي :

والموت يرهب أن يلقى منيته في شدة عند لطف الخليل بالليل
 لو عارض الشمس ألقى الشمس مظلمة أو زاحم الغيم ألجاها إلى الميل
 أو بارز الليل غطته قوادمه دون القوافي كمثل الليل بالليل
 أمضسي من النجم ان نابتة نائبة وعند أعدائه أجرى من السيل

ومن الجيد في هذا المعنى قول الآخر :

عالم الغيث الندى حتى إذا ما حكاها عام البأس الأسد
 فله الغيث مقر بالندى وله الليث مقر بالجد

وقد أنكر عبد الملك ما أنكره الأعرابي من تشبيه الممدوح بالأسد والصخر
 والبحر فأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر أخبرنا عبد الأول بن مزيد - أحد
 بني أنف الناقة - عن ابن طائفة عن أبيه قال قال عبد الملك يوماً وقد اجتمع

الشعراء عنده : تشبهوننا بالأسد والأسد أبخر وبالبحر والبحر أجاج وبالجبل
والجبل أوعر ألا قلم كما قال أيمن بن خزيم في فاتك في بني هاشم :
نهاركم مكابدةٌ وصومٌ وليدكم صلاةٌ واقترأهُ
أجعلكم وأقواماً سواءً وبينكم وبينهم الهواءُ
وهم أرض لا رجلكم وأنتم لا عينهم وأرؤسهم سماءُ
وهذا من قول أمية بن أبي الصلت ^(١) وهو أول من أتى به قوله في عبد الله
ابن جدعان ^(٢) :

أذكرُ حاجتي أمٌ قد كفاني حياؤك ان شيمتك الحياءُ
كريم لا يُغيره صباحٌ عن الخلقِ الكريم ولا المساءُ
وأرضك أرضٌ مكرمةٌ بنتها بنو تميم وأنت لهم سماءُ
ونحوه قوله :

لكلِّ قبيلةٍ شرفٌ وعزٌّ وأنت الراسُ يقدّم كلَّ هادي
وتصرف فيه المحدثون فقال ابن الرومي ^(٣) :
قومٌ يحملون من مجدٍ ومن شرفٍ ومن غناءٍ محلّ البيض واليلب ^(٤)
حلوا محامهما من كلِّ ججمةٍ نفعاً ورفعاً وإطلالاً على الرتب

(١) شاعر جاهلي ، ورد أن النبي ﷺ قال « كاد أن يسلم في شعره » طاش
إلى أن أدرك وقعة بدر ورثى من مات بها من الكفار .

(٢) هو التيمي القرشي من أجواد الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة ،
يروى أنه كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، وقع فيها صبي ففرق .

(٣) واسمه علي بن العباس صاحب النظم العجيب ، كان شعره غير مرتب
فرتبه أبو بكر الصولي على الحروف ، والمطبوع هو مختصر ديوانه ، وكان سبب
موته أن الوزير أبا الحسن بن عبید الله وزير المعتضد كان يخاف من هجوه ففسد
عليه ما كلاً مسموماً في مجلسه وذلك سنة ٢٨٣ (٤) أي السيوف والدرع .

قوم هم الرأس إذ حسادهم ذنب ومن يُمثِّلُ بينَ الرأسِ والذَّنْبِ
ومنه قول الخطيئة :

قوم هم الأنفُ والأذنانُ غيرُهُمُ ومن يُسوَّى بأنفِ الناقةِ الذَّنْبَا
وقال غيره : الناسُ أرضٌ بكلِ أرضٍ وأنتَ من فوقهم سماءُ
وقلت : أبشر فانك رأسٌ والعلاجسدُ والمجدُ وجهٌ وأنتَ السمعُ والبصرُ
لولاك لم يكُ للآبامِ منقبةٌ تسمو إليها ولا للدهرِ مُفتخرُ

وأخبرنا أبو حامد قال أخبرنا أبو بكر باسناد ذكره عن الهيثم بن عدي قال
دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين قد امتدحتك فاستمع
مني فقال ان كنت شبهتني بالصقر والأسد فلا حاجة لي بمدحك وان كنت قات
كما قالت أخت بني الشريد لأخيها صخر فهات فقال الأخطل وما قالت يا أمير
المؤمنين قال هي التي تقول :

فما بلغت كفى امرى متناول بها المجد إلا حيث ما نلت أطولُ
ولا بلغ المهدون في القول مدحةً ولو أطنبوا إلا الذي فيك أفضلُ
فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون
قولها قال هات فأنشد :

إذا مت مات العرفُ وانقطع الندى من الناس إلا في قليلٍ مُصرِّد^(١)
وردت أكفُ السائلين وأمسكوا من الدين والدنيا بخلفٍ مُجددٍ
وليس بحسن عندي أن يقال للمسدوح إذا مت فان استماع ذلك مكروه وإن
كانت الشعراء قد استعملته في كثير من مقاماتها أنشدنا أبو أحمد عن ابن دريد :
إذا مت لم توصل بعرفٍ قرابةٌ ولم يبق في الدنيا رجاءٌ لنا نل
وهو من قول النابغة :

فان يهلك أبو قابوس يهلك ربيعُ الناس والشهرُ الحرامُ

(١) التصريد : التقليل .

وَيُمْسِكُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
وهذا أجود من الأول لأنه لم يخاطب به الممدوح ولو قيل لولا فلان لكان كذا
وكذا لكان كما قال علي بن جبلة (١) :

لولا أبو دلف لم تحيي عارفةً ولم ينوثوا مأمول بآمال
يا ابن الأكرام من عدنان قد علموا وتالدُ المجد بين العم والخال
وناقلُ الناس من عدم إلى جده وصارفُ الدهر من حال إلى حال
أنت الذي تنزل الأيام منزلهَا وتُمسك الأرض عن خسف وزلزال
وما مَدَدْتَ مَدَى طرف إلى أحد إلا قضيتَ بآجال وآمال (٢)
تزور سخطاً فتسمى البيض راضية وتسهل فتبكي أوجه المسال

وأخبرنا أبو أحمد في كتاب الورقة عن ابن داود قال قال أبو هفان اجتمع
الشعراء بباب المعتصم فقدم لهم محمد بن عبد الملك الزيات فقال ان أمير المؤمنين
يقرأ عليكم السلام ويقول لكم من كان يحسن أن يقول مثل قول النمرى في الرشيد :
خليفةُ الله إنَّ الجودَ أوديةٌ أحلكَ الله منها حيثُ تجتمعُ (٣)
إن أخلفَ القطرُ لم تخلفْ مخايله أو ضاقَ أمرٌ ذكرناه فبتسع
فقال ابن وهب فينا من يقول مثله :

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا بِبَهْجَتِهَا تَمْسُ الضحَى وأبو إسحقَ والقمر
تحكي أفاعيله في كل نائبة الغيث والليث والصمصامة الذكر
قال فأجازه وفضل ابن وهب . ولبعض الشعراء في المهلب :
أمسى العراقُ سليماً لأنيسَ له إلا المهلبُ بعدَ الله والمطرُ

(١) هو العكوك أحد المبرزين في الشعر ، عامة شعره في مدح أبي دلف
العجلي ، كان أعمى ، قيل ان المأمون قتله لمبالغته في مدح أبي دلف سنة ٢١٣ .

(٢) في شذرات الذهب « إلا قضيت بأرزاق وآجال » .

(٣) سيأتي هذا البيت بصدر « ان المكارم والمعروف أودية » .

هذا بجودٌ ويحصى عن ذمارهم وذا تعيشُ به الأنعامُ والشجرُ
ومنه أخذ ابن وهب . وقلت في معناه :

لم تزلُ للورى ثلاثُ شُموسٍ وجَهكُ المستضىءُ والقمرانُ
وقالوا أمدح بيت قاله العرب قول زهير (١) :

تراهُ إذا ماجئتهُ مُتهللاً كأنك تُعطيهِ الذي أنتَ سائلُهُ
وعاب بعضهم هذا البيت فقال جعل الممدوح فرحاً بعرض يناله وليس هذا شأن
الكبير الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي :

ولئن فرحتَ بما يُنيكُ إنه لبا يُنيكُك من نداءهِ أفرحُ
ما زال يُعطي ناطقاً أوسا كنتُ حتى ظننتُ أبا عقيلٍ يمزحُ
فجعله يفرح بما ينيل . ومثله قول أبي تمام :

أسائلُ نصرٍ لا تسلهُ فانهُ أحنُّ إلى الأرفادِ منك إلى الرِّفدِ
وقال بعض الأعراب : ما زال فلان يعطيني حتى حسبت أنه يودعني ، ونحو
ذلك أن الحجاج قال لياس بن معاوية أي الناس أحب إليك ؟ قال من أعطاني
قال ثم من ؟ قال من أعطيته . وقال أبو السمع الطائي في خلاف ما قال زهير :
فتى لا يرى سوقَ المهورِ غرابيةً ولا غالياتِ المالِ حلياً على نحرِ
فتى كان مكرماً انفسِ كريمةً مهيناً لدنيا غيرِ مأمونةِ الغدرِ
وعندي أن بيت زهير أجود ما قيل من الشعر القديم ، ومن أبداع في ذلك
البحترى في قوله :

سلامٌ وإن كانَ السلامُ تحيةً قوجهك دونَ الردِّ يكفى المسلما
ومن الجيد في ذلك قول ابن الرومي :

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة زهير بن أبي سلمى المضرى ، قال ابن
الأعرابي : كان زهير في الشعر مالم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً
وأخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة .

كأنما القطرُ من ندى يدهِ والبرقُ من بشرِهِ ومن ضحكِهِ
 وقول أبي الأسد :
 ولأئمة لا متك يا قبضُ في الندى فقلتُ لهالن يقدرح اللومُ في البحرِ
 أرادتُ لثني القبض عن عادة الندى ومن ذا الذي بثني السحابَ عن القطرِ
 إذا ما أتاه السائلونَ توَقَّدتُ عليه مصايحُ الطلاقةِ والبشرِ
 له في بني الحاجاتِ أيدٍ كأنها مواعِجُ ماءِ المزينِ في البلدِ القفيرِ
 وقريب منه قول أبي تمام :
 عهدِي بهم تستنيرُ الأرضُ إن نزلوا فيها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا
 ويضحكُ الدهرُ منهم عن عطارفةِ كأنَّ أيامهم من أنسها جمعُ
 وقلت : إذا عبس الزمان فدل إليه تجده البشرُ في وجه الزمانِ
 وقلت : كأنك في خد الزمان تورد وفي فمه ضحك وفي وجهه بشرِ
 فمن بك ممدوحاً بنظم يصوغه فانك ممدوحٌ بك النظمُ والنثرُ
 وقال البحترى :
 وتواضع لولا التكرمُ عاقه عنه علوٌ لم ينله الفرقدُ
 وفُتوة جمع التقى أطرافها وندى أحاط بجانيه السوددُ ^(١)
 وشبية فيها النهى فاذا بدت لذوى التوسم فهي ^(٢) شيبُ أسود
 طلقُ اليدين إذا تفرقَ ماله ^(٣) جمع العلاء فيما يفيد وينفد
 جذلان ^(٤) يطربُ للسؤالِ كأنما غناه مالكُ طيِّمٍ أو معبد
 وقال ابن الرومي :

(١) كذلك في الديوان المطبوع ، وفي الأصل « وندى أحاطها بما السؤدد » .
 وهو تحريف (٢) في الأصل « التبسم فهو » . (٣) كذا في النسخ ، والذي في
 الديوان المطبوع « خضل اليدين إذا تفرق في الندى » . (٤) في الديوان
 المطبوع « نشوان » مكان « جذلان » .

أغرَّ أبلج يكسو نفسه حُللاً من المحامد لا تبلى على الحقب
 تلقاه من نهضة للمجد في صعد ومن تواضعه للحق في صلب
 كأنه وهو مسؤلٌ وممدحٌ غناه إسحقٌ والأوتار في صخب
 بهترٌ عطفاه عند الحمد بسمعه من هزة المجد لامن هزة الطرب

وهذا المصراع من قول أبي تمام :

موكل^(١) ييفاع الأرض بشرفه من خفة الخوف لامن خفة الطرب
 وقلت: وقد يؤنس الزوار منك اذ التقوا سخاء عليه للطلاقة شاهد

وقلت زهير قول بعضهم فقال :

تراه إذا ماجتته متعبيا كأنك بالإنقاش تنف شاربه

وقد أحسن خبطة في هذا المعنى أنشدناه أبو أحمد عنه :

قومٌ أحاول نيلهم فكأنني حاولت تنف الشعر من آنا فيهم
 ثم فاسقنيها بالكبير وغنني ذهب الذين بعاش في أكنافهم

وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول جرير^(٢) :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وليس هذا الاستفهام للشك وفي القرآن الشريف (ألنيس الله يعزير ذي
 انتقام) (ألنيس الله بأحكم الحاكمين) (ألنيس الله بكاف عبده)

وسئل بعض العرب عن أشعر الناس فقال جرير وذلك أن بيوت الشعر أربعة

المدبح والهجاء والافتخار والفرز وفي كلها سبق جرير : قال في المدبح :

ألستم خسير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

(١) في الديوان المطبوع «موكلا» . (٢) هو جرير بن عطية الخطفي ، قال

ابن خلكان أجمعوا على أنه ليس في شعراء الاسلام مثله ومثل الفرزدق والأخطل ،

وكان عمر بن عبد العزيز لا يأذن لأحد من الشعراء غير جرير ، ولما مات الفرزدق

بكي جرير وقال اني لأعلم اني قليل البقاء بعده ، مات سنة ١١٠ وقد قارب المائة .

وقال في الهجاء :

فَفُضُّ الطَّرْفَ إِنْكَ مِنْ مُنْمِرٍ فَلَ كَبَأً بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابَا

وقال في الافتخار :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كَأْسِهِمْ غِضَابَا

وقال في الغزل :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا

يَبْصُرُ عَنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنْ أَوْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

وقال التنوخي^(١) في هذا المعنى :

فَكَلِمَا ازْدَادَتْ قُوَى أَجْفَانِهَا ضَعْفًا تَقْوِينَ عَلَى ضَعْفِ الْقُوَى

وأمثال هذا كثيرة نوردها فيما بعد ، ونقض بعضهم قوله :

* إِذَا غَضِبْتَ عَلَيكَ بَنُو تَمِيمٍ * قَالَ :

لَقَدْ غَضِبْتَ عَلَيكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا نَكَاتُ يَبْغِضُهَا ذُبَابَا

وقالوا امدح بيت قائمه العرب قول حسان^(٢) :

يَبْغِشُونَ حَتَّى مَاتَهُرَ كَلَابِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبَلِ

يقول قد أنست كلابهم بالزوار فهي لا تنبجهم وهم من شجاعتهم لا يسألون

(١) هو أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي ، له ديوان شعر ، منه

مقصورة عارض بها الدرديدية ، كما حكاها ابن خلكان وغيره .

(٢) هو حسان بن ثابت الانصاري شاعر النبي ﷺ قال أبو عبيدة : فضل

حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله

عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمانيين في الاسلام ، مات عن مائة وعشرين سنة

مناصفة في الجاهلية والاسلام ، وكان لسانه يصل إلى جبهته ، ومن قوله مخاطباً

لأبي سفيان بن الحرث :

اتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍ فَشَرِكَا لِحَسِيرِكَمَا الْفِدَاءِ

عن جيش يقبل نحوهم لقلّة أكثرهم بهم ولتقتهم ببسالة أنفسهم وشدتهم على أعدائهم .
ومثله ما أنشد أبو تمام :

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم^١ لآية حرب أولأى مكان
وقال ابن هرمة^(١) في أثر الكلب بالضيف :

وَمُسْتَنْبِحٌ تَسْتَكْشِطُ الرِّيحُ تَوْبَهُ لِيَسْقُطَ عَنْهُمْ وَهُوَ بِالثُّوبِ مَعْصَمٌ
عَوَى فِي سِوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبِجَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْرَعَ نُومٌ
فَجَاوَبَهُ مَسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى لَهُ عِنْدَ أَقْيَانِ الْمُهَيَّبِينَ مَطْعَمٌ
يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يَكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ

وقال عمران بن عصام ، ويروى لنصيب :

لَعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِثْنٌ غَامِرَةٌ
فَبَابُكَ أَلَيْنُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَا هَوْلَةٌ طَامِرَةٌ
وَكَابُكَ آآَسُ بِالْمَعْتَفِينَ مِنْ الْأُمِّ بَابِنِهَا الزَّائِرَةٌ
وَكَعْشُكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ أَنْدَى مِنَ اللَّيْلِ الْمُطِيرَةِ
فَنِكَ الْعَطَاءِ وَمَنِكَ الْبِنَاءِ لِكُلِّ مُخَبَّرَةٍ سَائِرَةٍ

وقال الخطيئة في خلاف ذلك :

مَلَوْا قِرَاهُ وَهَرَّتْهُ كَلَابُهُمْ وَضَرَّ سَوْهُ بِأَنْيَابِ وَأَضْرَاسِ

وقال بشار في قريب من المعنى الأول :

سَقَى اللَّهُ الْقَبَابَ وَتَلَّ عَيْدِي وَبِالشَّرْفَيْنِ أَيَّامَ الْقَبَابِ
وَأَيَّامِ لَنَا قَصْرَتٌ وَطَالَتْ عَلَى فِرْعَانَ نَائِمَةَ الْكَلَابِ

وقال آخر : ومايك في من عيب فاني جبان الكلب مهزول الفصيل

معناه أن الكلب يضرب إزانبج الضيف فهو جبان ويؤثر الضيف باللبن والفصيل

(١) هو ابراهيم بن علي السكتاني القرشي سكن المدينة ورحل الى دمشق

ومدح الوليد الاموي .

مهزول . وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول النابغة الجعدي :
 فتي تم فيه مايسرُ صديقه على أن فيه مايسوءُ الاعاديا
 وهذا غاية المدح لأن الرجل إذا قدر على النفع والضرر فقد كمل ، ولهذا
 قيل في البرامكة :

عند الملوك مضرهٌ ومنافع وأرى البرامك لا تضرُ وتنفعُ
 لا يعرف أهجاءم أم مدحهم لأنه إذا نفي عنهم أن يضرروا فقد قصرهم ، وقد قيل :
 إذا أنت لم تنفع فضررٌ فانما يُراد الفتي كما يضرُ وينفع
 وقد تداول الناس معنى النابغة فقال بعضهم وهو من أحسن ما يروى عنه :

متى تهزز بنى قطن تجدهم سيوفاً في عواتقهم سيوف
 جلوس في مجالسهم رزان وإن ضيف ألم فهم وقوف
 إذا نزلوا حسبتهم بدوراً وإن ركبوا فانهم حنوف
 وقال آخر : فذلّل أعناق الصعاب بيأسه وأعناق طلاب الندى بالفواضل
 فالتقيضت كفاءه إلا بصارم ولا انبسطت كفاءه إلا بنائل
 وقال محمد بن بشر الأزدى :

فتى وقف الأيام بالعتب والرضا على بذل مال أو على حد منصل
 وما إن له من نظرة ليس تحتها غمامة غيث أو ضبابة قصطل
 وقال آخر : فتى دهره شطران فيما ينوبه ففي بأسه شطر وفي جوده شطر
 فلا من بغاة الخير في عينه قدى ولا من زئير الأسد في أذنه وقر

وقد أحسن البحترى في هذا المعنى وهو قوله :

هو العارضُ الثجاجُ أخضل جوده وطارت حواشي برقه فتلهبا
 إذا ماتلظي في وغي أصمق العدى وإن فاض في أكرمومة^(١) غمر الربا
 رزين إذا ما القوم خفت حلومهم وقور إذا ما حادث الدهر آجلبا

(١) في الديوان المطبوع « خاض في أكرمومة »

حياتك أن يلقاك بالجوذ راضيا وموتك أن يلقاك بالبأس مفضيا
 حرون إذا طاززته في ملة فان جئته من جانب الذل أصحبا
 إذا هم لم يقعد به العجز مقعداً وان كف لم يذهب به الحزن مذهبا^(١)
 وقال الأسدي في نفي الخبر والشر عن المذكور وهو من أشد الهجاء وأدله
 على الخمول :

فحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غنى مضر
 وأنت لميح كلحم الحوار فلا أنت حلوه ولا أنت مر
 وقال غيره : شيوخ من بنى الجارو د لاخير ولا شر
 وقال آخر : ولقد نزلت على زياد مرة فظننته شيخاً بضره وينفع
 فاذا زياد في الدبار كأنه مشط يقبله خصي أصلع

وقد أحسن البحترى في المعنى الأول وهو قوله :

هو الملك الموهوب للبأس والتقى^(٢) فله تقواه والمجد سائره
 له البأس يخشى والساحة تُرتجى فلا الغيث ثانيه ولا الليث طائره
 كأنه من قول منصور وهو من المعنى الذي نحن فيه :

هو الملك المملوك للمجد والتقى وصولته لا يستطاع خطارها
 لقد نشأت للشام منك سحابة يؤمل جدواها ويخشى زمارها
 فطوبى لأهل الشام أم وبل أمها أتاها حياها أم أتاها بوارها
 فان سلموا كانت غمامة نعمة وخير وإلا فالدماء قطارها
 أبوك أبو الأملاك يحيى بن خالد أخو الجود والنعمى الباب صفارها
 وكان ترى في البرمكيين من به ومن سابقات لا يشق غبارها

(١) في الأصل : إذا كف لم يقعد به العجز مقعداً وان هم لم يذهب به الهم مذهبا

والتصحيح من الديوان المطبوع .

(٢) في الديوان المطبوع « هو الملك الموهوب للدين والعلا » .

طبيبٌ بأخبار الأمور إذا التوت من الدهر أعناقٌ فانت قصارها
وبعد بيت النابغة الجعدي (١) قوله :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جوادٌ فما يبقى من المالِ باقيا
أشم طوال الساعدين شمردل (٢) إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن علي الأجرى ببغداد حدثنا أبو العيناء قال قال
الأصمعي أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدي حتى انتهت إلى قوله :
أشم طوال الساعدين شمردل إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
فقال الرشيد وبه ولم لم يروحه للمجد ألا قال * إذا راح المعروف أصبح غاديا *
فقلت وأنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منه بالشعر ، وكان الرشيد جيد المعرفة ناقب
الفظنة ، قال لأبي نواس لم وثب بك أهل مصر قال لقولي :
فان يك باقي أفك فرعونَ فيكم فان عصا موسى بكف خصيب
قال فوثبوا بي وأرادوا قتلي وقالوا جعلت معجزة موسى لخصيب فقال له الرشيد
ألا قلت :

فان كان باقي أفك فرعونَ فيكم فباقي عصا موسى بكف خصيب
فيكون شمرك أحسن ويكون سالماً من التبعة فقال والله يا أمير
المؤمنين إنك لا تشعر مني وإني لم أفطن لذلك ، وأنشده العماني الراجز في
صفة الفرس :

كان أذنيه إذا تشوقاً قادمة أو قلماً محرفاً
فقال له الرشيد دع « كان » وقل « تخال » حتى يستوى شمرك ، وكان قد لحن العماني

(١) لقب بالنابغة لأنه لبث ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ، وكان
من هجر الأوثان ونهى عن الحمر قبل الإسلام ، وفد على النبي ﷺ فأسلم ، مات في
منتصف القرن الأول الهجري وقد جاوز المائة .

(٢) الشمردل : الفتي السريع من الابل ، وغيره الحسن الخلق . كما في القاموس .

ولم يعرف ولم يفتن له أهل المجلس حتى قاله الرشيد ذلك فتمجبوا من علمه وفطنته .
وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول حسان :

بيض الوجوه كريمه أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
بغشون حتى ماتهم كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
وقبله : لله در عصابة نادمهم يوماً بخلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
ثم قال : فلبثت أزماناً طوالاً فيهم ثم ادكرت كأنني لم أفعل
وفتي بحب المجد يجعل ماله من دون والده وإن لم يسأل

قوله « بيض الوجوه » معناه مشهورون ببهاء ولم يعن بهم البياض وقد تضمن هذا
اللفظ معنى البأس والجود وغيرها من خلال الخير لأن الانسان لا يكون نبياً
مشهوراً حتى يقال عنه أبيض الوجه وأغر ووضاح إلا إذا جمعها وما يجرى معها
قال الراجز : * فبن يحملن فتي وضاحاً * وقال أبو طالب في النبي ﷺ :
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (١)
وقال السموءل : وأيا من مشهورة في عدونا لها غررٌ معروفةٌ وججولٌ
أراد بالغررة والحجول الشهرة . وقلب بعض أهل البصرة قول حسان :

* بيض الوجوه كريمه أحسابهم * فقال :
سود الوجوه لثيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر
كما قلب بعضهم بيت أبي نواس :

ياقمرأ أبصرت في ماتم يندب شجواً بين أتراب
بيكي فينرى الدر من نرجس ويلطم الوجه (٢) بعناب
فقال : وأعور أبصرت في ماتم يندب شجواً بتخاليط

(١) من لاميته المشهورة في مدح ابن أخيه النبي ﷺ والدفاع عنه .

(٢) في نسخة « الورد » مكان « الوجه » .

بيكي فيندري البعر من كوة وبلطم الشوك يسلوط
وأخذ حسان قوله * ثم ادكرت كأنني لم أفعل * من قول أبي كبير :
فأذن ذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شيء كأن لم يفعل
وقال ابن شبرمة أمدج ما قالت العرب قول الخطيئة :

أولئك قومٌ ان بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا وفعوا وإن عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
أقلوا عليهم لا أبا لا ييكم من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا
وبعدلني أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سعد
يسوسون أحلاماً بعيداً أنا لها وان غضبوا جاء الحفيظة والحد
ولعمري ان معاني هذه الأبيات أبكار ليس للعرب مثلها وكل من تناولها فأنما
استعارها من الخطيئة وهي جامعة لخصال المدح كلها ، وقوله * جاء الحفيظة والحد *
- وروى والحد - والحد من قولك - د السيف وحد السنان ، والحد خلاف
الهزل والمختار الحد بالخاء . يقول الخطيئة في بني لأمي بن شماس من قريش ، وكان
الزبرقان بن بدر لقي الخطيئة في سفر فقال من أنت فقال أنا حسب موضع أبو مليكة
فقال له الزبرقان اني أريد وجهاً فصر الى منزلي وكن هناك حتى أرجع فصار الخطيئة
الى امرأة الزبرقان فأنزلته وأكرمه فحسده بنو عمه وهم بنو لأمي فهدسوا الى الخطيئة
وقالوا له ان تمحلت البنا أعطيناك مائة ناقة ونشد الى كل طنب من أطناب بيتك
حلة محبرة وقالوا لامرأة الزبرقان ان الزبرقان انا قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته
فقدح ذلك في نفسها فلما أراد القوم النجعة تخلف الخطيئة وتغافلت امرأة الزبرقان
عنه فاحتمله القريميون ووفوا له بما قالوا فأخذ في مدحهم وهجا الزبرقان فقال :

أزمنتُ ياساً مبيناً من نوالكم ولا ترى طارداً للحر كالياس
دع المسكارم لا ترحل لبيغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخبير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستعدى الزبير فان عليه فحكم عمر حسان فقال حسان ما هجناه ولكن سلج
عليه ثم حبس عمر الخطيئة فقال يستعطفه :

ماذا تقول لأفراخ بندي مرخ حمر الحواصل^(١) لأماء ولاشجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
ما آثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فأخرجه عمر وأجلسه على كرسي وأخذ شفرة وأوممه أنه يريد قطع لسانه
فضج وقال اني والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أمي وأبي ونفسي فتبسم عمر وقال
مالذي قلت قال قلت لأبي وأمي :

ولقد رأيتك في النساء فسؤرتني وأبا بنيك فساءني في المجلس
وقلت لأبي خاصة :

فبئس الشيخ أنت لدى تميم وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
وقلت لأمي خاصة :

تنحى فاجلسي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغربالاً إذا استودعتِ سرّاً وكانونا على المتحدثينا
وقلت لامرأتى خاصة :

أطوف ما أطوف ثم آوى الى بيت قعيدته لكاء
وقلت لنفسي :

أبت شفتاي اليوم إلا تسكماً بسوء فلا أدري لمن أنا قائله
أرى لي وجهاً قببح^(٢) الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله
وقد هجا أيضاً من أحسن اليه فقال :

منحت ولم تبخل ولم تعط طائلاً فسيان لا ذم عليك ولا حمد
ثم خلى مسبيله عمر وأخذ عليه ألا يهجو أحداً وجعل له ثلاثة آلاف درهم

(١) وفي رواية « زغب الحواصل ». (٢) في رواية « شوه الله » .

اشترى بها من أعراض المسلمين فقال بذكر نبيه إياه عن الهجاء ويتأسف :
 وأخذتَ اطرار الكلام فلم تدع شتاً يضرُّ ولا مديحاً ينفع
 ومنعتني عرضَ البخيل فلم يخفُ شتمى وأصبح آمناً لا يجزع
 وكان الخطيئة يذم البخل كما ترى وهو ^(١) أنجل الناس اعترضه رجل وهو
 يرعى غنماً له فقال له ياراعى الغنم وكان بيد الخطيئة عصاً يزجر بها الغنم فرفعها وقال
 عجراً من سلم فقال الرجل انما أنا ضيف فقال : للأضياف أعددتها فتمثلت به العرب
 وقالوا أنجل من الخطيئة ، وكان أحد الحمقى أوصى عند موته بأن يحمل على حمار
 وقال اعلى ان حملت عليه لأموت فاني مارأيت كريماً مات عليه قط وقال :
 لكل جديد لذةٌ غيرَ أنى رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيد
 وقيل له اوص فقال أوصى ان مالى للذكور دون الاناث قالوا فان الله لا يقوله
 قال لكنى أقوله ، وقالوا له قل لا إله إلا الله قال أشهد أن الشياخ أشعر غطفان .
 وأخذ قوله : * أغربالا إذا استودعت سرا* من قول كعب بن زهير حيث يقول :
 ولا تَمسكُ بالعهدِ الذى عهدتُ إلا كما يمسكُ الماءَ الغرايبلُ
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي خليفة عن دماذا عن أبي على القداح
 وعباد بن سليم الحضرمى قال أنشد الخطيئة عمر :

مهريس يروى رسلها صيف أهلها إذا النار أبدت أوجه الخضرات
 عظام مقبل الهام غلب رقابها تبا كرورد الماء فى السبرات
 يزيل القتاد جنبها عن أصوله إذا ما غدت مقورة ^(٢) خرصات
 وكان هجا قومه فلما بلغ إلى قوله :

فان بصطنعنى الله لا أصطنعكم ولا أعطكم مالى على العثرات
 لكم دفرٌ مثل التيوس ونسوة ^(٣) مماجين ^(٣) مثل الآسن التعرات

(١) فى نسخة « وكان » بدل « وهو » . (٢) فى الأصل « مقورة » .

(٣) فى الأصل « لماجر » وفى ديوان الخطيئة « مماجين » .

قال عمر بنس الرجل أنت تمدح إبلك وتمهجو قومك فخرج وقال :
 رأيتُ ابنَ خطابٍ تجاهل بعدما رأيتُ له عقلاً وما كان جاهلاً
 ألا قد علمنا أن ما قال هكذا ومن قال حقاً غير ما قال باطلا
 وقالوا أمدح أبيات قبيل ما أنشدناه أبو أحمد عن مهلهل بن يموت عن أبيه عن الجاحظ :
 اختر فناء^(١) بني عمرو فانهم أولو فضولٍ وأقدارٍ وأخطارٍ
 إن يُسألوا الخبيرَ يعطوه وإن جهدوا فالجهدُ يخرج منهم طيبَ أخبارٍ
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار سر غير أسرار^(٢)
 هينون لينون أسار ذوو يسر أبناء مكرمة أبناء إيسار
 من تلق منهم تقل لا قيتُ سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى
 وهى على الحقيقة أمدح أبيات قبيل . وقالوا أمدح بيت قيل قول الخنساء في أخيها :
 أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
 أخبرنا أبو أحمد حدثنا الانباري عن ابن عكرمة الضبي أخبرنا أبو دطمة
 عن صالح بن محمد بن المسيب قال سمعت المفضل الضبي يقول أتاني رسول المهدي
 فقال أجب فهالني ذلك فمضيت معه حتى دخلت وعنده علي بن يقطين وعمر بن
 يزيد والمعلبي مولاه فسلمت فرد وقال اجلس فجلست فقال أخبرني بأمدح بيت
 قائمه العرب فتخبرت ثم جرى علي لساني قول الخنساء :

وإن صخرًا لمولانا وسيدنا وإن صخرًا إذا يشنو لنحار
 أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
 فقال أخبرت هؤلاء فأبوا علي فقلت يا أمير المؤمنين كنت أحق بالصواب
 فقال يا مفضل أسهرتني أبيات ابن مطير الأمدى :

وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها فقيراً ويفنى بعد بؤس فقيرها

(١) في النسخ «فناء» مكان «فناء» . (٢) بعض المعجز غير موجود
 هنا فاستدر كناه مما سبق حيث ذكرت هذه الأبيات باختلاف يسير عما هنا .

وكم قد رأينا من تكدر عيشه وأخرى صفا بعد اكدرار غدیرها
 فلا تقرب الامر الحرام فانه حالوتها تقى ويبقى سريرها
 ثم قال حدثني يا مفضل فقلت أي الأحاديث يشتهي أمير المؤمنين قال أحاديث
 الاعراب فحدثته حتى كاد النهار ينتصف فقال كيف حالك فقلت كيف حال رجل
 مأخوذ بعشرة آلاف درهم فقال يا عمر بن بزيع أعطه عشرة آلاف درهم لقضاء دينه
 وعشرة آلاف درهم لنفقة عياله فانصرفت بها . وكانوا يقولون قاتل الله الخنساء
 ما رضيت ان جعلت أختها جيلاً حتى جعلت في رأسه ناراً فبالغت أشد المبالغة .
 واعترض ابن الرومي قولها فقال :

هذا أبو الصقر فرداً في مكارمه من نسل شيبان بين الطلح والسلم
 كأنه الشمس في البرج المنيف به على البرية لا ناراً على علم
 وتبعته فقلت :

خير الوري لخيار الناس كلهم وشرهم لشرار الناس سوار
 منبه الذکر معروف طرائقه كالشمس لا علم في رأسه نار
 ومن جيد ما قيل في النباهة قول الأول أنشده أبو تمام :

إني إذا خفي الرجال وجدتنى كالشمس لا تخفي بكل مكان
 وقال بشار : أنا المرث لأخني على أحد ذرت بي الشمس للقاصي والمداني
 وقلت : أنا أمل ان تنال ندى كريم نداء أول والغيث ثانی

ويجری والمجرة في عنان فلا يخفي على ناء ودان
 تصور في القلوب فليس بناي على ناي المحلة والمكان

إذا عبس الزمان فمل إليه تجده البشر في وجه الزمان

وقلت : تريدون أن أخشى وأخضع للآذي وجار ابن عيسى كيف يخشى ويخضع

فستی بأسه كالدهر مأمّن ملجأ ولا فيه إقصار ولا عنه مرجع

أغر شهر في البلاد كأنما به البدر يعلو أو سنى الصبح بسطع

ومثله قول القاسم بن حنبل رحمه الله تعالى :

من البيض الوجوه بني سنانٍ لو انك تستضيء بهم أضاؤا
لهم شمسُ النهار إذا استقلت ونور لا يفنيه العماء
هم حلوا من الشرفِ المعلي ومن حسب العشيرة حيث شاؤا
فلو أن السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء

وقالوا أمدح بيت قاتله العرب قول الخطيئة :

متى تاته تَعشو الى ضوءِ ناره تجد خيرَ نار عندها خيرُ موقد

وقالوا أمدح المدح ما يكون بالتمفضل وهو أن يقول فلان خير من فلان وفلان

أكرم من فلان ، ومن أجود ما جاء في ذلك قول أبي تمام :

كم من وساع الخطو في طلب الندى لما جرى وجريت كنت قطوفا (١)
أحسنتما صفدى ولكن كنت لي مثلَ الريح حيا وكان خريفا
وكلاهما اقتعد العلاء فركبتها في الذروة العليا وكان (٢) رديفا
وقال : كوا كبُ مجدٍ يعلم المجدُ أنها إذا طلعتْ باءتْ بصفر كوا كبه
وقال ابن الرومي :

تلوح في دولة الأيام دولتهم كأنها ميلة الاسلام في الملل
وقلت: نصرت على الاعداء فليهنك النصر ودانت لك الدنيا وذل لك الدهرُ
فأنت كاقبال الشيبية والصبا تطيبُ بك الدنيا وينعمرُ العمرُ
وليس كرامُ الناس إلا كوا كبا على صفحتي ليلٍ وأنت لهم بدرُ
وفي الناس أجوادٌ كثيرٌ وإنما أولئك أئساد وأنت لهم بحرُ
فإن أظلم الأحداث واسودَّ ليالها فهم شفقٌ فيها وأنت بها فجرُ

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع :

كم من وساع الجود عندي والندى لما جرى وجريت كان قطوفا

(٢) في الديوان «وجاء» مكان «وكان» .

أبا قاسمٍ فخرًا على المجد والعبلا
فان العلاء روضٌ وأنت به زهر
غدت أرضنا منكم سماء مظلةً
لها أنجمٌ من زهر أخلاقكم زهرٌ
وبعد بيت الخطيئة :

وأنت امرؤٌ من تعطه اليوم نائلًا
بكفيك لم يمنعك من نائل الغد
ترى الجود لا يندى من المرء حتفه
كما البخل للانسان ليس بمخلد
ومثله قول ليلى الاخيلية في توبة (١) :

فلا يبعدنك اللهُ ياتوب إنها
لقاء المنايا دارعًا مثل حامر
فنعم فتى الدنيا وان كان فاجرًا
وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى كان أحيًا من فتاة خريفة
وأشجع من ليثٍ بخفاق خادر
فتى ينهل الحاجات ثم يُعلمها
فيطلعها عنه ثنايا المصادر

يقول لا يمنعه قضاء الحاجة الأولى عن قضاء الأخرى كما قال الآخر :
وأرضعُ حاجةً بلبانٍ أخرى كذاك الحاجُ ترضعُ باللبانِ
يقول فيرفعها المثنون عليه حتى كأنها ثنية رجع :

فأقسمُ أبكى بعد توبة هالكًا
وأفعل من نالتُ صروفُ المقادرِ
وكان بيت الأعمشى :

تشبُّ لمقرورين بصطليانها وبات على النار الندى والمخلقُ
يستحسن حتى قال الخطيئة * متى تأنه نعو إلى ضوء ناره * على أن قول الأعمشى
* وبات على النار الندى والمخلق * من أجود الكلام وأبلغه ، والمخلق المدح ،
ومثله قول حماس بن مائل :

فقلتُ له أقبل فانك راشدٌ وإن على النارِ الندى وابن مائل
وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن الأخفش أخبرنا ثعلب قال اجتمعنا

(١) كانت ليلى الاخيلية شاعرة فصيحة ذكية ، تعد في الشعر بعد الخنساء .

وتوبة هو ابن الحمير العقيلي من شعراء العرب المشهورين .

عند أحمد بن إبراهيم فأنشده رجل :

أمر مالك قاصرٌ فقصره على نفسه ومشيحٌ غنياهُ
فقال أحمد قد جاء مثل هذا كثيراً فأنشد :

فتى إذا عدت نميم معاً سادتها عدوه بالخنصر
ألبسه الله ثيابَ العلاء فلم تطل عنه ولم تقصر
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فأنشد الرجل :

أعدد ثلاثَ خلالٍ قد عُرفنَ له هل سب من أحد أو سبَّ أو يخلا
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا ففاظنى فقلت هات فقال نعم المدح الغريب
الذى لم يؤت مثله :

لله درُّ أبي المغيثِ فانه حسنُ الفعالِ ضعيفُ خبطِ الدرهم
وقريب من هذا قول أبي البحترى * حتى توهمناه مخروق اليد * وفي خلاف قوله
* فلم تطل عنه ولم تقصر * قول ابن الرومي :

مدحتُ سليمانَ المقلبِ مدحةً تجاوزُ حدَّ الحسنِ لو كان يشكرُ
فعمى عنها ناظراهُ كأنما بعوراءِ عيني جده كان ينظر
سبقت عليه حلية ليس عيبها سوى أنها ظلت تطول وتقصّر
يهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر .

وسمعت عم أبي يقول أمدح شيء قيل قول الأول :

قوم سنان أبوم^(١) حينَ تنسبهم طابوا وطابَ من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعدُ فوقَ الشمسِ من كرمِ قومٍ بعزهم أو مجدهم قعدوا
محسدونَ على ما كانَ من نعمٍ لا ينزعُ اللهُ عنهم ماله حسدوا
فأخذ جماعة قوله * محسدون على ما كان من نعم * فصرفوه فيه وحده .

ومنها قول أبي تمام :

(١) في بلوغ الأرب « أبوم سنان » .

لولا التخوفُ للعواقبِ لم يزل

للعاسدِ النعمى على المحسودِ

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتُ

ما كان يُعرفُ طيبُ عرفِ العودِ

وقال البحترى :

ولن يستبين الدهر موضعَ نعمةٍ

وإذا أنتَ لم تدلَّ عليها بحاسدِ

وقال : محسدون كأن المكرماتِ أبت

وقال غيره : محسدون وشرُّ الناسِ منزلةً

من عاشَ في الناسِ يوماً غيرَ محسودِ

وسمته يقول من أوائل المدح الجيد الذي لا نظير له قول أمية بن أبي الصلت في

عبد الله بن جدعان (١) :

عطاؤك زينٌ لامرئٍ إن حبوته

بيذل (٢) وما كلُّ العطاء يزينُ

وليس بشينٌ لامرئٍ بذلٌ وجهه

البيك كما بعضُ السؤال يشينُ

وقال زهير :

من يلقَ يوماً على عِلاتِهِ هَرِمًا

يلقَ السباحةَ منه والندى خُلقا

لو نالَ حَيٌّ من الدنيا بمكرمة (٣)

أفقَ السماءِ لَنالت كفه الاقفا

قد جعلَ المبتغونَ الخيرَ في هَرِيمِ

والسائلونَ الى أبوابه طُرقا

وروى بعض الرواة للنابغة وروى لسعيد :

واللهِ واللهِ لِنعمَ الفتى الا عرجُ لالنكس (٤) ولا الخامل

الحاربُ الوافرُ والجابرُ المحروبُ والمرجلُ والجامل (٥)

والطاعنُ الطعنةَ يومَ الوغى ينهلُ منها الاسلُ الناهل

(١) تقدم أنه كان من الأجواد . (٢) كذا في ديوانه المطبوع ، وفي

النسخ « بشيب » . (٣) وفي رواية « بمنزلة » .

(٤) النكس : الضعيف . (٥) في الأصل « المرحل والجامل » بمحلات .

والقائل القول الذي مثله
والغافر الذنب لأهل الحجا
وقال بعض الاسلاميين وأحسن :

مُخَلِّقٌ أَنَامِلُهُ لِقَائِمِ مُرَهَفٍ
يلقى الرماحَ بوجهه ويصلده
ولبتُ فائدةٌ وذروة منبر
ويقيمُ هامتَه مقامَ المففر
فهدمت ركنَ المجدان لم تعقر
واذاتأملَ شخصَ ضيفٍ مُقبل
متسربلٍ سربالَ ليلٍ أغبر
أوما إلى الكرماءِ هذا طارقٌ

وسمعت الشيخ أبا أحمد يقول أمدح شيء قاله محدث قول مروان بن أبي حفصة (٢) في معن بن زائدة الشيباني (٣) :

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم
هم المانعونَ الجارَ حتى كأنما
أسودُّ لها في غيلِ خفانِ أشبلٍ
لجارهم بين السما كينَ منزلٍ
كأوهم في الجاهلية أول
أجابوا وان أعطوا أطلبوا وأجزلوا
هم القومُ ان قالوا أصابوا وان دعوا
ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حياهمُ
وأحلامهم منها لدى الوزنِ أثقلُ
ولا يستطيعُ الفاعلونَ فغالهم
وإن أحسنوا في النائباتِ وأجلوا

ثم أخبرنا المفجع أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال بلغني أن يحيى بن خالد البرمكي قال لشراحيل بن معن بن زائدة أي شعر قاله ابن أبي حفصة في أيك أشعر قال قوله :

(١) مرع الوادي مثناة الراء مراعة : أكلاء ، والمرع : الخصب - القاموس .

(٢) هو الشاعر اليمامي الذي أعطاه الرشيد سبعمين ألف درهم لأمده بقصيدته

السبعين التي مطلعها * إليك قصرنا النصف من صلواتنا *

(٣) هو الأمير البطل الجواد المشهور .

نعمَ المناخُ لراغبٍ أوراها ^١ ممن تصيبُ جوائحَ الأزمانِ
معن بن زائدةَ الذي زيدت به شرفاً إلى شرف بنو شيبانِ
مطر أبوك أبو الأهلهِ والذي بالسيف حاز هجائنَ النعمانِ
نفسى فداءً أبي الوليد إذا علا رهبج السنايك والرماحُ دوانى
فقال يحيى أنت لا تعلم ما قيل في أيك أين أنت عن قوله :

بنو مطرٍ يومَ اللقاءِ كأنهم أسودٌ لها في غيل خفان اشبلُ
وأنشد الأبيات المتقدمة وزاد :

تسابةً يوماهُ علينا فأشكلا فما نحن ندرى أىَّ يوميه أفضلُ
أيوم نداءه الغمر أم يوم بأسه وما منهما إلا أغرٌ محجلُ

وأخبرنا قال أخبرنا محمد بن يحيى بن على عن أبيه عن اسحق الموصلى أخبرنا أبو يوسف القاضى - وكان عدل الرشيد في طريق الحج - قال اعترضه اعرابي فأنشد أبيات فزبره ^(١) وقال ألم أنهم عن قول مثل هذا الشعر ألم أقل لكم امدحونى بمثل قول القائل بنو مطر يوم اللقاء كأنهم . وذكر الأبيات المتقدمة ، قال أبو يوسف فقلت له فيمن قيلت ؟ قال فى أب هذا الشاب الذى يسير فى ظل القبة فقلت للشاب من أنت فقال شراحيل بن معن بن زائدة قال اسحق فسمعت شراحيل يقول : ذلك اليوم آثر عندى من الدنيا بخذا فيرها .

وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبى طاهر ^(٢) وقال لو استعمل الانصاف لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر :

إذا أبو أحمد جادت لنا يده لم يُحمدِ الأجودان البحرُ والمطرُ
وإن أضاعت لنا أنوارُ عُمرته تضائلَ النيران الشمس والقمرُ
وإن مضى رأيه أو حدث عزمته تأخر الماضيان السيفُ والقدرُ

(١) الزبر : الانتهاز والمنع والنهي . (٢) هو أحمد بن أبى طاهر ، قال هذا

الشعر فى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر على مافى جنى الجنيتين فى تمييز نوعى المثنيين للهجى .

من لم يكن حنواً من حدّ صوتته لم يدر ما المزيجان الخوف والحنر
 حلوا إذا أنت لم تبعث مرارته فان أمرّ فخلوا عنده الصبر
 سهل الخلائق إلا أنه خشن لدين المهزة إلا أنه حجر
 لاجية ذكر في مثل صوتته ان صال يوماً ولا الصمصامة الذكرك
 إذا الرجال طغت أراؤهم وعموا بالأمر ردّ اليه الرأي والنظر
 الجود منه عيان لا ارتياب به إذ جود كل جواد عنده خبر
 ومن المديح القليل النظير قول علي بن محمد بن الأفوه :

أوفوا من المجد والعليا في قلل شيم قواعدهن البأس والجود
 سبط اللقاء إذا شمت مخائلهم بسل اللقاء إذا صيد الصناديد
 محسدون ومن يعلق بجبلهم من البرية يصبح وهو محسود
 وقال الفرزدق وهو أجود ما قيل في الجود عوداً على بدء :

له راحة بيضاء بندق بنانها قليل إذا اعتل البجيل اعتلاها
 جواد إذا أعطتك يوماً يمينه وعتت غداً عادت عليك شمالها
 ونحوه قول الأعرابي في عبد الملك :

وقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحداً سواك إلى المكازم ينسب
 فاصبر لعادتنا التي عودتنا أولاً فأرشدنا إلى من تذهب
 وقول الآخر وهو من أجود ما قيل في حمد الرجل مكانه من قومه :

رأيتمكم بقية حتى قيس وهضبتة التي فوق الهضاب
 تبارون الرياح إذا تبارت وتمثلون أفعال السحاب
 يذكركم في مقامي في فراكم مقامي أمس في ظل الشباب

ومن عادة الناس أن يتكرهوا ما هم فيه من العيش وما هم عليه من الأحوال ،
 وقد حمد هذا حاله معهم وعيشه فيهم حتى شبهه بعيشه في ظل الشباب وهو من
 أجود ما قيل في هذا المعنى

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول علي بن جبلة المعروف بالمعكوك في أبي دلف :

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداه ومحتضره

فلذا ولي أبو دلف وكت الدنيا على أثره

قال بعض من حضر : لا يجوز أن يكون مثل هذا الشعر لهذا ، وإنما ازدراه لدمايته وعمشه فقال له أبو دلف أما تسمع ما يقول الناس فيك ان الشعر لفيرك لأن ألفاظه ألفاظ كاتب متأدب قال الامتحان يزيل الظنة عنى وما أظلم من استبرأ فكيف رأى الأمير في الامتحان قال نعطيك صدوراً لتردفاها بأعجاز قال ما اشتطت ولا كلفت إلا الذى من نكب عنه حق عليه القول فدعا أبو دلف بدواة وقرطاس وكتب :

رعت لمنشور على مفرقه ذم له عهد الصبا حين انتسب

اهدام شيب جدد فى رأسه مكروهة الجدة انضاء العقب

ثم ناوله الدرج فقال كم لى فى ذلك من الأجل قال شهر قال فأنطلق بهما إلى رحلى قال ليس الامتحان للشاعر فى بيته بمزيل للظنة عنه ولكن تبوأ حجرة من القصر قال فليأمر الأمير بها ففعل وركب إلى دار المأمون فأبطأت كرتة فلما رجع دخل عليه على والدرج بيده قال قد أجزت البيتين بقصيدة قال لقد خشيت عليك النقص من الاعمال قال اليك تساق الرفاق ثم أنشدنى بيتى أبى دلف^(١) ثم قال :

أشرقن فى أسود ازرين به كن دجاء لهوى البيض سبب^(٢)

فاعتضن أيام الفوانى والصبا عن ميت مطلبه فن الأدب

فنازل لم يتهج نزوله وراحل أبقى جوى حين ذهب

لم أر كالشيب وقاراً محتوى وكالشباب الغض ظلاً يستلب

كن الشباب لمة أزهى بها وصاحباً حراً عزيز المصطحب

إذ أنا أجري وائتبا فى غيه لا أعتب الدهر إذا الدهر عتب

(١) فى نسخة «ثم أنشد يمر فى بيتى» .

(٢) روى صاحب الأغاني هذه القصيدة باختلاف كثير عما هنا .

وأذعر الربربَ عن أطفاله بأعوحى دلفيَّ المنتسب
 مطرد يرتج في أقطاره كلاء جالت فيه ربح فاضطرب
 تحسبه أقعد في استقباله حتى إذا استدبرته قلت أكب
 وهو على إرهاقه وطيه يقصرُ عنه الحرمان واللب
 تقولُ فيه جنبٌ إذا اثنى وهو كمثل القدح ما فيه جنب
 يخطو على عوج بناهين الثرى لم يتواكل عن شظا ولا عصب
 تحسبها ناتئة حين خطا كأنها واطئةٌ على نكب
 يرتاد بالصيد فعارضنا به أو ابد الوحش فأجدى واكتسب
 لا يبلغُ الجهدَ به راكبه ويبلغُ الریحَ به حين طلب
 إذا تظنينا به صدقنا وان تظني فوته الطرف لزب
 ثم انقضى ذلك كأن لم تبقه وكلُّ بقيا فالى يوم عطب
 وخلفَ الدهر على أعقابه في القدح فيه وارتماج ما وهب
 فحمل الدهر ابن عيسى قلميا ينهض به فراج هم وكرب
 كرونق السيف انبلاجاً بالندی أو كفراربه على أهل الرب
 لاوسنت عينٌ رأت غرته واستيقظت نبوته من النوب
 لولا الأمير لغدونا هملاً لم يمثّل بمجد ولم يرع حسب^(١)
 ولم يقم بيأس يوم وندی ولانلاقى سبب إلى سبب
 تكادُ تبدى الارضُ ما أضمره إذا تداعى خيله هلا وهب
 ويستهلُّ أملاً وخيفةً إذا استهلَّ وجهه وان قطب
 وهو وان كان ابن فرعى وائلٍ فبما عيه ترقى في الحسب
 وبعلاهُ وعلا آبائه تحوى غداة السبق أخطار القصب
 يا واحد الدنيا ويا باب الندى ويا بحير الرعب في يوم الرهب

(١) في نسخة زيادة «أونسب» ولعلها إشارة لنسخة فيها كذلك.

لولاك ما كان سدى ولا ندى ولا قریشٌ عُرِفَتْ ولا العرب
 خذها امتحاناً من ملىء بالحجا لكنه غير ملىء بالنشب
 وقرء بالأرض أو استقر بها أنت عليها الرأس والناس ذنب

قال فجعل ينشد وأبو دلف يرجف ^(١) إليه حتى مست ركبته ركبته فلما
 بلغ قوله * لكنه غير ملىء بالنشب * قال لا ملائني الله إن لم أملاك يا غلام كم في
 بيت المال؟ قال ما قبضته من حامل الجبل وهو مائة ألف درهم قال أعطه إياها وقليل
 له ذلك، قال فأقبل عليه عقيل أخوه يعمله ويقول له أنت على باب أمير المؤمنين وبين
 ظهري قواده وأمرائه ولا وجه لما لا يرد عليك من الجبل فادفع إليه البعض قال
 إليك عني والله لو شاطرته عمرى لكان ذلك دون ما يستحقه علي.

ومن المديح الجيد قول مروان بن أبي حفصة:

كفى القبائلَ معنٌ كلٌّ معضلةٌ يُحْمَى بها الدينُ أو يُرعى بها الحسبُ
 كنز المحامدِ والتقوى ذخائرُه وليس من كنزه ^(٢) الاوراق والذهب
 أنت الشهابُ الذي يرمى المدو به فيستنيرُ وتخبو عنده الشهب
 بنو شريك هم القومُ الذين لهم في كل يوم رهان تمحزُّ القصب
 ان الفوارس من شيبان قد عُرِفوا بالصدق ان نزلوا والموت ان ركبوا
 قد جرب الناس قبل اليوم أنهم أهلُ الحلوم وأهل الشغب ان شغبوا
 قل للجواد الذي يسعى ليدركه أقصر فمالك إلا الفوت والطلب
 قوله فمالك إلا الفوت والطلب من أحسن معنى وأجوده وأبينه بياناً وأشدّه
 اختصاراً وهو من قول زهير:

سعى بعدهم قومٌ لكي يُدركوهم فلم يفعلوا أولم يلاموا فلم بألوا
 وقال طريح ^(٣):

(١) عليه « يزحف » وكلاهما صحيح . (٢) في الاصل (كثرة) (٣) هو طريح

بن اسماعيل الثقفي ، أ كثر شعره في مدح خليله الوليد بن يزيد الأموي .

قد طلب الناس ما طلبت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفئك الله بالتكرم والتقوى فتعلو وأنت مقتصد
وقلت في قريب منه :

إذا عنَّ مجدٌ أو مرضٌ سُوددٌ تسمى له ضخمُ الهوم مُهمام
إذا اهتزَّ للهباءِ فهو مُهندٌ أو اهتزَّ للافضال فهو غمّام
تواضع وهو النجم عزاً ورفعةً وخفَّ على الأرواح وهو شام^(١)
ارجبه يوماً أو ألقيه ساعةً فيخصب لي عامٌ ويمر عام
يريدون منه أن يرضنَّ وأنما أرادوا مجودَ الغيم وهو رُكام
ولاعيبَ فيه غير أن ذوى الندى خساسٌ إذا قيسوا به ولثام
بلغت من العلياء ما فاتهم معا كأن لم يروموا ما بلغت وراموا
فمن مبلغ عنى الاكرام انهم اذا استيقظوا للكرام نيام
وأجمع بيت قيل في المديح قول أبي العميثل^(٢) في عبدالله بن طاهر^(٣)
قالت ركتَ فقلتُ إن وراءكم ان قد كبرت ومن يعمّر يركع
وعهدتى أمضى لثانى مطلقاً فبلدتُ بعدك بالنسا والأجدع
يا من يؤملُ أن تكون خِلاله كخلال عبد الله أنصت واسمع
فلا نصحنك في المشورة والذى حجَّ الحجيجُ اليه فاقبل أودع
أصدق وعفَّ وجدوا نصت واحتمل واصفح وكاف ودار واحلم واشجع

(١) جبل . (٢) هو عبد الله بن خليلد شاعر مؤدب . (٣) عبدالله بن طاهر
الخزاعي الأمير الشجاع العاقل الجواد ، وفيه يقول أبو تمام وقد قصده من العراق
قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود
وفي سفره أبي تمام هذه ألف الحماسة فإنه حكم عليه البرد هناك ووقع على خزانة
كتب فاختر منها الحماسة .

وقد جمع هذا البيت جميع خصال المدح ، وسمعه المتنبي فأراد أن يعيب على
 قلبه (١) فأتى بما لا ينطق (٢) به اللسان ولا ينطوى عليه الجنان .

ومن الأبيات الجامعة في المديح قول ابن الرومي :
 هو الغرة البيضاء من آل هاشم وهم بعده التحجيل والناس أدهم
 ومن الأبيات الجامعة لمعاني الحسن قول البحترى :
 ذات حسن لو استزادت من الحُسن إليه لما أصابت مزيدا
 فهي الشمس بهجة والقضيب السلدن (٣) لينا والريم طرفاً وجيدا
 وقال في هذه القصيدة :

وإذا ما عدت بحبي وعمرا وإياساً (٤) وطامراً ووليداً
 وعبيداً ومسهرأ (٥) وجدياً وثدولاً وبحسراً وعتوداً
 لم أدع من مناقب المجد ما يمنع من هم أن يكون مجيداً
 وقلت في المديح :

حليف علاء وتجد وفخر وبأس وجود وخير وخير
 أضاء فأطرق ضوء الشمس وتم فأغضى تمام البدور
 وقلت في المديح أيضاً :

من الغر لا حواشم ومضواظي وصالوا أسوداً واستهلوا سوارياً
 ومن المديح البليغ قول الأوّل :
 متبذل في الحى وهو مبجل متواضع في القوم وهو معظم
 وما أحسن في ذكر التواضع أحد كاحسان أبي تمام في قوله :

(١) لعله «قائله» . (٢) في نسخة «ينطلق» . (٣) في النسخة المطبوعة من
 ديوان البحترى «الفض» مكان «اللدن» . (٤) في النسخة المطبوعة من البحترى
 «أباناً» مكان «إياساً» . (٥) في الأصل «طامراً» مكان «مسهرأ» والتصحيح
 من ديوان البحترى المطبوع .

إذا أحسن الاقوامُ أن يتطاولوا بلا مينة أحسنت أن تتطولا
 فعظمت عن ذلك التعظم منهم وأوصاك نبل القدر أن تتنبلا
 وقال البحترى في التواضع مع علو الرتبة :

دنوت تواضعاً^(١) وعلوت قدراً فخالك انحداراً وارتفاعاً^(٢)
 كذلك الشمس تبعدان تسمى ويدنو الضوء منها والشعاع
 فأثبت بهذا المعنى في بيت :

تواضع إذا العلاء بضبعه ؟ كما انحط ضوء البدر وارتفع البدر
 وأجود ما قيل في صفة الرجل الحازم الجلد من قديم الشعر قول لقيط بن يعمر^(٣) :
 فقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحق^(٤) مضطلعا
 لا مترقاً ندرخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشما
 ما تفك يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعاً طوراً ومتبعاً
 لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه^(٥) هم يكاد حشاه يحطم الضلعا
 حتى استعر على شزر مريرته مستحكم الرأي لا قهما ولا ضرعا
 ومن هنا أخذ الشاعر قوله :

ولست بمفراح إذا الدهر سرفى ولا جازع من صرفه المتقلب
 وقول دريد بن الصمة^(٦)

ينازل أخدان الرجال وانه لمجد ثناء ثم يزد^(٧)
 ويخرج من الغزاة الشدة مصدقا^(٨) وطول السرى درى غضب مهند

(١) في النسختين «وضوعاً» وهو خطأ (٢) الذي في الديوان المطبوع :

دنوت تواضعاً وبعدت قدراً فشأنك انحدار وارتفاع

(٣) الأيادي شاعر جاهلي ، ومطلع هذه القصيدة «يادار عمرة من محتلها الجرعا» .

(٤) وفي رواية «بأمر الحرب» . (٥) في النسخ تصحيف . (٦) أصله

من هو وزن ، كان شجاعاً من الأبطال الشعراء ، أدرك الإسلام ولم يسلم .

(٧) كذا (٨) كذا وفي غيره « ونخرج منه صرة القر جزاة » .

هذا البيت أجود ما قيل في سعة الخلق من قديم الشعر :
 كمشُّ الأزار خارجُ نصفُ ساقه صبورٌ على العزاء ^(١) طلاعُ أنجد
 قليلُ التشكى لمصيباتِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديث في غد
 إذا سارَ بالأرضِ الفضاءِ تزينت لرؤيته كمالاً تم المتبـدد
 فلا يبعدنك اللهُ حياً وميتاً ومن يعله ركنٌ من الأرض يبعد
 موضع هذه الايات من باب المرأى وإنما أوردتها هنا لأن قوله فيها « قليل التشكى
 لمصيبات » شبيه بما تقدم من قول الآخر : * ولا جازع من صرفه المتقلب *
 ومن شعر المحدثين قول أبي تمام :

وعززت بالسبع الذى بزئيره أمست وأصبحت الثغورُ عزيزفا
 قطب الخشونة والليان بنفسه ^(٢) فغدا جليلاً فى العيون لطيففا
 هزته معضلةُ الأمورِ وهزها وأخيفَ فى ذات الآله وخيففا
 بفظان أحصدت التجارب جزمه ^(٣) شراً وتقف عزمه تثقيفا
 وسلكن من أترابه الشعل التى ^(٤) لو أنهن طبعن كن سيوفا
 وإنما أخذ وصف هذا البيت من ديك الجن وكان أبو تمام كثير الاناخة
 عليه وهو قوله فى مرثيته :

ماء من العبرات حدى أرضه لو كان من مطر لكان هزيمفا
 وبلايل لو أنهن ما كل لم تخطىء الغسلين والزقوما
 وكرمي بر وعسى لو أنه ظل لكان الحر واليحموما
 ونقل البيت الأول أنو تمام الى موضع آخر فقال :

مطر من العبرات حدى أرضه حتى الصباح ومقلتاى سماؤه

(١) لعله « الضراء » . (٢) وفي ديوان أبي تمام المطبوع :

قطب الخشونة بالليان معاقباً فغدا جليلاً فى القلوب لطيففا

(٣) فى الديوان « عقده » . (٤) فى الديوان « واستل من آرائه الشعل التى » .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى
أيقنت أن من السماح شجاعةً
ومكارماً عتق النجار تليدةً
متوقدً منه الزمانُ وربما

ووغى ومبدي غارةً ومُعيدا
تدمى وإن من السماح جوداً
إن كان هضب عما يتين تليدا
كان الزمانُ بأخرين بليدا

وقال البحرى :

أغر لنا من جوده وسماحه
ولما جرى للمجد والقوم خلفه
وهل يتسكفا الناس شتى خلالهم
إذا ارتدَّ صعنا فالرؤس نواكسُ
وأغلبُ ما ينفكُ من يقظاته
جنانُ على ما جرت الحرب جامعُ
جديرُ بأن ينشق عن ضوئه وجهه
تذودُ الدنيا به عنه نفسُ أبية
بعيدُ مقيل السرِّ لا يدركُ التي
ومنسكتمُ التدبير ليس بظاهر
ولا يعلمُ الأعداءُ من فرط عزمه

ظهرُ عليه ما ينجب وشافعُ
تقول أقصى جهدهم وهو وادع
وما يتسكفى في اليدين الأصابع
وإن قال فالأعناق صور خواضع
ربايا على أعدائه وطلائع
وصدرُ لما يأتي من^(١) الدهر واسع
ضبابه نفع تحته الموت نافع
وعزم كصدر^(٢) الهندوانى قاطع
يحاولها منه الأربُ المخادع
على طرفِ الرائي الذى هو تابع
متى هو مصبوبٌ عليهم فواقع

لم يبق وجه من وجوه المدح في الجود والشجاعة وتصوب الرأى ومضاء العزيمة
والدهاء وشدة الفكر إلا قد اجتمع ذكره في هذه الأبيات ولا أعرف أحداً
يستوفى مثل هذه المعانى في أكثر مدائحهم إلا البحرى .

وقال بعضهم أجود ما قيل في صفة الرجل الخازم قول زينب بنت الطرية :
إذا جدَّ عند الجد أرضاك جدُّه وذو باطلٍ إن شئت أهلك باطله

(١) في الديوان (به) . (٢) في الديوان (كحد) .

بَسْرُكَ مَظْلُومًا وَيُرْضِيكَ ظَالِمًا وَكُلَ الَّذِي حَمَلْتَهُ فَهُوَ حَامِلُهُ
ومثله قول الآخر :

أَخُو الْجَدِّ إِنْ جَدَّ الرَّجَالُ وَشَمَّرُوا وَذُو بَاطِلٍ إِنْ كَنَّ فِي النَّاسِ بَاطِلٌ
ومن المديح المفرط قول منصور النمرى في هارون :

إِذَا مَا عَدَدْتَ النَّاسَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ فَلَيْسَ هَارُونَ إِلَّا مَامٍ نَظِيرٌ
فضله على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى
عنهم ، وهذا مكروه جداً وأكره منه قول أبي نواس :

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّبَهَ فَاشْتَبَهَا خَلْقًا وَمُخْلَقًا كَمَا قُدَّ الشَّرَاكِنُ
فجعل النبي ﷺ ومحمد بن هارون سواء في الخلق والخلق .

وبعد بيت النمرى آيات جواد منها قوله :

مَنْعِ الْحَمَى لَكِنْ أَعْنَاقَ مَالِهِ بَظْلِ النَّدى بِسَطْوِهَا وَيَسُورِ
كأنه من قول كثير :

عُرِّ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقْتَ لِضَجِّكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ
وهذا من قول الأخطل :

وَقَفْتُ عَلَى حَالِيكَمَا فَذَا النَّدى عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرٌ

خَرَجْتُ أَجْرُ الذَّبْلِ حَتَّى كَأَنِّي عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرٌ

رُوحٌ وَيَغْدُو سَاجِيًا فِي وَقَارِهِ عَلَى أَنَّهُ يَوْمَ الْمَرَامِ ذَكِيرٌ

وَلَيْسَ لِأَعْبَاءِ الْأُمُورِ إِذَا عَرَّتْ بِمَكْتَرٍ لَكِنْ لَهْنٌ قَهُورٌ

يَرَى سَاكِنَ الْأَوْصَالِ بِاسْطِجْهَدِهِ يَرِيكَ الْهُوَيْنَا وَالْأُمُورُ نَظِيرٌ

ولا أعرف في هذا المعنى أجود من هذا البيت .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول النمرى في هارون :

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَّةً أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ (١)

(١) تقدم هذا البيت بصدر «خليفة الله إن الجود أودية» .

أخذه من قول أبي وجزة السعدي^(١) :
 أنك المجدُّ من هنا وهنا وأنت لهُ بمجتمع السيول
 وأخذه ابن أمية الكاتب فقال في غزل :
 تركت فيك التي ؟ وأنت منها بمجمع الطرق
 ونقلته إلى الهجاء فقلت :

أنفدو بمستن العيون مخيما . وأنت بصيب العالمين موكل
 وفي قصيدة النمرى أبيات قليلة النظير منها قوله :

مستحکم الرأي مُستغن بوحده
 عن الرجال برب الدهر مضطلع
 بقرى العدو المنايا والقناة ندى
 من كل ذاك القسرى أحواضه ترع
 إذا بلغنا جمال الأرض لم ترنا
 للحادثات بحمد الله نخشع
 لما أخذت بكفى جبل طاعته
 أيقنت أني من الأحداث ممتنع
 ان الخليفة هارون الذي امتلأت
 منه القلوب وجارت تحته ترع
 ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله
 أوضاق أمر ذكرناه فيتسع
 أخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن الصولي عن المبرد وغيره قال شكنا منصور
 إلى العتابي طلقاً استمر بامرأته ثلاثة أيام تخوف عليها منه فقال العتابي دواؤه معك
 أقرب منها وقل «هارون» فان أمرها يسهل فغضب منصور فقال له لا تغضب فأنت
 قضيت بذلك في قولك :

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله
 أوضاق أمر ذكرناه فيتسع
 فأسكت منصور . ومن المديح البارع قول بشار :

ألا أيها الطالب المبتغى نجوم السماء بسعي أمم
 سمعت بمكرمة ابن العلاء فأنشأت تطلبها لست تم
 إذا عرض لهم في صدره لها بالمطاء وضرب البهم

(١) هوزيد بن عبيد أبو وجزة ، من التابعين

فقل للخليفة إن جسثه
إذا أيقظتك جسام الأمور
نصيحا ولاخير في المتهم
ففيه لها عمرا ثم ثم
ولا يشرب الماء إلا بدم
فتى لا يبيت على رفقه
يفقدو على نعيم أونيقم
يحب العطاء وسفك الدماء

وقال البحرى :

إذا المهتدى بالله عدت خلاله
وقلت : كم غاية لكم تقاصر كونها
حسبت السماء كثرتك نجومها
من رامها فكأنه مازامها
يعلو كرام العالمين وإنما
واذا تسامى الأكرمون إلى العلا
نالوا مناسمها ونلت سنامها
أمن المسكارم أن يُبدد شملها
لما رأتك نظامه ونظامها
ذلت له نوب الزمان وأصبحت
في عقوته جبالها آكلها

وقال البحرى :

إذا ذكرت أسلافه وتشوهرت
إذا ماتت الأرض ابتدوها كأنما
أما كنها قلت النجوم قبورها
اليهم حياها أو عليهم نشورها
و دون علاهم للمسامين برزخ
إذا كلفته العير طال مسيرها
بتدبير مأمون على الأمر رأيه
ذ كير وأمضى المرفقات ذكورها
وذوها جس لا يحجب الغيب دونه
تريه بطون المشكلات ظهورها

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن عبد الله بن الحسن عن البحرى قال سمعت إبراهيم
ابن الحسن بن سهل يقول : الأوائل حجة وهؤلاء أحسن تعريفا إلى أنه أنشده
يوماً عبد الله بن أبوب التبعى شعراً يمدحه فيه فلما بلغ إلى قوله :

تري ظاهر المأمون أحسن ظاهر
يناجى له نفساً ترسع بهمة
وأحسن مما قد (١) أسر وأضمر
إلى كل معروف وقلبا مطهرا

(١) زدنا «قد» على النسخ لأقامة الوزن.

ويخشع إجلالاً له كلُّ ناظرٍ ويأبى لخوف الله أن يتكبّرا
 طويلٌ نجاد السيف مضطمر الحشا طراه طراد الجيش حتى تجسرا
 رفل إذا ما السلم رفل ذبله وان شمّرت يوماً له الحرب شمرا
 فقال الفضل ما بعد هذا مدح وما أشبهه فروع الاحسان بأصوله .

ومن المدح القليل النظير قول أمانة بنت الجلاح الكلبيّة : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن البرمكي أحمد بن جعفر حدثني محمد بن ناجية الرصافي قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواقعة بمال مصر فطلبني السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت على الأرض برحبها فخرجت إلى البلاد مرتاداً رجلاً عزيزاً منبع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهيت إلى بني شيبان ابن ثعلبة فدفعت إلى بيت مشرف بظهر رابية منيعة وإلى جانبه فرس مربوط ورمح مركون يلعب سنانه فنزلت عن فرسي وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فردّ على نساء من وراء السجف برمقني من خلل الستور بعيون كميون أخشاف الظباء فقالت إحداهن اطمن يا حضري فقلت وكيف يطمن المطلب أو يأمن المرعوب وقلما ينجو من السلطان طالبه والخوف غالبه دون أن يأوي إلى جبل بعصمه أو معقل يمنعه فقالت يا حضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولا يجوع فيه كبد مادام لهذا الحى سبد أو لبد هذا بيت الأسود بن قنان أخوانه كلب وأعمامه شيبان صعلوك الحى في ماله وسيدهم في فعاله لا ينازع ولا يدافع له الجوار وموقد النار وطلب النار وبهذا وصفته أمانة بنت الجلاح الكلبيّة حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكل معدى وكل يمانى
 وفي بهم حلماً وجوداً وسودداً وبأساً فهذا الأسود بن قنان
 فتى كالفتاة البكر بسفر وجهه كأن تلالى وجهه القمران
 أغر أبر ابني نزار ويعرب وأوتقهم عقداً بقول لسان

وأوفاهم عهداً وأطولهم يداً وأعلامهم فعلاً بكل مكان
وأضربهم بالسيف من دون جاره وأطعنهم من دونه بسنان
كان العطايا والمنايا بكفه سبحان مقرونان مؤتلفان

فقلت الآن ذهبت عنى الوحشة وسكنت الروعة فأنى لى به قالت يا جارية
أخرجى فنادى مولاك نخرجت الجارية فما لبثت إلا هنيهة حتى جاءت وهو معها
فى جمع من بنى عمه فرأيت غلاماً حسناً^(١) اخضر شاربه واخط عارضه
وخشن جانبه فقال أى المنعمين علينا أنت فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا
رجل نبت به أوطانه وأزعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب فى
ذمتك وقد ضمنا له ما بضمنه لثله مثلك فقال بل الله فاك قال فأخذ ييدى وجلس
وجلست ثم قال يا بنى أبى وخوى رحى أشهدكم أن هذا الرجل فى ذمتى وجوارى
فن أرادته فقد أرادنى ومن كاده فقد كادنى وما يلزمنى من أمره من حال إلا ويلزمكم
مثله فليسمع الرجل منكم ما يسكن اليه قلبه وتطمئن اليه نفسه . فسا رأيت جوابا
قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ما هى أول منة مننت بها علينا ولا أول يد
بيضاء طوقتناها وما زال أبوك قبلك فى بناء الشرف لنا ودفع الهم عنا فهذه أنفسنا
وأموالنا بين يديك . ثم ضرب لى قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزاً منيعاً حتى سرح
لى السلطان ما أملت فانصرفت الى أهلى .

ومن المديح البارع قول الأخطل :

شمسُ العداوةِ حتى يستقادَ لهم^(٢) وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدروا
أخذه خارجه بن ملبح المكي وأحسن :

آل الزبير نجومٌ يستضاء بهم إذا احتجى الليلُ فى ظلماته زهروا
قومٌ إذا شومسوا لَجَّ الشمسُ بهم ذاتَ الآباءِ وان يأسرتهم يسروا

(١) فى الأصل « حين » .

(٢) فى الأصل (بهم) والتصحيح من شعر الأخطل المطبوع .

ومنه قول كثير في عبد الملك :

أبوك الذي لما أتى مرج رَاهَط
تسناً للأعداء حتى إذا أتوا

وقال البحترى :

حرونٌ إذا عاززته في مُلْمَةٍ
ونحوه : كَرِيمٌ يُغْضُ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيَاتِهِ
وكالسيفِ ان لا ينثه لانَ مَتْنَهُ
ومثل قول خارجة * إذا احتبى الليل في ظلماته زهروا * قول الأشجعم :
إذا غاب عنا الفجرُ خُضْنَا بوجهه
دُجِي اللَّيْلُ حَتَّى يَسْتَنْبِرَ لَنَا الْفَجْرُ

وقال خارجة أيضا :

ويسفر للسارى إذا جنَّ ليله
وقال ادريس بن أبي حفصة :

لما أتتك وقد كانت منازعة
لها أمامك نورٌ تستضيء به
لها أحاديثٌ من ذكراك تشغلها
ولا أعرف في معناها مثلها :

إذا أشرقت في جنح ليل وجوهمهم
وان ناب خطبٌ أو ألت مُلْمَةٌ
كفى خابطَ الظلما ضوء المصابيح
فكم ثمَّ من آسى جراحٍ وجراح

ومن أجود ما قيل في صفة الرجل الجواد قول أبي الأسد الدينورى :

ولأمة لأمتك باقيض في الندى
أرادت لثني الفيض عن عادة الندى
فقلت لها لن يقدح اللوم في البحر
ومن ذا الذي يبنى السحاب عن القطر

مواقع جود الفيض في كل بلدة مواقع ماء المزن في البلد القفر^(١)

ولا أعرف في معناها مثلها . وقلت :

تقضى مآربه من كل فائدة لكن من المجد ما تقضى مآربه
أفاده العز آباء ذوو كرم وزاده الخلق المخضر جانبه
لقد فضلت كرام الناس كلهم فهم مناسب موجد أنت غاربه
ياليت شعري هل يستطيع شكركم دهر مساعيكم فيه مناقبه
وحين أرضيتم كنتم نوافله وأنتم حين أسخطتم نوابه
منكم على الدهر عين لا تناومه وللحوادث قرن لانغالبه

ومن أجود ما قيل في ذكر الجود قول الأشجع^(٢) في جعفر بن يحيى :

بروم الملوك جدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع
وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع
فما خلفه لامرىء مطمع ولا دونه لامرىء مقنع
إذا رفعت كفه معشراً أبى العز والفضل أن يوضعوا
ولا يرفع الناس من حطه ولا يضع الناس من يرفع
رأيت الملوك تغض العيون إذا ما بدا الملك الاتلع
بديته مثل تدبيره متى هجته فهو مستجمع

أخذ قوله « بأوسعهم في الغنى » من قول الأول :

له نار تشب بكل أرض إذا النيران جلت القناعا
وما ان كان أكثرهم سواداً ولكن كان أرحبهم ذراعا

(١) يكرر المصنف بعض الأبيات في مواضع لمناسبات .

(٢) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمى ، مدح البرامكة وانقطع إلى

جعفر بن يحيى فقربه من الرشيد فأثرى ، ورثى الرشيد بعد موته .

وقال بعض المولدين :

وما رأيتك في حال تكونُ بها أذنى إلى كل خيرٍ منك في العدم
ومن أجود ما قيل في الصلة على بعد الدار قول نهشل بن جرى :
جرى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى الصلت إخوان السماحة والمجد
أناي وأهلي بالعراق ندهاهمُ كما صاب غيثٌ من تهامة في نجد
فما بتغير من زمان وأهله فما غير الأيام بمحمد كم بعدى
فأخذه البحتري أخذاً ما رأيت أعجب منه وقد وجه إليه بنو السمط برمي
حصص إلى منبج فقال :

جرى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى السمط إخوان السماحة والمجد
مُ حضروني والمهامه بيننا كما أرفض غيثٌ من تهامة في نجد
إلا أن قوله * م حضروني والمهامه بيننا * أبداع وأحسن من قول
نهشل * أناي وأهلي بالعراق ندهاهم * وأخذه ابن المولى فقال :

فرحتُ بجمعفري لما أتانا كما سُرَّ المسافرُ بالأياب
كم مطورٍ ببلدته فأضحى غنياً عن مطالعة السحاب
وأخذه أبو السمط بن أبي حفصة فقال في عبد الله بن طاهر :
لعمري لنعم الغيثُ غيثٌ أصابنا بيغداداً من أرض الجزيرة وأبيله
ونعم الفتي والسدُّ بيني وبينه بسبعين ألفاً صبحتني رسائله
فكنا كحى صبَّح الغيثُ داره ولم يحتمل أظمانه وجوائله
وأخذه أبو تمام فقال :

لم أستطع سيراً لمدحة خالدٍ فجمعتُ مدحتهُ إليه رسولا
فليرحلنَّ اليك نائلُ خالدٍ وليكفينَّ رواحلي الترحيلا
وأخذه أبو صفان فقال في أحمد بن محمد بن توابة :

نفسى فداءً أبي العباس من رجل لم ينسني قطُّ في نايٍ ولا كئيب

يقرى وبالرقة البيضاء منزله من بالعراقين^(١) من عجم ومن عرب
 أغنيتني عن رجال أنت فوقهم في المكرمات ودون القوم في النشب
 وأصل ذلك كله من قول جرير : أخبرنا أبو أحمد عن علي بن سليمان
 الأخفش عن ثعلب عن محمد بن سلام قال قال أبو العراف بعث عبد العزيز بن
 مروان إلى جرير بمال من الشام فتجهز يريده فأتاه نعيه فقال جرير يرثيه :
 بنفسى امرأة والشام بينى وبينه أنتنى يبشرى برده ورسائله
 قال أبو أحمد قال أبو الحسن لا يجوز عندنا (إلا امرؤ) إلا أن الرواية
 هكذا ، معناه أفدى .

أتى زمن البيضاء بعدك فاتحى على العظم حتى ماتقوم حوافله
 فيومان من عبد العزيز تفاضلا في أي يوميه تلوم عواذله
 فيوم تحيط المسلمين جواده ويوم عطاء ما بفرح نائله
 ومن المديح البارع قول ابراهيم بن العباس :
 أسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ما قدرا
 يعلم الأبعد إن أترى ولا يعلم الأذنى إذا ما افتقرا
 ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد في جملة خبر أخبرناه عن أبيه عن أحمد
 ابن أبي طاهر النديم عن عبد الله بن السرى عن أحمد بن سليمان قال قال عبد الله
 ابن زيد القسرى كنت قائماً على رأس ابن هبيرة وعنده سماطان من وجوه الناس
 إذ أقبل شاب لم أر مثل جماله وكاله فقال أصلح الله الأمير إني امرؤ فدحتته كربة
 وأوحشته غربة ونأت به الدار وأقلقه الأعمار وحل به عظيم خذله أخلاؤه وشمته
 به أعداؤه وجفاه القريب وأسلمه البعيد فقتت مقاماً لا أرى فيه معولا ولا جازى
 نعمه إلا رجاء الله تعالى وحسن عائدة الأمير وأنا أصلح الله الأمير ممن لا تجهل

(١) العراقان : الكوفة والبصرة ، وعراق العرب وعراق العجم . كما في

جنى الجنيتين في تمييز نوعي المثنيين للمحبي .

أمرته ولا تضيع حرمة فان رأى الأمير أن يسد خلتي ويجبر خصاصتى فعل فقال
ابن هبيرة ممن الرجل ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

فزاره بيتُ المجد والعزِّ فيهم فزاره قيسٌ حسب قيسٍ فعالها
لها العزة القعساءُ والشرفُ الذي بناءُ لقيسٍ في القديم رجائها
وهل أحدٌ ان مدَّ يوماً بأفنه إلى الشمسِ في جَوْ السماءِ بناؤها
لهيئات ما عيا القرون التي مضتْ ما أثرُ قيسٍ واعتلاها خصالها

فقال ابن هبيرة إن هذا الأدب حسن مع ما أرى من حدائث سنك فكم
أنت لك ؟ قال تسع وعشرين - فلحن الفتى - فتبسم ابن هبيرة كالشامت به وقال
ألحن أيضاً مع جميل ما أتى عليه منطقتك ، شبتته بأقبح عيب ^(١) فأبصر الفتى ما وقع
فيه فقال إن الأمير أصاحه الله تعالى عظم في عيني وملأت هيئته صدرى فنطق
لسانى بما لا يعرفه قلبي . فقال له ابن هبيرة : وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم
بها أوده ويحضر بها سلطانه ويزين بها مشهده ويتبوا بها على خصمه أو يرضى أحدكم
أن يكون لسانه مثل لسان مملوكه وأكاره ^(٢) وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم
فان كان سبقتك لسانك وإلا فاستعن على اصلاحه ببعض ما أوصلناه اليك ولا
يستحي أحدكم من التعلم فانه لولا هذا اللسان لكان الانسان كالبهيمة المهمة
قاتل الله الشاعر حيث يقول :

ألم ترَّ مفتاحَ الفؤادِ لسانه إذا هو أبدى ما يقول من الغيم
وكان تررى من صامت لك مُعجب زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
ومن بارع المديح :

ولى منك موعودٌ طلبتُ نجاحه وأنت امرؤٌ لا تخلف ^(٣) الدهرَ موعدا
وعودتى ان لا تنزال تُظلنى يدٌ منك قد قدّمت من قبلها يدا

(١) كذا والمعنى ظاهر . (٢) الاكاره : الحراث . (٣) في الأصل «يخلف» .

فلو أن مجدداً أوندى أو فضيلةً تخلدُ شيئاً كنتَ أنتَ المخدداً
ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد عن الصّولي عن أبي العيناء عن
الأصمعي للصموت الكلابي وقال مرة للصموت الكلابية امرأة :

لله دَرَكٌ أيُّ جنةٍ خائفٍ ومتاعٌ دُنيا أنتَ في الحدِيثان
متخمط يظاً الرّحال غُلبَةً (١) وطأ الفنيق (٢) دوارح القردان
وتفرج البابَ الشديداً رنأجه حتى يكونَ كأنه بابان
وتبعه أبو تمام فقال في ابن أبي داود :

فلتبك الاحسابُ أي حياةً وحيا أزيمةً وحيةً واد
طائقٌ معتقٌ من اللوم (٣) إلا من مقاساة مفرمٍ أو نجادٍ
ومن أجود ما قيل في صفة الكمال قول كشاجم :

ومهذب الألفاظ منطقةً ما فيه من خطلٍ ولا مِينِ
ما شئتَ من ظرفٍ ومن شيمٍ ما في محاسنهن من شين
ما كان أحوجَ ذا الكمالِ إلى عيبٍ يوقيه من العين
قد أحسن وظرف ولم يقصر في تفليل الحز واطابة المفصل . ومثله قوله :

يا كامل الآدابِ مُنفردَ العلا والمكرماتِ ويا كثير الحاسدِ
شخصَ الانامِ إلى بكالك فاستعد من شر أعينهم بعيبٍ واحدٍ
وقال ابن الرومي يمدح بعض العمال وقد نكب :

لا يستطيعك بالتنقصِ حادثٌ وأبي لك التكميلُ أن تزيدا
وكأنني بك قد نحتتَ محمد في النائبات كما دعوت محمد
فظلعت كالسيف الحسام مجرداً للحق أو مثل الهلال مجرداً

(١) المتخمط : القهار الغلاب . والغلبة بضمّتين بمعنى الغلبة والقهر .

(٢) الفنيق : الفحل المسكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

(٣) في ديوان أبي تمام « الهون » .

شهد النهار وكشفه غم الدجى ان الزمان مُبيضٌ ماسودا
ومثله قول الآخر :-
فما كنت إلا السيفُ جُرِّدَ في الوغى وأحمد في الهيجا وردَّ الى الغمد
ومن أبلغ المديح :
بديته وفكرته سواءٌ إذا مانابه الخطبُ الكبيرُ
وصدره فيه لهم اتساعٌ إذا ضاقت من الهم الصدور
ومن أبلغ المديح قول البحترى :
أخذوا النبوة والخلافة وانثوا بالمكر مات كثيرها وقليلها
وإذا قرئشٌ فاضلتك فضلتها بأبي خلائفها وعم رسو لها
وجوادها ابن جوادها وكريمها ابن كريمها^(١) ونيلها ابن نيلها
لو سارت الأيام في مسعاتهم لتناها لتقطعت في طولها
رفعتهم الآيات في تنزيلها وقضت لهم بالفضل في تأويلها
وإذا انشعبت أخذت خير فروعها واذارجعت أخذت خير أصولها
وقلت : لئن قلَّ أربابُ المكارم والعلا ليحيى كثيرٌ في العلا والمكارم
بذكرفى جود الغنائم جوده وشكرى له شكر الثرى للغنائم
تخال به بدرآ مع الليل باهراً بلوح على عرف من الليل فاحم
بديل من الأيام والدهر منصف بعزم على الأيام والدهر حاكم
بيز من الانجاد كل مساور ويعلو من الانجاد كل مكارم
بخلق كمن الصخر في كف لاس وطور كجرى الماء في عين حاتم
ورأى كصدر الراغية شارع وعزم كعد المشرفية صارم
على بلدة يسقى الصراغم ملؤها ويسقى بها الالى دماء الصراغم
ومن بارع المديح قول أبى تمام :

(١) في ديوان البحترى «وشريفها ابن شريفها» مكان «و كريمة ابن كريمة» .

رأيت لعياشٍ خلائفَ لم تكن
 له كرمٌ لو كان في الماء لم يغيض
 أخو عَزَمَاتٍ بذله بذلٌ مُحْسِنِ
 يَهْوُ لَكَ أَنْ تَلْقَاهُ فِي صَدْرِ مَحْفَلِ
 وماضيقُ أخطارِ البلادِ أضاقني
 وهذي ثيابُ المدحِ فاجررِ ذبولها
 وقد أحسنَ التَّنَوُّخِي فِي آيَاتِ لَه مِنْهَا :

وفتية من حميرٍ حميرِ الظبي
 شمسٌ مجد في سمواتِ علا
 وقلت : ما المجدُ إلا سماءُ أنتِ كوكبها
 فكل سابقِ قومٍ أنتِ سابقه
 بالعمدِ تحكمه والأمرِ تبرمه
 والعرضِ تمنعه والمالِ تبذله

وللمحدثين آيات بارعة سائرة في المديح منها قول أبي تمام :

أيامنا مصقولةٌ أطرافها بك والليالي كلها أسحارُ
 مأخوذ من قول عبد الملك بن صالح حدثنا أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثنا شيخ
 ابن حاتم العكلى حدثنا يعقوب بن جعفر قال لما دخل الرشيد منبج قال لعبد
 الملك أهذا البلد منزلك قال هو لك ولي بك قال كيف بناؤك فيه قال دون منازل
 أهلى وفوق منازل غيرهم قال فكيف صفة مدينتك هذه قال هي عذبة الماء باردة
 الهواء قليلة الأذواء قال كيف ليها قال سحر كله قال صدقت إنها لطيبة قال لك
 طابت وبك كملت وابن بها عن الطيب وهي تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة
 خضراء فياف فيح بين قيصوم وشيخ . فقال الرشيد لجعفر بن يحيى هذا الكلام
 أحسن من الدر المنظوم فأخذه ابن المعتز فقال :

ياربَّ ليلٍ تَحَسَّرُ كُلَّهُ مَفْتَضِحِ البدرِ عليلِ النَّسيمِ

تلتقط الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه لنارِ الموم

وقال ابن الرومي * كأن أيامهن كالسكر * وقلت :

أيامنا في جوارهُ بكرُ ولبنا في فئانه سحر

ومنها قول أبي نواس :

أنت الخصبُ وهذه مصرُ فتدققا فكللا كما بحر

وقوله : وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحد

وقوله : قتي بشرى حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدورُ

فما جازه جودٌ ولا حل دونه ولكن بصيرُ الجودُ حيثُ بصير

وقول أبي العتاهية :

أنته الخلفةُ منقادة إليه تجرُّ أذيالها

ولم تك تصلحُ إلا له ولم يك يصلحُ إلا لها

ولو رامها أحدٌ غيره لزلزلت الأرضُ زلزالها

وقول مسلم إلا أنه مرثية :

وأي واسماعيل يومَ وفاته لكانعمد يوم الروح فارقة النصلُ

فإن أغش قومًا بعده أو أزورهم فكالوحش بدنيها من الأتس المحل

الأتس جمع مثل خدم . وقول بعض الأعراب في معن بن زائدة :

أنت الجواد ومنك الجودُ أوله فإن مُقدتَ فما جودٌ لموجود

أضحت يمينك من جودٍ مصورة لا بل يمينك منها صورةُ الجود

من نور وجهك تضحي الأرض مشرقةً ومن ثنائك يجري الماءُ في العود

وقول البحترى :

وقد قلتُ للمعلى إلى المجد طرفه دِع المجدَ فالفتحُ بنُ خاقان شاغله

صفت مثل ما تصفو المدامُ خلاله ورقت كما رق النسيمُ شمائله

والعرب تتمدح بطول القائمة فمن أجود ما قيل فيه قول أبي تمام :

أناس^(١) إذا يدعى تزال إلى الوغى رأيتهم^١ رجلى كأنهم ركب^١
 من المطربين الأولى ليس ينجلي بغيرهم^٢ للدهر صرف^٢ ولا كرب^(٢)
 جعلت نظام السكرمات فلم تدر رحا سؤدد^٣ إلا وأنت لها قطب
 إذا افتخرت يوماً ربيعة^٣ أقبلت بحنبتى^٣ مجد وأنت لها قلب
 ومن أجود ما قيل في قدم الشرف ووضح النسب قول أبي تمام :
 نسب^٤ كأن عليه من شمس الضحى نوراً^٤ ومن فلق الصباح عمودا
 محرابان لا يكبو دليل^٤ من عمى فيه ولا ينفى عليه شهودا
 شرف على أولى الزمان وإنما خلقت^٥ المناسب ما يكون جديدا
 لو لم تكن من نعمة^٥ نجمية علوية لظننت^٥ عودك عودا
 مطر أبوك أبو أهلة^٥ وأبل ملاً البسيطة عدة^٥ وعديدا
 ورثوا الابوة^٦ والحظوظ فأصبحوا جموا^٦ جدوداً في العلاء وجدودا
 أكفأة^٦ تلد الرجال وإنما ولد^٦ الختوف أسوداً وأسودا
 أخذه السرى فقال في المهلبى :

نسب^٧ أضاء عموده^٧ في رفعه كالصبح فيه^٧ ترفع^٧ وضياء^٧
 وشمال^٧ شهد المدو^٧ بفضلها والفضل^٧ ما شهدت به^٧ الأعداء
 وهذا من قول البحترى :

لا أدعى^٨ لأبى العلاء^٨ فضيلة حتى يسلمها^٨ إليه^٨ عداه^٨
 وقلت : قد نلت^٨ بالرأي^٨ والتميز^٨ منزلة مانالها^٨ أخواك^٨ البحر^٨ والمطر^٨
 وباتكرم^٩ والافضال^٩ مرتبة لم^٩ يعطها^٩ خادماك^٩ السيف^٩ والقدر^٩
 قالوا^٩ أيمطر^٩ من^٩ محل^٩ ألم^٩ به فقلت^٩ قد^٩ تمطر^٩ الانهار^٩ والغندر^٩
 مال^٩ يسدده^٩ في جمع^٩ مكرمة فالجود^٩ مجتمع^٩ والماء^٩ منتشر^٩
 كروضة^٩ أخذت^٩ بالقيث^٩ زخر^٩ قها فالروض^٩ منتظم^٩ والقيث^٩ منتشر^٩

(١) في ديوان البحترى «كأه إذا» . (٢) في نسخة «لرب» وهي الشدائد .

مناقب ما يكاد الدهر يهدمها
 فابشر فانك رأس واله لا جسد
 لولاك لم تك للأيام منقبة
 وقلت : هل أنت إلا البدر تم تماؤه
 والسيف أزهف للمضاء غراره
 أنت الربيع الفضة رقة نسيه
 خلق كنشر الروض طل نباته
 للأولياء رخاؤه ورخاؤه
 يامن أدل على الزمان زمانه
 يدنو فيغمر كل شيء فضله
 مان يزال من المآثر والعملا
 عال تسور فوق قمة سؤدد
 يبدو فيبدي الصبح غرة وجهه
 سبق الجياد فما يشق غباره
 وثن أبر على الحسام عزيمة
 وكأنما أقلامه أسيافه
 ماالمجد الا العمد جودك شذره^(١)
 والجود في يدك اليمين عنانه
 مازال فوتك في اللواء موليا
 فاعمر على زمن أغر محجل
 وقال آخر وأحسن :

(١) الشذر : قطع من الذهب تاقط من معدنه بلا إذابة ، أو خرز يفصل

بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار - كما في القاموس .

كم صغروا منهم والله يكافؤهم
وقال أبو يعقوب الخزيمي :
فلو لم يكن إلا بنفسك فخرها
جريت على مهل فأتعبت من جرى
ويبذل دنياه ويمنع دينه
وقلت : وقفت على يحيى رجائي وأنا
إذا ما الليالي أدركت ماسعت له
إذا غاب جاء المزن في الجود سابقا
إذا الغيث باراه نبي الغيث مقصرا
فتى لم تزنه بالقوافي وإنما
من الغر لاحوا أشمسا ومضوا ظبي
رأيت جمال الدهر فيك مجددا
وقلت : في فتية أخلاقهم وفعالهم
حل السرور جباهم في مجلس
فهم إذا نظروا الصديق كواكب
أوقيل تلتف الجياد بمثلها
فالليل منهم شامس والصبح منهم دامس
والدهر منهم وارس
وأظن ابن الرومي سبق إلى معنى قوله :

نفائس ماله أدناه مجنى من الأيدي جميعا والأمانى
كذلك فوارض الثمرات تدنو لجانيها فتمكن كل جاني
وأخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال أتى شاعر أبا البختري وهب
ابن وهب وكان من أجود قريش كان إذا ممع المادح له ضحك وسرى السرور
بجوانحه وأعطى وزاد فأنشده هذا الشاعر :

لكل أخى فضل نصيب من العلاء ورأس العلاء آ عقيد الندى وهب
وما ضر وهباً عيب من جحد الندى كما لا يضر البدر ينبحه الكلب
فتنى له الوسادة وهش إليه ورفده وحمله وأضافه فلما أراد الرحيل وهو أشد
خلق الله اغتباطاً لم يخدمه أحد من غلمان أبي البخترى ولا عقب له ولا حل فانكر
ذلك مع جميل ما فعل به فعاتب بعضهم فقال إنما نعين النازل على الإقامة ولا نعين
المرتحل على الفراق فبلغ ذلك جليلاً من القرشيين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد
أحسن من رقد سيدهم .

ومن بليغ المعاني في المديح قول ابن الرومي :

لما من طائر لك يا ابن يحيى يموت الكاشحون وأنت تحيا
على أن المسات لكل حي وقيت به من الحدثنان محيا
وقال خلف بن خليفة :

ان استجهلوا لم يغرب الحلم عنهم وإن آثروا أن يجهلوا عظم الجهل
هم الجبل الأعلى إذا ماتنا كرت ملوك الرجال أو تخاطرت النزل
مواعيدهم فعل إذا ماتكموا بتلك التي أن سميت وجب الفعل
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا وإن غضبوا في موطن رخص القتل
وقلت : لقد علمت يحيى موافية العلاء فضائل آباء نلتها فضائله
غاز طريف المجد بعد تليده رفيع بطول النجم حين بطاوله
فتى غرة الأيام حسن صنيعه وتيجانها أخلاقه وشمائله
وما هو إلا المزن تصفو خلاله ويملو مبواه ويبيكر هاطله

﴿ الفصل الثاني من الباب الأول في الافتخار ﴾

قالوا أنخر بيت قالته العرب قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
وقالوا قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والأخطل من أتاني منكم
بصدر هذا البيت « والعود أحمد » فله عشرة آلاف درهم فما كان فيهم مجيب
فأدخل أعرابي من عذرة إليه فأنشده :

فإن كان مني ما كرهت فأنى أعود لما تهواه والعود أحمد
فقال عبد الملك أحسنت ولكن لم نصب ما أردت فأنشد :
جزينا بنى شيبان قدما بفعلهم وُعِدنا بمثل البدء والعود أحمد
قال لم نصب ما أردت فأنشد :

وأحسن عمرو في الذي كان بيننا فإن عاد بالاحسان فالعود أحمد
فقال هذا طلبت . ثم قال أخبرني عن أهجى بيت قالته العرب قال قول جرير :
ففض الطرف أنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت ففاح بنى نمير على خبث الحديد إذاً لذابا
قال فأخبرني عن أمدح بيت قالته العرب قال قول جرير :

ألسم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
قال فما أنخر بيت قالته العرب قال قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
قال فما أغزل بيت قالته العرب قال قول جرير :

ان العيون التي في طرفها مرض^(١) قتلنا ثم لم يجبين قتلنا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به^(٢) وهن أضعف خلق الله أركاناً^(٣)

(١) وفي رواية « حور » . (٢) في هامش النسخ « انسانا » إشارة لنسخة .

قال فما أحسن بيت قيل ؟ قال قول جرير :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طى التجار بمحرموت برودا

قال فما أقبح بيت قيل ؟ قال قول جرير :

ألم ترَ أنَّ جِعْثَنَ وَسَطَ سَعْدٍ تُسْمَى بَعْدَ قِضْتِهَا الرَّحَابَا (١)

ترى برصاً بأسفل (٢) إسكتيها كمنفقة الفرزدق حين شابا

قال فما أهبج بيت قيل قال قول جرير :

طرتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجي بسلام

قال فهل تعرف جريراً ؟ قال لا ولكن ترد علينا أقاويل الشعراء فلم أر شعراً

أرق في الوزن ولا أملاً للفم من شعره فقام جرير فقبل رأسه وجعل جائزته في

هذا العام له وأضاف عبد الملك إليها مثلها وكتب إلى عامله باليمامة أن ينصف

من خصم تظلم منه .

وقد قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير :

بدأتم فأحسنتم فأنثيتم جاهداً وان عدتم أنثيتم والموءد أحسن (٣)

وقال ابن المعتز أو غيره :

خليلى قد طاب الشراب المبرد وقد عدت بعد النسك والموءد أحمد

وقال ابن حبيب دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له

من الرجل ؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأتقل من وزن الجبال حلومها

قال فمن أيها أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

(١) سقط من النسخ بعض كلمات فاستدر كناها من النقائض .

(٢) في النقائض (بمجمع) مكان (بأسفل) . (٣) لعله «أحمد» .

ثياب بني عوف طهاري نقيه وأوجههم عند المشاهد غران
قال فمن أيهم أنت؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر:
فلا وأبيك ما ظلمت قريم بأن بينوا المسكارم حيث شاؤا
قال فمن أيهم أنت؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر:
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
قال اجلس لاجلس والله لقد خفت أن تفخر علي.
وقالوا أفخر بيت قاتنه العرب قول الفرزدق:
تري الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
ورواه لنا أبو علي بن أبي حفص «أربانا» قال والارباء الاشارة إلى خلف
والايحاء إلى قدام، والناس يحملون هذا البيت لجميل في قصيدته التي يقول فيها:
وكانت تحيد الأسد عنا مخافة فهل يقتلني ذو بنان بطرف
لقد أخلفت ظني وكانت مخيلة وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف
إذا اتهب الأقوم مجداً فاننا لنا مغرماً مجد وللناس مغرف
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة بما سوف نوفيه إذا الناس طغفوا
تري الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
وكان جميل جيد الافتخار قال:

والشاعر المبتلى أشاعرون به كي يلمسوه^(١) وأين اللبس من زحل
وعند الناس قصيدته الغائبة أحسن وألسن من قصيدة الفرزدق. وأخذ بعضهم

قوله «وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف» فقال وأحسن:
ظننت به ظناً فقصر دونه فيارب مطنون به الخير يخلف
وما الناس بالناس الذين عرفتهم وما الدار بالدار التي كنت أعرف
وما كل من تهواه بهواك قلبه وما كل من أنصفته لك منصف

(١) في الأصل « يلمس » .

أخبرنا أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر بن العدي عن العدي قال من أحسن ممدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :

وما أنا في نفسي ولا في عشيرتي بمنهضم حتى ولا قارع سني
ولا مسلم مولاي عند جناية ولا خائف مولاي من شر ما أجنى
وإن فؤادي بين جنبي عالمٌ بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضلي في الشعر واللآلئ أنني أقولُ على غيِّمٍ وأعلمُ ما أعني
فأصبحتُ إذ فضلت مروانَ وابنه على الناس قد فضلت خير أب وابن

وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأضمرى قال وهو من أجود ما مدح به الرجل نفسه ، قال أبو هلال وهو لمسكين الدارمي :

ورُبَّ أمورٍ قد برت لحالها وقومت من أصلابها ثم رشتها
أقيم بدار الحزم ما لم آهن بها فان خفت من دار هو انا تركتها
وأصلحُ جل المال حتى حسبتني بخيلاً وان حقُّ عراني أهنتها
ولستُ بولاج البيوتِ لفاقةً ولكن إذا استغنيتُ عنها ولجتها
إذا قصرت أيدي الكرام عن العلا مددتُ لها باعاً طويلاً فنلتها
وعوراءُ من قيل امرئ ذي عداوة تصامتُ عنها بعد أن قد سمعتها
رجاء غداً أن يعطفَ الودُّ بيننا ومظلمةً مني بجنبي عركتها
غيره : ومالي وجهٌ في اللثامِ ولا يدُ ولكن وجهي في الكرامِ عريضُ
أصحُّ (١) إذا لاقيتهم وكأنتي إذا أنا لاقيتُ اللثامَ مريضُ
وقلت في معناه :

وخلُّ الجهولِ وبُغضِي له فاني لبيبٌ أحبُّ اللببيا
بصادفني الضيف طلقاً ضحوكا وان كنتُ لم أر يدعاً عجيبا
وأستعملُ الحلم ما لم أكن أصبتُ من الذلِّ فيه نصيبا

(١) في الأصل « أصبح » وهو تصحيف لافائدة في كثرة التنبيه على مثله .

من الحلم ضرباً إذا رُمته لقيت من الذل فيه ضروباً
 وأنشدنا أبو أحمد قول أبي هفان ◦ فان تسألني عنا فانا حلى العلاء * ثم قال
 ليس لقوله * فانا حلى العلاء * نظير ، وأنشدنا له :

لعمري لئن بيعت في دار غربية ثيابي^(١) إذ ضاقت على الماء كل
 فما أنا إلا السيف يأكل جفنه له حلية من نفسه وهو عاقل
 وقد زاد في هذا البيت على النمر بن تولب في قوله وهو أول من أتى بهذا المعنى :
 فان تك أموابي تمزق عن بلي فاني كمثل السيف في خلق الغمد
 ولا أبي هفان أيضاً :

تعجبت دُرُّ من شبيبي فقلت لها لاتعجبي من بياض الصبح في الصدف
 وزادها عجبا أن رحت في سَمَل^(٢) ومادرت دُرُّ أن الدرَّ في الصدف
 فرأيت في هذا المعنى تكلفا فقلت :

عيرتني ان رحت في سَمَلٍ والدرُّ لا تزي به الصدف
 وله أيضا في هذا المعنى :

يُعيرني عربي رجالٌ سفاهةً فمزيتُ نفسي مصدراً ثم موردا
 بأني مثل السيف أحسن ما يرى وأهيب ما يُلقى إذا هو جُرْدا
 في ألفاظه فضول لا يحتاج إليها . ومثله في المعنى قول علي بن الجهم أورده
 في مصراع وهو * والسيف أهيب ما يرى مسلولاً *
 ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام :

قل لزهير إن شتمت سراتنا فلسنا بثمامين للمشتم
 ولكننا نأبي الظلام ونعتصى بكل رقيق الشفرتين مصمصم
 ونجهل أدينا ويحلم رأينا ونشتم بالأفعال لا بالتكلم
 هذا أحسن من كل شيء في الافتخار ، وقريب من هذا المعنى قول

(١) في النسخ « ثيابي إذا » . (٢) سمل الثوب سمولا : أخلق فهو ثوب سمل .

لقيط بن زرارة :

أغرکمُ أنى بأحسنِ شيمَةٍ بصيرٌ وأنى بالفواحشِ أخرق
وانك قد سايبتنا فغلبتنا هنيئاً مريئاً أنت بالفحشِ أحق
أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال يروى أنه قيل
للفرزق أى بيت قالته الشعراء أفخر ؟ قال قول امرئ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى مَعيشة كفانى ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكننى أسعى لمجدٍ مُؤثِّلٍ وقد يدرك المجدَ المؤثِّلَ أمثالى
قيل له فأيهما أحكم قال قوله :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به والبرُّ خيرُ حَقِيبةِ الرجل
قال فأيهما أرق قال قوله :

وما ذرفت عينك إلا لتضربى بسهميكِ فى أعشارِ قلبٍ مقتل
قال فأيهما أحسن قال قوله :

كان قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالى
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول كعب بن مالك الأنصارى :

ويبترُ بدرٍ اذ يَرُدُّ وجوهكم جبريلٌ تحتَ لوائنا ومحمد
ومن بليغ^(١) الافتخار قول الحجاج :

صبرت سليمٌ للطعانِ وطامرٌ واذا جَزينا لم نجد من يصبرُ
نحن الذين اذا علوا لم يضجروا يومَ اللقاءِ واذا علوا لم يفخروا
وقال ضمرة بن ضمرة :

أذيق الصديقَ رأفتي واحاطتى وقد يشتكى منى العداةُ الأبعادُ
وذى تِرّةٍ أوجمتهُ وسبقته فقصر عنى سَعِيهٌ وهو جاهدُ
(قصر وهو جاهد) بليغ جداً ، ومنه أخذ المحدثون .

(١) فى نسخة (ومن أبلغ) .

ومن جيد الافتحار بالجوهر وطيب النفس به قول بعض العرب :

تَسألُنِي هُوَازِنُ أَيْنَ مَالِي وَمَالِي غَيْرَ مَا نَفَقْتُ مَالٌ
فَقَلْتُ لَهَا هُوَازِنُ إِنَّ مَالِي أَضْرَّ بِهِ الْمَلَمَاتُ الثَّقَالُ
أَضْرَبُهُ نَعَمٌ وَنَعَمٌ قَدِيمًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَالٍ وَبَالٌ
المعنى حسن جداً ، وفي الألفاظ تكرير شائن .

أبلغ ما افتخر به في كثرة العدد قول الأول :

مَا تَطَلَعُ الشَّمْسُ إِلَّا عِنْدَ أَوْلَانَا وَلَا تَغِيبُ إِلَّا عِنْدَ آخِرِنَا
وقول أبي جندب :

فَلَوْ زَادَ أَلْفَ أَلْفٍ لَمْ يَزِدْ وَلَوْ فَقَدْنَا مِثْلَهُمْ لَمْ نَفْتَقِدْ
وهو من أبيات أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن عمه
عن أبيه عن ابن الكلبي ، وأخبرنا به غيره فأوردنا أجود اللفظين وأصح الروايتين
قال بلغني أن عبدالرحمن بن حسان كان يخبر عن أبيه قال خرجت حاجا في الجاهلية
فاذا أنا بشاب حسن العينين وضيء وبشيخ يسأله قال فسبه الفتى ثم ان الشيخ
غيره بأن أمه من بنى الأصغر فخرى الفتى فبلغ ذلك أمه فأقبلت ترقل ارقال الناقة
الصعبة حتى أخذت بمنكبى الشيخ وهزته وقالت :

سَأَلْتُ وَخَلَلْتُ فِي إِيَادِ بْنِ مَعَدٍّ هَلْ كَانَتْ الرُّومُ عِبِيدًا لِأَحَدٍ
هَمُّ الرِّبْعِ وَالسَّنَامِ الْمُعْتَمِدِ وَالذَّرْوَةُ الْعَلِيَاءِ وَالرَّكْنُ الْأَشَدُّ
وَأَنْتَ حَرَمِيٌّ لَثِيمٌ الْمُسْتَنْدِ عَصَارَةُ اللُّؤْمِ الَّتِي فِيهَا تَلْدُ

فسألت عن الشيخ فقيل المغيرة بن عبد الله المخزومي وسألت عن الشاب فقيل
ورقة بن نوفل ، ثم مررت من فوري حتى آتيت منى فاذا رجل على جبل عظيم لا يمر
بقوم إلا هجأهم لأنه مر بالأسوس والخزرج فهجأهم لاهجوته فنظر إلى قباب بيض
في شرقي الجبل فقال لمن هذه فقيل لقرن بن تميم من هذيل فأما وقال :

هَلْ هَهُنَا مِنْ وَلَدِ قَرْدٍ مِنْ أَحَدٍ أَعْطَاهُمْ مِنْ رَجْزِي الْيَوْمَ وَغَدٍ

نفرج أبو جندب وهو يقول :

نعم غلامٌ منهمُ جلد عند
بنفرن من وقع المعصى والتدند
واين هذيل وابن أشياخ معد
فلو نزاد ألف ألف لم نزد
فارجع إلى معزك نيساً ذاجيد
أوفى على رأس بقاع فصخد
قال خلفت أنى لا أهجو أحداً مادام أبو جندب حياً .

والعرب تفتخر بكثرة العدد وتذم قلته قال الأخطل * الا كثيرين حصي
والاطيبين ثرى * واحتج السموأل لقلة العدد فأحسن :

تُعبِرُنَا أنا قليلٌ عديدنا فقلت لها إن الكرام قليلٌ
وما قلٌّ من كانت بقاياها مثلنا شبابٌ تسمى للعلا وكهولٌ
وما ضَرَرْنَا أنا قليلٌ وجارنا عزيزٌ وجارُ الاكثرين ذليلٌ
وهذه قصيدة في الافتخار ليس لها نظير وإنما تركت إيرادها كلها شهرتها .
ومن أجود ما افتخر به محدث قول أبي تمام :

لنا جَوْهَرٌ لو خالطَ الأرض أصبحت
مقاماتنا وقفٌ على الحليم والحجا
إذا زينةُ الدنيا من المالِ أعرضت
ليفتخر بجود من أرادَ فانه
جرى حاتمٌ في حلبة منه لو جرى
فتى ذخر الدنيا أناس ولم يزل
ومنها : كجاة إذا طل الكجاة لدى الوغى
بنجيل لزيد الخليل فيها فوارسٌ
طوى بطنها الآساد حتى لوانه
وبطنانها منه وظهرانها تبرٌ
وأمردنا كهلٌ وأشيبنا حبرٌ
فأزبنٌ منها عندنا الحمد والشكر
عوانٌ لهذا الخلق وهو لنا بكرٌ
بها القطرُ يوماً قيلَ أيهما القطر
لها باذلاً فانظر لمن بقى الذخر
وأرماحهم مُحرٌ وألوانهم صفرٌ
إذا نطقوا في مسهب خرس الدهر
بدالك ماشككت في أنه ظهر

صبيته ما أن تحدثُ نفسها
فإن ذمَّتِ الأعداءُ سوءَ صباحها
مساع يضل الشعر في طرق وصفها
وقوله: مضوا وكان المكرمات لديهم
بهايل لو عاينتَ قبضَ أكَفهم
وأى يد في المجدِ مُدَّتْ فلم تكن
أصارت لهم أرضَ المدوِّ قطائما
إذا ما أغاروا فاحتوا مالَ معشر
فيعطى الذى يمطهم الجود والقنا
يمدون بالبيض القواطع أديا
وهنَّ سواء والسيوف القواطع

وقلما نجد في الافتخار شعراً يدانى هاتين القطعتين . وقلت :

خليلي باعُ الدهر بالعرف ضيقُ
على كل ذى عقل وبالنكر واسعُ
وواقع نعماء عن الحرِّ طائرُ
وطائر بلواه على الحر واقعُ
متى ما يصبني بالقوارع طرفهُ
وهما مثل للخطوب جوابُ
تريك اشتعالاً بالنجوم طولعاً
وتزرى على البيض الطوالع انمضت
تخاقتى الأيام فهى تخبىتى
ولو كن في عيني لما قذيت بها
أطلعُ منها في ديارى طولعُ
يقارعُ منى بأسلاً ذا حفيظة
فتى بأتمَّ الفضل ليس بقانع
فما صحبته للأنام صنيعهُ
وبصحبهم منه وفيه صنائعُ
وهنَّ إذا لاحت نجوم طوالع
وهن على العلات يبيضُ قواطعُ
وللنكس تهديدُ إذا رجع رائع
فكيف ترى أنى إذا صلت خاشع
بسوء وهما على طلائع
يقومُ ازاء النضر حين يُقارع
ولكن بأذى بُلغة العيش قانع
وبصحبهم منه وفيه صنائعُ

ولم يتواضع في مصاداة منة
له شرف في آل ساسان باذخ^{كم}
إلى أن قلت: تؤدُّ به الأيام حين تضره
وما ضاع مثلي حيث حلت ركابه^م
ومثلي مخضوع له غير أنه
ومثلي متبوع على كل حالة

وقال ديك الجن^(١) يفتخر بكلب:

كلب قبيلي وكلب خير من ولدت
وعبرتنا وما ان طل^م را؟
غلاة مونة والاشراك^م مكتهل^م
ان تعبسى لدم منا هريق^م بها
أقعد وقم طالماً ان لو تطوقها
أقام حصن عليهم حصن مكرمة
إذا غدت خيلهم تستنجد المطى؟
كم عرضوا أيدياً بيضاً مكرمة^م
أسد برون الردى المفضى بأنفسهم

وقال الجاني:

ونحن سننا الصبر في كل موطن
وقال: بنا يستشار العز عن مستقره
وحطت مساعينا على حطط الفخر
وعن سخطنا تدنى ألوف المتالف

وقال ابن المعتز:

فقرى فتى وشبابي كهل^م و كل^م فضل لي عليه فضل^م

أشكى لجودي حين يشكى البخل

(١) هو عبد السلام بن رغبان الكلبي، من الشعراء المحبدين في العصر العباسي.

وقرأت لقابوس بن وشمكير^(١) الخليلي^(٢) رسالة في الافتخار والعتاب ليس لها نظير في علوها وإفراطها وهي : الانسان خلق أوفى وطبع عطوفا فلا بال الاصبهذ لا يجهل عوده ولا يرحى عوده ولا يخال لغيته مخيلة ولا ينحال عن تنكره مخيلة أمن صخر تدمر قلبه فليس يلينه العتاب أم من الحديد جانبه فلا يميله الاعتاب أخلق^(٣) من صفاقة الدهر حجير^(٤) بنوه فقد بنا عليه غرب كل حجاج أو من قساوته إباء مزاج آبائه فقد أبى على كل علاج ما هذا الاختيار الذي يمد الوهم فهما وهذا التمييز الذي يحسب الجهل علما وهذا الرأي الذي يزين له قبح العقوق ويمقت اليه رعاية الحقوق وما هذا الاعراض الذي صار ضربة لازب والنسيان الذي أنساهم كل واجب أين الطبع الذي هو للصدور صدود وللأنف أوف ودود وأين الخلق الذي هو في وجه الدنيا البشرو في مبسمها الثنايا الغر وأين الحياء الذي يجلي به الكرم وتحلى بمحاسنه الشيم كيف يزهد فيمن ملك عنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده ينتظر أمره ليمثل ويرتقب نهيه ليعتزل وكيف بهجر من تضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له في الاتقياد كبعض خدمه إذا رأت منه هاشاة أعشبت وان أحست منه بجفوة أجدبت وكيف يستغنى عن خيله العزمات والأوهام وأنصاره الليالي والأيام من هرب منه أدركه بمكائدها ومن طلبه وجدته في مراصدها وكيف يعرض عن تعرض رفاهة العيش باعراضه وتنقبض الأرزاق بانقباضه وأضاء نجم الاقبال إذا أقبل وأهل هلال المجد إذا تهلل وكيف يزهى على من تحقر في عينه الدنيا وترى تحتها السماء العليا وقد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الجبك فتبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب واستجارت بعزته المجرة وآثرت لمحاسنه أوضاع الثريا بل كيف يهون من لو شاء عقد الهواء وجسم الهباء وفصل ترا كيب الاشياء وألف بين النار والماء وأخذ ضياء الشمس والقمر وكفاهما عناء السير

(١) في النسخ (وشمكير) . (٢) لعله (الجيلي) . وقابوس هو الملقب بشمس

المعالي الأمير الأديب المنشي . (٣) لعلها مقحمة (٤) في نسخه « مجن » .

والسفر وسد مناخر الرياح الزعازع وأطبق أجفان البروق اللوامع وقطع أسنة
الرعود بسيف الوعيد ونظم صوب الغمام نظم الفريد ورفع عن الأرض سطوة
الزلازل وقضى ما يراه على القضاء النازل وعرض الشيطان بمعرض الانسان وكحل
الميون بصور الغيلان وأنتت العشب على البحار وأبس الليل ضوء النهار أو لم يعلم
أن مهاجرة من هذه قدرته ضلال ومنايذة من هذه صورته خيال وأن من له هذه
المعجزات يشتري رضاه بالنفس والحياة ومن يأتي بهذه الآيات ينتفى هواء
بالصوم والصلاة ومن لم يتعلق منه بحبل كان بهيما لا شية به ومن لم يأو منه الى ظل
ظليل ظل صريحا لأعصمة له ولم لا يسترد عازب الرأي فيعلم أنه مالم يعاود الصلاة
مأفون ويستعيد غائب الفكر فيفهم أنه ان أقام على الفرقة مغبون أظنه يقدر أن
الاستغناء عنى هو الغناء والغنى ولا يظن أن الالتواء على هو البلاء والبلى ويخال
أنه مكتف بماله وعرضه ومتمزز بسمائه وأرضه ولا يشعر أنى كل لبعض وطول في
عرض وأن قوة الجناح بالقوادم دون الخوافى وعمل الرماح بالأسنة دون العوالي،
ليس إلحاحى على سيدى مستعيدا وصاله ومستصلحا بالالحاف خصاله وعدى عليه
هذه العجائب لاستنائه من جانب الى جانب لا فى يمن يرغب فى راغب عن وصلته
أو ينزع الى نازع عن خلته أو مؤئل حالا عند من ينحت أنثته^(١) ومقبل يوده على من
لا يجعله قبلته فأنى لو علمت أن الأرض لا تسف تراب قدمى لما وضعت عليها
جانبا وان السماء لا تتوق الى تقبيل هامتى لما رفعت اليها طرفا ولكنى أكره أن
يعرى نحره من قلادة الحمد ويجنب جنبه ا كليل المجد وبطل وجه الوفاء بقبضه
على يده مسود اور كن الاخاء بفته فى عضده منهدا ولا يعجبني أن يكسوه ضوء مكارمه
كف الخمول وبأذن لطوالمعاليه بالا قول فان فضل سيدى الخود على الوجود والهدم
على الوجود ونزل من شامخ الى خفض ومن حالى الى دحض وجاهر بهجره وأصر على
ضرمه ومال إلى الملل ولم يصل نار الوصال حلت عنه معقود خنصرى وشغل عن الشغل به

(١) سقط من النسخ « أسلته » .

خاطري بل محوت ذكره من صفحة فؤادي وأعددت وده فيما سال به الوادي :
وفي الناس ان رمت جبالك واصل^١ وفي الارض عن دار القلي متحول
وفي بعض الفاظ هذه الرسالة تكلف إلا اني أوردتها لعلو معانيها .

وقال بعضهم :

ومن يفتقر منا يسأل^٢ حسامه^٣ ومن يفتقر من سائر الناس يسأل^٤

وقال ابن المعتز^(١) :

سألتك يا الله ما تعلم انتي ولا تكلمت شيئاً فعندك خبري

أأرفع نيران القرى لعفاتها وأصبر يوم الروغ في ثغرة الثغر

وأسأل نيلاً لا يجاد^٥ بمثله فيفتح^٦ بشري ويختمه عذري

ويارب يوم ما تواري نجومه مددت إلى المظلوم فيه يد النصر

وقال : وقمت الى القوم الصفايا بمنصلي فصيرتها مجدداً لقومي وأحسابا

وأنشدنا أبو القاسم عن العمدى عن أبي جعفر لعبد العزيز بن زرارة^(٢) :

قد عشت في الدهر أطواراً على طرقي شتى فصادفت فيه اللين والقطعا

لا يملأ الأمر^٧ صدري قبل موقعه ولا يضيق^٨ به ذرعى إذا وقعا

كلاً لبست فلا النماء^٩ تبطرنى ولا تخشعت^{١٠} من لأوائها جزعا

وسألني بعض أدباء البصرة فقال ما أدل بيت على عقل صاحبه وحزمه ؟ فقلت

قول الأقبيل القيني :

إذا لم أجد^{١١} بداً من الأمر^{١٢} خلتني كأن^{١٣} الذي يأبى على^{١٤} يسير^{١٥}

فقال ما عدوت ما في نفسي . ومثله قول أبي النشاش :

على أي شيء يصعب الأمر^{١٦} قد ترى^{١٧} بعينك ان لا بد^{١٨} أنك راسبه

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ، أولع بالشعر

ونبع فيه ، قتل سنة ٢٩٦ . (٢) هو القائد الشجاع في زمن معاوية ، قتل

في إحدى وقائع القسطنطينية فلما بلغ معاوية قال : هلك والله فتى العرب .

وفي أفاظ هذا البيت زيادة . وقلت في معناه :

علامَ تَسْتَصْعَبُ الْأُمُورَ لِأَنِّي مِنْهُ بُدَا
بَادِرٌ وَخَسِلٌ الْهَوِينَا وَجِدًّا كَيْمَا تَجِيدَا
فَلَنْ تَلْفَاقِي جِدًّا حَتَّى تَلْفَاقِي كِدَا

ومن بليغ الافتخار بذلاقة اللسان قول جرير :

وليس لسيفي في العظام بقيةٌ ولا لسيف أسوي وقعه من لسانيا
وهي من قول حسان * * * * * ويبلغ ما لا يبلغُ السيفُ مذودي * * *
وقلت : ولي لسانٌ إذا أطلقته عرضاً سعى مساعيَ ضرغامٍ وثمان
وقد نمتني أنجادٌ جحاجةٌ من نجل ساسان ترهونجل ساسان
هم الكواكب في أطرافِ داجيةٍ أو العنان على أتباج أعنانِ
قومٌ إذا ما أتوا بالسوء ما اعتدروا ولا يمتنون إن منوا باحسانِ
وقلت : من يكن صائلاً بمثل لساني لم يضره أن لم يصل بسنان

وأخبرنا أبو القاسم عن المقدى عن أبي جعفر عن المدائني قال قلت لرجل من
جذام وأكثرت من وصف ملوك الحيرة : لو كان هؤلاء الأنصار لم ترد فقال لئن
كان هؤلاء القوم نصروا الدين لقد نصر أولئك الكرم ولئن كان هؤلاء خصوا
بالإسلام لقد خص أولئك بالانعام ولئن حاز هؤلاء شرف اليوم وغداً لقد سبق لأولئك
شرف هو باق على الأبد ولو علا فعل هؤلاء على الهواء لجارت مكارم أولئك أعنان
السماء ومن يقرب بالبلد الخراب البياب بلداً نحل به السحاب في كل مقدي وما أب .

ومن جيد الافتخار قول مبشرين هذيل الشمخي :

ألم تعلمي يا عمرك الله أني كريمة على حين الكرام قليل
واني لا أخزي إذا قيل ممسقٌ جوادٌ وأخزي أن يقال بنخيل
فان لم يكن عظمي طوبلاً فاني له بالخصال الصالحات وصول
وإن أك قصداً في الرجال فاني إذا حل أمرٌ ساحتني لجليل

إذا كنت في قوم طوال فضلتهم
 ولا خير في طول الجسوم وعرضها
 ولم أر كالمعروف أمّا مذاقه
 وقلت : غنّى غنى نفسى ومالى قناعى
 وغرى إسلامى وذخرى أمانتى
 ولى عزمات كالسيوف قواضيا
 وتفشى صدور النائبات صدورها
 ألا لا يذمّ الدهر من كان عاجزاً
 فن لم تبلغه المعالى نفسه
 ولا أعرف فى افتخار الجاهلية أجود ولا أبلغ من قول عمرو بن كلثوم^(١) :
 ونحن الخا كون إذا اطعنا
 ونحن التار كون لما سخطنا
 ونحن العانفون إذا عصينا
 ونحن الآخنون لما رضينا

وقد أحسن ابراهيم بن العباس فى قوله :

إمّا ترينى أمام القوم متبعاً
 يوما أنيخ فلا أدعى على نسب
 لا تسأل القوم عن حى صحبتهم
 وقال : أميل مع الذمام على ابن عمى
 أفرق بين معروفى وبنى
 فاما تلقى حراً مطاماً
 فقد أرى من وراء^(٢) الخليل أتبع
 واستبيح فلا أبقي ولا أدع
 ماذا صنعت وماذا أهله صنعوا
 وأقضى للصدى على الشقيق
 وأجمع بين مالى والحقوق
 فانك واجدى عبد الصديق
 وهذا من قول الأول :

(١) فى الأصل « عمرو بن أم كلثوم » و « أم » مقحمة . وهو صاحب
 المعلقة المشهورة ، كان سيد تغلب وفارسها وشاعرها وخطيبها ، مات قبل الاسلام
 بنحو نصف قرن . (٢) فى الأصل « ورأى » .

وإني لعبدُ الضيفِ مادامَ ناويا وما فيَّ إلا ذاك من شيمة العبدِ
وقال الآخر * وعبد للصحابة غير عبد *

وسمعت بعض الشيوخ يقول أبلغ شيء قيل في الافتخار قول الآخر :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخافُ عليكم أن أغضباً

قوله * أخاف عليكم أن أغضب * بليغ في الوعيد وفي دلائل القدرة
على ما يسوؤهم ، قال أبو هلال هو لجرير فهدد فيه بالهجوم ولو كان لمن يتمكن من القتل
والاسرو والنكابة لكان أفخر بيت قيل . وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن
عبد الرحمن عن عمه قال ذكر أعرابي قوما فقال : ما نالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا
وطئناه بأخامص أقدامنا وإن أقصى مناهم لأدنى فعالنا . وقال أبو دلف العجلي :

وكن على الدهر فارساً بطلاً فأنما الدهر فارسٌ بطلٌ

لأبدٍ للخيل إن تحولَ بنا وانحلَّ أرحامنا التي نصلُّ

فمرةً باللجين ننقلها ومرةً بالدماء تنتقل

حتى ترى الموت تحت رايتنا تطفأ نيرانها وتشتعل

{ الباب الثالث من الباب الأول في التهاني }

لم تكن من الاقسام التي كانت العرب تصوغ فيها شعراً وإنما كانت أقسام
الشعر في الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمرأى حتى زاد
النابعة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين
بلغ مبالغه فيه إلا البحترى فانه قد أجاد القول في صنوفه وأحسن وأبلغ ولم ينثر
لاحد مزيداً حتى قال بعضهم هو في هذا النوع النابغة الثاني . ولا أعرف للعرب

شيئاً ينسب^(١) الى التهانى ومهما جاء عنهم من شكلها شيء فهو عند العلماء معدود
في جملة المديح مثل قول أبى الصلت الثقفى يذكر سيف بن ذى يزن واتيانه بالفرس
ومحاربه بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه وهو قوله بعد ذكر الفرس :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان دار منك محلالاً
تلك المكارم لاقعبان من ابن شيبث بماء فعادت بعد أبو الـ^(٢)

أخذه بعض شعراء الجبل فقال في بعض رؤسائه :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في شاذ مهروءع غمدان اليمين

فأنت أولى بتاج الملك تقصده من هوزة بن على وابن ذى يزن

ولست أختار من التهانى بالأعياد على أبيات أشجع شيئاً :

لازات مبشر أعياد وتطويها تمضى بها لك أيام وتثنيها

مستقبلاً غرة^(٣) الدنيا وبهجتها أيامها لك نظم في لياليها

العيد والعيد والأيام بينهما موصولة لك لاتقى وتغنيها

ولانقضت بك الدنيا ولا برحت تطوى بك الدهر أياماً وتطويها

ليهنك النصر والأيام مقبلة اليك بالفتح معقود نواصيها

أمست هرقة تدمي من جوانبها وناصر الملك والاسلام مدميها

إن الخليفة سيف لا يجردة إلا الذى يملك الدنيا وما فيها

مقارع الدين والدنيا عدوها بمثل هارون راعيته وراعيا

وقلت : ما لليالى والأيام منقبة غراء تسمو بها إلا مساعيك

ربى يبيحك مانهوى على فرح كما يلقيك مانهوى ويعليك

لألف فصل لهذا الفصل تبلغه باليمن والخير تبايه وينميها

ولا تزال لك الأيام موطاة تمضى قضاياك منها فى أمانيك

(١) فى الاصل « ينسب » . (٢) فى الاصل « شيبابماء فعاد ابعداً أبو الـ » .

(٣) فى النسخ « غرة » .

ووجدت بخط أبي أحمد من أجود ما قيل في التهنئة بالنوروز قول هارون بن
عليّ بن لعل بن محمد الحواري :

عليّ إذا الجودِ والمعالى يامعدنّ الانعامِ والافضال
يامن به نيّطتُ عُرى الآمالِ فحكم الآمالِ في الاموالِ
جودٌ بلا منٍّ ولا اعتلالِ مبتدأ يُغنى عن السؤالِ
قابله النوروزُ بالاقبالِ ونِعَمٌ تأتي على اتصالِ
مخروسة مأمونة الزوالِ شبهك في تصرفِ الاحوالِ
فليس لهُ أزهرُ ذو اشتعالِ كأنه وجهك في الجمالِ
وصبحهُ بالمالِ ذو انهمالِ يحكى ندَى كفكذالِ اسبِالِ

جری بماء و جرت بمال

ومنها : قولٌ غدا يوفى على الأقوالِ كمثل ما توفي على الرجالِ
فاشبههُ الأجوادُ بالبخالِ وعدت^(١) مسروراً رضى البالِ
في نعمةٍ ضافيةٍ الاذبالِ بمرزٍ ذى العزةِ والجلالِ
وأخبرني بعض اصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر إلى إسماعيل بن
بليلى : أنا وإن كنت في عدد الحشم والاتباع الذين يخرجون من تفضيل
الخاصة ويرتفعون عن الدخول في جملة العامة فاني في وسط القلادة منهم
وبمساكن من نظام نعمتك التي تجرهم وهذا يوم من أيام الموك السادة الذين لم
تزل تجرى لهم السنة^(٢) على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتابهم بالاهداء اليهم
وقبول ما أهدوه منهم ليعرف مكان التشريف في مرتبته من مكان المنحط عن منزلته
وموضع النعم من المنعم عليه في التقدم بقبول ما يهديه اليه وكل يهدي على قدر
بضاعته ورتبته ومقداره في نفسه وهمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالكه
وما يحويه ملكه وتبأغه مقدرته وكرهت أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة

(١) في النسخ « عدت » بدون واو (٢) في النسخ مهملة من النقط .

العبيد والحشم وأهدى ما يقصر عن الواجب اللازم والحق المفترض فجعلت هبتي مع
الثقة بعذرك والاعتماد على تفضيلك وصفحك أبايتا اقتصرت فيها على الدعاء لك
والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالاجابة فيك كما قرن مدحى لك بالتصديق فقلت:

أبا الصقرِ لازالت من الله نعمةٌ تجددُها الأيام عندك والدهرُ
ولازالت الأعيادُ تمضى وتُنقضى وتبقى لنا أيامك الغررُ الزهرُ
فانك للنيا جمالٌ وزينةٌ وإنك للأحرارِ ذخْرٌ هو الذخرُ
رأيت الهدايا كلها دون قدره وليس شيء عند مقداره قدر
فلا فضلَ إلا وهو من فضل جوده ولا يرُّ إلا دونهُ ذلك البرُّ
فأهديتُ من حلى المديحِ جواهرًا منصلةً يزهي بها النظمُ والنثرُ
مدائح تبقى بعد ما نفذ الدهر وتبهي بها الأيام ما اتصل العمرُ
شكرتُ لاسماعيلِ حُسنَ بلائه وأفضل ما تجزي به النعمُ الشكرُ

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن هفان قال دخلت
على سعيد بن حميد في يوم نيروز وهو مستعد يكتب إلى اخوانه فقرأت عليه
كتابك وشعرك إلى أبي الصقر - يعنى الكتاب والشعر الذى تقدم - فكتب وأنا
حاضر إلى الحسن بن مخلد : أيها السيد النجيب عشت أطول الأعمار في زيادة
من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لانقضى حق نعمة حتى تتجدد لك أخرى
ولا يمرُّ بك يوم إلا كن موفياً على ما قبله مقصراً عما بعده قد تصفحت أحوال
الاتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة في هذا اليوم والتمست التأسى بهم في
الاهداء اليك وان قصرت الحال عن الواجب لك فرأيتنى ان أهديت نفسى فهى
لك لاحظ فيها لغيرك ورميت بطرفى إلى كرائم مالى فوجدتها منك فكنت ان
أهديت شيئاً كهدى مالك اليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقتضى نفسه
بشكرك وفرغت إلى مودتى وشكرى فوجدتهما لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين
وانى ان جعلتهما هديتى لم أجدد لهذا اليوم برأ ولا لطفاً ولم أقس منزلة شكرى بمنزلة

من نعمتك إلا كان الشكر مقصراً عن الحق والنعمة زائدة على ما لم تبلغه الطاقة ولم أسلك^(١) سبيلاً ألتبس بها ما اعتد به في مجازاتك الاوجدت فضلك قد سبقني اليها فقدم لك الحق وأحرز لك سبق فجمعت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية اليك تفي بما يجب لك والعذر في العجز عن برك برا أتوصل به اليك :

ان أهد نفسي فهو مالكها وله أصون كرائم الذخر
او أهد مالا فهو واهبه وأنا الحقيق عليه بالشكر
أو أهد شكري فهو مرتين^٢ بجميل فملك آخر الدهر
والشمس تستغنى إذا طلعت أن تستضيء بسنة البدر

ثم قرأه على فقلت أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبي طاهر هذه المعاني بأعيانها قال والساعة عملتها وليس بيننا حشمة . ولا أعرف لهاتين الرسالتين في هذا الباب نظير آفي رقة معانيها وحسن تخريجها ، ورسالة سعيد بن حميداً أكثرهما معاني . وأول من افتتح المكتبة في التهانى بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سفظ ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه وكتب معها هذا يوم جرت فيه العادة بألطف العبيد السادة وقد قلت :

على العبد حق^٣ فهو لاشك فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله^٤ وإن كان عنه ذاغى فهو قابله
ولو كان يهدى للقليل بقدره تقصر عمل البحر عنك وناهله
ولكننا نهدي إلى من نجله^٥ وإن لم يكن في وسعنا ما يشا كله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعاني وكتب إلى ابن صالح بن يزيداد : النفس لك والمسال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف اليك فما عسانا أن نهدي لك في هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة للاتباع الأولياء باهدائهم إلى السادة العظماء وكرهنا أن تحليه من سننه^(٢) فنكون من المقصرين أو ندعى أن

(١) في الاصل «أسالك» . (٢) في النسخ مهملة من النقط .

في وسعنا ما يفي بحقك علينا فنكون من الكاذبين فاقصرنا على هدية
تقضى بعض الحق وتقوم عندك مقام أجمل البر وهي الثناء الجميل والدعاء الحسن
فقلت : لازلت أيتها السيد الكريم دائم السرور والعطية في أتم العافية وأعلى منازل
الكرامة تمر بك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فتخلقها وأنت جديد .

فأول كلامه مأخوذ من قول المعلى بن أيوب لله منتم : النفس لأمر المؤمنين
والمال منه وليس فيما أوجبه الحق تقيصة ولا على أحد فيه غضاضة ، وباقية من كلام
أحمد بن يوسف ، والدعاء الذي في آخره لعلى بن عبيدة الرياحي لم يزد سعيد بن
حميد فيه شيئاً .

وأحسن ما سمعت من الدعاء قول علي بن هرون بن يحيى المنجم : أمتع الله
الأمير بما خوله واستقبل به من العمر أسراً وأطوله وملاؤه من العز أمدّه
وأكمله وألبسه من الانعام أسبغه وأجزله ومهد له من العيش أرغده وأفضله وجمع
له من الخير آخره وأوله .

وللصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد فصول في النهاية قليلة النظر منها
ما كتب يهنيء بالوزارة : انا أهنيء أطال الله بقاء سيدي الوزارة بالقائها الى فضله
مقاداتها وبلوغها في ظله ارادتها وانحيازها الى ذراه واضحة المجد والفخر وتوشحها من
كفائته بغيره سائلة على وجه الدهر واشكر له حسن أثره عليها وعطفه حنان الفكر
اليها حتى قرت لديه قرارها وأنقبت يديه نهارها بعد أن هفا قلبها إشفاقاً من
استشراف أيادي النقص لها وخرج صدرها من تحدث احلاس الجهل بها ولاغرو
فهي وليدة ذراه قد آلت لا تخطت خطته وعاهدت لا برحت ساحته فالحمد لله الذي
أقر عين الفضل ووطأ مهاد المجد وترك الحساد يثرون في ذبول الخيبة ويتسقطون
في فصول الحسرة حمداً يديم أيام مولانا ويطيل بقاءه ويحرس عزه وينصر لواءه
فقد شرح صدور المجالس وشد ظهور المحامد بتفويض الصدر الى ولينه بحقن قديم
وحديث وبفضلين مكتسب وموروث .

وكتب : الاستاذ الربيع الذي يتصل مطره من حيث يؤمن ضرره ويدوم زهره من حيث يتعجل ثمره لازالت الايام مسعودة بقرعها الى انقاده وتقديره والازمان محسودة بأحيازها الى امضائه وتدييره فما اكتسى الدهر حلة أبهى من حصول عنايه في يديه ومشوله من جملة العبيد لديه لازال أمراً ناهياً سامياً عالياً تنهياً الاعباد بمصادفة سلطانه وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه .

وكتب : الأستاذ عبيد الزمان وربيع الأيام وهذا الفضل الجامع لأحكام الفضل معتز اليه معتز بما لديه ففيه متشبه بكفه واعتداله مضاه نخلقه وزهره مواز لنشوره وان تسعد به سعادات لا يبلغ حدها ولا يحصر عدداً وهو أطال الله بقاءه يحظر المهاداة بما يحضر ما خلا الكتب التي لا يرفع عنها كبير ولا يمتنع منها خطير لازال جنابه موروداً بالعلم ومتحملاً عنه بالغنم .

ومثله ما كتب : قد أقبل النوروز إلى الأستاذ ناشراً حله التي استعارها من شيمته ومبدياً حليه التي أخذها من سجيته ومستصحباً من أنواره ما اكتسبه من محاسن أيامه ومن أمطاره ما اقتبسه من جوده وانعامه مؤكداً الوعد بطول بقائه حتى يتحلى العمر ويستغرق الدهر ويستكمل من الرتب أعلاها ويحل من المنازل أسماها ويرى السادة الفتيان قد افتقروا سعيه واقتفوا هديه وأسعده سعادة تستوفي معها الهمة وما ترتقى اليه والامل وما يشرف عليه .

وكتب : أما بعد تهنأ سيدي الموهبة التي ساقها اليه ومدرواها عليه إذ كانت من عقائل المواهب مسفرة عن خصائص المراتب وكيف لا تكون كذلك وقد صدرت عن مالك الأرض وولي البسط والقبض ومصرف الثقلين ومدير الخاقين أدام الله سلطانه وأبد أعوانه مكنوفة بكرم رأيه وشرف اختصاصه واجتباؤه وخطبتها عناية مولانا الأمير أدام الله أيامه ونصر أعلامه وحلت من سيدي محل الايجاب والاستيجاب والاستحقاق دون الاتفاق فرفه الله مبامن أغزر شريعة بأشرف ذريعة وأبرع فضيلة حصلها بأرفع وسيلة .

وكتب في فصل له يهنئ فيه عضد الدولة وقبوله له ابنان توأمان: وصل كتاب
 الأمير بالبشرى التي أبت النعمة بها أن تقع مفردة وامتنعت العارفة فيها أن
 تسنح موحدة حتى تيسرت منحتان في موطن وانتظمت موهبتان في قرن
 وطلع من النجيين أبي القاسم وأبي كالنجار أدام الله عزهما طالعا ملك ونجما
 سعد وشهابا عز وكوكبا مجد فتأهلت بهما رباع المحاسن ووطنت لهما أكناف
 المكارم واستشرفت اليهما صدور الاسرة والمنابر ، وفهمته وشكرت الله تعالى
 شكر من نادى الآمال فأجابته مكبة ودعا الاماني فأجابته مصحبة وحمدته
 حمداً مكافئاً جسيم ما أتاح وعظيم ما أفاد واكتنفتني من السرور ما فسح منهاج
 الغبطة وسهل موارد وسعت ماورد اتساعه شرحت صدور الأولياء بمسارها وأزججت
 قلوب الاعداء عن مقارها وسألت الله اتهام ما أدناه من الاميرين السيدين من
 سعادة لا يهتدى اليها الاختيار علوا ولا ترتقي اليها الافكار سموا وسلطان تضيق
 البحار عن اتساعه وتنخفض الافلاك عن ارتفاعه وتبليهما^(١) أفضل ما تقسمه السعود
 وتعلوبه الجلود حتى يستغرقا مع السابقين أخويهما مساعي الفضل ويشيدا قواعد
 الفخر ويرحما صروف الدهر ويغبطا أطراف الأرض وهو تعالى قريب مجيب .
 وله تهنئة بتجدد رتبة : وصل كتاب الاستاذ من الحضرة البهية يشير أن
 أنسها الله وحرسها بذكر ما لقيه كرم مولانا وورقاه اليه من مراتب تشریف لانكامل
 القرائح لاقتراحها واستدعائها ولا تنسج الخواطر لالتماسها واقتضائها فحمدت الله
 ولي الحمد والشكر وأخذت بالخط من قوة القلب وانسراح الصدر وسأته أن يطيل
 بقاء مولانا في العز الراهن والسلطان القاطن ويعرف الاستاذ بركة ما درعه من
 شرف لا يرحل مقيم ولا يتحيف عميمه انه فعال لما يريد .

وكتب في تهنئة بالسلامة من الفرق : لولا ان الله تعالى عز اسمه حماني عن
 سماع المسكروه إلا في ضمان المحبوب حتى تقدم نبأ التبشير ذكر السبب المحذور لما

(١) هذه الكلمة غير منقوطة في النسخ .

وجدت في التماسك به بصيرة ولا من ترك التهالك ذخيرة إلا أن لطف الله وعطفه
عجلاً إلى خبر البشرية فانتفت الروعة قبل استقرارها وانتقلت الوحشة قبل
استمرارها فتلقيت جميل صنع الله بالحمد لله رب العالمين أفضل ما قبلت به النعم
وشكرت الرغائب والقسم .

وللبحترى تهنئة للمتوكل يبلوغ المعترى يقول فيها :

يا كاليء الاسلام في غفلاته ومقيم نهجي حجه وجهاده
بهنيك في المعترى بشرى بينت فينا فضيلة هديه ورشاده
قد أدرك الحلم الذي أبدى لنا عن حلمه ووقاره وسداده
ومبارك ميلاد ملكك مخبر بقرب عهد كان من ميلاده
تمت لنا النماء فيك ممتعا (١) بملو همته وورى زناده
وبقيت حتى تستضيء برأيه وترى الكهول الشيب من أولاده
وقلت في تهنئة بمولود :

قد زادني عدد الكرام كريم محض صريح في الكرام ضميم
على المحلة لا يزال كأنه للعز قرن والسماك نديم
فلامره التتميم (٢) كيف نصرفت حالاته ولشأنه التفخيم
فابشر فقد وافاك يوم رزقه حظاً بتخليد السرور زعيم
فرع تكفل دهره بنائه حتى بكر الدهر وهو أروم
إن الهلال يصير مدة كاملاً ويهد سد الليل وهو بهيم
وهو الوجيه إذا تبدى وجهه وغداً إذا نزل العظيم عظيم
وجه كتنووير الرياض وتحتنه خلق لمحسود الرياح وخيم
فلا هله شرف به متوطد ولديهم شرف أشم عميم
فاقرر به عيناً فان خلاله تصفو وتلسس أو يقال نسيم

(١) في ديوان البحترى « تمت لك النماء فيه ممتعا » : (٢) في الاصل مهملة .

ولحده التصميم حين تلاحقت أقرانه وإشاده التقديم
ومن أعجب ماجاء في التهئة والتعزية قول عبد الملك بن صالح : أخبرنا أبو
أحمد عن الصولي قال قيل للرشيدي ان عبد الملك بن صالح يُعِدُّ كلامه فأنكر الرشيدي
ذلك وقال بل هو طبع فيه حتى جلس يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل قل له :
ولد لأمير المؤمنين في هذه الليلة ابن ومات له ابن ففعل الفضل ذلك فدنا عبد الملك
فقال : يا أمير المؤمنين سر ك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدة بواحدة
ثواب الشاكر وأجر الصابر . فقال الرشيدي : أهذا الذي زعموا أنه يصنع الكلام
مارأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة . وقلت في تهئة بمولود :

فاستقبل الخيرَ في نحيب	عما يعيبُ الوري نزيه
شمسُ نهارٍ وبدرُ ليلٍ	يملكُ أبصارَ ناظره
يملاها ^(١) بهجة إذا ما	كشفَ عن وجهه الوجيه
رُزقه كاملاً سويّاً	تكثرُ علات عائبه
جنى لذيد المذاق حلوً	يقربُ من كفِّ مجتنيه
وعن قليلٍ بصيرُ شهما	يشقى به جد كاشحيه
ألا ففش في ضمانِ خيرٍ	حتى ترى الشيبَ من بينه

وقلت في تهئة باملاك :

تحكى لك الاملاكُ عما تحبه	فانك قد فصلت بالتبر جوهرا
فصيرتهُ للدهرِ عقداً مفصلاً	وطيرتهُ في الأفق نَشراً مُعطرا
هو اليمينُ لم يدمك محبوباً دنت	ومكروهة شطت وصعباً تيسرا

ومن عجائب المعاني تهئة لأبي اسحق الصابي مشوبة بالعقد^(٢) لرجل زوج أمه:
قد جمالك الله وله الحمد من أهل التحصيل والرأى الأصيل وخلوص اليقين فكما
انك لا تتبع الشهوة في محظور تحله فكذلك لا تطيع الأنفة في مباح تحظره ويأوى

(١) في الأصل « بملاذها بهجة » . (٢) في الأصل « بالعقرية » .

الينا من ايقاعك العمد بين الوالدة - نفس الله لها في مدتك وأحسن بالبقية منها
 امتاعك - وبين فلان ما علمنا أنك فيه بين طاعة الديانة توخيها ومشقة فيها تجسمتها
 وانك قد جدعت أنف الغيرة لها وأضرعت خد الحمية فيها وأسخطت نفسك
 بارضاها وعصيت هواك لرأيها فنحن نعزيك على فائت مرادك ونسأل الله الخيرة
 لك وان يجعلها أبداً معك فيما شئت وأتيت وتجنبت وأتيت والسلام . قال الشيخ
 أبو هلال رحمه الله تعالى جدعت أنف الغيرة من قول رسول الله ﷺ وقد رأى
 علياً وفاطمة عليهما السلام في بيت فرد عليهما الباب وقال «جدع الخلال أنف الغيرة» .
 وهنا بعضهم بخروج اللحية وهو أبو نصر بن هبة الله : الحمد لله الذي له
 عند خلقه في الأحوال التي يتصرفون فيها والطبقات التي ينتقلون بينها والمراتب
 التي يندرجون عليها لطائف من حكمه وفوائده من نعمه توافق مصالحهم وتطابق
 حوائجهم في تصاريف نشوهم الطفولية والابغاع والشبية والاجتماع والبلوغ
 والاكتمال والانتهاج والسكال وجعل لكل واحد منهم في كل حد من الحدود
 وسنن من الاسنان قدراً من الاسر والقوة وصنعاً من اللون والصورة ومسافة في
 السعي والهمة وغاية في الطلب والبغية يكون به قوام عيشه وسداد أمره محطوطاً
 من الاضطراب بزيادة في بعض ذلك يُعطاها قبل بلوغ أدواته متمتهاها يناقص سائر
 وينافي نظائره فيفتح بالزيادة في الزوائد صورته ويظهر بالنقصان في الناقص آفته
 حتى اذا تعالى في المراتب أمد النهاية وتوافقت اليه أقسامه في الكفاية كمل الله
 احسانه اليه وأتم إنعامه عليه ولله المنة والفضل وبه القوة والحول ، الحمد لله الذي
 كساك باللحية حلة الوقار ورداك بها رداء الابرار وصانك عن ميسم الصبا ومطامع
 أهل الهوى ماجلك من الهيبة البهية وأبسك من لباس ذوى اللب والروية وألحقك
 في متصرفاتك بمن يستقل بنفسه ساعياً ويستغنى عن بصحبه حافظاً وجعلك بما جعل
 من صورتك وكل من ادانك وآلتك قرناً لمن جاذبك وخصماً لمن نازعك ونفى
 عنك ذلة الاحتقار من أهل المراتب والاحطار تستوى معهم في المجالس الحافلة

وتجربى مجرام في المشاهد الجامعة منه وعاء قولك اذا قلت مصنى لك اذا نطقت
 آمناً من انصراف الأَبصار عنك لقرب ولادك ونبو الاستماع من حديثك لقلة
 الثقة بسدادك وجارياً مجرى جملة الرجال على الحملة الى أن تكشف مخابرك بالمنحة
 وتعطى المهابة من الذاعر العادى ومن السبع الضارى إذا اتفق لكما مقام يخلو فيه
 كل واحد منك من رفق يمدده وناصر يؤيده يملكه الاشفاق من صاحبه ويقطعه
 من مواليه اليه من ترك ابقائه في السطوة عليه ولو كان عارياً من هذه الكسوة الشريفة
 والحلية النفيسة لسبقت اليه بالازدراء الأعين وبالاستصغار القلوب والألسن وبالطمع
 أصناف الحيوان من البهيمة والانسان ثم لا يحسن من نفسه قوة على الدفع عنها ولا من
 حريمه قدرة على ما يدهاها منها وتلك نعمة من الله جبارك بمزيتها في جمال غشاك وكمال
 أتاك فليصدق بها اعترافك وشكرك وليحسن ثناؤك ونشرك قضاء لحق الله عليك
 واستدراً للمزيد في احسانه إليك .

وكتب صاحب تهنة بتزوج أم وتعزية بموت أب : الأيام أطال الله بقاءك تجرى
 على أنحاء مختلفة وشعب متفرقة وأحكامها تتفاوت بيننا بما يسوءه ويسر وينفع ويضر وبلغنى
 من نفوذ قضاء الله في شيخك رحمه الله تعالى ما أزعجنى وأبهم طرق السلوة دونى وان كان من
 خلفك غير خارج عن رؤية الاحياء ولا حاصل في زمرة الأموات والله بأسو كلمك
 ويسد ثملك وقد فعل ذلك بأن أتاح الله لك بعد أيك أباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنواً
 وإيثاراً لك وبراً وقد لممرى وفقت حين وصلت بجبلك جبله وأسكنت الكبيرة حرسها
 الله ظلله ثلاثاً تقدم من الماضى عفا الله عنه إلا شخصه فالحمد لله الذى أرشدك لما يعيد الشمل
 مجتمعا بعد فراقه والعدد موفوراً بعد انتقاصه حمداً يقضى لك بالمسرة ويحسم دونك
 مواد الوحشة ويكفيك ثواب ما قضيت من الحق وتحملته فيه من الارق انه فعال لما يريد .
 وكتب تهنة بقدم : قد جدد الله وله الحمد جمال الدنيا وضاعف بهاها
 وزادها محاسن ترفل في حلها وتبخت في حليها واكتنفها بيمين يمرع جنابها
 ويفتح بالخيرات أبوابها ما استأنف جل اسمه من النعمة الشاملة والمنة الكاملة في

تقريب ركب مولانا أطال الله بقاءه وكتب أعداءه وكتب حساده وزادهم رغباً
بزيادته تعالى إياه نعماً لا يرحل مقيمها ولا يتحيف عميمها ما اختلف العصران وتماقب
النيران واستقبل به في وفدته ما يتقاد له أقصر الاسار ويحتوى عليه أربعة غايات
الاختيار بمنه وجوده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يبلغ نداءه ولا ينفصل أخراه من أولاه حتى يستغرق نعمه
ويستوفي فواضله وقسمه وأنى ذلك وهي متطرفة إلى غير غاية ومدودة إلى غير نهاية
لا يتخطى إلى شكر بعضها إلا بتجدد أمثاله من جملتها وترادف نظائره من جماعتها
والحمد لله الذى أعطى كثيراً وقبل من الشكر قليلاً وأوجب به مزيداً والصلاة
على نبيه محمد وآله وسلم كثيراً وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(كتاب المبالغة)

في أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم
والحزم والعقل وما يجرى مع ذلك وهو :

(الباب الثانى من كتاب ديوان المعانى)

صممت الشيوخ رحمهم الله تعالى بقولون أجود بيت قائمه العرب قول مسلم
ابن الوليد^(١) :

(١) هو الملقب بصريع الغواني، نادب في الكوفة وعظم شأنه في الشعر، مات بمرجان .

يجودُ بالنفس إن صَنَّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود
 وأول من جاء بهذا المعنى علقمة بن عبدة: ^(١)
 تجودُ بنفس لا يجادُ بمثلها فانتَ بها يومَ اللقاءِ خصيب
 وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني من جاد بنفسه عند اللقاء وبماله
 عند العطاء فقد جاد بنفسيه كليهما . وقال اعرابي : من جاد بماله فقد جاد بنفسه
 وإن لا يكن جاد بها فقد جاد بقوامها . وقال علي بن الجهم ^(٢) :

طلبت هديةً لك باحتيالي على ما كان من حسي ونسي
 فلما لم أجد شيئاً نفسيّاً يكونُ هديةً أهديتُ نفسي
 وكتب العباس بن حرب إلى بعض الأمراء وأهدى إليه هدية : لا أعلم
 بمنزلة توحشه من الأمير أعزه الله ولا توحشه مني أنا موقر من بلائه وفي الطاعة
 له كيد وفي المودة له كنفسه وفي الخاصة كأحد أهله وإنما أطفئه من ماله وقد
 بعثت إليه ما يصلح ليومه وأهديت له نفسي التي هي لبذنته وخدمته . وقال أبو تمام :
 ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجادَ بها فليتيق الله سائله
 وقد أنكر خلف بن خليفة اهداء النفس : قدم أخ له من سفر فاقترضه خلف
 اهدية فقال أهديت نفسي فقال خلف :

أنا أخٌ من غيبةٍ كان غابها وكنتُ إذا ما غابَ أنشدَهُ الركبَا
 فقلتُ له هل جئتنا بهديةً فقال بنفسى قلتُ أنحف ^(٣)
 هي النفسُ لا أمسى عليها إذا نأت ولا أتمنى ما حبيتُ لها قُربَا
 إذا هي وافت من ثمانينَ قامَةً فلا السهلَ أقمها الآه ولا الرجبا

(١) هو علقمة الفحل من بني تميم ، شاعر جاهلي ، كان معاصراً لأمري القيس .

(٢) كان معاصراً لأبي تمام ، نشأ بغيره وخص بالمتوكل العباسي ، ثم غضب

عليه فنفاه إلى خراسان ، ورحل إلى حلب فقتل فيها (٣) كذا في النسخ

ولعله سقط «بها التراباً» أو نحوه ولم نجد لها في الأغاني ولا الخزانة .

وقالوا قول مروان بن أبي حفصة ^(١) كأنه حين يعطى المال يغتمه * أجود
من قول زهير * كأنك معطيه الذي أنت سائله * لأن الغنيمة ^(٢) حلاوة
ليست للعطية . وأجود ما قيل عندي قول أبي العتاهية ^(٣) :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا الحسن بن الحسين الأزدي حدثنا محمد
ابن حبيب ، وعن الصولي أيضاً عن إبراهيم ، بن المعلی عن ابن حبيب قال
قال أبو العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
إن الساحةَ لم تزل معقولةً حتى حلتَ براحتيكِ عقالها
وإذا الملوكُ تسيرت في بلدةٍ كانوا كواكبها وكنف هلالها
فلم يشبه فقال :

هزنتك هزّة سيف المحلى فلما ان ضربت بك اثنت
فهبها مدحة ذهب صياغاً كذبت عليك فيها وافترت

فلما قرأ العباس الأبيات غضب وقال والله لأجهدن في حنفة قال فر أبو
العتاهية باسحق بن العباس فقال له اسحق أنشدني شيئاً من شعرك فأنشده :
ألا أيها الطالبُ المستغيثُ بمن لا يفيدُ ولا يرفدُ
الا تسأل الله من فضله فان عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤال ردّ وأحشاؤه تُرعد
كأنك من خشية السؤال في عينه الحية الاسود

(١) من شعراء العصر العباسي ، اشتهر بمدح المهدي ، ومعن بن زائدة ،
وهارون الرشيد ، توفي سنة ١٨١ (٢) في النسخ «الغنيمة» .

(٣) هو اسماعيل بن القاسم : اشتهر بالشعر ومذاهب الفلاسفة ،
ويغلب على شعره الزهد .

ففرَّ إلى الله من أُوهمهم فأنى أرى الناس قد أصلدوا
 وإنى أرى الناس قد أبرقوا بلؤمِ الفعالِ وقد أرعدوا
 ثم مضى فقيل لاسحق ما هذا الشعر إلا فى أيبك فقال اسحق أولى له أن
 عرض نفسه وأحوج أبى العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقعدته . ومثل قوله
 * كذبت عليك فيها وافتريت * قول على بن جبلة وقال له أبو دلف أن
 تحسن أن تمدح ولا تحسن أن تهجو فقال الهدم أيسر من البناء ثم قال :
 أبو دلف كالطبل يذهب صوتهُ وباطنه خلوهُ من الخير أخربُ
 أبا دلف يا أ كذبَ الناسِ كلهم سواى فأنى فى مديحك أ كذبُ
 وأخذ البحترى قوله * كانوا كوا كبتها وكنت هلالها * فقال فى المتوكل :
 اذاغبتَ عن أرضٍ ويمتَ غيرها فقد غابَ عنها شمسها وهلالها
 غدت بك آفاقُ البلادِ خصيبةً وهل تمحلُ الدنيا وأنتَ ثمالها (١)
 فأما قوله : كأنك من خشية السؤال فى عينه الحيسة الأسود
 فمن قول بعض العرب :

من دون سيبك وجه ليل مظلم وحفيفُ نافحة وكلب موسد
 وأخوك محتملُ عليك ضغينة وخسيفُ قومك لانم لا يحمدُ
 والضيفُ عندك مثل أسودٍ ساج لا بل أحبهما اليك الأسود
 ومن جيد ما جاء فى خلاف ذلك من الحث على الانفاق ومجانبة الامساك

قول ديك الجن :

قالوا السلامُ عليكِ بأطلال قلتُ السلامُ على الحجيلِ محال
 عاج الشقى مراده دمن البلى ومرادُ عيني قلة وحبجالُ
 لا نادمن (٢) البراج وهي زلال ولا طرقن البيت فيه عزال
 ولا تركزن حليها وبقلبه حرقٌ وحشوءُ فواده بكبال

(١) فى الأصل « ثمارها » . (٢) فى الأصل (لاغاد من) .

وليشفين^(١) حيي فم^١ وحنى يد
 ماذا الغنى والبخل مالك من غنى
 أطلق يدك فان بين يدك ما
 قد تسلم الأوكال^١ وهي مواكل
 ورجال هذى الناثبات وان رأوا
 وقلت : ماذا يسرك من مال تجمعه^١
 ولم يكن لك مال^١ يوم تكسبه^١
 تحب^١ من أجله الدنيا وتورثها
 سترته عن عيون الناس كلهم
 ان لم تبكر اليه في نوائبه
 وقد أحسن القائل :

إذا أعجبتك خصال^١ امرىء
 فليس على الجود^١ والمكرمات
 هو المال ان أنت لم تخترب
 أباح لك الدهر^١ ما يخربك
 وإذا كان أفضل الجود ما كان مع الحاجة على حسب ما مدح الله تعالى به الانصار
 فقال (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) وأجود ما قيل
 قول عروة بن الورد^(٢) :

فلا تشتنى يا ابن^١ ورد فأنى
 تعود^١ على مالي الحقوق العوائد^١
 ومن يؤثر الحق^١ النؤوب^١ يكن به
 خصاصة^١ جسم وهو طيان ماجد
 وقال عبد الملك بن مروان ما وردت ان أحداً من العرب ولدني لإفانيل
 هذه الأبيات .

(١) في الأصل (ولابشني) . (٢) هو شاعر جاهلي كان فارساً جواداً ، قال
 عبد الملك بن مروان : من قال ان حاتمًا أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد .

ومن جيد ما قيل في الايثار على النفس قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتبه
عبيد الله بن سليمان حين ولي الوزارة :

أبي دهرنا اسعافنا في نفوسنا فأسعفنا فيمن نُحِبُّ ونُكْرِمُ
فقلت له نعماك فيهم آتيا ودَعَّ أمرنا ان المهمَّ المقدم
وهذا غاية لانه جعل أمر الممدوح أهم له من نفسه واصلاح شأنه .

ومن جيد ما قيل في جود على قوم دون قوم قول البحترى :
سحابٌ عداني جودُهُ وهو هامرٌ وبحرٌ خطاني فيضه وهو مفعم
وبرقٌ أضاء الأرضَ شرقاً ومغرباً وموضعٌ رجلى منه أسودٌ مظلمٌ
ومن أجود ما قيل في كبر الهمة قول بعض العرب :

لَهُ هِمٌّ لَا مُتَهَيِّ لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الصَّغْرَى أَجْلٌ مِنَ الدَّهْرِ
له راحةٌ لو أن معشارَ جودها على البرِّ كان البرُّ أندى من البحر
أخذه المتنبي فقال وقصر :

تجمعت في فؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداها

وموضع التقصير فيه أن الأول جعل همته الصغرى أجل من الدهر وجعل المتنبي
احدى هممه ملء فؤاد الزمان فاذا كانت ملء فؤاده فليس بأجل منها .

ومما يذكّر في وصف كبر الهمة أن سيف بن ذي يزن دخل على كسرى فتطأطأ
في طاق رفيع من طيقان قصره وجلس فدفعت اليه مخدة فجعلها على رأسه وكسرى
يرمقه فلما سأل سيف حاجته قيل له ان الملك قد رأى منك خلتين عجيبتين وضع
المخدة على رأسك وإنما أعطيتها لتجلس عليها وتطأطؤك في الطاق الرفيع فقال اما
المخدة فرأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم موضع عندي وأما تطأطؤي في
الطاق الكبير فان همتي أكبر منه . فاستحسن كلامه وضم اليه جيشاً أزاح بهم
الجبشة عن بلده .

ومن بليغ ما قيل في كبر الهمة قول علي بن محمد البصري :

قلبي نظيرُ الجبلِ الصعبِ وهمتي أكبرُ من قلبي
 فاستخر اللهَ وخذ مُرهفاً وافتك بأهل الشرقِ والغربِ
 ولا تمت ان حضرت ميتةً حتى تميتَ السيفَ بالضربِ
 ومن المذكور في ذلك قول أبي تمام :

رأى ابن دهرٍ عرقاً في خيلهِ أعلم منه بجدهاءِ أهلهِ (١)
 قد لعبت أيدى النوى بشملهِ متمماً مضطماً بحملهِ
 مُنصلاً كالسيفِ عند سلهِ مولودةً همتُهُ من قبلهِ
 قد دانَ ذو الفضلِ له بفضلِهِ كالصابِ من يذقه لا يستحلهِ
 إلا بأن يسكن تحت ظلهِ

وقال : همةٌ تنطحُ النجومَ وجدُّ ألف للحضيضِ فهو حضيضُ
 أبلغ ما قيل في يمن النقيية (٢) قول الاعشى :

ولو رحت في ظلمةٍ قادحاً حصاةً ينبع لأوربت نارا
 الحصاة مع النبع لا تورى قال فانت من يمن تقيتكَ لو قدحت بهما لأوربت .
 وقال بعض الأعراب :

يذكرني سعداً دطاءً بالقرى لو أشرف القومُ على أرضِ العدى
 واختلطَ الليلُ بألوانِ الحصى وأرسلوا سعداً الى الماءِ سرى
 من غير دلو ورشاءٍ لاستقى

وهو بليغ في هذا المعنى جداً : وقلت :

ليس للعين وراه شاوه الى العلى والمكرماتِ مطرح
 قد شح بالعرض وجاد باللهي فحوى المجد بما جاد وشح
 فاذا هم بأمرٍ ناله فسواءُ جدٌ فيه أو مزح

(١) في الأصل « أهله »

(٢) النقيية : النفس ، يقال فلان ميمون النقيية إذا كان مبارك النفس .

وقلت : إذا ما بدت فبنا عطاياهُ عقبته وكم بادىء المزن غير معقب
ولما يفرره تغلب دهره فقلت لعلّ الدهر لم يتقلب
ويدنو له المطلوب حتى كأنما كواكب ضوء الصبح في كل مطلب
أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه قول بعضهم :

سأشكرُ عمراً إن تراخت منيتي أبادى لم تُمنن وإن هي جلت
فتى غير مفراح إذا الخيرُ مسهُ ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زلت
رأى خلتى من حيث يُخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

قوله « قذى عينيه » لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام لأن الانسان إذا
قذبت عينه صرف الهمّة إلى نقذتها من غير اشتغال بشيء غيرها وهو على قوله « من
حيث يخفى مكانها » أبلغ لأنه يدل على تفقد شديد وعناية تامة .

ومما هو في هذه الطريقة قول أمية بن أبي الصلت :

إذا ليلةً نابتك بالشكوى لم أبت لشكواك إلا ساهراً أتعملُ
كأنى أنا المطروقُ دونك بالذى طُرقت به دونى فعينى تهمل
وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول عباس بن مرداس السلمى ^(١) :

أشدُّ على الكتيبة لا أبالى أحتفى كان فيها أم سواها

قالوا أربعة من الشجعان تبين دلائل الجبن في شعر ثلاثة منهم فن الثلاثة
عنتره ^(٢) في قوله :

فاذا شربتُ فانى مستهلكٌ مالى وعرضى وافرٌ لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى

(١) هو الشاعر الفارس كان سيداً في قومه أدرك الجاهلية والاسلام وأسلم قبل

الفتح وكان ممن ذم الخمر في الجاهلية .

(٢) هو عنتره بن شداد العبسى من شعراء الطبقة الأولى كان حليماً على

شدة بطشه اجتمع بامرئ القيس ، وقصته المشهورة خيالية لم يعرف واضعها .

وخليل غانية تركتُ مجندلاً تمكو قريسته كشدق الاعلم
 هلاً سألت الخليل بابنة مالك إن كنت جاهلة بما لا تعلمي
 يخبرك من شهد الواقعة أني أخشى الوغى وأعف عند المنعم
 ومدجج كره السكاة نزاله لا ممن هرباً ولا مستسلم
 سبقت بداي له بما جل طعنة ليس الكريم على القنا بمحرم^(١)
 نبئت عمراً غير شاكر نعمتي والكفر مخيلة لنفس المنعم
 ثم قال: إذ يتقون بي الاسنة لم أحرم عنها ولكني تضايق مقدمي

قالوا فدل على أنه وقف ولم يقدم واعتذر بتضايق المقدم . وكان عنزة هجيناً أمة
 أمة فاستعبده أبوه . وهذه كانت العرب عاداتها في الهجناء فكان يرعى ثم اتخذ
 سلاحاً وصنع مهراً فأغارت طيء على عيس فسيبوا أهله وجيرانه فركب مهراً وانبع
 القوم ثم جنبهم حتى أتى من أمهم فما زال يطعن في أعين القوم حتى ردوا عليه
 أباه وأمه ثم عمه وابنته عبلة ثم قال لا انصرف بأهلي وأترك جيرانى فكر عليهم فقتل
 منهم أربعين فردوا عليه جيرانه وكان يقول له أبوه وعمه كر فيقول لا يحسن العبد
 السكر وإنما يحسن الخلب والصر يقرعهم بذلك إذ كانوا قد استعبدوه فاستلحقه
 أبوه يومئذ وزوجه عمه عبلة ابنته وكان عنزة يسمى الفلحاء وكانت أمه حبشية
 تسمى زبيبة وقال النبي **ﷺ** « ما سمعتُ بأعرابي فاشتبهتُ أن أراه إلا عنزة » .
 والآخر قول عمرو بن معد يكرب^(٢) في قوله :

ولقد أجمعُ رجلى بها حذر الموتِ وإني لفرور
 ولقد أعطفها كلرهة حيناً للنفس من الموت هرير
 كل ماء لك مني خلق وبكل أنا في الروح جدير
 فقال « وإني لفرور » وقال بعض أهل الأدب إنما هو « لفرور » بالثقاف

(١) روى « ورشاش نافذة كلون العندم » .

(٢) هو فارس اليمع ، صاحب الغارات المشهورة .

لأن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار سيما باللفظ البليغ من فرور . وليس كذلك لأن قوله « كل ما ذلك مني خلق » على أنه ذكر حال فرار وحال ثبات لحال الثبات قوله « ولقد أجمع رجلى بها » والحال الأخرى حال للفرار إذا كان ذلك أحزم ولو ذكرنا حالا واحدة لم يحسن أن يقول كل ماء لك مني خلق وإنما دل على اصالته وعقله في ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة إنما ذلك هوج والشجاعة أن يتقدم وغالب ظنه أن يظفر فاما أنه اذا علم أنه اذا أقدم هلك ثم أقدم فان ذلك جنون لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهاك وإنما الشأن في أن يمدغب إقدامه وفي قريب من ذلك قوله :
فجاشت إلى النفس أول مرة فرودت على مكروها فاستقرت

فما جاشت نفسه إلا وجبن ، ولو وصف عمرو هذه الأشياء من نفسه قيل إنه ممن يصدق عن نفسه ، على أنه ربما كذب الكذبة الصلحاء روى لنا أبو أحمد عن العيشمى عن المبرد وعن غيره قال وقف عمرو بن معدى كرب وخالد بن الصمقب الهندي في جماعة بالكناسة يتحدثون فقال عمرو أغرنا مرة على بنى نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصمقب فحماة عليه فطعنته فأردبته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد حلاً أبا ثور فان قتيلك هو المحدث فقال عمرو يا هذا إذا حدثت بمحدث فاسمع فانما زهب هؤلاء المعدي . مسترعفين أى متقدمين ، وقوله حلاً أبا ثور أى قل ان شاء الله ويقال حلف ولم يتحلل أى لم يستثن .

ويروى عن العرب كذب كثير فمن ذلك ما يزعمون أنهم يرون الجن ويكلمون الغيلان والسعالى حتى زعم تأبط شرا انه طلب نكاح السعلاة في قوله :
وادمم حبيبت^(١) حلبابه فياجارتا أنت مأهولا
فطالبتها بضمها فانثت بوجه تهول واستغولا

(١) في النسخ زيادة (قد) قبل (حبيبت) .

وكنت إذا ما هممتُ اعترزمت وأخرى إذا قلتُ أن أفعلًا

وقال آخر :

أخو قفرات حالفَ الجنَّ وانقى من الانسِ حتى ما تقضت رسائله
له نسبُ الأنسى يعرفُ نخله وللجنِّ منسهُ خلقه وشبائله

وقال عبيد بن أيوب :

فلاه درُّ الغولِ أي رفقته لصاحب قفرٍ خائفٍ متقفر

وكان كثير من شعرائهم يدعى أن له شيطاناً يعلمه الشعر منهم الفرزدق كان
يكنى شيطانه أبا لبيني وذكر أنه ذهب الى جبل فناداه فجاء مثل الذباب فدخل
في حلقه فقال قصيدته التي أولها * عزفت بأعشاش وما كنت تعرف *
وقال أبو النجم :

وجدت كلَّ شاعرٍ من البشر شيطانه انثى وشيطاني ذكر

وزعموا أن عروة بن عتبة صرخ بقومه فأسمعهم من مسيرة ليلة . ورووا أن
لقمان بن عاد لما ضعف بصره كان يفصل بين أثر الذكر والانثى والذر إذا دب
على الصفا في الليلة الظلماء .

وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط قال هذه كذبة أشهد بها عليك .
وسأل الحجاج ^(١) قاصاً عن اسم بقرة بني اسرائيل قال حنثمة فقال له رجل
من أولاد أبي موسى الأشعري في أي كتاب وجدت هذا قال في كتاب عمرو بن
العاص . ودخل عبد الله بن الزبير يوماً على معاوية فقال اسمع أياناً قلتها :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدتهُ على طرفِ الهجرانِ إن كان يعقلُ

ويركبُ حدَّ السيفِ من أن تضيبهُ إذا لم يكن عن شفرةِ السيفِ مزحلُ

ثم دخل معن بن أوس المزني فأنشد * لعمر ك ما أدري وأناي لأوجلُ *
حتى صار إلى البيتين فقال معاوية ما هذا يا أبا بكر فقال أنا أصلحت المعاني وهو

(١) في الأصل « الحجاج بن حنثمة » .

ألف الكلام وهو بعد ابن ظئري وما قال من شيء فهو لي وكان عبد الله بن
الزبير مسترضعاً في مزينة :

والثالث عمرو بن الاطنابة (١) حيث يقول :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فزعم أن نفسه جشأت وجاشت وليس ذلك إلا من الجبن .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي حدثنا العتبي عن أبيه قال
دخل الحارث بن نوفل بابنه على معاوية فقال ما علمت ابنك؟ فقال القرآن والفرائض فقال
روه من فصيح الشعر فانه يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان ويدل على المروءة
والشجاعة ولقد رأيتني ليلة صيفين وما يحبسني إلا آيات عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

أبت لي عمتي وأبي بلائي وأخذني الحمد بالثمن الريح

واعطاني على المكروه مالي وضربي هامة الشيخ المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعدد عن عرض صحيح

بذي شطب كلون الملح صافٍ ونفس لا تفر على القبيح

قالوا والذي يدل على الشجاعة الخالصة قول العباس بن مرداس :

أشدُّ على المكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أو سواها

وهذا على مذهب من ذكرنا قبل هوج ، والذي يدل على أن التثبت والتأني

وسكون النفس من تمام الشجاعة قول بلقاء بن قيس :

وفارس في غمار الموت مُنغمس إذا تأتي على مكروهه صدقا

غشيتُهُ وهو في جأواء باسلة عضباً أصابَ سواءَ الرأسِ فانفلقا

بضربةٍ لم تكن منى مخالسةً ولا تعجلتها جيناً ولا فرقا

فذكر أن مخالسة الضرب من الجبن . وأحسن ما قيل في التقدم في الحرب قول زهير :

(١) الخرزجي المشهور .

ليث بعثر بصطادُ الرجالَ إذا ما الليثُ كذب عن أقرانه صدقا
 يطعنهم ما رتموا حتى إذا ظعنوا ضارب حتى إذا مضاربوا اعتنقا
 وصفه بالتقدم على كل حال . وقل أحد منهم لم يصف نفسه بالتأخر ، قال حصين
 ابن حمام^(١) :

تأخرتُ أستبق الحياةَ فلم أجد لنفسى حياةَ مثلَ أن أتقدما
 فلسنا على الاعقاب تدمى كلُّ منا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
 ذكر أنه تأخر ثم رأى أن التقدم أحرز لظفر يعيش به عزيزاً أو موت يموته شريفاً .
 وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن أبيه عن علي قال قال المهدي لابن داب
 أنشدني أحسن ما قيل في وصف الفتى الشجاع فأنشده للشماخ :

وأشعث قد قدَّ السفارُ قميصه بجر شواء بالعصا غير منضج
 دعوت إلى مانأبني فأجابني كريمٌ من الفتيان غير مزج^(٢)
 فتى بملا الشيزي^(٣) وبيروى سنانه ويضربُ في رأس الكمي المدجج
 فالتفت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي وقال هذه صفتك .

وقالوا أشجع بيت قاتله العرب قول كعب بن مالك :
 نصلُ السيوفِ إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها إذا لم تلحق
 ورأى بعض العرب سيقاً فقال ما أجوده لولا قصر فيه فقال صاحبه نصله
 بخطوة فقال الرجل تلك الخطوة أشد من مشيتي إلى الصين .
 وأبلغ ما قيل في سعة الخطو في الحزب قول أبي تمام :
 خطو ترى الصارمَ الهنديَّ منتصراً به من المارنِ الخطيَّ منتصفاً

(١) هو ابن ربيعة سيد بني سهم بن مرة من قيس وكان يقال له مانع الضميم ،
 يعد من أوفياء العرب ومن الشعراء المقلين ، ونقل في الأغاني أنه ادرك الإسلام .
 (٢) مزج كمعظم : الناقص والدون من كل شيء . (٣) الشيزي بالكسر
 خشب أسود للقصاص أو هو الأبنوس .

يقول لسعة الخطو ينتصف صاحب السيف من صاحب الرمح .

وقالوا أشجع ما قيل قول الشاعر :

أقولُ لنفسي لا يجادُ بمثلها أقلُّ شكوكاً إنني غيرُ مدبر

وأجود ما قيل في صدق اللقاء مع قلة العدد قول أبي تمام :

قلوا ولكنهم طابوا فأتجدم جيشٌ من الصبر لا يُحصى له عددٌ
إذا رأوا للمنايا عارضاً لبسوا من اليقين دُروراً ما لها زردٌ
نأى عن المصريح الأدنى فليس لهم إلا السيوفُ على أعدائهم مدد
وأجود ما قيل في وصف القتى الشجاع وصاحب الحرب من شعر المحدثين

قول مسلم بن الوليد في يزيد بن مزيد الشيباني :

لولا يزيد لأضحى الملكُ مضطرباً أو مائلَ الرأسِ أومسترخى الطولِ
حاط الخلالةَ سيفٌ من بنى مطر أقام قائمه من كلِّ ذا ميل
سدَّ الثغورَ يزيد بعد ما انفرجت بقائم السيف لا بالختل والحيل
موف على مهج في يوم ذى رهج كأنه أجلُّ يسى إلى أمل
ينالُ بالرفق ما بيعا الرجالُ به كلوتٍ مستعجلاً يأتي على مهل
يكسو السيوف نفوس^(١) الناكثين به ويجعل الهام^(٢) تيجان القنا الذبل
يفدو فتغدو المنايا في أسننه شوارعاً تتحدى الناس بالأجل
قد عودَ الطيرَ عاداتٍ وثقنَ بها فمن يتبعنه في كلِّ مر محل
إذا انتضى سيفه كانت مسالكه مسالك الموت في الأبدان والقلل
الزائديون قومٌ في رماحهم خوف الخيف وأمن الخائف الوجل
كبيرهم لا تقومُ الراسياتُ له حلاً وطفلهم في هدى مكتهل
إسلم يزيدُ فما في الملكِ من أودٍ إذا سلمت ولا في الدين من خلل

(١) في هامش نسخة « دماء » مكان « نفوس » إشارة لنسخة فيها كذلك .

وهي موافقة لما في ديوان مسلم . (٢) في النسخ « الهامة » .

وانغر فمالك في شيبان من مثل
 لله من هاشم في أرضه جبل
 وقوله : سل الخليفة سيقاً من بني مطر
 كالدهر لا ينثى عما بهم به
 تظلم المال والاعداء من يده
 إذا بدا رفع الاستار عن ملك
 تمضى المنايا لما تمضى أسنته
 وله أيضا :

يلقي المنيّة في أمثال عدتها كالسيل يقذف جلوداً بجلود
 كالليث بل مثله الليث الهصور إذا غنى الحديد غناء غير تفريد
 وقالوا أشجع بيت قاله محدث قول أبي تمام :

فما بلّ في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر
 وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه عليه الحفاط المرّ والخلق الوعر
 غدا غدوة والحمد نسج ردايه فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجر
 أخذ معنى البيت الأول من قول عوف بن قطن بقوله يوم الجمل :

لا أبغى للحدّ ولا أبغى الكفن من هاهنا محشر عوف بن قطن
 وأجود ما قيل في سكون الجأش في الحرب قول البحترى :

لقد كان ذلك الجأش جأش مسالم على أنّ ذلك الزى زى محارب
 تسرع حتى قال من شهد الوغى لقاء عداء^(١) أم لقاء حبايب
 وصاعقة في كفه ينكفي بها على أروس الاقران خمس سحائب

وهذا البيت أجود ما قيل في معناه جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب

سحائب تجود على مؤملين بغيتها وتقتل معاوية بصاعقتها .

(١) في النسخ « أعداء » والوزن لا يستقيم بها .

(أصدق بيت قاتله العرب) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء
قال قال الاصمعي أصدق بيت قاتله العرب وأحكمه قول الخطيئة :
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
وقال المحدث في معناه * ماضع عرف وان أوليته حبراً * وقال الافوه^(١) :
والخير ترزاد منه ما كفيت^(٢) به والشر بكفيت منه قلما زاد
وقيل خير من الخير فاعله وخير من الذهب معطيه ، وقال عبيد الله الابرصى :
الخير يبقى وان طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا عمر بن شبة حدثنا
محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا سفيان بن سعيد عن عبد الملك بن عمير
قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث بمحدث عن أبي هريرة قال قال رسول
الله ﷺ أصدق كلمة قاتتها العرب :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويبة تصفر منها الأنامل
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا أبو زيد حدثنا
أبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن
عثمان بن مظعون كان في جوار الوليد بن المغيرة وكان لا يؤذى كما يؤذى أصحابه
يعنى من المسلمين فسأل الوليد أن ينزل من جواره فبرىء منه فلما جلس مع القوم
ولبيد ينشدهم ألا كل شيء ما خلا الله باطل فقال عثمان صدقت ثم أنشد
لبيد رأس البيت وكل نعيم لا محالة زائل فقال عثمان كذبت فأسكت القوم
ولم يدروا ما أراد ثم أعاد ثانية فصدقه عثمان وكذبه لأن نعيم الآخرة لا يزول فقال
لبيد ما هكذا كانت مجالسكم فتزا رجل من قريش فلطم عين عثمان فأحضرت فقال

(١) هو صلاة بن عمرو الاودى أحد نخول شعراء الجاهلية وحكائها

وسادتها وفرسانها . (٢) وفي رواية « لقيت » .

له الوليد كنت في ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذي لقيت عينك غنيا
فقال بل كنت الى الذي لقيت فقيراً وعيني التي لم تلطم الى مثل ما لقيت صاحبها
فقيرة فقال ان شئت اجزتك ثانية فقال لا ارب لي في جوارك ، وأول هذه القصيدة :
ألا تسألان المرء ماذا يُحاولُ انحبُ فيقضى أم ضلالٌ وباطلُ
حبائلُهُ مبثوثةٌ بسبيله وبغنى إذا ما أخطأته الحبائلُ
إذا المرءُ أسرى ليلةً ظنَّ أنه قضى عملاً والمرءُ ما طاشَ عاملُ
وأجود من هذا سبكاً ورصفاً قول الصلتان :

فَرُوحٌ وَنَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ طَاشٍ لَا تَنْقُضِي
وأخبرنا أبو أحمد عن رحالة قال قيل لرجل سماه أنشدنا أصدق بيت قاله
العرب قال الناس يقولون كل امرئ في شأنه ساعي ، وأنا أقول :
كَأَنَّ مُقَلَّلاً حِينَ يَغْدُو لِحَاجَةٍ إِلَى كُلِّ مَنْ يَلْقَى مِنَ النَّاسِ مَذْنَبُ
وأصدق بيت قاله محدث قول البحري :

نصليكَ في الأَكْرَمَيْنِ فَأَمَّا بِسُودِ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُسْخَوُ وَيُشْجَعُ
زَرَعْتُ رَجَاءً فِي ذِرَاكَ مُبَكَّرًا وَجَلُّ حِصَادِ الْمَرْءِ مِنْ حَيْثُ يَزْرَعُ
أجود ما قيل في القناعة قول الشاعر :

إِذَا سُدَّ بَابُ عَنكَ مِنْ دُونَ حَاجَةٍ فَدَعَهَا لِأُخْرَى لَيْسَ لَكَ بِأُيْهَا
وَإِنْ قَرَابَ الْبَطْنِ يُغْنِيكَ مَلْؤُهُ وَبِكْفَيْكَ سِوَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :

يَوْمًا كَذَبَ الشُّهُو إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ
عَنِ الْعَذْبَةِ وَالْحَلْوِ فَكُلْ مَا شِئْتَ يَغْنِيكَ
عَنِ الْخَنَامِ فِي الذَّرْوِ وَطَافِئِ شِئْتَ يَغْنِيكَ
هُ نَيْلُ الشَّيْءِ لَمْ تَهْوِ فَكَمْ أَنَسَاكَ مَا تَهْوِ

وقال ابن هرمة :

إذا مطمَعٌ يوماً غزافي غزوتهُ
 كتائب ناس كرها واطرادها
 أمصّ نمادى والمياه كثيرة
 أعالج منها حضرها واكتدادها
 وأرضى بها من بحر آخر أنه
 هو الرأى ان ترضى النفوس نمادها
 وأبرع بيت قيل من قديم الشعر قول أبي ذؤيب :

والنفسُ رغبةٌ إذا رغبتُها
 وإذا تردُّ إلى قليلٍ تقنع
 وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

أنت محتاجٌ فقيرٌ أبداً
 دون ما ترضى بأذى مالك
 وذمَّ بعضهم القناعة فقال هي خلق البهيمة ، معناه أنها إذا وجدت أكلت
 وان لم تجد باتت على الخسف ليس لها محالة دون الانطواء على الجوع ولا تكبير
 دون الاقرار بالهزل كما قيل :

ولا يقيم على ضيمٍ يُرادُ به
 إلا الأذلَّان غير الحى والوتدُ
 هذا على الخسفِ مربوطٌ برمته
 وذا يُشجُّ فلا يرثى له أحدُ
 وإلى هذا المذهب ذهب على بن محمد في قوله :

إذا التئيمُ مطاً حاجبيه
 وذادَ عن حريمٍ درهميه
 فترك عنانَ البخلِ في يديه
 وقم إلى السيفِ ^(١) وشفرتيه
 واستنزل الرزقَ بمضربيه
 إن قعدَ الدهرُ فقم إليه
 وقلت : سأستعطفُ الأيامَ حتى تردنى
 إلى جانب منها يلينُ ويسهلُ ^(٢)
 وأقنعُ لا أن القناعة لى هوى
 ولكنَّ صونَ العرضِ بالحر أجمل
 وقال ديك الجن :

لاتقم للزمانِ في منزلِ الضيمِ
 ولا ترتبطك رقةُ حالِ
 وإذا خفتَ ان يراهقك المدُّ
 فعدْ بالثغفاتِ العوالى
 وأهن نفسك الكريمةَ للموتِ
 وقحم بها على الأهوالِ

(١) في الأصل « وقم بالسيف » . (٢) في الأصل « تلين وتسهل » .

فلمعري للموت أجملُ بالحرِّ من العيشِ ضارعاً للرجال
 أى ماءٍ يجولُ في وجهك الحرِّ إذا ما امتهنته بالسؤال
 ثم لا سيما وقد عصفَ الدهرُ بأهل الندى وأهل النوال
 فقليلٌ من الورى من تراه يُرتجى أن يصونَ عرضاً بمال
 وفي المعنى الأول ما أنشدنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أنشدنا أبو بكر بن
 دريد أنشدني أحمد بن المعدل^(١) لأخيه عبد الصمد^(٢) :

رأت عدى فاستراحت رحلى سبيلك إن سواها سبيلي
 يرجى اليسار لها بالقول لعلَّ المنية قبل القبول
 لعمر التي وعدتك الثراء بجدوى الصديق وبر الخليل
 لقد قذفت بك صعب المرام واستجمت لك غير الجميل
 ساقى العفان وأغى الكمال فليس غنى النفس جودُ الجزيل
 ولا أنصدي لشكر الجواد ولا استعدُّ لذمَّ البخيل
 وأعلمُ أن بنات الرجاء نحلُّ العزيز محلَّ الذليل
 وأن ليس مستغنياً بالكثير من ليسٍ مُستغنياً بالقليل
 قال أبو أحمد لو كان شعر عبد الصمد كله هكذا لرأيت به نبي الشعر. وقال البصير :

قلتُ لأهلى وراموا أن أميرهم بماء وجهى فلم أفلح ولم أكدر
 لا تجمعوا إن تهينوني وأكرمكم ولا تمدُّوا إلى نيل اللئام يدي
 تبلغوا وادفعوا الحاجات ما اندفعت ولا يكن همكم في يومكم لغد
 فربَّ ملتئمٍ مائسٍ يُدركه ومدركٌ مائسٍ غير مجتهد
 أبلغ ما قيل في مساعدة الرجل أخاه وأجوده قول دريد بن الصمة وقد أثار
 هو وأخوه عبد الله على نعم لقيس فاستاقوها فلما كانوا يبعض الطريق نزل عبد الله
 ليريح ويستريح ويقسم المال بين أصحابه فتهاه دريد فبينما هما كذلك رأوا غيرة

(١) في الأصل «ابن المعتزل». (٢) من شعراء العصر العباسي نشأ في البصرة.

فقالوا لرقبيهم ماترى قال خيلاً كالعقبان عليها فوارس كالصبيان فقال فزارة ولا بأس ثم رأوا غبرة أخرى فقالوا له ماترى قال خيلاً كأن قوائمها تنقلع من صخر قال تلك عبس والموت فلما خالطوهم قتل عبد الله فقال دريد :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا مضى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم أتى^(١) بهم غير مهتدى
وما أنا إلا من غزبة أن غوت غويت^١ وإن ترشد غزبة أرشد
وأسر دريد ثم نجا فغزاهم من قابل فقتل قاتل أخيه . ووجه المبالغة في هذا الكلام أنه أخبر بموافقة أخيه على علمه بأنها غي وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد كراهة الخروج من هواه وترك مطابقتها على رضاه . وقريب منه قول عمر بن أبي ربيعة وروى لغيره :

وذى ودٍ أملت^١ إليه نصحاً وكان لما أشير^١ به صميحاً
أطاف^١ بغيه ونهيت^١ عنها وقلت^١ تجنب^١ الأمر الفظليعاً
أردت^١ رشادَهُ جَهدي فلما عصى وأبى ركبناها جميعاً
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الحسن بن محمد المهرى عن التوزى :
تنخلت^١ آرائى وسقت^١ نصيحتى إلى غير طلق^١ للنصيح ولاهش^١
فلما أبى نصحى سلكت^١ سبيله^١ وأوسعت^١ من زور قول من غش^١
وقال آخر :

ألم تعلم^١ يا بنى رجاجة^١ أنى أغش^١ إذا ما للنصح^١ لم يُتقبل
ومن جيد ما قيل في النصيحة قول مخيس بن أرطاة :
عرضت^١ نصيحة^١ منى ليحى فقال غششتنى والنصح^١ مر^١
وما بى أن أكون^١ أعيب^١ يحيى ويحى طاهر^١ الاخلاق بر^١
ولكن قد أنانى أن^١ يحيى يُقال^١ عليه فى نقعاء شر^١

(١) فى النسخ « أو أنى غير » .

فقلت له تجنب كل شيء . يُقال عليك إن الحرَّ حرُّ
ومثل ما تقدم قول الشاعر أنشدناه أبو أحمد عن جماعة :
إن أخا الصدق الذي لن يخذعك ومن يضرُّ نفسه لينفعك
ومن إذا صرفَ زمان صدعك شدتَ شملَ نفسه ليجمعك
وإن غدوتَ ظالماً غدا معك

فسرّوه بكفك عن الظلم ، وليس كذلك لأن معنى الأبيات لا يقتضيه وإنما
أراد أنه يعاونك على الظلم على حسب مقال عمر بن أبي ربيعة « ركبناها جميعا »
وقال ابن ميادة في النصيحة :

نصحتك يارباحُ بأمرِ حزم فقلت هشيمةً من أهل نجد
نهيتك عن رجال من قريش على محبوبك الأَصْلَابِ جرد
ووجداً ما وجدتُ على رباح وما أغنيت شيئاً غير وجدى
وقال العباس بن جرير :

إرعَ الاخاءَ أبا محمد الذي يصفو وصنه
وإذا رأيت منافساً في نيل مكرمة فكنه
إن الصديقَ هو الذي يرعاك حين تغيب عنه
وإذا كشفتَ غطاءه أحمدتَ ما كشفتَ عنه
مثل الحسام إذا اتضا أخو الحفيظة لم يخنه
يسعى لما تسعى له كرمًا وإن لم تستعنه
ومن أبلغ ما قيل في ارضاء الرجل عن أخيه قول الراجز :

لم أقض من صحبة زيدٍ أربي فتى إذا نهته لم يفضب
أبيض بسام وإن لم يعجب ولا يرضن بالمتاع المحقب
موكل النفس بحفظ الغيب أقصى رفيقين له كالأقرب

وهذا خلاف ما قيل ◦ من غاب غاب نصيبه ◦ وقلت في قريب منه :

بذلت من شكرى ما لم يبذل لمسجد أجمل إذ لم أجمل
يحمل من ثقلى ما لم يحمل فمرز في عيني حين ذل لي
إن جمال الحر في التجمل وقد يكون العز في التذلل

والمجد شهد يجتنى من حنظل

ومن قديم ما جاء في هذا النحو قول أوس :

وليس أخوك الدائم المهدي بالذي يلومك إن ولي ويريضيك مقبلا
ولكنه النائي إذا كنت آمنا وصاحبك الأدنى إذا أمر أعضاء
أبلغ ما قيل في التاني وأجوده وأشده اختصارا ما أنشدناه أبو أحمد المرار الفقعسي :
تقطع بالتزول الأرض عنا وبعد الأرض يقطعه النزول
وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ « ألا إن هذا الدين ميتين فأوغل فيه
يرفقي فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » وتقول العرب شر السير
الحققة ، وهي شدة السير . وقلت في نحو قول المرار :

وحط بها كوار خوص لو اغب يقلل ! كثار الذميل ذميلها
نفض عبدة حلّ الفراق عقالها وأقلق هجران الحبيب مقيلها
فلا غرو إن فاضت دموع متيم على الدار يسقي ظلمن طولها
ومن المشهور في التاني قول القطامي :

قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال غيره :

ومستعجل والمكث أدنى لرشده ولم يدر ما يلقاه حين يبادر
وقيل لبعض العلماء لم لم يقل « كل حاجته » فيكون أبلغ قال ليس « كل » من كلام
الشعر ، وقد صدق ولو قال كل حاجته لكان متكلفا مردودا وكثيرا ما يقع « كل » في
الشعر قلق المكان كوقوعه في بيت ابن طباطبا :

فيالأمي دعني أغالى بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه

ولا أعرفُ أن «كلا» وقع في بيت أحسن منه في بيت أبي العتاهية :

أعلتُ عُتْبَةً أنى منها على أجلِ مظل

وشكوتُ ما ألقى اليأسَ والمدامعُ تستهل

حتى إذا برمتُ بما أشكوكا بشكو الأذل

قالت فأى الناسِ تمسرفُ ما تقولُ فقلتُ كل

ومن الذى يهوى فلا يزهى عليه ولا يذل

وقد أصاب القائل في صفة العقل :

وجدتُ العقلَ نوعين فمطبوعٌ ومسموعٌ

ولا ينفعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعٌ

أجود ما قيل في الاختيار قول ابن المعدل أظنه :

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الورىُّ

وأول الأبيات :

رأنا أم عمرو فازدرتنا ونقضُ الحربِ منظرُهُ زرىُّ

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الورىُّ

سلى بي تخبرى أنى طروب الى الأيسار أبلغُ بخترىُّ

وانى حين تختلفُ^(١) العوالى الى الأبطالِ أكيسُ قسورىُّ

كلبنى للندى والبأسِ انى بكلِ بسالةِ وندى حرىُّ

ومثله قول الآخر :

زنى القومَ حتى تعرفى عندَ وزنهم إذا رُفِعَ الميزانُ كيفَ أميلُ

وقال النبي ﷺ (أخبر ثقله) معناه اختبر من شئتُ نجد دون ما تظنه فيه

وتطلع على ما تكره منه فتبغضه ، وليس في جميع ما قيل في هذا المعنى أبلغ منه

ولا أوجز وقد شرحه ابن الرومي فقال :

(١) فى الاصل «يختلف».

دعنى الى فضل معروفكم وجوه مناظرها معجبه
 فأخلفتكم ما توهمته وقل حميد على التجربه
 وكم لمعة خلتها روضة فألفتها دمنة معشبه
 ظلمتكم لانطيب الفروع إلا وأعراقها طيبه
 وكنت حسبت فلما حسبت عني على الحساب مع المحسبه
 فهل تعذروني كعذريكم بأن أصولكم المذنبه
 جزيت موازينكم بالسواء وعذرتي بعذر فلا معتبه

وقد قال الناس : الطمانينة قبل التجربة حق ، والمثل السائر . لا تحمدنَّ امرأً
 حتى تجربه سمعت عم أبي يقول ما سمعنا في الشكر أوجز من قول يحيى بن خالد
 « الشكر كفو النعمة ولا أطرف من قول البحترى . الشكر نسيم النعمة »
 وأنا أقول لم يسمع أجمع في الشكر من قول ابراهيم بن العباس : أخبرنا به أبو أحمد
 عن الصولى عن أحمد بن اسماعيل قال قال ابراهيم بن العباس : الشكر داعية المزيد
 وقيمة العارفة ورباط النعمة ولسان المعطفة . وأبلغ ما قيل في الشكر من الشعر
 قول يحيى بن زياد الحارثى أنشدناه أبو أحمد عن الصولى :

حلفت برب العيس تهوى بركبها الى حريم ماعنه للركب معدل
 لما بلغ الانعام في الفضل غاية تفضل إلا غاية الشكر أفضل
 ولا بلغت أبدي المنيلين بسطة من الطول إلا بسطة الشكر أطول
 ولا ثقلت في الوزن أعباء منه على المرء إلا منة الشكر أثقل
 فمن شكر المعروف يوماً فقد أتى أخا العرف من جنس^(١) المكافاة من عل
 وقال الآخر : فعلت خيراً كثيراً وأنت أكثر منه
 ونحن أكثر منه لشكرنا لك عنه

وأجود ما قيل في عظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح بن اسماعيل :

(١) في نسخة « حسن » مكان « جنس »

سميتُ ابتغاءَ الشكرِ فيما صنعتُ بي فقصرت مغلوباً وإني لشاكر
قوله وإني لشاكر مع قوله مغلوباً بحسن. الموقع ، وهو مأخوذ من قول الآخر:

فراق حبيب لم يَبْنِ وهو بائِنٌ

لأنك توليني الجميلَ بداهةً

فأرجعُ مغبوطاً وترجعُ بالتي

وقول الآخر :

ولو أن لي في كلِّ منبتِ شعرةٍ

وقول دعبيل :

هجرْتُك لاعتِ جفوةً وملالةً

ولسكني لما أتيتك راغباً

فلانٌ ^(١) لا آتيك إلا معذراً

فإن زدتَ في برى تزايدتْ جفوةً

وقول أبي نواس :

قد قلتُ للعباسِ مُعتذراً

أنتَ امرؤٌ قلدتنى نعماً

لانسدينَ إلى عارِفةٍ

وهو أول من أتى بهذا المعنى إلا أنه عبر عنه عبارة طويلة ، وأحد أدواء

الكلام فضل الغافله على معانيه . وقال البحترى :

هاتيك أخلاقُ اسماعيل في تعب من العلاء والعلاء منهن في تعب

أدابتُ شكري فأمسى منك في نصب أقصر فإلى في جدواك من أرب

لأقبلُ الدهرَ نيلاً لا يقومُ لهُ شكري ولو كان مسديهِ إلى أبي

لما سألتك وإفاني نذاك على أضعاف شكري فلم أظفر ولم أخب

(١) أصله « فمن الآن » . (٢) في الأصل « نكتني »

وقلت في معناه :

تقاصرَ عن نداءه باعُ شكري قصورَ الزجَّ عن زلقِ اللسان
 وآسى أن تطولَ يداي منه إلى ما لا يُطاولُه لسانِي
 كأن ندى يديه عناقُ بين فليس بَسْرُني إلا شجاني
 لمجتُ بذكره لا بينَ عنه فضاقَ بوصفه فرعَ البيان
 حناني ثقله ولو أن قوساً تلقى منكبي لما حناني
 فما أنا منه مفتقرٌ وغاف وقلبي فيه منطلقٌ وعان

وقال البحترى :

إني هجرتك إذ هجرتك وحشةً لا العودُ يذهبها ولا الابداءُ
 أخرجتني بندي يدبك فسودت ما بيننا تلك اليدُ البيضاء
 وقطعتني بالجوْدِ حتى أني متخوفٌ أن لا يكون لقاء
 صلةٌ غدت في الناس وهي قطيعةٌ محبباً وبرّاً راح وهو جفاء
 ليواصلنك ركبُ شعرٍ سائر يرويه فيك لحسنه الأعداء
 حتى يتم لك الثناء مخلداً أبدا كما تمت لك النماء
 فتظلُّ تحسدك الملوكُ الصيدبي وتظل تحسدني بك الشعراء

وقد أحسن ثمامة فيما كتب إلى بعضهم : قد حيرني سوء رأيك في فما أهتدي
 لطلب الاعتذار وأنت مولى نعمة أنا عبد شكرها فلا نفظمني من حسن رأيك
 فأضوى ولا نسقطني عن حيطتك فأثوى . وقريب من المعنى الأول قول البحترى :

مَنْ مُعِينِي مِنْكُمْ عَلَى ابْنِ فُرَاتٍ ومكافأة ما أنالَ واسدَى
 كلما قلتُ أطلقَ الشكرُ رقي رجعتني له أياديه عبداً

سمعت عم أبي يقول ما سمعنا بالرضا بالتسمة والشكر أحسن من قول صالح بن
 مسيار : ما أدري النعمة الله فيما بسط على أفضل أم نعمته فيما زوى عنى فجعل ما منعه
 نعمة والناس يجعلونه محنة ونقمة . وكتب بعضهم في المعنى الأول : أنا وإن كنت

ذافاة إلى طولك فليست لي طاقة بما حملتني من برك وما أجد لنفسي معقلا ولا
أعرف لها متعللا إلا في الاقتداء بمن عجز عن شكر ما أولى فجز نقيصته بالاعتراف
والتقصير واعتمد من شكره على تصريف المعاذير . وكتب إلى بعض الأصدقاء
وصل كتابك مقرونا بالتوقيع في معنى المعيشة فأعاد الأمل جديداً والجد سعيدا
والهمة سامية تمسح وجه النجم وتقبل عارض الشمس وتمسك بعنان البدر فأذن
بعمارة الجاه وتكفل برفع القدر وضمن أعلاء الأولياء وكبت الحساد وكب
الاعداء إلى غير ذلك من أنس أورده ومرور جده ووحشة صرفها وكربة
كشفا ، وفهمته وتاملت التوقيع فتصور لي الغناء بصورته وقابلني بصدق مخيلته
وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتمتحت عن ساحتي خطوته
وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطعم في أداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف
بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة لما خلص إلى منها وأنا معترف بذلك
اعتراف الروض بحق الأتواء إذا تحلى بواقيت الأنوار ولا آتاء .
وجعل جعفر بن يحيى البرمكي الشكر باظهار حسن الحال أبلغ من الشكر
بالقول . أخبرنا أبو أحمد أخبرنا المبرمان أخبرنا أبو جعفر بن القتيبي عن القتيبي قال
أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي فدفع إلى خادم له
كبساً فيه ألف دينار وقال اني سأنزل في رجعتي الى الاصمعي ثم سيحدثني ويضحكني
فاذا ضحكت فضع الكيس بين يديه فلما رجع ودخل عليه فرأى حُجاً مكسور
الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة اعشار ورآه على مصلى بال
وعليه بركان أجرد فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه فلم يدع الأصمعي
شيئاً مما يضحك الثكلان والفضبان إلا أورده عليه فما تبسم ثم خرج فقال لرجل
يسايره من استرعى الذئب ظلم ومن زرع سبخة حصد الفقر إني والله لما علمت
أن هذا يكتم المعروف بالفعل ما حفلت بنشره له باللسان وأين يقع مديح اللسان
من آثار العيان أن اللسان قد يكذب والحال لا يكذب والله در نصيب حيث يقول :

فعادوا فأنتموا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقايب
 ثم قال أعلمت أن ناس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان .
 قد آتى جعفر في هذا الفصل من المعاني بما لم يأت به أحد قبله وشرحه شرحاً ليس
 مثله لأحد سواه . وقالت الحكماء لسان الحال أصدق من لسان الشكوى .
 وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال :

حال تبيح بما أوليت من حسن وكل ماتدعيه غير مردود
 كل هجاء وقتلي لا يجل لكم فما يداويكم مني سوى الجود
 وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .
 ومما يجرى في باب الشكر وهو من أبداع ما قيل في معناه ما أنشدناه أبو أحمد قال
 أنشدنا الصولي قال أنشدنا أحمد بن إسماعيل الخطيب لنفسه :

واني وإن أحسنت في القول مرة فمنك ومن آثارك امتار هاجسي
 تعلمت مما قلته وفعلته فأهديت غصناً من حناي لغارسي
 أخذه ابن طباطبا فقال في ابن رستم الاصبهاني :
 لا تُنكرن اهداءنا لك منطقاً منك استفدنا حسنه ونظامه
 فالله جل وعز يشكر فعل من يتلو عليه وحيه وكلامه
 وفي غير هذا المعنى يقول أبو تمام :

كم غارة لك في المكارم ضخمة غادرت فيها ماملكت قتيلا
 فرأيت أكثر ما بذلت من الهوى نزرأ وأصغر ما شكرت جزيلا
 وقد أحسن ابن الرومي :

هاجرت عنك الى الرجا ل فكان عرفهم كنعرك
 ورجعت من كتب اليك مفرغاً نفسي لشكرك
 ولما أروم بما أقو ل زيادة في رفع ذكرك
 لكنه حق أو فسيه عدوانك بعد بركك

كم نعمة لك ملء فكري لا تلاحظها بفكرك

(أحسن ما قيل في الصبر) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابن الرياشي عن
أبيه عن الأصمعي قال قال أبو عمرو أحسن ما قيل في الصبر قول أبي خراش^(١):

تقولُ أراهُ بعدَ عروةٍ لاهيا وذلك رزءٌ لو علمت جليل
فلا تحسبي أني تناسيتُ عهدهُ ولكن صبري يا أميمٌ جميل
وبعدهُ : ألم تعلمي ان قد تفرقَ قبلنا خيلاً صفاً مالكٌ وعقيلٌ

وقال الأصمعي أحسن ما قيل فيه مع الشرح قول أبي ذؤيب :

وتجلدي للشامتين أريهمُ أني لريبِ الدهرِ لا أتضعضُ
حتى كأتى للحوادثِ مروءةٌ بصفا المشعر كل يوم تفرع ✓
وقوله: وإن صبرت النفس بعد ابن عنبس وقد لجَّ من ماء الشؤون لجوجُ
لأحسبَ جلدًا أو لينبأ شامتٌ وللشرِّ بعد القارعات فروج

وأجود ما قاله محدث فيه قول ابن الرومي أنشدناه أبو أحمد عن ابن المسيب

رواية ابن الرومي عن أبيه الرومي :

أرى الصبرَ محموداً وفيه مذاهب فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهبُ
هناك يحقُّ الصبرُ والصبرُ واجبٌ وما كان منه كالضرورةٍ أوجب
فشدَّ امرؤٌ بالصبر كفاً فانه له عصمةٌ أسبابها لا تقضب
هو المهرُبُ المنجى لمن أهدت به مكارهٌ دهرٍ ليس عنهنَّ مهرُبُ
لبوسُ جمالِ جنةٍ من شماتة شفاءُ أسي يثنى به ويثوب
فيا عجباً للشئ هذى خلاله وتاركٌ ما فيه من الحظِّ أعجب
وقد بتظلي الناس ان أساهمُ وصبرهمُ فيه طباعٌ مركب
وانهما ليسا كشيءٍ مصرفٍ بصرفه ذونكبة حين ينكب
فان شاء أن يأسي أطاع له الأسي وان شاء صبراً جاءه الصبر يجلب

(١) هو خويلد بن مرة الشاعر الفارس المشهور بالعدو ، أسلم وعاش الى زمن عمر.

وليس كما ظنوها بل كلاهما
بصرفه المختار منها فتارة
إذا احتج محتج على النفس لم يكده
وساعدها الصبر الجميل فأقبلت
وإن هو مناها الا باطيل لم تزل
فتضحى جزوعاً أن أصابت مصيبة
فلا بعذرنا التارك الصبر نفسه

ومن أجود ما قيل في ذم الحقد قول ابن الرومي :

الحقد داءٌ دفينٌ لا دواء له
يبرى الصدور إذا ما جره حرثنا
فاستشف منه بصفح أو معاتبية
فأما يبرىء المصدور ما نفثنا
واجمل طلابك بالآوتار ما عظمت
ولا تكن لصغير الأمر مكثرتنا

ثم قال بمدحه :

وخيرٌ سجايات الرجال سجية
توفيك ما تسدى من القرض والغرض
وما الحقد إلا نؤامُ الشكر في الفتى
وبعضُ السجايا ينتسب إلى بعض
فحيث ترى حقداً على ذى اساءة
فتم ترى شكراً على حسن القرض
ولولا الحقودُ المستكنات لم يكن
لينقض وتراً آخر الدهر ذو نقض

وأول من مدح الحقد عبد الملك بن صالح في قوله : إن كنت تريد الحقد بقاء
الخير والشر عندي أنهما الباقيان . وأجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم الصبر
مظنة النصر . وقال الآخر : الصبر مطية لانكبو وإن عنف عليه الزمان . وسمعت
عم أبي يقول : الصبر شرية ثمرارية^(١) وقال * ففرج أيام الكريهة بالصبر *
وقال آخر : * وهل جزعٌ مجدى على فأجزع * فجعل الصابر الصبر
ضرورة لعله أن الجزع غير مجد . وقلت :

(١) الشرى : شجر الخنظل والأرى : العسل .

قالوا صبرت وما صبرتُ جلادةً لـكن نقلةً حيلتي أنصبرُ
 وليس في الحيوان شيء أصبر من الحمار والجل وذلك أنهما يحملان الحمل
 الثقيل على الدبر ويبلغان به الغاية البعيدة على الحفا حتى قالت العرب « أصبر من ذى
 ضاغط » وهو أن يضغط موضع الابط أصل السكر كرة حتى يدميه . ويقولون :
 أصبرُ من عود بجنييه جلب قد أثر البطانُ فيه والحقب
 قاله جلجلة بن قيس من أشيم فصار مثلاً ، وقال سعيد بن ابان بن عيينة بن حصن :
 أصبرُ من ذى ضاغطٍ مُعَرِّكٍ ألقى يوانى صدره للمَّسَبْرِكِ
 ويقولون أصبر من ضب لما هو فيه من القشف واليس . وقالوا حيلة من
 لاحيلة له الصبر . وسمعت والدى يقول لعن الله الصبر فان مضرت عاجلة ومنفعته
 آجلة وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب لتنال المنفعة في العاقبة ولعالمها تفوتك
 لعارض يعرض وكنت قد تعجلت الضرر من غير أن تصل الى نفع . فنظمته
 بعد ذلك وقلت :

الصبرُ عن تجبه صبرُ ونفعٌ من لامٍ في الهوى ضرر
 من كان دون المرادِ مُصْطَبِراً فليستْ دون المرادِ أصْطَبِر
 منفعة الصبرِ غيرُ عاجلةٍ وربما حالَ دُونُها الغير
 فقم بنا نلتمس ما ربنا أقامَ أولم يقم بنا القدر
 ان لنا أنفساً تسودنا أعانهن ^(١) الزمان أو يندر
 وابغ من العيش ما تسرُّ به ان عذل الناس فيه أو عذروا
 وقال أبو هلال أجمع كلمات سمعناها في الحلم ما سمعت عم أبي يقول الحلم
 ذليل عزيز وذلك أن صورة الحلم صورة الذليل الذي لا انتصار له واحتمال السفه
 والتناقل عنه في ظاهر الحال ذل وان لم يكن به . وقيل الحلم مطية الجهول لاحتمال
 جهله وتركه الاتصاف منه . وقال الأوَّل :

(١) في الاصل «اعانهن من» ولعل «من» زائدة .

وليس يتم الحلم للمرء راضياً إذا كان عند السخط لا يتعلم
 كما لا يتم الجود للمرء موسراً إذا كان عند العسر لا يتكرم
 ولهذا قال شيخ من الاعراب وقد قيل له ما الحلم قال الذي تصبر عليه وقال الشاعر :
 لن يدرك المجد أقوامٌ وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزوا لا أقوام
 ويشتموا فترى الألوان مسفرةً لاصفح ذلك ولكن صفح أحلام
 وسمعت يقول الحلم عقاب الشر وذلك أن من سمع مكروهة فسكت عنها انقطع
 عنه أسبابها وإن أجاب انصلت بأمثالها . وأنشدوا في هذا المعنى :

وتخرج نفس المرء عن وقع شتمه ويشتم ألفاً بعدها ثم يصبر
 ولا أعرف في الحلم معنى أحسن من معنى معاوية في قوله أنى لأرفع نفسي أن
 يكون ذنب أورثه من حلمي وما غضبي على من أملك أو ما غضبي على من لا أملك .
 يريد أنى إذا كنت مالكاً للمذنب فأنى قادر على الانتقام منه فلم أزم نفسي
 الغضب وإن لم أكن أملكه فليس يضره غضبي فلم أغضب عليه فأضر نفسي
 ولا أضره . وقال الشاعر في الحلم والاغضاء عن المكروه مع القدرة على التغيير :

مغض على العوراء لو لا الحلم غيره انتصاره
 وأسمع بعضهم الشعبي فقال له إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً
 فغفر الله لك . وهذا أعجب ماجاء في هذا الباب وأحسنه . وأجود شيء قيل في الحلم
 من الشعر ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا ابن دريد أخبرنا أبو عثمان عن الأخفش
 قال نال رجل من الخليل بن أحمد وأسمعه فقال الخليل :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن كثرت منه على الجرائم
 وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم
 فأما الذي فوق فأعرف فضله وأتبع فيه الحق والحق لازم
 وأما الذي مثل فان زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالعز حاكم
 وأما الذي دوني فان قال صنت عن إجابته عرضي وإن لام لائم

قسم هذا الشاعر ثم فسر فأحسن ولم يدع مزيداً . ومن عجيب ما روى في
الحلم ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجاله قال جى - قيس بن عاصم بابن له قتيلاً وابن
أخ له كتيفاً وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض جبوته فلما فرغ من
حديثه التفت الى بعض بنيه فقال قم الى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم
القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها أن تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وقال :

إني امرؤٌ لا يعترى حُلُقِي دَنَسٌ بغيره ولا أفنٌ
من منقر في بيتٍ مكرمةٍ والفرعُ يَبِيتُ فوقه الغصنُ
خطباءُ حينَ يقولُ قائلهم بيضُ الوجوهِ مصاقعُ لسنٍ
لا يفتنونَ لعيبِ جارهم وهمُ لحفظِ جوارهم فطنُ

ويوصف الحلم بالرزانة وأجود ما قيل في ذلك قول مروان بن أبي حفصة (١) :

ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حياهمُ وأحلامهم منها لدى الوزنِ أنقلُ

وقد ذكرناه . والعرب تسمى العلم حلماً قال المنلس :

لذي الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا وما علم الانسانُ إلا ليعلمها

ومن أشرف نعوت الانسان أن يدعى حليماً لأنه لا يدعاه حتى يكون عاقلاً
والماء ومصطبراً محتسباً وعتوفاً وصالحاً ومحتملاً وكافئاً ، وهذه شرائف الاخلاق
وكرائم السجايا والخصال . وقد خولف هؤلاء فقيل في خلاف مذهبهم هذا أنشد المبرد :

أباحسن ما أقبح الجهل بالفتى وللحلم أحياناً من الجهل أقبحُ
إذا كان حلم المرء عوناً عدوه عليه فإن الجهل أعنى وأروحُ

وقال غيره :

قليلُ الأذى إلا عن القرن في الوغى كثيرُ الأيادي واسمُ الذرعِ بالفضل
ويحلم مالم يجلب الحلم ذلةً ويجهل ما شئت قوى الحلم بالجهل

وقال غيره :

(١) في النسخ « حفص » في مواضع .

ترفعتُ عن شتم العشيبة انى رأيتُ أبا قد كف عن شتمهم قبلى
 حلِيمٌ إذا ما الحلمُ كن جلالَةً وأجهلُ أحياناً إذا التمسوا جهلى
 وقال غيره : * إذا الحلم لم ينفعك فالجهل أحزم * وقالوا ليس شئ خيراً من
 الحق إلا العفو وذلك أن عقاب المستحق للعقاب حق والعفو خير منه ، ومن أحسن
 ما جاء فيه قول بعضهم : لو أن المسىء لى عبد لأخ لى رأيت تغمده والصفح عنه
 إجلالاً لتقدر مولاه واعظاً ما لحق صاحبه فأنا بالصفح عن عبد الله أولى .

وفي ذم العفو قول عميرة بن عقيل :

وما ينفكُ من سعد الينا قطوعُ الرحم بادية^(١) الأديم
 ونفرتها كأن لم يفعلوها وطولُ العفو أدرب^(٢) للظلوم
 أجود ما قيل في المشهورة قول بشار أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا
 الغلابى حدثنا محمد بن عبد الرحمن التميمى قال دخل بشار على ابراهيم بن عبد الله
 ابن الحسن بن الحسين فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير برأى يستعمله في
 أمره فلما قتل ابراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه قالها في أبى مسلم ، أولها :
 أبا جعفرٍ ما كلُّ عيشٍ بدائمٍ وما سالمٌ عما قليلٍ بسالمٍ
 على الملك الجبارٍ يقتحمُ الردى وبصرُعه في المأزقِ المتلاحمِ
 كأنك لم تسمع بقتل متوجٍ عظيمٍ ولم تعلم بهلك الأجاجمِ
 تقسم كسرى رهطه بسيوفهم وأمسى أبو العباسٍ أحلامٍ نائمٍ
 وقد ترد الأيام عزاً وربما ورددن كلوماً باديات الكشائمِ
 ومروان قُددارت على نفسه الردى لاجرامه لابل قليل الجرائمِ
 وأصبحت تجرى سادراً في طريقهم ولا تتقى أشباه تلك العقائمِ
 تجردت للإسلامِ تعفو رسومه وتعرى مطايا الليوث الضراغمِ
 فازلت حتى استنصر الدين أهله عليك فعاذوا بالسيوفِ الصوارمِ

(١) في النسخ غير منقوطة . (٢) لهله (آدب) .

لحى الله قوماً رأسوك عليهم
أقول لبسام عليه جلالة
من الفاطميين الدعاة إلى الهدى
سراج لعين المستضىء وتارة
إذا بلغ رأى المشورة فاستمن
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
وما خيرٌ كيف أمسك الفلُّ اختها
وخلُّ الهوينى للضعيف ولا تكن
وحارب إذا لم تعط إلا ظلامه
هذا ما أورده أبو هلال العسكري وفي بعض الكتب زيادة في هذه القصيدة وهي :

فأذن على الشورى المقرب نفسه ولا تشهد الشورى امرأ غير كاتم
فانك لا تستطرُد الهَمَّ بالمنى ولا تباغُ العليا بغير المكارم
وما قارعَ الأقوامَ مثلُ مشيع أريبٍ ولا جلى العمى مثلُ عالم
وما خير كف - البيت . قال أبو بكر فحدثنى الجمحى قال سمعت المازنى
يقول سمعت أبا عبيدة يقول ميبية بشارهذه أحب إلى من ميميتى جرير والفرزدق .
وقيل لبشار ما أحسن أبيانك فى المشورة فقال المستشير بين صواب يفوز بشورته
أو خطأ يشارك فى مكروهه فقيل له هذا والله أحسن من شعرك . ومن الأفراد
التي لا شبيه لها قول عبد الملك بن صالح فى ذم المشورة : ما استشرت أحداً إلا تكبر
على وتصاغرت له ودخلتني الذلة فمليك بالاستبداد فان صاحبه جليل فى العيون
مهيب فى الصدور فاذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون فتضعض شأنك ورجفت
بك أركانك واستحقرتك الصغير واستخف بك الكبير وما عز سلطان لم يفنه
عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحاؤه . فذم المشورة كما ترى وهي ممدوحة بكل لسان .
وقال رومى لغارسى نحن لانملك من يشاور فقال الفارسى نحن لانملك من

لا يشاور، وقد أجمع الناس ان الفرس أعدل من الروم .
ومن أوجز ما قيل في الطمع قول بعضهم إذا طمعت مللت . ويقولون

الطمع طبع، والطبع الدنس وأنشد :

لاخيرَ في طمع يدعو إلى طبع وُغفَةٌ من قوام العيش تكفيني
والغفَةُ القوت وأصلها الغارة^(١) وسميت بذلك لأنها قوت للسنور . وأنا
أقول إن أول الطمع ذلة وأوسطه شقوة وآخره حسرة . وقال ثابت قطنة^(٢) :

ألا أتمتى عميرة أن رأيتى عزفت النفس عما لم ينالا

أحزم كلمة سمعتها عن العرب قولهم « إن ترد الماء بماء أكيس » معناه ينبغي
أن تحتفظ بما عندك حتى تصل إلى غيره ولا تلقى ما في يدك رجاء لما هو
أكثر منه فلعلك لاتناله لحادث يحدث . ومثل ذلك قولهم « لا يرسل الساق إلا
ممسكاً ساقاً » أى لا يترك معتمداً إلا اذا وجد مثله . وأصله في الحرباء لا يترك
ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ، قال الشاعر :

أنى أتبيح لها حرباء تنضبة^(٣) لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقاً

أجود ما قيل في الحياء قول الخنساء :

ومخرقٌ عنه القميص تخاله بين البيوت من الحياء سقياً

حتى إذا رفع اللواء رايتهُ تحت اللواء على الخميس زعيماً

أخذه بعضهم وأحسن :

يشبهون سيوفاً في صرامتهم وطول أنضية الأعناق والقمم

إذا غدا المسكُ يجرى في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(١) في الأصل تصحيف في بعض الكلمات ، والتصحيح من القاموس .

(٢) كان قائداً شجاعاً ، شهد وقائع خراسان سنة ١٠٢ وأصيبت عينه فجعل

عليها قطنة فعرف بها . وفي الاصل (ثابت بن فظنه) .

(٣) في أمثال الميداني « بليت بأشوس من حرباء تنضبة » .

وقال غيره :

كريمٌ يفضُّ الطرفَ فضلُ حياؤه
ويدنو وأطرافُ الرماحِ دوان
وكاسيف إن لابنته لأن مسه
وَدَّاه إن خاشنته خشنان

وقال أبو دهب :

تزرُّ الكلامِ من الحياءِ تخاله
صمتاً وليس بجسمه عقم
عقم النساءُ فلا يلدن شبيهه
إن النساءَ بمثله عقم
غیره : انى كأتى أرى من لآحياء له
ولا أمانةً بين الناسِ عريانا

أجود ما قيل في تفضيل الجد على العقل والاختبار بأن الحظ والعقل لا يجتمعان قول الاول:

ومالبُ اللبيبُ بغيرِ حظ
بأغنى في المعيشة من فقيل
رأيتُ الحظَّ يسترُ عيبَ قوم
وهيئاتَ الحظوظِ من العقول
والعرب تقول «اسع بجهدٍ أودع»

أجود ما قيل في التنزه والتصون وترك السؤال قول بعضهم : السخاء أن
تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعاً . فجعل اليأس مما في أيدي الناس
سخاءً لأن النفس إذا سخت وسمحت لم تتطلع إلى مال الغير كما انها اذا ضاقت
وحرصت ناقت الى ما ليس لها ، وهو معنى حسن دقيق أخذه ابن أبي حازم فقال:

ومنتظر سؤالك بالعطايا وأفضل من عطاياها السؤال
إذا لم يأتك المعروف طوعاً فدعه فالتنزه عنه مال

وما أحسب انى سمعت في هذا المعنى أحسن من هذا وقلت :

ألا إن القناعة خيرُ مال
لدى كرمِ يروحُ بغيرِ مال
وان تصبر فإن الصبر أولى
بمن عثرت به نوب الليالى
تجمل إن بليت بسوءِ حال
فان من التجمل حسن حال

أجود ما قيل في مضاء العزم وثبوت الرأى والفظنة من الشعر القديم قول

أوس بن حجر :

الألمى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
وقالت الحكماء لا ينتفع الرجل بعلمه حتى ينتفع بظنه . وكان عمر رضى الله
عنه يقول إذا أنا لم أعلم ما لم أرماعلمت ما رأيت . وقلت :

أما نك مصروف الى كل راهبٍ وسببك موقوف على كل راغب
تباشرت الدنيا بجدواك واكتفت فلم تتباشر بالغيوث الصوائب
تبسم منك الدهر عن زائن^(١) له وعين عليه فى اختلاف النوائب
بصيرته له دون العواقب فكرة^٢ تكشف عن رأى وراء العواقب
ليشركك بجد لا تزال تحوطه^٣ ونحميه بالنصلين عزم وقاضب
كأنى اذا أمسكت منك بعروة^٤ أخذت باهداب الغيوم السواكب

وليس فى المضاء والعزيمة أجود من قول أبى تمام :

وركب كأطراف الاسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأمر عليهم ان تتم صدوره^٥ وليس عليهم أن تتم عواقبه
مأخوذ من قول الأول :

غلام وغى تقحمها فأودى وخان بلادته الزمن الخزون
وكان على الفتى الاقدام فيها وليس عايه ماجنت المنون
وقوله : وقد علم الافشين وهو الذى به يُصان رداء الملك من كل جانب
بأنك لما استخذل الأمر^(٢) واكتسى اهابى سبى فى وجوه التجارب
تجلتته بالرأى حتى أريته به ملء عينيه مكان العواقب
سلت له سيفين رأياً ومنصلاً وكل لنجم فى الدجسة ناقب
وكنت متى تهزز لخطب تغشه^(٣) ضرائب أمضى من رفاق المضارب
وقال : وسارت به بين القنابل والقنا عزائم كانت كالفنا والقنابل

(١) فى هامش النسخة (راقب له) اشارة لنسخة فيها كذلك .

(٢) فى الديوان (النصر) . (٣) فى الاصل (لحظ تغيثه) .

ومن جيد ما قيل في كتمان السر قول الأول :

تلاقت حيازيمي^(١) على قلب حازم
أواخي رجالاً لست أطلعُ بعضهم^(٢)
وقال الآخر: سأ كتتمه سرى وأحفظُ سره
علم فينسى أوجهول يذيعه
والمثل السائر :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذي يستودع السر أضيق
أحسن ما قيل في العقل ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد :

وأفضلُ قسم الله للمرء عقله
إذا كمل الرحمن للمرء عقله
يعيش الفتي بالعقل في الناس انه
ومن كان غلاباً بعقل ونجدة
يزين الفتي في الناس صحة عقله
ويزري الفتي^(٤) في الناس قلة عقله
ونحوه قول الآخر :

ولم أرَ مثلَ الفقر أوضع للفتى
ولم أرَ من عدمٍ أضرَّ على الفتى
إذا عاشَ بين الناسٍ منعدم^(٥) العقل

وقال سهل بن هرون : العقل راية الروح والعلم راية العقل والبيان ترجمان العلم .
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الواحد أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي
قال قال قس بن ساعدة أفضل العقل معرفة الرجل بنفسه^(٦) وأفضل العلم وقوف

(١) في الأصل (حيازيمي) . (٢) في النسخ (بينهم) .

(٣) في النسخ (ذاسعة) . (٤) سقط « الفتي » من النسخ .

(٥) في الأصل (من عدم) . (٦) في نسخة (نفسه) .

المرء عند علمه وأفضل المروءة استبقاء الرجل ماء وجهه وأفضل المسال ما قضيت
منه الحقوق . ومن العجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال بأقوام جعلوهم أعلى
ما فيها فضر بوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة فقالوا أحلم من الاحنف ومن قيس بن
عاصم وأجود من حاتم ومن كعب بن أمامة وأشجع من بسطام وأبين من سحبان
وأرمي من ابن تقن وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا أعقل من فلان فلعلهم لم يستكملوا
عقل أحد على حسب ما قال الاعرابي وقد قيل له حد لنا العقل فقال كيف أحده
ولم أره كاملاً في أحد قط .

ووصف بعضهم الحجاج بالعقل وعكس أمره آخر فوصفه بالحق قال عتبة بن عبد الرحمن
رأيت عقول الناس تتقارب إلا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية ، ثم
قال أبو الصفدي كان الحجاج أحق بنى مدينته في بادية البسط ثم حمام دخولها فلما
رحل عنها دخلوها من قرب . وقال يونس بن حبيب كان والله يفتق ولا يرتق
ويحرق ولا يرفق ، وقال بعضهم ما دخل العراق أكثر أدباً من الحجاج فلما طال
مكثه في ولايته واشتد في سلطانه وترك الناس الرد عليه فسد أدبه ، وقال له عبد
الملك ان الرجل لا يكون عاقلاً حتى يعرف نفسه وأمير المؤمنين يقسم عليك لتخبره
عن نفسك فقال أنا حديد حقود ذو قسوة حسود ، فانتحل الشر بخدا فيره وجمعه
بزوبره . ومن العجب أنهم قالوا من عرف نفسه نجا وقد عرف الحجاج نفسه وهو
هالك . وقالوا العاقل لا يخبر بعب نفسه وقال بعضهم لا يعرف الرجل حقيقة ما اشتمل
عليه من العيب كما أن آكل الثوم لا يجد رائحته من نفسه وقلت في ذلك :

لو تمَّ شيءٌ من الدنيا لذي أدبٍ لا نضاف مال إلى علمي وآدبي
قمَّ جاهي عند الناس كلهم وطاب عيشي في أهلي وأصحابي
عز الكمال فلا يحظى به أحدٌ فكل خلق وان لم يدرك ذوطاب

وقال اسماعيل بن غزوان كل علم لا يكون في مغرس عقل وبيان لا يكون في
نصاب علم وخلق لا يجري على عرقه فليس له ثبات إذا احتيج إلى الثبات وقال أبو داود :

على اعراقه يجرى المذكي وليس على تكلفه وجهه
 وقال بعض الملوك لحاجبه : أدخل على رجلاً عاقلاً فأدخل عليه رجلاً قال
 بم عرفت عقله قال رأيت يلبس السكتان في الصيف والقطن في الشتاء واللبيس^(١)
 في الحر والجديد في القر . وما قيل في علامة العاقل أعجب إلى من قول الأول :
 علامة العاقل أن يكون طمأناً بأهل زمانه حافظاً لسانه مقبلاً على شأنه . وقال
 بعضهم إنما تنفع التجارب من كان عاقلاً . ومما يدخل في الباب ما أخبرنا أبو أحمد
 عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه قال لم يقل أحد في التفرح بالمنادمة إلى
 الاخوان والتسلي بمنامة أهل الحفاظ بمثل قول بشار حيث يقول :

وأبثتُ عمراً بعض ما في جوانحي وجرعتُهُ من مرٍّ ما أتجرعُ
 ولا بدُّ من شكوى إلى ذي حفيظة إذا جعلتُ أسرارُ نفسي تطلعُ

ومن أجود ما قيل في ترك الشيء إذا أدبر قول بعض الاعراب :

إذا ضيعت أول كل أمر أبت اعجازه إلا التواء

وإن حملت أمرك كلَّ وغد^(٢) ضعيف كان أمر كما سواء

وإن داويت دنيا بالتنامي وبالليان أخطأت الدواء

وقال الأعشى :

إذا حاجةٌ ولتلك لا تستطيعها فخذ طرفاً من غيرها حين تسبقُ

فذلك أحرى أن تنال جسيمها وللقصد أهدى في المسير وألحقُ

ومن أجود ما قيل في المهابة من قديم الشعر ما ينسب إلى الفرزدق وهو أغيره

في علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما :

يفضي حياءً ويفضي من مهابته فما يكلمُ إلا حينَ يتسمُ

جعله مهيباً في السكون والاغضاء ولو جعله مهيباً مع الصولة والبطش لما كان

(١) في النسخ غير منقوطة، واللبيس: الثوب قد أكثر لبسه فأخلق كما في القاموس .

(٢) في الأصل « رغد » .

كذلك فهو بليغ جداً . وأنشدنا أبو أحمد عن بعض رجاله لشاعر في بعض العلماء

هو الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى :

يأبى الجوابَ فما يرجعُ هيبَةً والسائلونَ نواكسُ الأذقان

هدى التقى وعزُّ سلطانِ النهى وهو المهيبُ وليس ذا سلطان

ومن أحسن تشبيهه جاء في الهيبة قولهم (كأن على رؤوسهم الطير) وذلك أن الهائب

تسكن جوارحه فكان على رأسه طائرًا يخاف طيرانه إن تحرك وقال أبو نواس :

أضمرُ في القلبِ عتاباً لهُ فان بدأ أنسيتُ من هيبته

ومثل هذا في النسب كثير وشبيهه قول الأول :

أهاؤك إجلالاً وما بك قُدرةٌ على ولكن ملء عين حبيبها

وما هجرتك النفسُ أنك عندها قليلٌ ولأن قلَّ منك نصيبها

لا ترى أجود من قوله « ملء عين حبيبها » ولا أحسن ولا أبلغ ولعلك

لا تجد لفظه تقوم مقامها ، ويقولون حسن يملأ العين . وهيبة تملأ الصدر . وقال

◦ و تملأ عين الناظر المتوسم ◦ وقال ابن الرومي :

في فتية من ولد المنصورِ أملأ للعين من البدورِ

وقال آخر ◦ إذا ذكرت أمثالها تملأ الفم ◦ وقد أجاد أبو تمام في صفة

الهيبة والخافة فقال :

تبتُ المقامِ يرى القبيلةَ واحداً ويُسرى فتحسبهُ القبيلُ قبيلًا

وقال :

قد أترعت منه الجوانحُ هيبَةً^(١) بطلت لديها سورةُ الأبطال

لو لم يزاحفهم لزاحفهم لهُ ما في قلوبهم من الأوجال

ومثله قول ابن المعتز :

أنا جيشٌ إذا غدوتُ وحيداً ووحيدي في الجحفل الجراء

(١) في ديوان أبي تمام « رهبة » .

وقلت في نحو ذلك :

قبيلكم في العزِّ يعلو قبائلاً وواحدكم في المعدي يكثُر معشرا

وقال الأشجع في ابراهيم بن نهبك وقد ولي ا.عونة :

شدَّ الخطامَ بأنفِ كلِّ مخالفٍ حتى استقامَ له الذي لم يخطم

لا يصلح السلطان إلا هيبه تلقى البرىءَ بفضلِ جرمِ المجرم

منعت مهابتك النفوسَ حديثها بالشئِءِ تسكره وإن لم تعلم

ونهجت من حزمِ السياسة منهجاً فهمت مذهبه الذي لم يفهم

وأبلغ من هذا كله ما أنشدناه أبو أحمد عن العباسي عن المبرد :

وأنت حياً في الحروب محاهم والجيش باسم أيهم يستهزم

بقول به الجيش يستهزم إذا ذكر فليس أبلغ منه . ومثله قول الفرزدق :

لييك وكيف خيل ليل مغيرة تساقى الحمام بالردنية السمير

لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة دعوها وكيفا والجياد بهم تجرى

ومثله قول الآخر :

سماؤك تمطر الذهبا وحربك يلتظي الهبسا

وأى كتيبة لاقتك لم تستحسن الهربا

فجعلها تستحسن الهرب إذا لاقته ولا نخشى اللائمة إذا فرت منه فهو غاية .

ومما هو بليغ في باب المهابة قول الأشجع :

وعلى عدوك يا ابن عمِّ محمد رجدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعته وإذا هذى^(١) سلت عليه سيوفك الاحلام

فنقله أبو نواس إلى غزال فقال :

قاسيت فيه الهوم والأطما وصرت فيه بين الورى علما

أكون يقظان في تذكره حتى إذا تمت كان لي حلما

(١) في الاصل « هدى » .

ومما هو أبلغ من ذلك كاه قول النبي ﷺ « نُصرت بالرُّعب » وما وصف أحد هية صاحب السلطان إذا بدا كما وصفها البحترى في قوله :

إذا ما مشى بين الصفوف تقاصرت رؤسُ الرجال عن أشمِّ ممدِّع
 يقومون من بُعدٍ إذا أبصروا به لا بلجٍ موقورِ الجلالةِ أروع
 يدعونَ بالاسماءِ مثني وموحداً إذا حضروا بابَ الرِّواقِ المرفع
 وإن سار كَفَّ اللحظَ عن كلِّ منظرٍ سواه وغيضَ الصوتُ عن كلِّ مسمع
 فاستَ ترى إلا إفاضةً شاخصٍ إليه بعينٍ أو مشيرٍ بأصبع
 وقوله: تراءوك من أقصى الساطِ فقصروا خطاهم وقد جازوا الستورَ وهم مجل
 ولما قضا صدرَ السلامِ تهافتوا على يدِ بسامٍ سجيتهُ رسل
 إذا أسرعوا في خطبةٍ قطعتمُ جلالتهُ طلقِ الوجهِ جانبهُ السهل
 إذا نكسوا أبصارهم من مَهابةٍ ومالوا بلحظِ خلتِ أنهم قبل
 وقال أبو بكر الصولى وهو من البليغ :

إذا ما بدا والقومُ فوقَ سرورهم تناثرتِ الأشرافُ منهم على الأرض
 وقال البحترى :

ومبجل وسطَ الرجالِ خفوفهم لقيامه وقيامهم لعوده
 فاللهُ يكلؤهُ لنا ويحوطهُ ويعزهُ ويزيدُ في تأييده

أبلغ ما جاء في وصف العلم قول على رضى الله تعالى عنه : قيمة كل امرئ ما يحسنه .
 وشذ به بعضهم فقال : قيمة كل امرئ علمه .

ولأعرف في مدح العلم وعدَّ خصاله أبلغ من كلامه رضى الله تعالى عنه خاطب به
 كميل بن زياد أئبته لك هنا وان كان مشهوراً : أخبرنا أبو أحمد حدثنا الهيثم بن أحمد
 ابن الزيدانى حدثنا على بن حكيم الأذرى حدثنا الربيع بن عبد الله المدنى حدثنا
 عبد الله بن حسن عن محمد بن على عن آبائه عن كميل بن زياد قال أخذ بيدي على
 رضى الله تعالى عنه فلما أصحرتنا قال يا كميل ان هذه القلوب أوعية وخيرها أوطاها

فاحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهم جرعاع
اتباع كل ناعق يميلون مع كل ربيع لم يستضيئوا بنور العلم ولم يأووا الى ركن وثيق
يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة
والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العلم دين تدان به تكسب به الطاعة في
حياتك وجميل الاحدوث بعد وفاتك والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، يا كميل
ما خزان المال والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب
موجودة هاهنا ان ههنا لعلماً جماً لو أصبت له حملة لي أصبت لقناً^(١) غير مأمون
يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه ، أو منقاداً لجملة الحق
لابصيرة له في اجنائه فيقدح الشك في قلبه عند أول عارض من شبهة ، أو لا إذا
ولا إذا فمنهوم بالذات سلس القياد للشهوات ومغرم بالجمع والادخار ليس من رعاة
الدين أقرب شبيهاً بهم الانعام السائمة اللهم لي لا تخلو الأرض من قائم بحجة
إما ظاهر وإما خائف لئلا تبطل حجة الله وتبيناه وتم وأين أولئك الاقلون عدداً
الأعظمون قدراً بهم يحفظ الله تعالى حججه حتى يودعها أسماء نظر انهم ويزرعوها
في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلانوا
ما استوعده المترفون وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان
أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى ، يا كميل أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه
والدعاة الى دينه هاهنا شوقاً الي رؤيتهم .

ومما حث به على تحفظ العلوم قول بعض الاوائل : خير العلم ما إذا غرقت
بسفينتك سبيح معك ، وقال الخليل :

افخر وكأثر بالقربى حجة إنها فخر المسكائر

واعلم بأن العلم ما أوعيت في صحف الضمائر

وقال أبو هلال رحمه الله تعالى لو قال « ما ضمته صحف الضمائر » كان

(١) اللقن : السربيع الفهم - كما في القاموس .

أجود ، وقال غيره :

استودعَ العلمَ قرطاساً فضيعهُ وبئسَ مُستودعَ العلمِ القراطيسُ
وقلت : تقل غناء عن جهولٍ مغممٍ دفاتر تلتقى في الظروفِ وترفعُ
تروح وتغدو عنده في مضيةٍ وكائن رأينا من نفيسٍ يضيع
ومن المختار في طلاقة اللسان قول الآخر :

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف لعمى ولم يثن اللسان على هجر
بصرفٍ بالقولِ اللسان كما اتحنى وينظرُ في اعطافه نظرَ الصقر
ونحوه : لا خبرَ في حشو الكلا م إذا اهتديتَ الى عيوبه
وأجود ما قيل في إقامة الاعراب وترك التغيير ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

ويعجبني زىُ الفتى وجمالهُ ويسقط من عيني ساعةً يلحنُ
على أن للاعرابِ حداً ورُبما سمعت من الاعراب ما ليس يحسنُ
ولا خيرَ في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن والقصدُ أزينُ

سمعت أبا أحمد يقول أحسن ما سمعت في السؤال قول عبد الله بن العباس وقد
سئل بم أدركت هذا العلم قال بلسان سؤال وقلب عقول . ثم أخبرنا قال أخبرنا
الحسن بن علي بن عاصم ثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا علي بن موسى الرضى حدثني
أبي حدثني أبو جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسن رضى الله تعالى عنهم
قال قال رسول الله ﷺ « العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فإنه يؤجر فيه
أربعة السائل والمستمع والعالم والمحب لهم » وأجود ما جاء في السؤال من الشعر
ما أنشدناه أبو أحمد أنشدنا ابن الأنباري عن أبيه :

شفاء العيِّ في طولِ السؤالِ وعدلك في المقالِ وفي الفعلِ
وبحثك في الأمورِ عن المعاني وتخريجِ المقالِ من المقالِ
وقولك بالصواب إذا أنارت شواهدهُ ورفضك للجدالِ
وصمتك حينَ تسمعُ من حكيمٍ ليفهمك الصحيحَ من المحالِ

أجود ما قيل في صفة اللسان وأتمه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن
 دريد قال أحمد بن عيسى العكلى حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم
 القاضي قال قال بعض الحكماء لابنه يا بني اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن
 الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة ومعز يرد
 الأحران وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع يحرق المودة
 وحاصد يذهب بالضعفين ومُله يوقف الاسماع ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة
 اللسان بأن أنطقه بالتوحيد وليس شيء من الجوارح ينطق به غيره .

ومن أجود ما احتج به للكلام ما أخبرنا به أبو أحمد حدثني أبي حدثنا أحمد
 ابن أبي طاهر حدثنا أبو تمام قال تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبد العزيز
 التنوخي وحسنه والصمت ونبله فقال سعيد ليس النجم كالقمر أنك إنما تمدح
 السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شيء فهو أكبر منه .
 ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن أحمد حدثنا أبو تمام حدثنا أبو
 عبد الرحمن الأموي قال ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه
 أهل المجلس فقال سليمان كلا إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن
 وليس كل من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

ومن أجود ما احتج به للصمت ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن
 أبي طاهر حدثنا حبيب بن أوس حدثني عمرو بن هاشم البيروتي قال تحدثنا يباب
 الأوزاعي وفيما أعرابي من بني عليم بن ضاب لا يتكلم فقبل له بحق ما سميت خرس
 العرب ألا تتحدث مع القوم فقال إن الحظ للمرء في أذنه وأن الحظ في لسانه لغيره
 وإنما جعل للمرء أذنان ولسان يسكون استماعه ضعف كلامه . قال فحدثنا الأوزاعي
 فقال والله لقد حدثكم فأحسن .

وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام فحدثني أبو أحمد عن أبيه عن
 أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام حدثني يحيى بن اسماعيل الأموي حدثني اسماعيل

ابن عبيد الله قال قال جدي : الصمت منام العاقل والنطق يقظته ولا منام الا يقظة ولا يقظة الا بمنام . قال أبو هلال : وأنا أقول الصمت يورث الحبسة والحصر وإن اللسان كلما قلب وأدير بالقول كان أطلق له : أخبرني بعض أصحابنا قال ناطقت فتى من بعض أهل القرى فوجدته ذليق اللسان فقلت له من أين لك هذه الذلاقة قال كنت أعمد كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت فلم أجز على ذلك مدة حتى صرت إلى ماري . وسمى البيان سحراً لدقة مسلكه وأول من نطق به رسول الله ﷺ وهو من أجمع ما مدح به البيان : حدثنا أبو القاسم عبد الوهاب بن ابراهيم أخبرنا أبو بكر أحمد بن حماد العقدي أخبرنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز أخبرنا المدائني قال قال أبو الحسن بن مسلم بن محارب بن مسلم بن زياد عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الاثم أخبرني عن الزبرقان بن بدر فقال مطاع في أذنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان : إنه ليعلم مني أكثر من هذا ولكنه حسدني . فقال عمرو : أما والله يارسول الله انه لزم المرودة ضيق العطن أحق الوالد لئيم الخلال وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الأخرى رضيت فقلت أحسن ما أعلم وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم فقال رسول الله ﷺ (ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة) وإنما تعجب رسول الله ﷺ من نقضه وإبرامه في حال واحدة ومثل هذا من البلاغة أصعب مرأواً وأعجز مطلباً وقد أشبعنا القول فيه في كتاب صنعة الكلام .

ومما يدخل في بابه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثني الطيب بن محمد

الباهلي قال موسى بن سعيد بن عن أحمد بن يوسف الكاتب قال دخل

خالد بن صفوان التيمي على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بني الحارث بن

كعب فقال له ما تقول في أخوالي قال هم هامة الشرف وخرطوم السكرم وغرس

الجود إن فيهم لخصالاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم انهم لأطولهم أمماً وأكرمهم

شيأ وأطعمهم طعاماً وأوفاهم ذمماً وأبعدهم همأهم الجرة في الحرب والرفد في الجذب
والزأس في الخطب وغيرهم بمنزلة العجب . فقال لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت
فزاد أخواله في الفخر فغضب أبو العباس لاعماسه فقال أفخر بإخالد فقال أعلى
أخوال أمير المؤمنين فقال نعم وأنت من أعمامه فقال وكيف أفخر أقواماً هم من
بين ناسج برد وسائس قرد ودابغ جلد دل عليهم الهدهد وغرقتهم الفارة وملكتهم
امراًة . فأشرق وجه أبي العباس وجعل يضحك . قال وحدثني ابن المزرع قال سمعت
عمرو بن بحر الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا يقول والله لو تفكر في جمع
معانيهم واختصار اللفظ في مثالبهم بعد ذلك المدح المهذب سنة لكان قليلاً
فكيف على بديه لم يرض فكراً .

وأجود ما قيل في كراهة المزاح قولهم ان المزاح هو السباب الاصغر ، وقيل
المزاح سباب النوكي . وأجود ما قيل في تخوف عاقبته قول أبي نواس :

انه نار وقدح القادح وأي جسد بلغ المازح

ومثله : صارَ جِداً ما فرحت به رُبَّ جِدٍ جَرَهُ لَعْبُ

وقلت : غضبت للمزح ولم تنظر في موقعه المزح في موضعه كالجد في موضعه

أجود ما قيل في التظافر والتعاون قول قيس بن عاصم المنقري بوصى ولده وقومه

وجدت في كتاب غير مسموع لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة وعابنته وقال

يا بني أوصيكم بتقوى الله وليعطف الكبير منكم على الصغير ولا يجهل الصغير حق

الكبير وأكرموا مسلة بن عبد الملك فإنه نابكم الذي عنه تعبرون ومجنكم الذي

به تستجبرون ولا تقطعوا من دونه رأياً ولا تعصوا له أمراً ، وأكرموا الحجاج بن

يوسف فإنه الذي وطأ لكم المغابر وذللكم قارب العرب وعليكم بالتعاون والتظافر

وياكم والتقاطع والتدابير . فقال قيس بن عاصم لبنيه :

بصلاح ذاتِ البينِ طولُ بقائكم إن مُدَّ في عمري وإن لم يُمددِ

حتى تلين جلودكم وقلوبكم لسود منكم وغير مسود

إن القداح إذا جُمنَ فرامها بالكسر ذو حنق وبطش أي
 عزت ولم تكسر وإن هي بددت فالوهن والتكسر للمتبدد
 ثم قام علي بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما قد
 حضر من الأمر ماتريان فان كان في نفوسكما شيء من بيعة الوليد تزعمناه وجعلنا
 الأمر حيث شئنا قالا بل رضينا أكمل الناس لها وأقواهم عليها قال أما والله لو
 غيرها قلنا لمتما قبلي ثم رفع طرف فراشه فإذا نحت سيف مجرد فقال للوليد لأعرفنك
 إذا أنامت تعصر عينيك وتمسحها نعل الأمة الوعكاء شمر وأبرز والبس جلد
 النمر وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا. ثم لم يزل
 متمثلا بقول الشاعر :

وهل من خالد أما هلكننا وهل بالموت يالناس عار
 ثم قال الحمد لله الذي لا يبالي أصغيره لك في ملكه أم كبير ثم قضى . فقال هشام
 ابن عبد الملك :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكن بنيان قوم تهدما
 فسمعها الوليد فتطير منها فرفع يده فلطمه وقال إنك أعور مشؤوم هلاقت كما
 قال التميمي :

إذا سيدنا منا ذرا حدنا به تخبط فينا ناب آخر مقرم
 فسمع مسلمة الصبيحة فقال ذروا الصياح فانكم إن استقمتم استقام الناس
 وإن اختلفتم اختلفوا .

أخبرنا أبو حمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
 كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال ليقل
 كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله
 فأنشدوا وفضلوا فقال بعضهم أمرؤ القيس وقال بعضهم النابغة وقال بعضهم
 الأعشي ، ولما فرغوا قال أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندي الذي يقول :

وذى رحمٍ قلمتُ أظفارَ ضغنه
 إذا مُتتهُ وصلَ القرابةِ سامنى
 وأسى لىكى أبنى وبهدمِ مصالحي
 يحاولُ رغبى لا يحاولُ غيرهُ
 فإن أتصر منه أكن مثلَ رائش
 فبادر منى النأى والمرءُ قادرُ
 فإن أعفُ عنهُ أغضُ جفناً على القذى
 حفظتُ الذى قد كان بينى وبينه
 فما زلتُ فى إين لهُ وتمطف
 لا ستلَّ منه الضغنَ حتى سلته
 بجلى عنه وهو ليس لهُ حلمُ
 قطيعتها تلك السفاهةُ والظلمُ
 وليس الذى بينى كمن شأنه الهدمُ
 وكالموتِ عندى أن ينالَ لهُ رغمُ
 سهامِ عدوٍ يستهاضُ بها العظم
 على سهمه مادامَ فى كفه السهم
 وليس لهُ بالصفح عن ذنبه علمُ
 وهل يستوى حربُ الأقرابِ والسلمِ
 عليه كما تحنو على الولدِ الأمُ
 وإن كان ذا ضغنٍ يضيقُ به الحزمُ

فقالوا يا أمير المؤمنين من قائل هذه الايات فما أحسنها وأرضاها قال معن

ابن أوس المزنى .

ومن أجمع ما قيل فى المعروف قول النبي ﷺ « المعروف كاسمه » أخبرنى
 عم أبى عن أبيه قال قال العتابى كنت واقفاً بباب المأمون أتتظُر من يستأذنه لى
 فأقبل يجيى بن أكنم فقمعت اليه فقلت استأذن لى على أمير المؤمنين فقال لست
 بحاجب فقلت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير سبيلى قلت
 ان الله قد آتفك بجاه وهو مقبل عليك بالزيادة ان شكرت وبالنقصان ان كفرت
 وأنا لك منذ اليوم أنفع منك لنفسك أدعو الى ازدياد نعمتك وتأبى على ولكل
 شىء زكاة وزكاة الجاه رقد المستعين وقد قال رسول الله ﷺ (أفضلُ المعروف
 فضلُ جاهك تعود به على من لاجاه له) ففعدت ودخل فما لبث ان خرج
 الحاجب يسأل عنى فدخلت فقال حدثنا أبو نصر التمار عن سفيان بن عيينة عن
 ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله
 ﷺ على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وجعفر الطيار وعمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنهم أجمعين فتذاكروا المعروف فقال علي : المعروف حصن من الحصون وكنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفره فقد يشكر الشاكر ما أضاعه جحود الكافر . وقال العباس : المعروف أفضل الأُمور وأوثق الحصون ولا يتم إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره فإذا عجلته هنأته وإذا صغرت عظمته وإذا سترته تمتته إن بأهل المعروف من الرغبة أكثر مما بأهل الحاجة اليهم ويان ذلك أن لهم ذكروه وسناؤه ونخروه فهما أتيت من معروف فأما أتيت لنفسك . وقال عمر إن لكل شيء أنفًا وأنف المعروف السراح . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « فيم أتم » فقالوا تتذاكر المعروف فقال عليه الصلاة والسلام « المعروف كاسمه وأول من يدخل الجنة المعروف وأهله »

ومن أجود ما قيل في بذل المعروف وإن كان قليلاً ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن المنقري عن الأصمعي عن بعض العباسيين قال كتب كلثوم بن عمرو إلى رجل في حاجة : بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك إلى رضوانه وجنته . أما بعد فأنك كنت روضة من رياض الكرم تبتهج النفوس بها وتستريح القلوب إليها وكنا نغفينا من النجمة استتماماً لزهرتها وشفقة على نضرتها وإدخاراً لثمرتها حتى مرت بنا في سفرتنا هذه سنة كانت قطعة من سني يوسف اشتد علينا كلبها وأخلفتنا غيوماً وكذبنا بروقها وفقدنا صالح الإخوان فيها فاجتمعك وأنا بانتجاعى بك كثير الشفقة عليك مع على بأنك نعم موضع الزاد واعلم بأن الكريم إذا استحى من إعطاء القليل ولم يحقر الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر همته وأنا أقول في ذلك :

ظل البسار على العباس محدودٌ وقلبه أبدأً بالبخل معقود
 إنَّ الكريم ليخفي عنك عمرته حتى تراه غنياً وهو مجهود
 وللبخيل على أمواله عللٌ زرق العيون عليها أوجه سود
 إذا تكرّهت أن تعطى القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود

بثَّ النوالَ ولا يمنعك قلتُهُ فكل ماسدًا فقراً فهو محمود
قال فشاطره ماله حتى بعث اليه قيمة نصف خاتمه وفرد نعله . ومن مليح ما جاء
في هذا المعنى قول ابن الرومي :

أبا عمرو لك المثلُ المعلى	وجدتُ عدوك التربُّ الذليلُ
رأيت المظلَّ ميداناً طويلاً	بروضُ طباعهُ فيه البخيلُ
فما هذا المظالُّ فدتك نفسى	وباعك بالندى باعٌ طويلُ
أظنك حينَ تقدرُ لي نوالاً	يقبُلُ لديك لي منهُ الجزيلُ
فلا تقدر بقدرك لي نوالاً	ولا قدرى فيحقُرُ ماتيلُ
وأطلق ما تهتمُّ به عساهُ	كفافي أيها الرجلُ النبيلُ
وإلا فالسلامُ عليك منى	نبت دارٌ فالسرعُ بي الرحيلُ
إذا ضاقت على أمل بلادُ	فما سدت على عزم سبيلُ

وقال غيره :

وما الجودُ عن فقرِ الرجالِ ولا الفنى ولسكنهُ خيمُ الرجالِ وخيرها
ومن عجيب المعاني في عظم السؤال وموازنته للنوال بل رجاحته عليه ما
أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن
عباد قال دخل كوثر بن ذفرين الحارث السكلابي على يزيد بن المهلب فقال له أيها
الأمير أنت أعظم قدراً من أن تستعان أو يستعان عليك وليس تفعل من المعروف
شيئاً إلا وهو يصغر دونك وأنت أكبر منه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب
أن لا تفعل . فقال سل حاجتك قال حملت عشر ديات وقد بهظتني فقال قد أمرت
لك بها وشفعتها لك بمثلها فقال أما ما سألتك بوجهي فأقبله منك وأما ما ابتدأتني
به فلا حاجة لي فيه . قال ولم وقد كفيتك مؤنة السؤال ؟ قال لا أنى رأيت الذى
أخذت منى بمسألتى إليك بوجهي أكثر مما نالني من عرفك وكرهت الفضل على
نفسى . فقال له يزيد أسألك بحقك على لما رأيتني أهله من انزال الحاجة بي لإقبلتها فقبلها .

وسأل العتابي رجلاً فحصر وأقل فقليل له قد أقلت فقال وكيف لا أقل
ومى ذل المسألة وحيرة الطلب وخضوع الهيبة وخوف الرد . وقيل لا آخر متى
يكون البليغ عيباً قال إذا سأل حاجة لنفسه . وقال أحمد بن أبي خالد الاحول :
ما استكثرت بذلاً بذلته قط لا ترى الأجر والشكر أكثر منه ولا استصغرت
معروفاً قط لا ترى أراه أكبر من تركه .

ومن جيد ما قيل في الترغيب في المعروف قول الأول :

فانك لا تدري إذا جاء سائلٌ أنت بما تعطيه أم هو أسعدُ
عسى سائلٌ ذو حاجة أن منعه من اليوم سؤلاً أن يكون له غدُ

هذا آخر كتاب الخصال والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأُمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بصر ناسب الحمد ووقفنا على طرق الظم لنضع كلاً منهما في موضعه
ونستعمله في حينه ونلحقه بمستحقه إذ ذكر من أحبه فقال (نعم العبدُ إنَّه أوَّابٌ)
ووصف من مقته فقال (هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِتَمِيمٍ مَنَاعٍ لِلسَّخِيرِ مُعْتَدٍ
أَتِيمٍ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ) فدم قوله وفعله وطاب شيمته وخلقه وهتك
بالشم عرضه وسود بالدم وجهه جزاء بما اكتسب من ذميمة الفعل ووفقاً لما أطلقه
من اسم المقال نكالا من الله والله عزيز حكيم . وصلى الله على نبيه محمد البشير النذير
الداعي إلى الله بآذنه والسراج المنير وعلى آله الطيبين وعترته .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في المعاتبات والهجاء والاعتذار وهو :

﴿ الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني ﴾

وهو يشتمل على ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المعاتبات ﴾

فمن أوائل ذلك ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قال عليه الصلاة والسلام لطلحة حين رأى تلونه عليه « فراق جميل خير من صحبة على دخن » والدخن والدخل الفساد والمدخول الفاسد وقد دخل فسد ، وروى (على دخل) ومن قديم ما جاء في ذلك قول أبي ذؤيب :

تريدن كما تجمعيني وخالداً وهل يجمع السيفان ويحك في غمد

يقول لأم عمرو امرأة من هذيل وكان رجل منهم يقال له وهب بن عمرو - وقيل وهب بن جابر - هوبها فامتعت عليه فخرج يوماً بتصيد فختل ظبية فلما أخذها أنشد :

فمالك يا شبيهة أم عمرو اذا عاينتنا لا تأمنينا

فمينك عينها اذ تنظرينا^(١) وجيدك جيدها لو تنطقينا

وساقك ساقها^(٢) ولا أم عمرو خدلجة يضيق بها البرينا

ورأسك أزعر ولا أم عمرو غدائر ينعفرن وينثنينا

ثم خلا منها فبلغ ذلك أم عمرو فواصلته وكان رسوله اليها أبو ذؤيب فلما أبتع وترعرع رغبت اليه واطرحت وهباً وخشى أبو ذؤيب الفضيحة فقصر عنها

(١) «تنظرينا» غير موجودة في الاصل (٢) (ساقها) غير موجودة في الاصل .

وجعل يرسل اليها خالد بن ابراهيم^(١) فلم تلبث ان علفت خالداً و تركت ابا ذؤيب
فجعل أبو ذؤيب يعاتب خالداً ، مثل قوله :

فنفسك فاحفظها ولا تُبند^(٢) للعدي من السرِّ ما يُطوى عليه ضميرُها
رعى خالدُ سرِّي لياليَ نفسهُ توالى على قصدِ السبيلِ أمورُها
فلما تراماهُ الشبابُ وغيهُ وفي النفس منه غدره ونحورها^(٣)
لوى رأسه عني ومال بودّه اغانيجُ خودِ كان فينا يزورها
تعلقه منها دلالٌ ومقلّةٌ تظللُ لأصحابِ الشقاءِ تدبرها
وما أنفسُ الفتيانِ إلا قرائنُ تبينُ ويبقى^(٤) هامها وقبورها
فأجابه خالد :

لا يبعدن اللهُ حلمك اذ غزا وسافرَ والاحلامِ جمٌ عثورُها
لعلكِ إما أمٌ عمرو تبدلت سواك خليلاً شامئى تستخيرها^(٥)
فلا تجزعن من سنة أنت مسرتها فأول راض سنة من يسيرها
وهذا جواب لانرى أقطع منه لأنه ذكر أنه انما جوزى بمثل فعله :
فان السى فينا زعمتَ ومثلها لفيك ولكنى أراك تجوزها^(٦)

(١) خالد هذا هو ابن أخت أبي ذؤيب وابن عمه ، على مافي ديوان أبي
ذؤيب ، وفيه (خالد بن زهير) لا (بن ابراهيم) . وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد
ابن محرث من بني تميم بن سعد بن هذيل ، شاعر مفلق ، أدرك الجاهلية والاسلام
قدم المدينة على النبي ﷺ وهو في مرضه فمات قبل وصوله بليلة وشهد دفنه ، وتوفي
في خلافة عمر ، وسئل حسان : من أشعر الناس فقال حياً أم رجلاً ؟ قالوا حياً
قال هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . (٢) في نسخة «نفس» .
(٣) في ديوان أبي ذؤيب «فتنة وفجورها» . (٤) في الاصل (ويثنى) .
(٥) تستخيرها : تستعطفها وأصله أن الغزال والعجل يخور إلى أمه فتجيبه ، معناه
تطلب منها أن تجيبك . (٦) تجوزها أى تعذل عنها . وفي الديوان (تجوزها) .

ألم تنقذها من ابن عويمر وأنت صفي نفسه وسجيرها
فإن يك يشكو من قريب مخانة (١) فتلك الجوازي عقبها ونصورها
وفيه يقول أبو ذؤيب:

يرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا فذلك سكين على الحلق حاذق
ثم إن وهباً بعث ابنه عمرآ فوهب لها ذات يده فواصلته وكان لعمر وعلانيتها
ونخالد سرها فجاء خالد ليلاً وعمر و معها على شراب فقتله وهرب فبلغ الخبر وهباً
فركب في جمع فقبموه حتى لحقوه فقتلوه فقال أبو ذؤيب يرثيه:

لعمر و أبي الطير المربة غدوة على خالد إن قد وقعن على لحم
كليه وربى لن تعودى بمثله عشية لآقه المنية بالردم
فأنك لو أبصرت مصرع خالد منعت (٢) الستار بين أظلم فالخزم
علمت بأن الباب ليست؟ ولا البكر لاضمت يدك على غنم
ضروب لهامات الرجال بسيفه إذا التفت الأبطال مجتمع الخزم
ومن قديم العتاب الممزوج بالشكوى قول جميل:

لحى الله من لا ينفع الود عند ومن حبله إن مد غير متين
ومن هو إن تحدث له العين نظرة تقصب لها أسباب كل قرين
ومن هو ذو لونين ليس بدائم على العهد خوان لكل أمين
ومن هو عند العين أما لقاءه فحلوا وأما غيبه فظنون

وكتب بعض الكتاب: لو كنت أعلم أنك تعتب إذا عانتك سلكت في
ذلك مذهباً لا يبلغ فيه القصوى ولا اقتصر على الأدنى ولا أخليتك من الاستزادة
في غير شكوى والتعريف في غير تعنيف والاحتجاج في غير تنكيت ولا توقيف
ولكن شر القول مالا يسمع وليس لقائله فيه منتفع وأشبه البر بالعقوق ما استكرهت

(١) في ديوان أبي ذؤيب (وان كنت تشكو من خليل مخانة) وفي النسخ

نقص كلمات في الايات استدر كناها من الديوان . (٢) في النسخ غير منقوطة .

عليه النفوس ، وقد قال الشاعر :

وليس بمغن في المودة شافعٌ إذا لم يكن بين الضلوعِ شفيعٌ
وكتب السكرخي : قد واصلت أياماً تباغاً غدو آ إليك ورواحا حتى ملني البكور
وسمى التهجير وشكاني الطريق ولحاني الصديق في كل ذلك أعاق بالحجاب
وتستقبلني ردة البواب :

ولاخير في ودّ امرئ متكارهٍ عليك ولا في صاحبٍ لاتواقه
وهذا ذره (١) عتاب جاش به الصدر وضاق عن كتمان الصبر فان عطفتك
حفاظ فأهل الفضل والبر أنت وإلا فاني على العهد الذي كان بيننا ولا أقول كما قيل :
فما ملني الانسان إلا ملتهُ ولا فاني شيء فظلت له أبكي
ولا أقول كما قيل :

وإني على عهد الأخلاق دائمٌ ولست إذا مال الصديق على حرفٍ
إذا أنالم أصفح وأغضض على القذى فلا انبسطت في الحادثات إذا كفى
ومن أطف الكلام قول بعض الكتاب : أنفذ إلى أبو فلان كتاباً منك
فيه ذره عتاب كان أحلى عندي من تعريسة الفجر وألذ من الزلال العذب
فلك العتيبي وليك وسعديك داعياً مستجاباً له وعاتباً معتذراً إليه ولو شئت مع
ذلك أن أقول إن العتب عليك أوجب والاعتذار لك أزم لقلت وليكني
أسامحك ولا أشاحك وأسلم لك ولا رادك لأن أفعالك عندي مرضية وشيمك لدى
مقبولة ولو لا أن للحجة موقعها لفصرت العنان عما أجريت إليه من هذا العتاب
وكففت اللسان عما أطلقته فيه من مر هذا الخطاب وقلت :

إذا مرضتم (١) أتيناكم نعودكم وتذنبون فئاتيكم ونعتذر
ولا ترى كلاماً أطف من هذا ولا أحسن في معناه . وكتب بعضهم لست
أقتضى الوفاء بكثرة الالحاح فأنقل عليك ولا أقابل الجفاء بترك العتاب فأغتم

(١) في القاموس : ذره من خير شيء منه (٢) في الاصل (إذا مرضنا)

القطيعة منك والمثل السائر « ويبقى الود ما بقى العتاب » . وقلت :

أمنعاً إذا جثتم أستعيرُ فكيف إذا جثت أستوهبُ
ومثلي إذا كان في معشرٍ فلأمرٌ عندهم منكب
يقرب مثلي إذا ما نأى ويكرم مثلي إذا يقرب
عتبتك للود لا للقلبي وواصل صديقاً ماتعتب

ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

إذا رأيتُ ازوراراً من أخى ثقة ضاقتُ على برحبِ الارضِ أوطاني
فإن صدّدتُ بوجهي كي أكافتهُ فالعينُ غضبي وقلبي غيرُ غضبان

وقد أحسن العباس بن الأحنف في قوله :

كنا نعاتبكم لياليَ عودكم حلو المذاق وفيكم مستعتبُ
فالآن اذ ظهر التعتبُ منكم ذهب العتابُ وليس عنكم مذهب

ومن مشهور العتاب قولهم :

طال المطالُ فلا خلودَ حاجةٌ مقضيةٌ أو يرثُ بنفعُ
واعلمُ بأنى لأمرشُ بحاجةٍ إلا وفي عمرى بها مستمتع

ومن جيد المعاتبات قولُ أبي تمام في أبي دلف :

يأبها الملكُ النأى بفرتهِ (١) وجوده لمرجى (٢) جوده كئيبُ
نيس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملاً أن السماء تُرجسى حين نحتجب
مذون بابك لي باب أودُّ به وما ورامك لي مشوى ومطلب

وقوله في أبي سعيد :

لعمرك لليأسُ غيرُ المرثِ خيرٌ من الطمع الكاذب
وللريبُ تحصره بالنجاح خيرٌ من الأمل الخائب

وقال يعاقب موسى بن إبراهيم الرافعي في ضنه عنه بجأهه :

(١) في الأصل « برؤيته » . (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الأصل « لمرعى » .

سأقطع أرسانَ العتابِ بمنطقٍ قصيرٌ عناءِ الفكرِ فيه يطولُ
وانَّ امرأً ضنتُ بدهاءِ على امرئٍ بنيلٍ يدٍ من غيره لبخيلِ
أخذه من قول مسلم :

وأحببتُ من حبها الباخلينَ حتى رمتُ ابنَ سلمٍ سعيداً
إذا سئلتُ عرفاً كسا وجهه ثياباً من البخلِ صفراً وسوداً^(١)
يفارُ على المالِ فعلَ الجوادِ وتأبى خلائقه أن يسوداً^(٢)
وقول أبي تمام :

لآل وهبٍ أكفٌ كلما اجتديتُ فعلنَ في المحلِّ ما لم تفعلِ الدميمُ
قومٌ تراهم غيارى دُونَ مجدهم حتى كأنَّ المعاليَ عندهم عرم
ومنها: دنيا والسكنها دنيا ستنصرم وآخرُ الحيوانِ الموتُ والمهرم
ومنها: فلا تقل قدمٌ أزرى يبهجته لبسِ الملا طلالا يزرى به القدم
وقد أحسن ابن الرومي وأجاد في قوله لقومٍ إستان بهم فأعانوا خصمه :
تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا نبالَ العدى عنى فكنتم نصالها
وقد كنت أرجو منكم خيراً ناصر على حين خذلانِ اليمينِ شالها
فإن أنتم لم تحفظوا لمودتى ذماماً فكونوا لاعليها ولا لها
قفوا موقفَ المعذور مني بمنزل وخلصوا نبالي للعدى ونبالها
هى النفسُ إما أن تعيشَ عزيزةً وإلا ففتمُّ أذً تزولَ زوالها
عفاءً على ذكر الحياة إذا حمت على المرءِ إلا رفقها وسماها
وهذا مثل قوله أيضاً :

عفاءً على الدنيا إذا مستحقها بهاها ولن يرجى لديه منوعها

وسأل بعض الرؤساء أن يكتب له كتاباً إلى رئيس فقال :

أبخلُ بالقرطاسِ والخطِّ عن أنح وكفالكِ أئدى في العطايا من المزنِ

(١) في ديوان مسلم المطبوع «ثياباً من اللؤم حمراً وسوداً». (٢) في الديوان «أن يسوداً».

فلا يكن المبدول للوم^(١) سممه وقرطاسه^٢ بين الصيانة والخزن
وهي طويلة. وقال جمحظة يعاتب على شدة الحجاب :
الله يعلم أننى لك شاكر^٣ والخير للفعل الجميل شكور
لكن رأيت^٤ يباب دارك جفوة^٥ فيها لصفو صنيعه تكدير
مابال دارك حين تدخل^٦ جنة وبياب دارك منكرو^٧ ونكبر
غيره : سأترك هذا الباب مادام إذنه^(٨) على ما أرى حتى يلين قليلا
إذا لم أجد يوماً إلى الأذن سلماً وجدت^٩ إلى ترك^{١٠} المحبى سبيلا
وقول أبى تمام * ان السماء ترجى حين تحتجب * مأخوذ من قول الأؤل :
وإنى لأرجوكم على بطم^{١١} سعيكم كما في بطون^{١٢} الحاملات رجاء
وقد أحسن أبو تمام في معاتبة ابن أبى دواد واستبطائه إياه في قوله :
رأيت^{١٣} العلاممورة منك دارها إذا اجتمعت يوماً^(١٤) وقر^{١٥} قرارها
وكم نكبة ظلام^{١٦} تحسب ليلتة^{١٧} تجلى لنا من راحتك نهارها
فلا جارك العافي تناول^{١٨} محلها ولا عرضك الوافي تناول^{١٩} طارها
فلا تمكن^{٢٠} المطل من ذمة^{٢١} الندى فبئس أخوالأبدى الكبار^(٢٢) وجارها
فان الأيادى الصالحات كبارها إذا وقعت^{٢٣} تحت المطال^{٢٤} صغارها
وما نفع من قدبات^{٢٥} بالأمس^{٢٦} صادقاً^(٢٧) إذا ما ساء^{٢٨} اليوم طال^{٢٩} انهارها
وخير^{٣٠} عدات المرء^(٣١) محتضراتها كما أن^{٣٢} خيرات الليالى قصارها
وما العرف^(٣٣) بالتسويق^{٣٤} الا كخلة^{٣٥} تسليت^{٣٦} عنها حين شط^{٣٧} مزارها

(١) (للؤم) ساقطة من الأصل فاستدر كنها من ديوان ابن الرومى المخطوط .

(٢) نسبها ابن خلكان لأبى العميثل ، وفيه (يخف) مكان (يلين) و (اللقاء)

في موضع (المحبى) . (٣) في ديوان أبى تمام « جاشاً » .

(٤) في ديوان أبى تمام « الغزار » . (٥) في الأصل « ضارياً » .

(٦) في ديوان أبى تمام « الحر » . (٧) في الديوان « وما النفع » .

وقد أحسن في هذه الأبيات ما شاء وفي قوله أيضاً لملك بن طوق وقد حجبه :
 قل لابن طوق رحاسعد إذا خبطت نوائب الدهر أعلاها وأسفلها
 أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها حلماً وكيسها علماً ودغفلها
 مالي أرى الحجرَةَ الفيحاء ^(١) مقفلةً عني وقد طال ما استفتحت مقفلها
 كأنها جنة الفردوس معرضة وليس لي عملٌ زاكٍ فأدخلها
 وليس لهذا التمثيل نظير في حسنه وبراعته .

وكتب الصاحب أبو القاسم ^(٢) إلى بعضهم يعاتبه في صفر كتابه إليه : كتابي
 وعندي نعم من أعظمها خلوص ودك وبقاء عهدك ورد لي كتاب حسبه
 يطير من يدي نخفته ويلطف عن حسي لقلته وعهدي بك تروى إذا سقيت
 وتجزل إذا أعطيت فما الذي أحالك وبدل حالك أملال أم كلال أم اقلال وليس
 عندي أنك عملٌ صديقاً صدوقاً وشقيقاً شقيقاً ولا عندي أنك تسكل ولو ملأت
 الأرض كلاماً وشحنت صفحات الجوى نظاماً ولا عندي أنك تقلُّ وبحر فضلك
 فياض وثوب علمك فضفاض فما أملك وقد نبوت وزهدت وجفوت إلا أن أصبر
 على هجرتك كما تمتعت بصلتك لتكون عني نسخة أخلاقك إذا قربت وبعدت
 ووصلت وصددت وأكره أن أطبل وقد قصرت وأكثرت وقد أقلت فتسامني كما
 سمعت عادتك وتتركني وقد تركت شيمتك فأحب أن تطالعني بأخبارك وعوارض
 أوطارك إن شاء الله تعالى :

إذا أنت طابت الصدوق ولم يكن يودك لم يعتبك حين تعاتبه
 ومن يرع شرقى البلاد سوامه وغريبها يملكه ؟ صاحبه
 ومن يخاطب الماء الزلال بآجن من الماء تخبث ما تطيب مشاربه
 وكتبت جواباً عن كتاب نقصت فيه من الخطاب : وقفت على الفصل
 المؤذن بالجفاء المشتمل على سوء الجزاء وعلى ما احتواه من ذنى الخطاب ووضع الدعاء

(١) في ديوان أبي تمام «البيضاء» . (٢) هو الصاحب بن عباد الوزير البليغ المشهور .

وعجبت كيف حططت الدعاء من رتبته المعروفة وخفضت الخطاب عن درجته
 المألوفة وأنت على منزلتك لم تزد تقيرا وأنا في درجتي لم أنقص قطيرا فكيف
 لو زدت زادك الله بصراً بمالك وعلبك وأراك من عيبك ما لا يتصور لديك
 وكفاك من شر نفسك ما هاصر عليك من كيد عدوك وشماتة حسودك ولا
 أخنار لك أن تتكبر كلما تكبر وتتجبر كلما تجبر فقد سمعت ما قال يحيى بن خالد :
 من بلغ رتبة فتاه أخبر أن محله دونها ومن بلغها فتواضع أعلم أن حقه فوقها
 فكيف والأحوال على ما كانت عليه لم يبصر الهلال بدرأ ولا الشبل لينا ولا الفصن
 ساقا ولا القطوف معتاقا . والعرب تسمى الكبريتيا وهو الخيرة لأن صاحبه لا يهتدى
 لرشاد ولا يصل إلى سداد ولولم يكن إلا التطير من اسمه دون التحلي بقبح سمته
 ورمحه لكان العاقل حقيقاً بتركه وخليقاً برفضه ، وقد قيل ليس لمعجب رأى
 ولا متكبر صديق فإياك أن تحرم نفسك بكبرك الذي يضرك ولا ينفكك ويحطك
 ولا يرفعك استفادة الاخوان الذين هم أبلغ في الخير والشر من البيض الحداد
 وأحضر عناء في الأمن والخوف من الطرائف والتلاد فان ذلك غبن كبير وحرمان
 جسيم ، وقد قال الأول :

مبايل من أوله نطفة^١ وآخره جيفة^٢ يفخر^٣

وإبعض بني هاشم وهو الرضى رحمه الله تعالى :

ولرب مولى لا يفض^٤ جماعه^٥ طول العتاب^٦ ولا عناء^٧ العذل^٨
 يطفى عليك و أنت تلام^٩ شعبه^{١٠} والسيف يأخذ من بنان الصيقل^{١١}
 ضاق الزمان^{١٢} فضاقت فيه قلبي^{١٣} والماء يجمع نفسه في الجدول^{١٤}

وقال بعضهم في يزيد بن المهلب :

فمن يلازم النازلون^{١٥} محله^{١٦} ؟ فنزلكم^{١٧} للحمد والشكر منزل^{١٨}
 رأى الناس فوق المجد مقدار^{١٩} مجدكم^{٢٠} فقد يسألوكم فوق ما كان يسأل^{٢١}
 وقصر عن مسعاكم^{٢٢} كل^{٢٣} آخر^{٢٤} وما فاتكم^{٢٥} ممن تقدم^{٢٦} أوّل^{٢٧}

بلغتُ الذي قد كنتُ أمه لكم وان كنتُ لم أبلغ بكم ماؤملاً
ومالي حقٌ واجبٌ غير أني اليكم بكم في حاجتي أتوسلُ
فإن أنتم أنعمتم وبرزتم فقد بستتم النعمة المتفضل
وان كنتم أوليتموني تفضلاً جميلاً فإن العود بالفضل أفضل
وكم ملحفٍ قد نال منكم رغبةً وبمنعنا من أن نلجج التجميل
وعودتموني قبل أن أسأل الفنى ولا يكمل المعروف والوجه يبذل
وقال ابن الرومي :

من الحيفِ تخسيس^(١) النوال ومطله فمجلٌ خبيساً أو فأجل موفراً
وكن نخلتة تلوى وتسنى عطاءها وإلا فكن عفاً أقل وبسراً
وقال : يا شبية البدر في الحسن وفي بُعد المثال
جُدٌ فقد تنفجر الصخرة بالماء الزلال

وله في المعانيب مالا أعرف لغيره - قال :

يا ابن الوزير الذي تمت وزارته لا نجمن على العار والنارا
ان كنت أحسنت في وصفي ما ترمك فأثروا في بالاحسان آثارا
وإن أكن قلت مالا أستحق به^(٢) منكم ثواباً فردوه وما سارا
ان المديح إذا ما سار منفرداً من الثواب كسى من قاله طارا
فقد بعزٌ بليغ في بلاغته وقد بظن سوى المختار مختارا
أسهت فيكم لكي أعلى فطاطاني تقصيركم بي فقد أزمعت إقصارا
ان السلايم لا تبني أطاولها يوماً ليهبط بانين اغوارا
لكن ليصعد انجاداً تشرّفه حتى بمد اليها^(٣) الناس أبصارا
وقد هبطت بما شيدته لكم من حائق ولعل الله قد خارا

(١) في الأصل « تطفيف » وفي ديوان ابن الرومي « تخسيس » .

(٢) في الديوان « أو كنت قد قلت مالا أستحق به » . (٣) في الديوان (إليه) .

كم هابط صاعد من بعد مهبطه (١) وغائر منجد من بعد ماغارا
 ثقلت في كفة الميزان فانكد رت تهوى وشال خفاف الناس (٢) اقدارا
 صبراً فكم ناهض من بعد وقته يوماً وكم واقع من بعد ماطارا
 لابني سمير (٣) صروف غير غافلة يحسن نقضاً كما أحسن امرارا
 وقال: وتابع بعد الفتح قوماً سبقتهم فلم أنافي نعامك ردف وهم صدر
 ولم يصف من شيء صفاء طوبى فلم شربهم صفو ولم مشربي كدر
 وما جاء مدح مثل مدحى فيكم فلم كسبهم مدح ولم مكسبي جزر
 وماى لا أنفك أنى مسنداً ولى منكم ظهر وما مثلكم ظهر
 لعمرى لقد غوثت غير مقصر لتجبر من مالى وقد أمكن الجبر
 وكم قائل أبلغت فيما تقوله فقلت له غنيت لو ساعد الزمر
 وقلت: قد كنت تولىنى الحسنى وتكرمنى وكنت أشكر ما أتى من الحسن
 فما بدا لك في جود ومكرمة تجرى من المجد مجرى الروح في البدن
 ارجع الى الحالة الأولى فان لنا شكراً يكون لها من أوفر الثمن
 وحسن أحدوثه لو كنت تبصرها حسبها مغرة في جبهة الزمن
 أركى من المسك في أصداغ غانية كأنها قرأ أوفى على غصن
 وللصاحب بن عباد في الاستزادة والعتاب أبيات لم يمر بي من شعره أجود منها فنها:
 سيدهد أبناء المفاخر كلهم بأن مضيع الأكرمين مضيع
 يززعرك الواشون عن حومة العلا وكان بعيداً أن يززعزع لعل
 وقد طرف البحترى في قوله بسنبطنى . محمد بن العباس الكلابي :
 المئة الدينار منسية في عدة أشبعها خلفا
 لاصدق اسماعيل فيها ولا وفاء ابراهيم إذ وفى

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (هبطته) . (٢) في الديوان (القوم) .

(٣) ابنا سمير : الليل والنهار لأنه يسر فيهما أى يتحدث - كما في جنى الجنتين .

ان كنت لاتنوى نجاحاً لها فكيف لاتجعلها ألفاً
 وقوله : عمرت أبا اسحق مصلح العمر ولا زال مَزْهُواً بآبائك (١) الدهرُ
 فأنت ندى نجيا به حيث لا ندى وقطرٌ برجسي جوده حيث لا قطر
 على أنى بعد الرضا متسخطاً ومستعجب من خطة سهلها وعر
 وقد أوحشتني ردة لم أكن بها بأهل ولا عندي بتأويلها خبر
 فلم جئت طوع الشوق من بعد غابتي الى غير مشتاق ولم ردني بشر
 وما بالله بأبي دخولي وقد رأى خروجي من أبوابه وبدي صفر
 ومن جيد ما قيل في حسن الاقتضاء قول أبي تمام :
 وإذا المجد كان عوفى على المر وتقاضيته بترك التقاضى
 وقول الآخر : أروح بتسليم وأغدو بمثله وحسبك بالتسليم منى تقاضيا
 وفي خلاف ذلك قول بعضهم : نقتى بكرمك تمنع من اقتضائك وعلى بشغلك
 يحدو على اذ كارك . ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :
 أنت أمضى من أن تحرك للمجد ولكن شراهة الشعراء
 وفي خلاف ذلك قول الآخر :
 أروح وأغدو نحوكم في حوائجى فأصبح منها غدوة كالذى أمسى
 وقد كنت أرجو للصديق شفاعتى فقد صرت أرضى أن أشفع فى نفسى
 وقول الآخر : وموت خير من حياة زهيدة ولمنع خير من عطاء مكدر
 ومن مליح الاستبطاء ما كتب بعضهم : كتابي ليس باستبطاء وامساكي ليس
 باستغناء . ولكن كتابي تذكرة لك وامساكي نقة بك . وكتب عثمان الى علي رضي
 الله تعالى عنهما : أما بعد فقد بلغ الماء الزبي والحزام الطيبين وطعم في من لا يدفع عن نفسه :
 فان كنت ما كولاً فكن خيراً آكل وإلا فأدركني ولما أمرتني
 ومما جاء في ذم العتاب قول بعض الحكماء : العتاب رسول الفرقة وداعي القلى وسبب

(١) في ديوان البحتری « بأيامك » .

السوان وباعث الهجران. وقال بعضهم: العتاب يبعث التجنى والتجنى ابن المحاجة والمحاجة
أخت العداوة والعداوة أم القطيعة. وقال بعضهم: سبيل من يأخذ على أيدي الأحداث أن
لا يكدرهم بالتوبيخ لئلا يضطروا إلى الفحة. وقال غيره العتاب داعية الاجتناب فإذا
انبسطت المعاتبة انقبضت المصاحبة. وقال آخر: حرك اخوانك ببعض العتاب لئلا
يستعدبوا أخلاقك وأغض عن بعض ماتمكر منهم لئلا يوحشهم الحاحك. وهذا
أقصد ما قيل في هذا المعنى. وكتبت في فصل لى: العتاب مقدمة القطيعة وطلبة
الفرقة فتجنبه قبل أن يجنبك حظك من السرور برؤية أحبائك وانتقل عنه قبل
أن ينتقل بك عن مقر غبطتك بمشاهدة أودائك وإن لم تجد منه بداً فاقصد فيه
ولا تكثر منه فإن الكثير من المحبوب مملول فكيف من المكروه والاقتصاد في
الممود ممدوح فكيف من المذموم. وقال ابن الرومي:

أرَّفه ما أرَّفه في التفاضى وليسَ لديك غيرُ المطلِ نقدُ
خلا وعد مددت اليه كفى (١) فأعرضَ دونهُ مطلٌ يمدُّ
إذا إنجازُ وعدك كنَّ وعداً فيكفيني من الوعدينِ وعد
وقال: سألتُ قفيزين من حنطةٍ فجدتَ بكرٍ من المنعِ واف
وأتبعته منكم لى بالجابِ مهلاً مُهديتَ ففى المنعِ كافٍ
كأنى سألتك حبَّ القلوبِ ذاك الذى من وراءِ الشفافِ
وقد أجاد الآخر حيث يقول:

وكنَّ عندَ ما ترجوه منك فاننا جميعاً لما أوليتَ من حسنِ أهلِ
ولا نعتذرُ بالشغلِ عنا فانما تناطُ بك الآمالُ ما اتصلَ الشغلُ

(١) فى ديوان ابن الرومي المخطوط «مددت اليه عيني».

الفصل الثاني من الباب الثالث في الهجاء

قالوا أهجى بيت قائته العرب قول جرير :
 فغضَّ الطرفَ إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
 أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن
 أبي عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جساؤه : هل
 تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر ودوا أنهم اقتدوا منه بأموالهم ، وشعر لم يسرم
 به حمر النعم ؟ فقال أسماء بن خارجة نحن يا أمير المؤمنين ، قال وما قيل فيكم ؟ قال
 قول الحارث بن ظالم :

وما قومي بشعلبة بن سعدٍ ولا بفزارة الشعر الرقابا
 فو الله يا أمير المؤمنين إني لأبس العامة الصفيقة فيخيل لي أن شعر قفاي
 قد بدا منها . وقول قيس بن الخطيم ^(١) :

همنا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخبير بن بدر ^(٢)
 فما يسرنا أن لنا بها أوبه سود النعم . فقال هاني بن قبيصة أولئك نحن
 يا أمير المؤمنين ، قال ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

فغضَّ الطرفَ إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
 والله لو ددنا أننا اقتديناه بأملأ كنا ، وقول زياد الأنجم :

لعمرك ما رماحُ بني نميرٍ الصدور ولا قصار ؟
 فو الله ما يسرنا به حمر النعم . قال أبو بكر وذكر أن جريراً لما قال :
 والتغلي إذا تنحنح للقرى حكَّ استه وتمثل الأمثالا

(١) كان شاعر الأوس وأحد رجالاتها ، اشتهر باتباعه قاتلي أبيه وجده حتى
 قتلها وقال في ذلك شعراً ، أدرك الإسلام وقتل قبل أن يسلم .

(٢) في النسخ تصحيف صحضاه من ديوان قيس .

قال قد قلت بيتاً فيهم لو طعن أحد في استه لم يحكمها .

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال مرت امرأة ببني
 نمير فتغامزوا اليها فقالت يا بني نمير لم تعملوا بقول الله تعالى ولا بقول الشاعر :
 يقول الله تعالى (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ويقول الشاعر :
 * ففض الطرف إنك من نمير * فحجبلوا وكان النميري إذا قيل له ممن أنت ؟
 قال من نمير فصار يقول من بني عامر بن صعصعة .

ولو قيل إن أهجى بيت قاله العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو :

ولو ترمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسارى
 ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار
 وهذا مثل قول الآخر :

ولو أن عبد القيس ترمى بلؤمها على الليل لم تبدُ النجوم لمن يرى
 وقالوا أهجى بيت قاله العرب قول الأعمش :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى بيتن خائصا

وكان من حديث هذا الشعر أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة
 تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك وهي لعمري ولم يمت - وعنه عامر بن
 مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد اهتز وسقط - وقال علقمة : أنا أفضل منك أنا
 عفيف وأنت عاهر وأنا وفي وأنت غادر وأنا ولود وأنت عاقر وأنا أدنى إلى ربيعة .
 فتداعيا إلى هرم بن قطبة ليحكم بينهما فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثمائة من
 الابل مائة يطعمها من تبعه ومائة يطبخها الحياكم ومائة يعقرها إذا حكم . فأبى هرم
 ابن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأبى أن يرحلا فخلا بعلقمة وقال له : أترجو
 أن ينصرك رجل من العرب على عامر فارس مضر أندى الناس كفاً وأشجعهم لقاءً
 لسان رمح عامر أذ كر في العرب من الأحوص وعنه ملاعب الأستة وأمه كبشة
 بنت عروة الرحال وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الفجياء وأملك من

النخع وكانت أمه مهيرة وأم علائمة^(١) من النخع ، ثم خلا به امر فقال له أعلى علقمة
تفخر أنت تناوته أعلى ابن عوف بن الأحوص أعف بن عامر وأحلمه وأسوده
وأنت أعور عافر مشؤوم أما كذلك رأى يزعلك عن هذا أ كنت تظن أن أحدًا من
العرب ينصرك عليه . فلما اجتمعوا وحضر الناس للقضاء قال أنتا كر كبتى البعير فرجعا
راضين . والصحيح أنه توأرى عنهما ولم يقل شيئاً فيهما ولو قال أنتا كر كبتى الجمل
لقال كل منهما أنا البعير فكان الشر حاضرًا . ولقد سأله عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنهما بعد ذلك لمن كنت حاكماً لو حكمت ؟ فقال اعفنى يا أمير المؤمنين فلو
قلتها لعادت جذعة فقال عمر صدقت مثلك فليحككم . فارتحلوا عن هرم لما أعيام نحو
عكاظ فاقبهم الأعمش منحدرًا من اليمن وكان لما أرادها قال لعلقمة اعقدلى جبلاً
قال أعقد لك من بنى عامر قال لا تغنى عنى قال فمن قيس قال لا قال فما أنا رائدك .
فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقيل له كيف تجيره من أهل
السماء ؟ قال ان مات وديته فقال الأعمش لعامر أظهر انكما حكمتانى ففعل فقام
الأعمش فرفع عقيرته في الناس فقال :

حكمتموه ففضى بينكم أبلج مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن^(٢) الخاسر
علقم ما أنت^(٣) الى عامر الناقض الاوتار والواتر
واللامس الخليل بخيل إذا تار عجاج الكمه الثائر
ساد وألى رهطه سادة وكبراً سادوك عن كبر

وشد القوم على الابل المائة فعمروها وقالوا عامر وذهبت به الغوغاء وجهد

علقمة أن يردّها فلم يقدر على ذلك فجعل يتهدد الأعمش فقال الأعمش :

أتانى وعيد الخوص من آل جعفر فيا عبد عمر ولو نهيت الأحوصا

(١) بياض في الأصل ، وذكر القصة صاحب الأغاني بغير هذه الرواية . (٢) «غبن»

ساقطة من الأصل فاستدر كنها من بلوغ الأرب . (٣) في الأصل «لالت» .

فما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمك وبمرك ساج لا يوارى الدّامصا
 كلا أوبكم كان فرع دعامه ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
 نيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يمتن خائصا
 يراقبن من جوع خلال مخافة نجوم العشاء القائمات القوامصا
 رمى بك في أخراهم تركك الندى وفضل أقواماً عليك مراھصا
 فعض حدّيد الأرض ان كنت ساخطاً بفيك وأحجار الكلاب الرواهصا
 فسكى علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه في العار . والعرب تعبر
 بالبكاء ، قال مهلهل :

يبكى علينا ولا نبكى على أحدٍ لنحن أغلظُ أكباداً من الأبل
 وقال جرير :

بكى دوالٌ لا يرثها اللهُ دمه ألا إنما يبكى من الذلّ دوال
 وكان الخطيئة مع علقمة وليد مع عامر ^(١) فقال الخطيئة :
 يا عام قد كنت ذاباع ومكرمة لو أن مسعاة من جاريتهُ أمم
 جاريت قرماً ^(٢) أجاد الأحوصان به ضخم الدسيعة في عرينه شمم
 لا يصعب الأمر إلا حيث يركبه ^(٣) ولا يبيت على مال له قسم
 وقال : فما ينظر الحكام في الفصل بعدما ^(٤) بدا واضح ذو غرّة وحجول

(١) كذا في النسخ ، وفي طبقات الجحى (وكان الخطيئة مع علقمة بن علانة حين نافر عامر بن الطفيل) . (٢) وفي رواية (جاريت فرعا) وفي ديوان الخطيئة :
 جاريت قرماً أجاد الأحوصان به جزل المواهب في عرينه شمم
 والأحوصان : الأحوص بن جعفر بن كلاب - واسمه ربيعة وكان صغير العينين -
 وعمر بن الأحوص ، كافي جنى الجنتين في المثنيين للمحبي .

(٣) في طبقات الجحى وديوان الخطيئة (الإرث يركبه) .

(٤) في الأصل (بعدها) والتصحيح من ديوان الخطيئة .

وهاتان القصيدتان جيدتان بارعتان في معنيهما واسكن الناس استخفوا قول
الأعشى علقم لالنت الى عامر ° فر على السنتم وسقط شعر الخطيئة .

أخبرنا أبو علي بن أبي جعفر أخبرنا جعفر بن محمد حدثنا أبو عبيدة العسكري
حدثنا محمد يعني ابن الوليد حدثنا أبو زكريا عن الأصمعي قال قال عبد الملك
ابن مروان لأمية^(١) مالك وللشاعر إذ يقول :

إذا هتفَ العصفورُ طارَ فؤادهُ وليثُ حديدُ النابِ عندَ الثرائدِ^(٢)

قال أصابه حد من حدود الله تعالى فأقمته عليه ، قال فهلا درأته عنه بالشبهات ؟
قال كان أهون عليّ من أن أعطل حداً من حدود الله تعالى فقال يا بني أمية أحسابكم
أحسابكم أنسابكم أنسابكم لا تعرضوا للهجاء^(٣) فان للشعر مواسم لا يزيد لها الليل
والنهار إلا جدة^(٤) والله ما يسرني أني هجيت بيت الأعشى حيث يقول :

نبيتونَ في المشى ملاءَ بطونكم وجاراتكم غرثى بيتن خائصا
ولى الدنيا بمذافيرها ، ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كان قد أخذ عوضاً
لقول ابن حمران :

على مكثريهم حق من يعتر بهم^(٥) وعندَ المقلينَ السباحةُ والبذل
هكذا رواه لنا والبيت لزهير . وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الخطيئة في
الزبرقان بن بدر :

دَعِ المكارِمَ لا تَرَحَّلْ لِبغيتها واقعد فانك أنت الطاعمُ الكاسي
وأخبرني أبو أحمد سمعت بعض الشيوخ يقول اجتمع مطيع بن إلياس وبجبي
ابن زياد وحامد عجرد وجعفر بن أبي وزرة في مسجد الكوفة فامتروا^(٦) في أهجى
بيت قالته العرب ثم اتفقوا على قول الفرزدق في جرير :

(١) في الاصل (لابنه) (٢) عجز البيت في الأصل غير منقوط فصححناه
من الامالى والعقد الفريد ، وفيه (صوت) مكان (هتف) . (٣) في الاصل (للفصحاء)
(٤) في الاصل (حيرة) . (٥) في الاغانى « رزق من يعتر بهم » .
(٦) في الاصل غير منقوطة .

أنتم قرارة كل معدن سوءة ولكل سائلة نسيب قرار
أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرة ثم اطمانت
وقالوا أهجى بيت قاتنه العرب قول الأخطل لجرير :

مازال فينا رباط الخيل معلقة وفي كليب رباط اللؤم والعمار
قوم إذا استنبح الأضياف كابهم قالوا لأهمم بولى على النار

قالت بنو تميم ماهجينا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت . وهو يتضمن
وجوها شتى جعلهم بخلاء بالقرى وجعل أهمم خادمتهم بأمر ونها بكشف فرجها ،
وجعلهم يبخلون بالماء أن يطفئوا به النار فيأمر ونها بأن تطفئها بيوها بينهم وبين
المجوس لتعظيم المجوس النار ، الى غير ذلك وان نارهم من قلتها كانت تطفئها بيوها .
وقالت بنو مشاجع ماهجينا بشعر أشد علينا من قول جرير :

وبرحران غداة كبل معبد نكحت نساؤهم بغير مهور
وقالت بنو كليب ماهجينا بشعر أشد علينا من قول الفرزدق :

أست كليبياً إذا سيم سوءة أقر كقار الحليلة للبعل

وقالوا بل أهجى بيت قاتنه العرب قول الطرماح :

تميم بطرق اللؤم أهدي من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضت
وقال بعض الشيوخ لو أن هذا البيت لجرير أو لمن في طبقتة لحكم على جميع

ما في معناه وبعده وهو أبلغ ما قيل في الاحتقار والتقليل والجبن :

ولو أن حرقوصاً على ظهر نملة تشد على صفي تميم لوكت

ولو جمعت يوماً تميم جوعاً على ذرة معقولة لاستقلت

ولو أن أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لاستظلت

ولو أن برغوثاً يرفق مسكه إذا نهلت منه تميم وعلت

وأبلغ ما قيل في الخمول قوله أيضاً :

لو كان يخفى على الرحمن خافيةٌ من خلقه خفيت عنه بنو أسد
 قسومٌ أقامَ بدارِ الذلِّ أولهم كما أقامت عليه خدمة الوتد^(١)
 وقال ابن الأعرابي قال أبو عمرو بن العلاء أحسن الهجاء ما تنشده العاتق في
 خدرها فلا يقبح بها مثل قول أوس :

إذا ناقة شعرت برحل وتمرق إلى حكم تعدى فضل ضلالها
 وقال ابن الأعرابي وأنا أقول مثل قول جرير :

ولو أن ثعلبَ جمعت أحسابها يومَ التفاخر لم تزن مثقالا
 وقيل أهجى ما قالته العرب قول الأعرابي :

اللؤم أكرم من وبر ووالديه واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
 قومٌ إذا جرجان منهم^(٢) أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا
 وقال النجاشي^(٣) في بني العجلان :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
 ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الورادُ عن كل منهل
 فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قيل فيكم ؟ فأنشدوه :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فعدى بني العجلان رهطاً ابن مقبل
 فقال عمر إن كان مظلوماً استجيب له ، قالوا وقد قال :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
 فقال لبت آل الخطاب هكذا . قالوا وقد قال :

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الورادُ عن كل منهل

(١) سقط من النسخ بعض عجز البيت فاستدر كناه من العقد الفريد .

(٢) في الأصل « إذا ما حر جانيهم » .

(٣) في الأصل هنا « النحاس » وفي موضع آخر (النخاش) والصواب

« النجاشي » وهو شاعر أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه على ما بلغ الأرب وغيره .

قال عمر : ذاك أقل للكأك - يعني الازدحام ، قالوا وقد قال :
 نغاف الكلاب الضاريات لحومهم وبأكلن من عوفٍ وكعبٍ ونهشل
 قال أحياناً^(١) القوم قتلاهم ولم يضيعوهم ، قالوا وقد قال :
 وما سُميَ المعجلان إلا لقبيلهم مُخذي القعبِ واحلبَ أيها العبدُ واعجل
 فقال عمر خير القوم خادمهم ثم بعث إلى حسان فسأله فقال ما هجاءم ولكن
 سلح عليهم قهدد النجاشي وقال ان عدت قطعت لسانك .

وكانوا يتمدحون بتقديم الورد وكان أعزهم أسبقهم إلى الماء بابلهم ومثل قوله :
 • نغاف الكلاب الضاريات لحومهم • قول البحترى :
 ورددت العتابَ عليك حتى سئمت وآخرُ الودَّ العتابُ
 وهانَ عليك سخطي حينَ تغدو بمرضٍ ليسَ يأكلهُ الكلابُ
 ومن التناهي في الاحتقار والحوول قول بعضهم^(٢) :

قالوا الأشاقر تهجوهم فقلت لهم ما كنتُ أحسبهم كانوا ولا خلقوا
 قومٌ من الحسبِ الزاكي بمنزلةٍ كالققع بالقعاع لا أصلٌ ولا ورقٌ
 إنَّ الأشاقرَ قد حلوا بمنزلةٍ لو برهبونَ بنعلٍ عندنا علقوا
 لا يكثرونَ وإن طالت حياتهم ولو تبولُ عليهم فارةٌ غرقوا
 وقول الآخر • لو يجلوا بالحرير ما وجدوا • وقول الآخر ، أستغفر الله من قوله :

يكادُ من رقةٍ ولؤمٍ يخفي على الباري القديم
 وقول أبي الهيثم :

يا جعفرَ بن القاسم بن محمد مالي أراك عن الندى معزولا
 إني أقولُ مقالةً تجرى بها لو كنتَ من كرمٍ لكنت قليلا

وقول أبي تمام :

ما كنتُ أحسبُ أن الدهرَ يمهلي حتى أرى أحداً بهجوهُ لا أحد

(١) في الأصل «أحياناً» (٢) نسبت في العقد باختلاف في بعض الألفاظ لزيادة الاعمج .

ونحوه قوله: هب من له شيء يريد حجابَهُ ما بالُ لا شيءٍ عليه حجاب
وقال : وأنت أنزرت من لا شيءٍ في العدد

ومن مشهور ما قيل في بلوى الأخبار بالأشهر قول الأول :

فلو أتى بليتُ بهاشميَّ خولتهُ بنو عبد الداني
صبرتُ على عداوتهِ ولكن^(١) تعالى فانظري بمن ابتلاني

وشكرا رجل إلى أبي العيناء رجلاً فقال فك دخل في العدد وخرج من العدد ،

يقول هو يعد في الحساب ويخرج من عدد التحصيل ، وهو من قول القائل :

خرجنا الغداة إلى زهرة وفينا زياد أبو صمصمه
فسته رهط به خمسة وخمسة رهط به أربعة

وقلت في معناه :

أنظر إليهم ولا تعجبك كثرتهم فأنما الناس قلوبا زادوا
ولا يهولونك من دهمائهم عدد فليس للناس في التحصيل أعداد
عجبت من زهدهم فيما يزينهم والناس مذ خلقوا في الخير زهاد

ومن التناهي في صفة الخمول قول عبد الصمد في أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :

سألنا عن ثمالة كل حي فقال القائلون ومن ثماله
فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهاله

ومن الاستحقار الشديد قول مسلم :

أمويس قل لي أين أنت من الوري لأنت معلوم ولا مجهول
أما الهجاء فمدح عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فانت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل

فجمله دون الهجاء والهجاء فوقه فلا يهجي لضعته وقائه .

ومن ههنا أخذ ابراهيم بن العباس قوله :

(١) وفي نسخة « لمان على ما ألقى ولكن » .

فكن كيف شئت وقل ما نشأ وأبرق يمينا وأرعد شمالا
 نجابك لؤم منجى الذباب حتمه مقاذيره أن ينالا
 وهذه الأبيات وإن كانت مشهورة فإن لايرادها ههنا معنى كبيرا وذلك أني
 لست أجد خبراً منها في معناها وأجود، وقد شرطت أن لأضمن هذا الكتاب
 الاكل جيد اللفظ بارع المعنى، وأنت أيضاً إذا احتجت اليه تتناوله من قرب.
 وأنشد الجاحظ:

ووثقت أنك لانسب^ك حماك لؤمك أن تُسبَّأ^ك
 وقال الآخر: بذلة والديك كسبت عزاً وباللؤم اجترأت على الجواب
 وقال غيره: دناءة عرضك حصن منيع^ك تقبك إذا ساء منك الصنيع^ك
 فقل لعدوك ما تشتهي^ك فأنت الرفيع المنيع^ك الوضيع^ك
 وقلت: لست الوضيع ولا الصغير وإنما أنت الوضيع عن الوضيع الأصغر
 لانفخرن^ك وإن غدوت مقدماً^ك فعلى جبينك سيباء مؤخر
 وقال أبو نواس:

ما كان لو لم أهجه^ك غالب قام له هجوى مقام الشرف^ك
 يقول قد أسرف في هجونا وإنما زاد بذلك السرف^ك
 غالب^ك لانسى لتبنى الملا بلغت مجدأ بهجاني فقف
 قد كنت مجهولاً ولكنى نوهت بالمجهول حتى عرف
 فجعل شرفهم ونباهتهم بهجائه إياهم، وقوله:

وما أبقيت^ك من غيلان إلا كما أبقيت^ك من البظر الموامى
 ومن قديم الهجاء لمن لا يقع في حياته وفي موته فجيرة قول بعضهم:
 وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا حياتك لانفع^ك وموتك فاجم^ك
 وقال ابن الرومي:

فلا تخش من أسهمي قاصداً ولانا منن^ك من العاير

ولكن وقال معرّاتها نضاؤلٌ قدرك في الخاطر
وقال غيره :

إني هجوت بكل لفظٍ مقذعٍ زيداً وكان له الهجاءُ مديحاً
وقلت : يا أبا القاسم هل أبصرت شيئاً لك في قبحك
ونظيراً لك في شؤمك أو لؤمك أو شحك
إن من شبيهك الكلب فقد بالغ في مدحك
وقلت : أهنت هجائي يا ابن عروة فاتحى على ملام الناس في البعد والقرب
وقالوا أتتهجو مثله في سقوطه فقلت لهم جريتُ سيفي على كلب
وقال ابن الرومي :

خسأت كلباً مرّ بي مرّةً فقال مهلاً يا أبا خالد

حسبكم خزيّاً بني آدم شركتكم إياه في الوالد

ومثله ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني ابن لفسك (١) لنفسه :

وعصبة لما توسّطتهم صارت (٢) على الأرض كالظلام

كانهم من سوء أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم

بضحك إبليس سروراً بهم لأنهم طاروا على آدم

وقلت : قلت للكلب حين مرّ بي أخساً فكأنني كويت قلبك كيا

أترى اني أعدك كلباً أنت عندى إذا نبحت الثريا

ومن التناهي في الاستصغار والحول قول زياد الأعجم :

إذا ما اتقى الله امرؤً وأطاعه فليس به بأسٌ وإن كان من جرم

ولو جمعت جرم على رأس نملة لباتوا شباعاً يضرطون من الشحم

ومن بليغ ماجاء في الاستصغار ما رواه قدامة قال قال محمد بن ناشد سألني

(١) هو أبو الحسن محمد شاعر البصرة وأهجي أهل زمانه بالمقطعات .

(٢) في رواية « ضاقت » .

فلان عن رجل فقلت يساوي فلس ، فقال قد زدت في قيمته درهمين .

ومن أبلغ ما قيل في المهجاء قول ذى الرمة :

وأمثل أخلاق امرئ القيس أنها صلاب على طول الهوان جلودها
وما انتظرت غيابها لملة^(١) ولا استؤمرت^(٢) في حل أمر شهودها
إذا امرثيات حللن^(٣) بيلدة من الأرض لم يصلح ظهوراً صعيدها
وقال غيره : لعمر ك ما تبلى سراويل عامرٍ من اللؤم ما دامت عليه ظهورها
وقال أبو سعيد الخزومي :

يا ثابت بن أبي سعيد إنها دول وأحراها بأن تنتقلا
هلا جعلت لنا كحرمه دعبل في است أم كلب لانساوي دعبلا
وقالوا أهجى بيت قاله يحدث بيت حماد في بشار :

نسبت إلى برد وأنت لغيره فهيك لبرد نلت أمك^(٤) من برد

وأخبرني أبو أحمد أخبرني أبو الحسن الصيمري عن أبي العلاء قال حماد مجرد

* نسبت إلى برد وأنت لغيره * قال بشار تهباً لحماد في هجائي في هذا البيت

خسة معان أوردتها جرير في الفرزدق فلم يقدر عليها حيث يقول :

لما وضعت على الفرزدق ميسى وضع البعيث جدعت أنف الأخطل

ومن أجود ما هجى به الدعش قول دعبل في مالك بن طوق :

الناس كلهم يسعى لحاجته ما بين ذى فرح منها ومهموم

ومالك ظل مشغولاً بنسبته يرم منها خراباً غير مرموم

يبنى بيوتاً خراباً لأنيس بها ما بين طوق إلى عمرو بن كلثوم

(١) في الشعر والشعراء (لعظيمة) . (٢) في الشعر والشعراء (استؤذنت) .

(٣) في الشعر والشعراء (نزلن) . (٤) سقط من الأصل (نلت أمك)

فاستدر كناها من الأغاني وهي بالكاف ، وفيه (دعيت إلى برد) .

وقال ابراهيم بن اسماعيل النسوي (١) :

لو أن موتى تميم كلهم نشروا وأثبتوك لقيس الأمر مصنوع
إن الجديد إذا ما زيد في خلق تبين الناس أن الثوب مرقوع
وقالوا أهجى بيت قاله محدث قول الآخر :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح المخبر
ولست أعرف أبلغ في الهجاء من قول الأول :

إن يفجروا أو يفسدوا أويخلوا لم يفضلوا
وغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

هذا أبلغ من ذكر الفروج والقول الفاحش المقذع في الأمهات والاخوات .
ومن البليغ قول حسان :

أبناء طارف لن تلقى لهم شبيهاً إلا التيوس على أبقائها الشعر
ان نافروا نفروا أو كثروا كثروا أوقامروا الزنج عن أحسابهم قمروا
كأن ريحهم في الناس إذ خرجوا ريح الكلاب إذا مامسها المطر (٢)

قد استوفى المعنى عند قوله (ريح الكلاب) ثم قال (إذا مامسها المطر) فجاء
بتعميم حسن . وقالوا قول جرير * تنفت شواربهم على الابواب * وقالوا قول حسان :

أبوك أبو سوء وخالك مثله ولست بخير من أبيك وخالك
وإن أحق الناس ان لا تلومه على اللوم من أنى أباه كذلكا

ومن الافراط في صفة البخل قول ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر :
تجنب سليمان قفل الندى فقد ينس الناس من فتحه
فلو كان يملك أمر استه لما طعم الحش في سلحه

(١) في الأصل (النسوي) ولعل صوابه (النسوي) نسبة الى نسا التي يجوز

فيها نسوي ونسائي . وهو ابراهيم بن اسماعيل بن بسار النسائي شاعر ابن شاعر .

(٢) في ديوان حسان المطبوع اختلاف في بعض الألفاظ .

وأبلغ ما قيل في الهجاء باللؤم قول الفرزدق :

ولو تُرمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت أسار
ولو لبس النهارُ بني كليب^(١) لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيزُ بني كليب ليطلب حاجةً إلا بجار
وقدم البيتان الأولان فيما تقدم . ومن الإفراط في الهجاء قول الآخر :
لو أطلع الغرابُ على نعيم وما فيها من السواتِ شابا
وقول الآخر :

سَلَّ اللهُ ذَا الْمَنِّ مِنْ فَضْلِهِ وَلَا تَسْأَلَنَّ أَبَا وَائِلَةَ
فَمَا سَأَلَ اللهُ عَبْدَهُ لَهُ نَحَابَ وَلَوْ كَانَ مِنْ بَاهِلَةَ
وقال الآخر : ولو قيل للكاتبِ يا باهلي لا أعولَ من قبح هذا النسبِ
وأنشدني أبو أحمد أنشدني أبو مسلم بن بحر لابراهيم بن العباس وهي أبيات مشهورة أوردتها لا في لست أجدها مثلها في معناها :

ولما رأيتك لافسقا تهابُ ولا أنتَ بالزاهدِ
وليسَ عدوكَ بالمتقى وليسَ صديقك بالحامدِ
أنتَ بك السوقَ سوقَ الرقيقِ فناديتُ هل فيك من زائدِ
على رجلٍ غادرٍ بالصدقِ كفورٍ لنعائه جاحدِ
فما جاءني رجلٌ واحدٌ يزيدُ على درهم واحدِ
سوى رجلٍ حارٍ منه الشقا وحلتَ به دَعْوَةُ الوالدِ
فبعثك منه بلا شاهد تخافُ أدركَ بالشاهدِ
وأبتُ إلى منزلي سالماً وحلَّ البلاءُ على الناقدِ
وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد .

وأبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي :

(١) في الأصل «بنو كليب» والتصحيح من منتهى الطلب في أشعار العرب .

يُقْتَرُ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ وَ لَيْسَ بِيَاقٍ وَلَا خَالِدٍ
 فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لِتَقْدِيرِهِ تَنْفَسَ مِنْ مَنْخَرٍ وَاحِدٍ
 رَضِيَتْ لَتَشْتَيْتُ^(١) أَمْوَالَهُ يَدِي وَارِثٍ لَيْسَ بِالْحَامِدِ

والناس يظنون أن ابن الرومي ابتكر هذا المعنى وإنما أخذه مما رواه الجاحظ
 أن فلاناً كان يغير^(٢) إحدى عينيه ويقول إن النظر بهما في زمن واحد من السرف .
 ومن الفرد الذي لا شبيه له قول بعضهم :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنِّي بَتُّ طَاهِرًا فَجَاءَ سَلْوَىٰ قِبَالَ عَلِيٍّ رَجُلِي
 قُلْتُ أَقْطَعُوهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ فَأَنَّى كَرِيمٌ غَيْرٌ مَدْخِلُهَا رَحْلِي
 وَقُلْتُ : وَقَفْتُ لَدَيْكُمْ لِلسَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَقَوْفِي عَلَى أَطْلَالِ سَلْمَى وَعَاتِكِ
 يَرُومُكَ تَسْلِيمُ الْعَفَاةِ كَأَنَّهُ بُوَادِرُ طَعْنٍ فِي الضُّلُوعِ مَوَاشِكِ
 وَمَا فِيكُمْ حَرٌّ بِكُمْ ضَيْفُهُ وَلَكِنْ إِذَا مَا سَاءَ أَكْرَمَ نَائِلُهُ
 وَإِنْ كُنْتُمْ نَاسًا وَمَا أَنْتُمْ بِهِ فَانِ الْقُرُودَ وَالْكَلابَ مَلَائِكِ

وليس في هذا الباب أبلغ من هذا ولا أعرقى سبقت إليه . وقال بعضهم :

سَمِعْتُ الْمَدِيحَ أَنَسًا دُونَ مَا لَمْ رَدَّ قَبِيحٌ وَقَوْلٌ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
 فَلَمْ أَفْزَ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا حَمَلَتْ رَجُلٌ الْبِعُوضَةَ مِنْ فِخْارَةِ اللَّبَنِ

وهذا كما تراه بليغ جداً . وقال الآخر * يعطيك ماتعطيك مكحلة *

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر لدعبل :

أَتَقْفَلُ مَطْبِخًا لَا شَيْءَ فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا تَخَافُ عَلَيْهِ أَكْلُ
 فَهَذَا الْمَطْبِخُ اسْتَوْتَقَتَ مِنْهُ فَمَا بِالْكَئِيفِ عَلَيْهِ قَفْلُ
 وَلَكِنْ قَدْ بَخَلْتَ بِكُلِّ شَيْءٍ فَحَتَّى السَّلْحَ مِنْكَ عَلَيْكَ بَخْلُ
 وَأَنْشَدْنَا : وَإِنَّ لَهُ لَطَبَاخًا وَخَبْرًا وَأَنْوَاعَ الْفَوَاكِهِ وَالشَّرَابِ
 وَلَكِنْ دُونَهُ حَبْسٌ وَضَرْبٌ وَأَبْوَابٌ تَطَابِقُ دُونَ بَابِ

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « لتفريق » . (٢) في النسخ « بقتر » .

يذودون الذبابَ يمرُّ عنه
 وقال الخليل بن أحمد :
 لا تعجبنَّ لخبرِ زلٍّ عن يدهِ (١)
 وقال أبو تمام :
 صدَّقَ أليستهُ (٢) ان قال مجتهداً
 وان همتَ به فافتكُ بخبرته
 قد كانَ يعجبني لو أنَّ غيرتهُ
 وقال آخر : يزادُ لوماً على المديح كما
 وقلت : مُخبرُ الأميرِ عشيَّةُ
 وإذا بدأ جليسه
 وتحوَّطه أحرأسهُ
 فالزورُ بصفعِ عندهُ
 وقال آخر: قى لرغيفه فرط وشغف
 إذا كسر الرغيفه بكى عليه
 ودون رغيفه قلع الثنايا
 وقال آخر: إنَّ هذا القتي بصون رغيفاً
 هو في سفرتين من أديم الطا
 مُتحت كلُّ سلة برصاص
 في جراب في جوفِ تابوتِ موسى
 وقلت : لنا سيدٌ واحدٌ ماجدٌ
 ليثيمٌ إذا جاءهُ طارقٌ
 كأمثالِ الملائكةِ الغضاب
 فالكوكبُ النحسُ يسقى الأرضَ أحياناً
 « لا والرغيفه » فذاك البر من قسمه
 فان موقعها من لحمه ودمه
 على جرادقة كانت على حرمه
 يزادُ نتن الكلابِ بالمطر
 يغدو عليه يُبلاعه
 أفضى إليه يعاتبه
 وتذبُّ عنه كتائبه
 والضيفُ ينتف شاربه
 واكيلانٍ من درٍّ وشذر
 بكاء الخنساء إذ فجمت بصخر
 وحربٌ مثل وقعة يوم بدر
 ما إليه لا كلٍ (٣) من سبيل
 نف في سلتين في مندبل
 وسيورٍ قد دنت من جلد فيل
 والمغاتيحُ عند ميكائيل
 يقتل في الجود آباءهُ
 فقد جاءهُ كلُّ ما ساءهُ

(١) في الاصل غير منقوطة . (٢) أى قسمه .

(٣) في العقد الفريد « لناظر » وفي الأصل تصحيف صححناه من العقد .

وهل يطعمُ الناسُ في خبزه إذا كان يمنعمهم ماءه
فما ولغ الكلب في لومه لما زال يقذفُ أمعاءه
وسمعت عن أبي حفص يقول قال جعفر بن محمد العسكري أبلغ ما قاله محدث
في البخل قول بعضهم :

الحابس الرِّوثَ في أعفاج بغلته خوفاً على الحبِّ من لقطِ العصافير
وأجود ما قيل في البخل قول بعضهم :

وعدت فأكدت المواعيد ينننا وأقامت إقلاع الجهام بلا وبل
وأجزرت لي جبلاً طويلاً تبعته ولم أدر أن ألبس في طرف الجبل
وقال أبو نواس :

رأيتُ قدور الناس سوداً من الصلبي^(١) وقدر الرِّقاشين زهراء كالبدر
يبيتها للمعتقى بغنائهم ثلاثاً كنفط الثاء من نقط الخبر
إذا ماتنادوا للرحيل سعى بها أممهم الحولى من ولد الذر
ولو جثتها ملأى عبيطاً^(٢) مجزراً لا خرجت ما فيها على طرف الظفر
غيره: بمحصن زاده عن كلِّ ضرس ويعمل ضرسه في كلِّ زاد
ولا يروى من الآداب^(٣) شيئاً سوى يدت لا برهه الأيادي
قليلُ المالِ تُصلحه فيبقى ولا يبقى الكثيرُ مع الفساد
وقلت في مثله :

يطعمُ دونَ الشبع أولاده ويختمُ البرمة والجفنه
لم يروِ إلا خبيراً واحداً قد تذهبُ البطنة بالفطنة
وقال آخر: ظلمتكَ اذ سألته ماء كرم وماء الكرم للرجل الكريم
وقلت: لك برمة تزهرها من أن تدنس بالدسم
بيضاء بشرق نورها كالبدري في غسق الظلم

(١) الصلي بالكسر: النار. (٢) لحم عبيط: أي صحيح طري. (٣) في رواية «الاشعار»

لو كانَ عرضك مثلها كنتَ الممدِّحَ في الأمم
أو كانَ فعلك مثلَ قو لك كنتَ تاربخَ الكرم
ومن أبخل بيت قبيل :

وما رَوَّحْتَنَا لتذبَّ عنا
وقال أبو نواس بصف قدرأ :

بغصُّ بملقوم الجرادة صدرها
وتغلي بذكر النار من غير حرها
هي القدرُ قدرُ الشيخ بكر بن وائل
وقال ابن الرومي :

رأى البخلَ طبأفهو يحمي ويحتمى
فلست ترى في بيته غير جائع

ومن أجود ما قيل في زيادة البخل والشح مع زيادة المال قول ابن الرومي :
إذا غمرَ المالُ البخيلَ وجدتهُ
يزيد به يبساً وان ظنَّ (٢) يرطب
وليس عجيباً ذاك منه فأنه
إذا غمرَ الماءُ الحجارة تصلبُ
وهو مأخوذ من قول بعض حكماء الهند . وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر :

رغيفك في الحجاب عليه قفل
وأوا في بيته يوماً رغيفا
وأنشدنا عنه :

له حاجبٌ كونهُ حاجبٌ
وحاجبٌ حاجبهُ محتجبٌ
وقال أبو تمام :

لا تكلفنَّ وأرضُ وجهك صخرةً
في غيرِ منفعةٍ مؤونةً حاجب

(١) في الأصل « جفال » بالفاء ، والتصحيح من القاموس حيث قال :

الجلال بالكسر : خرقة ينزل بها القدر . (٢) سقط من الأصل (يبساً وان

ظن) فاستدر كناها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

وقال آخر: لا تتخذن أباً ولا حاجباً
 وأنشدنا: أعجبت أن ركب ابن حزم بغلة
 وعجبت أن جعل ابن حزم حاجباً
 وقال آخر: إحتجب الكاتب في دهرنا
 القومُ يخلون بحجابهم
 وقال آخر وأحسن:

وصاحبٌ أسرفتُ في مدحه
 حجابهُ أزمسني منزلي
 وبخلهُ يسرعُ تكذبي
 وبخلهُ أحسنَ تأديبي
 وقلت في معناه:

مدحت فلم تصدق ولم تك مُذنباً
 وما الجهلُ إلا أن تقرَّطَ معشراً
 وأنشدنا أبو أحمد:

لاخيرَ في صاعدٍ فأذكرهُ
 ليس له ما خلا اسمه نسبهُ
 والخيرُ بأنتيك من يدى عمر
 كأنه آدمُ أبو البشر

ومن أظرف ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي:

لك وجهٌ كأخر الصكِّ فيه
 كخطوطِ الشهودِ مشبهاتِ
 لمحاتٌ كثيرةٌ من رجال
 معاملاتٍ أن لستَ بآبنِ حلال
 وقلت: إن كانَ شكلكَ غيرَ متفقٍ
 فكذا خلالك غيرُ مؤتلفةٍ
 من عصبيةٍ شتى إذا اجتمعوا
 صورتَ من نطفٍ قد اختلفت
 فأتتَ خلالك وهي مختلفه
 وورثتَ ذلكَ خناه^(١) أو صلفه
 عبرتني أن رُحْتُ في سَمَلٍ
 والدرُّ لا تزرى به الصدفة

(١) في الأصل غير منقوطة.

وأجود ما قيل في عظم الجسم مع قلة العقل من الشعر القديم قول حسان :
 * جسم البغال وأحلام المصافير * وقال ابن الرومي :
 طولٌ وعرضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ فليسَ يحسنُ إلا وهو مصلوبٌ
 وقال وأحسن :

إذا فقت الذمِّ ميمٌ بحسن جسمٍ فلا يسبقك بالشيمِ الشريفِ
 فيصبح أفضلَ الرجلين نفساً وتصبح أعظمَ الرجلين جيفه
 وأنشدنا أبو أحمد أنشدني ابن لسكك لنفسه :

إثنان لم ينكرهما منكرٌ بغضُ أبي إسحاقٍ والموتِ
 ويدعى العلمَ على أنه قد طارَ بالجهلِ له الصوتُ
 لا يلتقي والعلم في مجلس أو يلتقى الإدراكُ والفوتُ
 وكتب ابن العميد :

وليت شعري بأي حلى تصديت له وأنت لو توجت^(١) بالثريا وتمنطقت
 بالجوزاء وتوشحت بالحجرة وتقلدت قلادة الفسكة ما كنت إلا عطلاً ولو توضحت
 بأنوار الربيع الزاهر وشدخت في جبينك غرة البدر الباهر واستعرت من الصباح
 ثوباً وخضت أوضاع النهار خوفاً ما كنت إلا غفلاً .

وأبلغ ما قيل في صفة ثقيل ما أنشدناه ابن أبي حفص عن جعفر :
 وثقيل أشدَّ من غصص الموت ومن زفرة العذاب الأليم
 لو عصت ربها الجحيمُ لما كان نِ سواه عقوبةً للجحيم
 وأبداع ما قيل في هذا المعنى قول بشار :

ربما يثقلُ الجليسُ وإن كان ن خفيفاً في كفة الميزان
 ولقد قلت حين طلَّ على القوم م^(٢) ثقيلٌ أربي على ثهلان

(١) في الأصل «توجهت» . (٢) في الأصل «ولقد قلت حين في الأرض» وفي
 المقدم الفرید «ولقد قلت إذ أظل على القوم» . وفيه «أبا عمران» بدل «أبا سفيان» .

كيف لم تحمل الأمانة أرضاً حملت فوقها أنا سفيان

أخذه ابن الرومي فقال :

أنت فضلٌ وفضلُ الشيء لغوٌ ثم أردفتَ ذلَّةَ التصغير

حُقرَ الفضلُ ثم صغرتَ عنه زادك الله يا صغيرَ الحبير

ثم عرَّجتَ فاحتواك انتقاصٌ في اسمٍ سوءٍ وجسمٍ سوءٍ ضريب

ثم بردتَ فانتصفتَ من النا ر ببردٍ يربى على الزمهرير

فقبولُ النفوسِ إياكَ عندي آيةٌ فيك للطيفِ الخبير

إنَّ قوماً أصبحتَ تنفقُ فيهم لعلى غاية (١) من التسخير

أو أناسٌ غدوا وراحوا من الظُّرِّ في على حالةِ الفقيرِ الوقير

فتى ظفروا بزورٍ ظريفٍ أعجبتهم زخارفُ التزوير

كلُّ أعرابٍ لم يروا درمك البسر^٢ فهم يعظمونَ خبزَ الشعير

وكذا القومُ لم يروا لجة البحر^٣ رفهم يكبرونَ ماءَ الغدير

يا تقبلاً على القلوبِ خفيفاً في الموازينِ دونَ وزنِ النقيب

طر سخيلاً وقع مقبلاً فطوراً كسفاةً وتارةً كثبير

وله : وثقيلٌ نسبته من ثقيلٍ وتعالى عن كلِّ مثلٍ وند^٤

حمل الله أرضه ثقلها وعلاها بثالثٍ من أد^٥

وأجود ما قيل في تباعد الأشباه من الأقرباء (٢) ما أخبرنا به أبو أحمد عن

الصولي قال سمعت المبرد يقول لم يقل في تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول

ابن أبي عيينة يهجو خالد بن يزيد المهلبى ويمدح أباه في كلمة :

أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بفضلِهِ (٣) وأنتَ جرادٌ ليس يبقى ولا يندَرُ

له أثرٌ في المسكراتِ يسرُّنا وأنتَ تعنى دائماً ذلك الأثر

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «لعلى خطة» وفي الاصل نقص كلمات إستكملناه

من الديوان . (٢) في نسخة «القرناء» . (٣) في الاغانى (يعاش بوبله) .

لقد قنعت قحطان خزياً بخالد . فهل لك فيه بخرك الله يا مضر
 فسمع المهدي بيته هذا فقال بل تكرمون وتؤثرون . وله في مثل ذلك يقول
 في قبصة بن روح بن حاتم بفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم :
 أقبيصُ لستَ وان جهدتَ ببالغ^(١) سعى ابن عمك في الندى داود^(٢)
 شتانَ بينك يا قبيصُ وبينه إنَّ المذمَّمُ ليس كالمحمود
 داودُ محمودٌ وانتَ مُذمَّمٌ عجباً لذاك وأنا من عود
 ولربَّ عودٍ قد بشقُّ لمسجد^(٣) نصفاً وسائرُهُ لحشٌّ يهود^(٤)
 وقلت في خلاف ذلك :

كم حاجة أزلتها بكريم قوم أو لثيم
 فاذا الكريم من اللثيم أو اللثيم من الكريم
 سبحان ربِّ قادرٍ قدر البرية من أديم
 فشر يفهم ووضيعهم سيان في شرف ولوم
 قد قلَّ خيرٌ غنيهم فغنيهم مثلُ العديم
 وإذا اخترت حميدهم ألفيته مثل الذميم
 لا (نفع فيه)^(٥) للصغير من الأمور ولا العظيم
 أنظر الى كبرِ الجسوم ولا تسلُ رفع الجسيم

وقالوا أنصف بيت قبل في الهجاء قول حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذلك الجزاءُ
 أنه جوهٌ ولست له بكفٍ فشر كما لخبر كما الفداءُ

(١) في الأغاني (بمدرک) . (٢) في الأغاني (ذى العلاء داود) .

(٣) سقط من النسخ (لمسجد) فاستدر كناها من الأغاني .

(٤) في النسخ مصحفة ، والتصحيح من الأغاني .

(٥) في النسخ يياض ولعله سقط (نفع فيه) أو (خير فيه) أو ما يقار بها وزناً ومعنى .

يقوله في أبي سفيان بن الحارث ، وفيه يقول أيضاً :
 أبوك أبٌ حرٌّ وأمك حرّةٌ وقد بلاد الحُرَّانِ غيرَ نجيب
 فلا يعجبنيُّ الناسُ منكُ ومنهما فما خَبَثُ من فضةٍ بمجيب
 وأخبرنا أبو علي بن أبي حفص أخيراً فاجعفر بن محمد قال أهدى ما قالت العرب قول الشاعر:
 فصبراً على ذلِّ ربيع بن مالك وكلُّ ذليلٍ خير عاداته الصبر
 تحالفكم فقرٌ قديمٌ وذلةٌ وبئسَ الخليفةان المذلةُ والفقر

.....

ومن غير هذا الفن ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال قال أبو سرح
 سمعني أبو دلف أنشد :

لا يمتنعنك خفضُ العيشِ في دَعَةٍ نزوعِ نفسٍ إلى أهلِ وأوطانِ
 تلقى بكلِّ بلادٍ إنَّ حلتَ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ
 فقال هذا الأُم بيت قاتله العرب . والنزوع ههنا ردى . والجيد النزاع ، وإنما
 جعل هذا البيت أبو دلف الأُم بيت قاتله العرب لانه يدل على قلة رعاية وشدة
 قساوة ، وحنين الرجل الى وطنه من المناقب التي يعتد بها ويمدح لأجلها لما فيه
 من الدلائل على كرم الطينة ووفور العقل ، وقد قالت الحكماء : حنين الرجل الى
 وطنه من علامات الرشدة . وقال يزرجمهر : من علامات العاقل بره باخوانه
 وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه ، وقال أعرابي : لانك بلداً فيه قبائلك
 ولا تجف أرضاً فيها قوايلك . وقالت العرب : أكرم الخليل أشدها جزعاً من
 السوط وأكبس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى
 أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لامهاتها وأكرم الناس آنفهم للناس .
 وقلت : إذا أنا لأشتاق أرضَ عشيرتي فليسَ مكاني في النهي بمكين
 من العقل أن اشتاقَ أوَّلَ منزل غنبتُ بخفضٍ في ذراه ولين
 وروضِ رعاهُ بالأصائلِ ناظري وغصنُ تناهُ بالغداهِ يميني

وَأَنَا لَأَنْسَى الْعَهْدَ إِذَا أَتَتْ بِنَاتِ النَّوَى دُونَ الْخَلِيطِ وَدُونِي
 إِذَا أَنَا لَمْ أَرَعْ الْعَهْدَ عَلَى النَّوَى فَلَسْتُ بِمَأْمُونٍ وَلَا بِأَمِينٍ
 وسند كرم من هذا الباب طرفاً فيما بعد ان شاء الله تعالى^(١). ومما لانسكاد
 نجد أجود منه في معناه ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي قال دخل بعض الشعراء
 على بعض الأمراء ببرقعيد^(٢) فجعل ينشده وجعل الأمير يعاتب جارية بين يديه
 ولا يسمع منه فخرج وهو يقول :

أَدْبٌ لَعَمْرُكَ فَاسِدٌ مِمَّا تُؤَدِّبُ بَرِّقَعِيدِ
 مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ مَا يَرِيدُ فَكَيْفَ يَعْرِفُ^(٣) مَا نَرِيدُ
 مَنْ لَيْسَ يَضْبِطُهُ الْحَدِيدُ فَكَيْفَ يَضْبِطُهُ الْقَصِيدُ^(٤)
 مَالِي رَأَيْتُكَ مَرْسَلًا أَيْنَ السَّلَاسِلُ وَالْقِيُودُ
 أَغْلَا الْحَدِيدُ بِأَرْضِكُمْ أَمْ لَيْسَ بِصَطِّكَ الْحَدِيدُ

وقلت في المعنى الذي تقدم :

قَلَّ خَيْرُ ابْنِ قَاسِمٍ فَعَنَاهُ كَعَدَمِهِ
 كَادَ مِنْ خَشْيَةِ الْقَرَى يَخْتَبِي فِي حِرَامِهِ
 جَازَ فِي اللَّزْمِ حَدَّهُ كَأَيْسِهِ وَعَمِهِ
 كَادَ بَعْدِيكَ لَوْؤُمُهُ لَوْ تَسَمَّيْتَ بِاسْمِهِ
 قلت : قرانا بقولاً إذ أنخنا يبابه فأصبح فينا ظالماً للبهائم
 وقفنا عليه الركب نسأله القرى ونحن على أعناق أغبر^(٥) قائم

(١) وذلك في « القول في الحنين إلى الأوطان في الجزء الثاني ص ١٨٦ » .
 (٢) بليدة في طرف بقاء الموصل . (٣) في معجم البلدان (يدري) مكان
 يعرف) . (٤) هذه الأبيات الثلاثة هي التي ذكرت في معجم البلدان ،
 وأما البيتان الآتيان فلعلهما من أبيات أخرى أوردها ابن خلكان في ترجمة
 يوسف البياسي . (٥) في الأصل هنا (أعبر) وسيأتي في موضع آخر (أعبر) .

فصامٌ وصوم الليل ليس بجائزٍ وان جازاً في فقه^(١) اللثام الاشائم
 أجازَ صيامَ الليل حين استفرَّه^(٢) تعاورُ ضيفٍ في دُجى الليلِ طائم
 فبتنا أديمَ الليلِ نظوي على الطوي كأننا على غبراءَ من ظهرِ واشم
 وأطعمنا لما مرقتنا^(٣) من الدُّجى دحاريجَ لانساقُ في حلقِ طاعم
 مُدَوَّرَةٌ سودَ المتون^(٤) كأنها خصى الزَّنجَ لاحت تحت فيشِ قوائم^(٥)
 فأبشارها تحكى بطونَ عقاربٍ وارؤسها تحكى أنوفَ محاجم
 ومن أعجب الهجاء هجو الرجل نفسه وهو مارويناه للحطيطه ثم قال ديك الجن :

أيها السائلُ عنى لست بي أخبر مئى
 أنا إنسانٌ برانى الله في صورةِ جنى
 بل أنا الاسميجُ في العيسن فدع عنك التظلى
 أنا لا أسلم من نفسى فمن يسلم منى

وهجاء أبو نواس نفسه من حيث لا يعلم فقال في رجل وعده أبو نواس وعداً ثم مطله :
 وأخوس^(٥) ولاجٌ على ورائح^(٦) رجاء نوال نو أعين^(٦) بجود
 زويت^(٧) له وجهاً قطوباً عن الندى وأباسته من وعده بوعيد^(٨)
 فان كنتَ لاعن سوء فملك مقلعاً فدونك فاستظهر بنعل حديد
 فعندى مطلٌ لا يطير غرابه مطير ولا يدعى له بوليد
 ومن خبيث الهجاء قول ابن الرومى :

منى الهجاء ومنك الصبر فاصطبر لشرٍ منتظرٍ ياشرٍ منتظرٍ

- (١) في الأصل (تقد) مكان (فقه) الواردة فيما سياتى .
 (٢) في الأصل (فرقتنا) . (٣) يريد الباذنجان . (٤) في الأصل (قيس) .
 (٥) في ديوان أبي نواس (وأخوس) بانحاء المعجمة ، ولعل ما في الأصل هو
 الأقرب . (٦) في ديوان أبي نواس (لوبعان) . (٧) في الديوان (قطبت له) .
 (٨) في الديوان (من نائل بوعيد) .

أنت اللثيم فإن تصبر فمن قحة
 رأيت عيبك شعري حين تالمه
 على الهوان وإن تجزع فمن خور
 شبيهه عض أخيك الكلب للحجر
 لم تترك شيئاً منه ولم تدر
 فأنظر إلى الكلب مرمياً لتعلم أن
 وقال ابن الزمكدم :

وليل كوجه البرقعيدى ظلمة
 سربت ونومي فيه نوم مشرد^١
 ورد أغانيه وطول قرونيه
 كعقل ابن هرون ورقة دينه^(١)
 أبو جابر في خطبه وجنونه
 على أولق فيه اختبال^(٢) كأنه

ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم قول الشاعر :

ولو أنها عصفورة لحسبتها
 مسومة تدعوا عبيداً وأزلاما
 أي لو رأيت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلاً مسومة، ومثله قول عروة بن الورد:
 وأشجع قد أدر كتهم فوجدتهم
 يخافون خطف الطير من كل جانب
 ومثله قول الآخر :

مازلت تحسب كل شيء بعدم
 خيلاً تسكر عليهم ورجالا
 وقال أبو تمام :

موكل بفضاء الأرض يشرفه
 من خفة الخوف لا من خفة الطرب
 وأبلغ ما قاله محدث في ذلك قول ابن الرومي :

وفارس أجبن من صفره
 يحول أويemor من صفره
 لو صاح في الليل به صائح^٣
 لسكانت الأرض له طفره
 يرحمه الرحمن من جبنه
 فيرزق الجندبه النصره

وقال في سليمان بن عبد الله بن طاهر:

قرون سليمان قد أضر به
 شوق إلى وجه سيدنغه
 لا يعرف القرن وجهه ويرى
 قفاه من فرسخ فيعرفه

(١) في معجم البلدان (كعقل سليمان بن فهدودينه). (٢) في المعجم (فيه الهباب).

وقال فيه : هو الأسد الورد في قصره ولكنّه ثعلب المعركة
ومن ظريف ما جاء في ذلك قول أبي العمر هرون بن محمد من أهل آمل خرج
عليه اللصوص فسلم اليهم متاعه وهرب : أنشدناه أبو أحمد عن الانباري :
طلّبت تشجعتي ضالاً بتضليل وللشجاعة خطبٌ غير مجهول
هاتى شجاعاً بغير القتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول
والله لو أن جبر بلاّت كغفل لي بالنصر ما خاطرت نفسي لجبريل
إسمع أحدثك عن بأسى شكر؟ خلاف بأس المساعير البهايل
ما بدت منهم نحوى؟ تسرع الذعر في عرضي وفي طولي
حتى اتقيتهم طوعاً بذات يدي وانصعت أطوى الغلاميل إلى ميل
الله خلصني منهم و؟ حتى تخلصت مخضوب السراويل
وهذا خلاف مقاله المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز أن تموت جباناً
وقال سعيد بن العاصي حين هرب مروان بن محمد :
لجّ الفرارُ بمروانٍ فقلتُ له عادَ الظلومُ ظليماً همُّ الهربِ
أنى الفرارُ وتركِ الحربِ إذ كشفت عنك الهويّنا فلا دينٌ ولا حسبُ
فراسه الحلم فرعون العذاب وان تطلب نداء فكاب دونه كلبُ
فشبهه بالنعامة في الجبن وهو من أنفر الحيوان . وقال بعض العرب :
نفرجة ينفر من ظل الشجر فزاده أنثى وضره ذكر
والنفرجة الجبان . ومن جيد ما قيل في النظر قول بعضهم :

الكوكب الذنبي يخسب بالمعائب بعد سبعة
خلعوا عليه ويجلو ه وصار في عز ومنعه
وكذلك يفعل بالجدو ر لنجرها في يوم جمعه
وقريب منه : وزارة العباس منكوسة تقتلع الدولة من أسها

كانه حين غدا راكباً في خلعة يعجز عن لبسها
 جارية السوء إذا جربت ثياب مولاها على نفسها
 وأكل ما سمعناه ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن عماد عن سليمان عن يحيى بن
 سعيد الأموي لبعضهم :

سألت الله أن يأتي بسلي وكان الله يفعل ما يشاء
 فيأخذها ويطرُحها بجنبي ويرقدها وقد كشف الغطاء
 ويأخذني ويطرُحني عليها ويرقدها وقد قضى القضاء
 ويرسل ديمة سحا علينا فيغسلنا ولا يلقى عناء
 أخبرنا أبو أحمد عن أبي عمر عن ثعلب قال قلت لابن الأعرابي من أحق
 الأعراب ؟ قال أعرابي سبق الناس إلى الموسم وجعل يدعو الله لحاله وشأنه
 ويقول : اللهم اقض حاجاتي قبل أن يدهمك الوفد . قال ثعلب أفلا أدلك على أحق
 منه الذي يقول :

خلق السماء وأرضه في ستة وأبوك يمدد حوضه في عام
 وسألني بعض الأبناء من أهل البصرة فقال أي الشعراء أشد حمقاً ؟ قلت الذي يقول :
 أتبه على إنس البلاد وجنسها ولو لم أجد خلقاً لتهدت على نفسي
 أتبه فلا أدري من التيه من أنا سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
 فإن صدقوا أي من الإنس مثلهم فما في عيب غير أي من الإنس
 فقال ما عدوت ما في نفسي . وقال بعضهم لابنه إياك والكبر وكيف الكبر مع
 النطفة التي منها خلقت والرحم التي فيها حملت والغذاء الذي به غذيت .
 ومن يبلغ ماجاء في ذم الكبر قول بعضهم : التواضع مع السخافة والبخل أحمد
 من السخاء والأدب مع الكبر والعجب . وقلت في مثل هذا :
 وعندكم مُذنبٌ مُنيبٌ أحمد من محسن مدل
 وأبلغ ما قيل في صلابة الوجه قول الأعرابي : لو دق بوجهه الحجارة لرضها

ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومن المنظوم قول بعضهم :

لو كنت من شيء خلافاً لم يكن ليكون إلا مشجباً في مشجب
يا ليت لي من جلد وجهك رقعة فأقدّ منها حافراً للأشهب
والبيت الأول مأخوذ من قول بعضهم : فلان يشجب من حيث رأيتُه وجدت (لا) .
وقد أحسن ابن أبي العتاهية في قوله :

قتلت (لا) فإنها خلعت خلعة العدم^(١)

فهى تستهلك الجيـل وتأتى على الكرم

وقول أبي تمام :

وسابع هطل التعدي هتات على الجزاء أمين غير خوان

أظمي الفصوص ولم تنظماً قوائمه فخل عينيك في ظمان ريان

فلو تراه مسيحاً في الحصى ريم تحت السنايك من مثني ووحدان

أيقنت ان لم تثبت أن حافره من صخرة تدمر أو وجه عثمان

وقال في معناه يمدح رجلاً وبهجو عثمان هذا :

عثمان لا تلهج بذكر محمد يرضيك طول المجد عنك وعرضه

بذلك كله امساكه ويموت بسطك في المكارم قبضه

وكان عرضك في السهولة وجهه وكان وجهك في الحزونة عرضه

وقال أبو الشعمق :

صلاية الوجه سلاح الفنى ورقة الوجه من الحرفه

من كان صلباً وجهه محكماً فأنت منه الدهر في طرفه

ومن أنجل ما قاله محدث قول ابن طباطبا الأصبهاني يخاطب غلامه :

إجعل الزوج من سراجك فرداً واقصد يا غلام والقصد أجدى

(١) في الأصل (الحلم) .

ان يكنُ فقدك الضياء ردياً فاقصادي للزر أردى وأردى
وقد غير هذا البيت في وجوه الأبيات المقولة في البخل .

ومن أملح ما قيل في مخالفة ظاهر الرجل باطنه قول بعضهم :

إذا ما جئتَ أحمدَ مستبيحاً فلا يفررك من ظره الأنيقُ
لهُ خلقٌ وليسَ عليه خلقٌ كبراقية تروق ولا تريق

ومن ملح في الدعوة رزين العروضي :

تقد جئت يا ابنَ أبي تبَّع بأمِّ الدَّواهي لدى المجمع
حلفت بأنك^(١) من حميرٍ وليس اليمين على المدعى

وملح أيضاً في قوله :

ان فخرَ الناسِ بآبائهم أتيتهم بالعجب العاجب
قلت وأرغمت أباً خاملاً أنا ابن أخت الحسن الحاجب

ومن أملح ما قيل في إفشاء السر قول بعضهم :

أودَّ عنهُ السرُّ فأفبته أمٌّ من كأسٍ على راح
وقال السريُّ :

تنى عنك فاستشعرت هجراً خلالَ فيك لست لها براض
وانك كلما استودعتِ مرراً أمٌّ من النسيم على الرِّياض

وقد أحسن كعب بن زهير غاية الاحسان في قوله :

ولا تمسك بالعهيد الذي عهدتُ إلا كما يمسك المساء الغرايبيل
وأخذه الخطيئة فقال :

أغر بالآ إذا استودعتِ مرراً وكانونا على المتحدِّثينا

والكانون : الرجل الثقيل ، قال الشاعر :

بيت الكوانين في زبل معلقة تحت الثريا بجبل ثم ينقطع

(١) في الأصل « حلفت بآبائك » .

وقدمر فيما تقدم بيت الخطيئة .

ومدح ابن الرومي ابن المدبر (١) فردمديحه فقال فيه :

رَدَدَتْ عَلَى مَدْحِي بَعْدَ مَطْلٍ وَقَدْ دَسَّتْ مَلْبَسَهُ الْجَدِيدَا

وقلت امدح به من شئت غيري ومن ذا يقبل المدح الرديدا

ولاسيا وقد اعطت (٢) فيه مخازيك اللواتي لن تبيدا

ثم اخنى عايه بالهجاء حتى قال فيه وقد ضربه الريح بالاهواز ضربة في وجهه مدحه بها البحري مدحا كثيرا فمن ذلك قوله :

ووجه ضمان البشر فيه موقف على النجح والحاجات تترى عجالها

به من صفيح الهند وشم تبينه صفيحة وضح يروق جمالها

متى ربدتها عزة او حفيظة أعيد اليها بالسؤال صقالها

متى ترها يوماً عليها دليلها تعجبك من شمس عليها هلالها

وذكرها ابن الرومي فأفحش في قوله :

بوجه أبي اسحق صدع كمرضة له قصة غير الذي هو يظهر

يخبر عنه أنه أثر ضربة ببعض سيوف الزنج حين يخبر

وما ضربته الزنج في الوجه بل رأى أبورهم فانشق في وجهه حر

في آيات سخيفة فطلبه ابن المدبر أشد الطلب فلما ظفر به وأراد قتله أنشأ يقول :

حَقُّكَ الصَّفْحُ عَنْ ذُنُوبِي وَحَقِّي أَنْ قَتَلِي مُحَلَّلٌ لَكَ طَلْقُ

فَاعْفُ عَنِ عَبْدِكَ الْمَسِيءِ وَلَا تَبْسُطْ بِنَا بَسْتَحْوُ مَا تَسْتَحْوُ

فمعا عنه وأجازه . وقال يهجو بخيلاً :

نعمك عندي التي أقرُّ بها انك أصبحت لي من الغير

وحبك الذم لا ترق بك ما أشبه خطم الخنزير بالقدر

أبدت في أوليات لؤمك ما قدرت في أخريات الآخر

(١) في دائرة المعارف للبستاني (ابن المهدي). (٢) في الأصل (أعقت) .

كالفطران الذي يرى أبدأً في رأسه ماقتنى من العكر
وهو من قول الناس أول الدن دردى . وقالت العلماء البلاغة أن تجعل المعنى الدنى
رفيعاً والمعنى الرفيع وضعياً . ومثل قول ابن الرومي قول الديلمي :
في أوان الشباب عاجلنى الشيبُ وهذا من أول الدن دردى
وليس هذا بالمختار لابتدال لفظه . وقلت في بحيل :

قفع البردُ ضيف عمرٍ وفأضحى مثل من فيه ياأخى زمانه
بات للبرد في طهارة سوء ومن الجوع والطوى في بطانه
وهو قدماً للضيف جوعٌ وقرُّ ولمولاه ذلَّةٌ ومهانه
جمع الرأس بين رأسه ورجلى فكأنى في يئسه أرسانه ؟
وقلت : ضفت عمراً فجاءنى برغيف زادنى أكله على الجوع جوعاً
ثم ولى يقول وهو كئيبٌ لهف نفسى على رغيف أضياع
كان خداعة الضيوف ولكن ربما أصبح الخدوع خديعاً
كنت أنزله محلاً رفيعاً فعدا ذلك الرفيع وضعياً
عجباً منه إذ أتيج هجاءه كيف لم يمتنع وكان منيعاً
(اتفاق الأسماء والألقاب وتباعد ما بينها في الأخلاق)

قال الأوّل في ذلك :

يزيد الخير إن يزيد قومي سميك لايزيد ولايزيد
يقود عصابةً وتقود أخرى فيرزق من يقود ومن تقود
شبيهك في الولادة والتسمي ولكن لايجود كما تجود
ومثله : على وعبد الله بينهما أبٌ وشتان ما بين الطبايع والفعل
ألم ترَ عبد الله يلحى على الندى علياً ويلحاه على على البخل
ومثله : فإن يك مجرانا إلى جمع نسبة ففي الرأى والأخلاق مختلفان
وما أنت مثلى في مقام أقومه لدى البأس إلا أننا أخوان

آخر : لمن وصلت أبوتنا انتساباً لقد قطعت مرارنا العقول
 أبوك أبي وأنت أخي ولكن تبانت الطبائم والشكول
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال قال لنا المكتفي بالله يوماً ما هتك بيت
 من الشعر وأفجر قائل أتعرفونه ؟ فقال يحيى بن علي المنجم قول أبي نواس :
 ألا فاسقني خمرآ وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهر
 فقلت له ان المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان وقال من
 عيوب محمد أنه استجلس رجلاً يقول ألا اسقني خمرآ ، ولكن الحسين بن الضحاك
 الخليل قد قال ما هو أهتك من هذا قال وما هو ؟ فأنشدته :

أبتعت سُكراً بسكر وابتعت خمرآ بقمر

فقال هذا لعمرى أهتك من ذلك . قال أبو هلال رحمه الله تعالى : وأبلغ
 الهجاء ما يكون بسبب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعلم والعقل
 وما يجرى مجرى ذلك ، وليس الهجاء بقبح الوجه وضوالة الجسم وقصر القامة
 وما في معنى ذلك بايقاً مرضياً ، وينبغي أيضاً أن يتضمن الهجاء والمدح من نعوت
 المهجو والمدح وأسماهما وصفاتهما ما هما مشهوران به فاذا ذكر لم يخفيا .

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي عثمان ^(١) عن التوزي عن أبي عبيدة
 قال مدح مصعب بن عمير اللبي عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فحرمه فقال ^(٢) :

سيروا فقد جن الظلام عليكم فبئس امرؤ يرجو القرى عند عاصم
 دفعنا إليه وهو كالريح خاطباً ^(٣) فشد على أكبانا بالعمائم
 ومالي من ذنب إليه علمته سوى أني قد جنته غير صائم
 فلولا يد الفاروق عندي رميته بقافية يحدى بها في المواسم

(١) (أبي عثمان) غير موجودة في الأصل فزدناها إعتياداً على ماورد في أسانيد
 الكتاب في غير هذا الموضع . (٢) ذكر صاحب الاغانى ثلاثة أبيات منها منسوبة
 للحزبن باختلاف في بعض الألفاظ . (٣) في الاغانى « كالتيس طاعماً » .

فليتك من جرّم بن زبّان أونيبي نعيم أو النوكي أبان بن دارم
 أناس إذا ما الضيف حلّ بدارهم غدا جائعاً غرثان ليس بناعم
 فلما بلغ ذلك عاصماً قال ما أكثر من يسمي عاصماً حتى يقول : عاصم بن عمرو بن
 عثمان بن عفان فبلغه ذلك فقال :

جنبتها عاصماً من أن تلمّ به - أعنى ابن عمرو بن عثمان بن عفان
 إذا أناخت به الضيفان طارقة جاءت بنوه إلى الضيفان ضيفان
 فبلغه ذلك فقال: الآن طوقني بها طوق الحمامة لعنه الله تعالى . وقال بعضهم:
 أرى ضيفك في الدار وكرّب الموت يغشاه على خبزك مكتوب سيكفيهم الله
 وقال بشار^(١):

وضيف عمرو وعمرو بسهران معاً عمرو لبطنته والضيف للجوع
 آخر: نوالك دونه خرط القتاد وخبزك كالثريا في البعاد
 ولو أبصرت ضيفاً في المنام لحرمت المنام إلى التناد
 أرى عمر الرغيف بطول جدّآ لديك كأنه من قوم عاد
 وما أهجوك أنك كفه شعري ولكني هجوتك للكساد
 وقال آخر: رأى الصيف مكتوباً بظنّ أبخله ونصيفه ضيفاً فقام يوابه
 ورأيت في ألفاظ هذا البيت زيادة فقلت :

قد كان للمال ربا فصار في البخل عبده وصحف الصيف ضيفاً فقام يلطم خده
 وقال أبو نواس: * على خبز إسماعيل واقية البخل * أخبرنا أبو أحمد أخبرنا
 أحمد بن عماد أخبرنا ابن حدثني محمد بن عمران بن مطر الشامي حدثني خالي الحسن
 ابن محمد قال نصب إسماعيل بن أبي سهل في صحن داره فاصطحبنا أربعين يوماً
 ومعنا أبو نواس فبلغت نفقته أربعين ألف درهم فقال أبو نواس بعد ذلك فيه:
 خبز إسماعيل كالوشى إذا ماشق يرفا

(١) من المولدين ، كان رقيقاً ضريراً ، آتهم بالزندقة فضرب حتى مات .

عجباً من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
 إن رفاهك هذا أطف^(١) الأمة كفا
 فإذا ألصق بالنصف من الحروف نصفا^(٢)
 أطف الصنعة حتى ماترى مطعن أشفى^(٣)
 مثل ماجاء من التسنور ما غادر حرفا
 وله في الماء أيضاً عملٌ أبداع ظرفا
 مرزجه العذب بماء الـبئر كي يزداد ضعفا
 فهو لا يسقيك منه مثل ما يشرب^(٤) صرفا

فلم يسبق أبو نواس إلى هذه المعاني وهي كما تراها غاية . قال وقال فيه أيضا :
 على خبز إسماعيل وأقية البخل فقد حلّ في دار الأمان من الأكل
 وما خبزُهُ إلا كعنقاء مغربٍ تصورُ في بسطِ الملوك وفي المثل
 يتحدث عنها الناسُ من غير رؤيةٍ سوى صورةٍ ما أن تمرّ ولا تحلى
 وما خبزُهُ إلا كأوى يرى ابنه ولم ير أوى في الحزون وفي السهل^(٥)
 وما خبزُهُ إلا كليب بن وائل ليالي يحمي^(٦) عزه منبت البقل
 وإذ هو لا يستبُ خصمان عنده ولا الصوت مرفوعٌ بجدي ولا هزل
 فان خبزُ إسماعيل حلّ به الذي أصاب كليباً لم يكن ذاك عن ذلّ
 وإسكن قضاءً ليس يسطاع ردهُ بجيلةٍ ذى مكرٍ ولادهى ذى عقل
 وكان الجاحظ يفضل قوله * وإذ هو لا يستبُ خصمان عنده * على قول مهلهل
 * واستبُ بهدك يا كليبُ المنزل * وغير ذلك قل ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي نواس « أحذق الأمة » . (٢) في الديوان « وإذا قابل
 بالنصف من الجرّدق نصفا » والجرّدق: الرغيف . (٣) في الديوان (مفرز أشفى) .
 والاشفى بالكسر: المنقب . (٤) في النسخ (يشرب) مكان (يسقيك) وبالعكس .
 (٥) في ديوان أبي نواس « في حزون ولا سهل » . (٦) في الديوان « ومن كان يحمي » .

وقينة أبرد من ثلجة تظلُّ منها النفسُ في ضجة
 كأنها من نثنها ثومةً لكنها في اللونِ أترجّه
 تفاوتت خالقتها فاغتندت لـكلِّ من عطل محتجّه (١)
 كأنها والوشمُ في جلدها زرنينةٌ شبيت بـلبنجّه
 خراجةٌ للفسق دخالهٌ تعجبها الدخالة والخرجه
 كأنما فقحتها فحمةٌ فت عليها طابث ثلجّه

وهي آيات سخيفة تركت أكثرها لسخفه . ونقل قوله « فهي لمن عطل محتجّه »
 إلى موضع آخر فقال في اسماعيل بن بلبل :

لأسقيت نعمي نسر بلنّها كم حجّةٍ فيها لزنديق
 وقد أبدع أبو نواس في قوله يهجو جعفر بن يحيى :

قالوا امتدحت فإذا اعتضت قلت لهم خرق النعال وإخلاق السراويل (٢)
 ذاك الأمير الذي طالت علاوته كأنه ناظرٌ في السيفِ بالطول
 وكان جعفر طويل الوجه والقفا . وقال فيه أيضا « قفا ملك يقضي الهموم على بثق »
 وقلت : سوداء يذرفُ دمعها مثل الاتونِ إذا وكفُ
 وكأنها من قبجها سلاحُ العليلِ على الخرفِ
 وقال أبو تمام :

فأشهد (٣) ماجسرت على إلا وزيدُ الخليلِ دونك في الشجاعة
 ووجهك إذ رضيت به ندبما فأنت نسيجٌ وحدك في القناعة
 ولو بدلتسه وجهاً إذا لم أصلُّ به نهاراً في جماعه
 ومن أعجب ما قيل في كبر الأنف قول كشاجم :

لقد مرَّ عبدُ الله في السوق راكباً له حاجبٌ من أنفه وهو مطرقُ
 رعيت له من جانب السوق مخظة توهمت أن السوق منها سيفرقُ

(١) في الأصل « فهي لمن عطل محتجّه » . (٢) في ديوان أبي نواس

« إبلاء السراويل » . (٣) في ديوان أبي تمام « فأقسم » .

فأقنر به أنفأ وأقنر بر به على وجهه منه كنيف معلق
وقال غيره: أنت في البيت وعرينك في البيت بطوف

ومن أقبح ماجاء في قبح الاسنان قول جرير:

إذا ضحكت شبهت أنيابها العلى خفافس سودا في صرارة قلب
وأما خص الأنياب العلى دون السفلى لأنها تبدو في التبسم والتكلم وعند
التأؤب، وهو كقول الآخر:

إذا كان يهدى برد أنيابها العلى لأفقر منى انى لفسير

فشبه أسنانها بالخفافس وسعة فيها بالقلب، والصرارة: الماء الفاسد فشبه به فساد
نكمتها. وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن الرياشي عن ابن سلام قال دخلت ديباجة
المدنية على امرأة فقبل لها كيف رأيتها قالت لعنها الله كأن بطنها قربة وكان
تديها دبة وكان استها رقعة وكان وجهها وجه ديك قد نفش عرفه بقاتل ديكاً.

ومن بديع الهجاء بالتبرق والتمخط والبحر قول ابن الرومي:

نحسب مزكوما وان لم تزكم	من سدة في أنفك المورم
محشرج الصدرير طلى بلغم	إن لم تنخع مرة تنخم
نخامة كالضفدع الموشم	دكناء رقطاع بقيق أودم
ممتخطاً بالسكوع أو بالمعصم	تضرط من أنف وتفسو من فم
ذانكهة من لم تمته بصدم	حتى دعاك الملا أرحم ترحم

وقال جحظة^(١) في البحر:

تنفس في وجهي فسكدت أموت	وأعرض عني جانباً فحييت
ونسى؟ حتى حسبت بأنى	وربكما باصاحبي خريت
وقال بعضهم في سرعة الكلام:	
كأن بنى رالان إذ جاء جمعهم	فراريج بلقى بينهن سويق

(١) هو أحمد بن جعفر البرمكي، لقبه عبد الله بن المعتز بجحظة.

وقال دعبيل في قصر الشعر :

فوهاءُ شوهاهُ لها شعرةٌ كأنها خملٌ على مسح

وقال ابن المعتز في أمر ديبنتف :

وَخَدُهُ مَشُوكٌ مَزُورٌ التلويز كأنه فريضةٌ كثيرةُ الشونيز

وأنفه كسترٍ مشرق الأفريز^(١) بحسبه اذا بدا سماجة النوروز

وقلت : لعب الزمانُ بحسن وجه محمدٍ لعب الصبا بالرَّبع حتى أقفرا

قد كان معروفَ الجمالِ فلم يزلْ

ينتابه^(٢) الحدَّتانِ حتى أنكرَا

عهدى به متكفراً متعصفاً

ثم اغتدى متصنلاً متزعفرا

وكأتما صدغاهُ في وجناته

جمالانِ يتتابانِ سلحاً أصفرا

وقال ابن الرومي في غير هذا المعنى يحكى عن امرأة :

أنا كعبةُ النبك التي نصبتُ له فتلق مني^(٣) حيث شئتَ وكبر

فنبئتُ بينَ مقابلٍ ومدابيرٍ مثلَ الطريقِ لمقبيلِ أومديرٍ^(٤)

كأجبري المنشارِ يجتذبانهُ متنازعينِ في فليجِ صنوبر

ولأعرفه سبق الى هذا المعنى وهو من أظرف معنى وأعجبه .

وقال أيضاً وهو من ظريف المعاني :

رأيتُ في دارِ حسينِ مشرعه وامرأةَ قاعدةَ مربعة

لها بظورٌ في استها مجمه كأنها أترجةٌ مفقعه

وقال في خصي أراد أن يتزوج بامرأة :

قل لنجح أخطأتَ بابَ النجاحِ إذ تعاطيته^(٥) بلا مفتاح

لستَ بالسابعِ المجيدِ فدع عنك ركوبَ البحارِ للسباح

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (تحشى من الأفريز) . (٢) في الأصل مبهمه من

النقط . (٣) في ديوان ابن الرومي (فتلق منها) . (٤) في الديوان (ولمدير) .

(٥) في ديوان ابن الرومي المخطوط (بل تعاطيته) .

فقطع الحب بالخصي^١ كما يقطع فقد المردي بالملاح
 ليت شعري بما تظنك نصبي قلب ودان يا كبير النجاح
 أبوجه كأنه وجه قرد حائل اللور جامد المصباح
 نمشة فوق صفرة قتره كونييم الذباب في اللقاح
 إنما أنتم فقاح^٢ فمهلاً ماغناء الفقاح في الأحرار
 إن من يعشق النساء بلا أبر كئل الغازي بغير سلاح
 لن يكون الطعام إلا بريح فدعوا^(١) الطعن للطوال الرماح
 ثم قال: معشراً شبهوا القروود ولكن خالفوها في خفة الأرواح
 وهي طويلة. ومن أعجب ما قيل في البحر قول الخالدي في رجل حلق سباله بعد أن أطاله:

حلقت سبالك جهلاً بما يوارى من النكرات القباح
 فعذبت صحبك حتى المساء وعذبت عرسك حتى الصباح
 فلا أبعده الله ذلك السبال فقد كان سترأ على مستراح

وقال ابن السكن:

رجل يعق الكأس كل عشية ويعاقب المساك كل صباح
 وقلت: قال لي صاحبي وقد صفقته نفحات الكروس من في وصف
 لعن الله ليلة بت فيها مع رفيقي كأننا في الكنيف
 وقد أبدع ابن الرومي في قوله:

فسا على القوم فقالوا له إن لم تقم من بيننا قمنا
 فقال لا عدت فقالوا له من ينف فيه ذا كما كنا

وقال أيضاً بذكر قينة:

مسمومة^(٢) الريق إذا قبلت صحفت التقبيل تقبيلاً^(١)

(١) في ديوان ابن الرومي (فاتر كوا).

(٢) في الاصل «مسخوقة» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط.

قبلها جلود عرارة يحسنُ للبخراءِ تقبيلًا
 فاحشةُ النقصانِ لكنها قد كَلَّتْ بالبظرِ تكميلًا
 أزرى بها اللهُ فلم يعطها إلا بطولِ البظرِ تفضيلًا
 إذا بدا الفيلُ وخرطومُهُ قلنا أطارَتْ بظرها الفيلا
 غول بييت الشرب من قبها يرونَ في النومِ التهاويلًا
 ما أحسنَ الأرقمَ طوقًا لها وأحسنَ الأسودَ اكيلًا
 قد عَذَّبَ اللهُ امرأً نالها طورَينِ تعجيلًا وتأجيلًا
 لها ضراطُ ريمه عاصفٌ بطنى في الليلِ القناديلًا
 حلت سراويلي على واسع ماخلته إلا سراويلًا
 أحللت تنكيلى ياب استها فكان للتنكيلِ تنكيلا
 لورامت التوبة لم تستطع لسنة الشيطانِ تبديلا
 يابسة العود وقد ذلت قطوفها للنيلِ تذليلًا
 وهى طويلة عجيبة ليس لأحد في ملاحظتها وعلو جودتها وكثرة معانيها شيء .

ومما قيل في طول اللحية قول ابن الرومي :

ولحية لو شاء ذو المعارج أغنى بها كواسد النواسج^(١)
 بنسج مسحين نغان الدارج^(٢) وفرَّق الباقي على الكواسج

ومن ذلك قول بعضهم وهو مشهور :

ألم ترَ أنَّ الله أعطاك لحيةً كأنك منها قاعدٌ في جوانق
 وقال الآخر : ألم ترَ أنَّ الله أعطاك لحيةً كأنك منها بين تيسين قاعدٌ

وكان العوفى إذا كتب كتاباً أخذ لحيته تحت إبطه وإذا كَلِمَ إنسان من
 الجانب الآخر التفت إليه فخالصت لحيته من تحت إبطه فمرت على الكتاب

(١) سقط من النسخ « كواسد النواسج » وكذلك في شعر ابن الرومي نقص
 كثير في الأصل استكملناه من الديوان المخطوط . (٢) في الديوان (الديبج) .

فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرا ، فقال فيه بعضهم أوفى غيره :
 لحيه قاضي القضاة لوجهدت مجهودها لم تكن كمنفقته
 إذا أراد الكرمي توسدًا فقد كفته مكان مرفقته

وقال رقية بن مصقلة لأبي شيبه القاضي : لو كانت لحيتك هذه من الذنوب

لكانت من الكبائر . وقد قيل من تدلت لحيته فقد تقلص عقله .

وقلت : قل للمدل بلحية موفورة وسما ولحية كل الحى جهله
 لا يعجبك طول نبتك إنه من طال لحيته تكوسج عقله

وقد أجاد ابن الرومي وأبلغ وجمع في أبيات من المعاني ما لم يجمعه أحد في

هذا الباب وهو قوله :

ان تطل لحيه عليك وتعرض فالحالي معروفة للحمير

علق الله في عذاريك مخلا ة ولكنها بغير شعير

لو غدا حكمها على لطارت في مهب الرياح كل مطير

ارع منها الموسى فانك منها شهد الله في أنام كبير

أبما كوسج رآها فيلقى ربه بعدها صحيح الضمير

هو أحرى بأن يشك ويغرى باتهام الحكيم في التقدير

مانلقاك كوسج قط إلا جور الله أبما تجوير

لحيه أهملت فطالت وفاضت فاليها تشير كف المشير

ماراتها عين امرى ماراتها قط إلا أهل بالتكبير

روعة تستخفه لم يرعها من رأى وجه منكر ونكير

فأق الله ذا الجلال وغير منكراً منك ممكن التغيير

أوقفصر منها فحسبك منها قيد شير علامة التذكير

لو رآها النبي يوماً لأجرى في لحي الناس سنة التقصير

واستحب الأحقاء فيهن والخلسق مكان الاعفاء والتوفير

أراد قول النبي ﷺ « أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا عَنِ اللَّحْيِ »^(١) .
 وقلت : ان أبا عمرو له لحيةٌ بعيدةُ البعضِ من البعضِ
 مضى الى السوقِ وعُثِنُونَهُ أقامَ في البيتِ فلم يمضِ
 وهو إذا ما مرَّ في سكةٍ يملأها بالطولِ والعرضِ
 يدُوسُها الناسُ بأقدامهم كأنها أرضٌ على الأرضِ
 وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه قال قال الجواز كان لبعض أصحابنا في الظاهرة تل
 تراب فأتاه غلامه برجل يضرب له اللبن وقد حمل في عنقه قالباً وإذا لحيته ملء
 القالب فقلت له ليس في قالبك فضل يدخل فيه الطين مع لحيتك فقال إني سأخرجها
 من القالب قبل ضرب اللبن وإنما أردت أن أدفنها فيه قليلاً ، قال فلما رأيت حقه
 قلت يحتاج أن يضرب في كل يوم ألف لبنة . قال خريم أنا أقدر على ذلك .
 وقال الناجم : لابن شاهينَ لحيةٌ طوولُه شطرُ طولها
 فهو الدَّهْرَ كلُّه عائرٌ في فضولها

ولولا القصد لجمع أعيان المعاني والشرط المتقدم لترك النشيع المفووظ من
 المنظوم والمنثور على أن العلماء لو تركوا رواية سخييف الشعر لسقطت عنهم فوائد
 كثيرة ومحاسن جمة موفورة في مثل شعر الفرزدق وجريز والبعيث والأخطل
 وغيرهم ولولم يصلح ذكر الفروج بتصريح أسمائها لكان تسمية أهل اللغة
 إياها بذلك خطأ وهذا محال^(٢) .

ومما قيل في الذمامة وقصر القامة ما ينسب لأبي نواس وهو لغيره^(٣) :
 إذا استنَّ في قوهية متبخترا فقل جردٌ يستنُّ في لبنٍ محضٍ
 (١) رواه البخارى ومسلم وأبوداود والنسائي وغيرهم بألفاظ مختلفة - كما في
 كشف الخفا . (٢) ولكن للكناية محاسن ، وفي معنى الحديث الشريف
 ان الله يكره الفحاش البذيء اللسان . (٣) نسبها الفالى في الامالى لرجل من
 أهل الكوفة : وفيها : إذا راح في قبضية متأزراً فقل جعل يستن في لبن محض

فأقدم لوخرت من استك بيضة^١ لما انكسرت من قرب بعضك من بعض
 وقال غيره: ألا يا بَيْدَقَ الشطرنج في القيمة والقامه
 وقال آخر: يعثر الناس في الطريق من دمامته؟
 وقال آخر: فقام إلى الغلام أسي وغيظاً بقدر لم يزد فيه القيام
 وقال ابن الرومي: أنت تشتم عرضي وأنت في طول أبري
 وقال الناجم: ينقص الأحرار من شأنه وهو أخو القلة والنقص
 كأنه البرغوث لم يخطه في صفر الجئان والقرص
 وقال: وعازب الرأي ضعيف مفرور مكائر في العلم وهو مكشور

في جسم عصفور وحلم عصفور

وقال آخر: كأنهم كلي غنم الأضاحي إذا قاموا حسبهم قعودا
 وفي غير هذا المعنى قول الآخر:

إذا لبس البياض فعدل قطن وأن لبس السواد فعدل فخم

وقال ابن الرومي في القبح والسواد:

وجهك يا جعفر من قبجه أولى من العورة بالستر

كأنما تأوى إليه الدجى إذا هي انقضت عن الفجر

وقال ابن طباطبا في مجذور:

ذو جُدري وجهه يحكيه جلد السمكة

أو جلد أفعى ساخت أو قطعة من شبكه

أو حلق الدرع اذا أبصرتها مشبكه

أو سفر محبب أو كرش منفرقة

أو منخل أو عرض رفته منتهكه

أو حجر الحمام كم من وسخ قد دلكه

أو كور زنبور اذا فرخ فيه تركه

أو كدر الماء إذا ظهر فيه جبكه
أو سلحة جامدة تنقر فيها الديك
يغضه من قبحه كل طريق سلكه

وقد أبدع ابن الرومي :

جُدَ رِيٌّ ما شأنها وهي شينٌ كلُّ أثر في ذلك الوجهِ نقشٌ
بدلت من صفائر وقرون^(١) حمل أنف فيه لغرخين عشٌ

وقلت في غير هذا المعنى :

قد حسن ظاهره وباطنه وأمره مخبره ومنظره
شعره نجدد في عوارضه مثل المسكا الرطب تسفره

وقال ابن طباطبا في أسودين : أخبرنا أبو بكر أحمد أخبرني عبد الله بن أبي
عامر قال كان أبو الحسن العلوي المعروف بابن طباطبا قصد يوماً أبا علي بن رستم
فصادف على بابة عثمانين أسودين كالفتح متعممين بعمامتين حراوين فامتحنهما
فوجدهما من الأدب خالين فدخل مجلس ابن رستم وكتب في درج :

رأيتُ يباب الدار أسودين ذوى عمامتين حراوين
كجمرتين فوق خمسين قد غادر الروض قرير العين
جدُّ كما عثمان ذو النورين فإله أنسل ظلمتين
يا قبيح شين صادر عن زين حدائد تطبع من لجين
ما أنما إلا غرابا بسين طيرا فقد وقعنا

ردا ذوى ا في المصريين المظهرين الحب للشيخين
وخلبا الشيعة للسبطين لا تبرما إرام رب الدين
ستعطيان في مدى عامين صكاً بخفين الى حنين

وقال أبو تمام يهجو عياشاً بعد ما مات :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (عوضت من ذوائب وقرون)

كرت على اللؤم^(١) بما ساده وساءه كرتك الخاسرة
 أسهرت عين اللؤم منذ انطوت عليك أنوابك بالساخرة
 قد كانت الدنيا شفت لوعتي منك ولكن أذت بالآخره
 يا أسد الموت تخلصته من بين لحبي أسد القاهره
 أجاك المسكروه من مثله فاقرة نجتك من فاقره
 وقال فيه : وتصور القبر الذي ضمنته^(٢) حتى ظننا أنه المقبور
 فأتبع لأبي تمام محمد الموصلي فهجاه بعد موته فقال :

سقى حمارك ياطائي غادته من المنى وقطعان من الكمر
 حر الحلاق ويرد الشعر انلغه فجاءه الموت من حر ومن حصر
 ومما قيل في البرد أيضاً قول بعضهم في المبرد :

ويوم كنار الشوق في القلب والحشا على أنه منها أحر وأومد^(٣)
 ظلت به عند المبرد قائلاً فما زلت في أفاظه أتبرد
 وفلج أحد الشعراء فسئل عنه رجل فقيل له ما كان سبب فالجه ؟ قال أكل بيتين
 من شعره . ومن جيد ما قيل في برد الفناء قول بعضهم :

كاد من برده يجمد روعي ضرب الله شفته بغنايه
 وقال غيره : غنى لنا نصر فقلنا له مصعب جراك على السبع
 وحرك العود بأطرافه فكان يحتاج إلى الصفع
 ففقت من مجلسه هارباً أذعو على كفيه بالقطع

وقال كشاجم : ومغن بارد النفسمة مختل اليدين
 ماراه أحد في دار قوم مرتين
 صوته أقطع لذات من صيحة بين

(١) في ديوان أبي تمام (على البخل) . (٢) في الديوان (الذي أسكنته) .

(٣) الومد : الحر الشديد مع سكون الريح .

وقلت : قد أسمعنا غناء لا خلاق به كما تعرك آذان السنانير
 حتى إذا ارتفعت في الصوت لارتفعت أهدت لسمعي تهدير الخنازير
 وكلما انخفضت فيه مزمنة خلت الزنابير تشدو في القوارير
 لا نحر عنه بأبواب مصبغة نصبتن شراكاً للمداير
 وقال ابن الرومي :

وإذا غنت نرى في حلقة كل عرقٍ مثل بيت الأراضه
 وقال الناجم : وقنية شتمها قنوتُ أحسن أصواتها السكوت
 مفقودة الكل غير بطون مثقل فهي عنكبوت
 وقال غيره : كأن أبا الحسين اذا تغنى يحاكي طاساً في عين شمس
 يلوك لسانه طوراً وطوراً كأن بضرسه ضربان ضرس
 وقال المصيصي : وتحسب الندمان في حلقة دجاجةً يخفقها ثعلب
 ما عجبني منه ولكنني من الذي يعجبه أعجب
 وقلت في عواد : يقول لنا غير ما يضرب ويضرب غير الذي نحسب
 ككيسان يكتب غير الذي يقول المحدث والمكتب
 فيكتب غير الذي قاله ويقرأ غير الذي يكتب
 فصمتاً إذا شئت اطرابنا فنحن إذا قلت لا نظرب
 ولا ناسي ؟ إذا جثنتي فاني إذا جثنتي أذهب
 وقلت : تغنى لنا فجعلنا عليه عمام تنزع جلد القفا
 جعلنا اللطام لها لحة وتنف الشوارب فيها سدى

ومن جيد ما قيل في تغير وجوه الاحداث عند خروج اللحي قول البسامي :

قالوا تغير عن ملاحظته قلت الزمان يريكم العبرا
 يازهرة ومحاسناً مسخت ماذا لحاه الشعر لو شعرا
 قد كانت الأبصار تجرحه واليوم يجرحها إذا حضرا

وقال سعيد بن حميد :

فَالآنَ حِينَ بَدَأَتْ بِخَدِّكَ لِحْيَةً ذَهَبَتْ بِمَلْحِكِ مَلءِ كَفِّ الْقَابِضِ

وقال ابن طباطبا : يامن يزبل خفقة السر حن عما خلقت

تب وخف الله على كفك مما اجترحت

هل لك عنرٌ عنده إذا الوحوشُ حشرت

بلحية ان سُئلت بأي ذنب تنفت

وقلت : حصلت في سى ذا غاظة كأننى مشطُ ابن منصور

بالحبة هتك أستارها بأصبع منه وأظفور

فخذه من سح؟ تارة وتارة من قشر بلور

فتارة كالمسك في لونه وتارة في لون كافور

بعجبه المردُ فيحكيمهم حكاية زور من الزور

يقول ما أحسن رب الورى إذ غرس الظلمة في النور

وقلت : من شقوة المرد أن تبدو شواربهم مسودة قبل أن تبدوا عوارضهم

يا ويحهم من لحي جدت منافسهم فيهن أو لعبت فيها مقارضهم

قد أتيت في هذا الفصل على ما فيه مقنع وبالله التوفيق .

﴿ الفصل الثالث في الاعتذار ﴾

الاعتذار أيديك الله ذلة ولا بد منه لأن الاصرار على الذنب فيما بينك وبين

خالقك هلكة وفيما بينك وبين صديقك فرقة وعند سائر الناس مثلية وهجنة فعليك به

إذا واقعت الذنب وقارفت الجرم ولا تستنكف من خضوعك وتذلل لك فيه فربما

استثير العز من تحت الذلة واجتنى الشرف من شجرة الندلة ورب محبوب في مكروه

◦ والمجد شهد يجتنى من حنظل ◦ ومما خص به الاعتذار ان الحق لا يثبت

لباطله والحقيقة لا تقوم مع تخييله وتمويهه وان رده لا يسمع مع الكذب اللائح في

صفحاته ، وقالوا المعاذير مكاذب ، ويقولون مع ذلك لا عذر في رد الاعتذار والمعتذر من الذنب كمن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره ، ولم يرو عن أحد قبل النابغة الذي أتى في الاعتذار شعر فيه أجود منه ، ومما نرو به له فيه قوله حين سعى به المنخل بالشكرى إلى النعمان وزعم أنه غشى المتجردة حظية النعمان وذلك حين وصفها النابغة فقال :

وإذا لمستَ لمستَ أختم^(١) جأثما متحيزاً^(٢) بمكانه ملءَ اليد
وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدفٍ رابى المجسةَ بالعبيرِ مكرمدا
وإذا نزعتَ نزعتَ عن مستحصفٍ نزعَ الحزورَ بالرشاءِ المحصد

فقال المنخل للنعمان هذا وصف من ذاقها . فوقر في نفس النعمان ثم وفد عليه رهط من بني سعد بن زيد مناة من بني قريع فأبلغوه أن النابغة ما زال يذكرها ويصف منها فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة فعرفه ذلك عصام حاجب النعمان وهو الذي قيل فيه * نفس عصام سودت عصاما * فصار يتمثل به فيقال عصامي وليس بعظامي إذا كان يكسب المآثر لنفسه ولا يتكفل على مآثر الأموات من أسلافه ، ويقولون كمن عصامياً لأعظامياً . فانطلق النابغة إلى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر ولد النعمان فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ثم اتصلت به كثرة مدائح النابغة لهم فحسدتم عليه فأمنه وراسله في المصير إليه فصار إليه وجعل يعتذر مما قرف به ومن مدحه لآل غسان في قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ريبةً وليس وراءَ الله للمرءِ مذهبٌ
لئن كنتَ قد بلغتَ عنى خيانةً لمبسلُك الواشى أغشٌ وأكذب
ولستَ بمستبقٍ أخاً لائلتهُ على شعثِ أيُّ الرجالِ المهذبُ

وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب ، وقوله :

وعيدُ أبي قابوسَ في غيرِ كُنْهه أتانى ودونى كسٍ فالضواجع^(٣)

(١) في الأصل «أجتم» . (٢) في الأصل (متحيزاً) .

(٣) را كس : واد ، والضواجع : موضع .

فبت كافي ساورتني ضئيلة^١ من الرقش في أنيابها السم نافع^٢
 أتاني آيت اللعن أنك لمتني وتلك التي تستك منها المسامع^٣
 إلى أن قال :

فإن كنت لاذوا الضغن عني مكذب^٤ ولا حياقي على البراءة نافع^٥
 ولا أنا مأمون بشيء أقوله^٦ وأنت بأمر لا محالة واقع^٧
 فانك كالليل الذي هو مدركي^٨ وإن خلعت أن المتأني عنك واسع^٩
 وقال : أنبت أن أبا قابوس أو عدني^{١٠} ولا قرار^(١) على زار من الأسد
 مهلاً فداء^{١١} لك الأتوام كلهم^{١٢} وما أتمر من مال ومن ولد
 لا تقذفنني بركن لا كفاء له^{١٣} وإن تأتفك الأعداء بالرغد^(٢)
 ما قلت من شيء مما آتيت به^{١٤} إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي
 ها إن ذي عذرة إلا تكن نفعت^{١٥} فإن صاحبها قد تاه في البلد^(٣)

فخلع عليه النعمان خلع الرضا وكن حبرات خضر امطرقة بالجواهر، وقد ذكرنا
 الحديث بطوله فيما تقدم . وما سلك أحد طريقته هذه فأحسن فيها كاحسان
 البحترى : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى سمعت عبد الله بن المعتز يقول :
 لو لم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى فليس للعرب مثلها
 وقصيدته في صفة البركة . ميلوا إلى الدار من إيلى نحيبها . واعتذاراته في قصائده
 إلى الفتح التي نيس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثلها ، وقصيدته في دينار التي
 وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهي التي أولها . ألم تر تغليس الربيع المبكر .
 وصفة حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف وقد انضاف
 إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه في قصائده . فمن اعتذاراته قوله في قصيدته التي
 أولها . لوت بالسلام بنانا خضيبا . فقال فيها :

(١) في ديوان النابغة (ولامقام) . (٢) أي احتوشوك فصاروا حولك كالاتافي ،
 والرغد جمع رفدة وهي العصبية (٣) في ديوان النابغة (فإن صاحبها مشارك النكد) .

فدَيْنَاكَ من أَىَّ خطب عرا
 وإن كان رأيك قد حالَ فيَّ
 يرينى الشىء نأتى به
 وإكرهُ أن أتمادى على
 أ كذب نفسى بأن قد جنيت^(٢)
 ولو لم تكن ساخطاً لم أكن
 أبصبحُ وردى في ساحتك
 وما كان سخطك إلا الفراق
 ولو كنتُ أعرف ذنباً لما
 سأصبرُ حتى ألقى رضاك
 أراقبُ رأيك حتى يصحَّ
 وقوله : عذيرى من الايام رفقن مشربى
 واكسبني سخط امرى. بت موهناً
 تبليج عن بعض الرضا وانطوى على
 إذا قلت يوماً قد تجاوزَ حدّها
 وأصيد إن نازعتهُ الطرف^(٣) رده
 ثناه العدى عنى فأصبح معرضاً
 وقد كان سهلاً واضحاً فتوَعرت
 أمتخذُ عندى الاساءة محسن
 ومكتسبُ في الملامة ماجد
 يخوفنى من سوء رأيك معشر

(١) فى الاصل (فأوليتنى) (٢) فى ديوان البحترى (أ كذب ظنى بأن قد سخطت).

(٣) فى ديوان البحترى (نازعتة اللحظ).

أعينك أن أخشاك من غير حادث
 ألت الموالى فيك نظم^(١) قصائد
 أعد نظراً فيما نسخت هل ترى
 رأيت العراق ناكرتني وأقسمت
 وكان رخاى أن أووب مملكا
 حياء فلم يذهب بي الغى مذهباً
 ولم اعرف الذنب الذى سؤتني له
 ولو كان ما خبرته أو ظننته
 أذ كرك العهد الذى ليس سودداً
 وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً
 أقر بما لم أجنه متنصلاً
 لى الذنب معروفاً وان كنت جاهلاً
 ومثلك من أبدى الفعال أداة
 وان صنع المعروف زاد ونما

ونحن نقول ان لكل شىء ثمناً وثمان خضوع المعتذر قبوله . وكتبت: وسيلتى
 اليك الثقة بكرم أخلاقك وشرف أعراقك وقد طلبت المسامحة منك بك وجعلت
 كرمك أقوى أسبابى اليك وقد خفضت لك جناح الذل فى التنصل مما فرط
 ففضل على بالقبول لئلا يلحقنى هجتان هجنتان تذلى لك وأخرى ردك لى . وقد
 قيل: ارض لطالب الخضوع ذنباً مذلة الاعتذار . وفى هذا المعنى ما كتب بعضهم:
 لما تعذر على العذر جعلت معولى على فضلك أبلغ عذراً قدمه وأقوى سبب أو كده .
 وأخبرنا أبو أحمد عن أبي روق عن السكرى عن ابراهيم الندى قال قلت لرجل:
 ما حملك على بذلك وجهك فى حوائج الناس؟ قال انى لم اسمع شيئاً أحسن من بناء
 حسن على رجل أحسن ومن شكر حر وشفاعته شفيع لطالب شاكر ولا فى لأبلغ

(١) فى ديوان البحترى (غر قصائد)

المجهود ولا أسأل من لا يجود وليس صدق العذر عندي بدون أنجاز الوعد ولا
اكداء السائل بأغلاظ من الاجحاف، بالمسؤول ولا أرى السر أغبالي بالمسألة بحسن
ظنه بي أوجب حقاً على من المرغوب اليه الذي يتحمله من لدى والعرب تقول ان
مع الهيئة الخبيثة والفرصة خلسه فثب عند صدور الأمور ولا تتبع اعجازها . وقال
ابن العز العذر مع التعذر واجب . ومن أعجب الاعتذار في التقاضي قول بعضهم :

هَزَزْتُكَ لَأَنِّي ظَنَنْتُكَ نَاسِيًا لَوْعَدِي وَلَا أَنِّي أَرَدْتُ التَّقَاضِيَا
وَلَكِنْ رَأَيْتُ السَّيْفَ فِي حَالِ سَلِهِ إِلَى الْهَرَزِّ مُحْتَاجًا وَإِنْ كُنَّ مَاضِيَا

ومن ملبح ما يجري في هذا الباب ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي
حاتم عن العتيبي عن أبيه عن شيخ من قريش قال قال رجل لسليمان بن عبد الملك :
ان القدرة تمنع الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة وان تعف فأهل ذلك أنت وان تعاقب
فأهل ذلك أنا ، فمنا عنه ، فأخذه بعض المحدثين فقال :

فَإِنْ عَاقَبْتَنِي فَبِسُوءِ فَعْلِي وَمَا ظَلَمْتُ عَقُوبَةً مُسْتَفِيدِ
وَإِنْ تَعَفَّرَ فَاحْسَانٌ جَدِيدٌ دَعَوْتُ بِهِ إِلَى شُكْرِ جَدِيدِ

تم الباب والحمد لله وحده .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم عونك . جمع الله شملك ووصل حبلك وتمتعك بأحبتك وأعطاك مأمولك
في نفسك وأعزتك وأطاذك من قطيعة أحبابك وجنبك نجيب أودائك ولا جعل
للهمجر عليك سبيلا ولا للفراق عليك دليلاً لينعم باللذة جسمك ويعمر بالسرور قلبك
فتعيش في ضمان الفرح وبيوه حاسدك بأعباء الترح انه حميد مجيد فعال لما يريد .
العشق أدام الله توفيقك من شرائف أخلاق الفتيان وكرائم سجايا الشبان

يطلق لسان العيسى ويفتق حيلة البليد ويبعث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم
وينحدون بذله اللثيم ويدعو الى استعمال الفتوة واظهار المروءة في تنظيف اللباس
وتحسين الرياش ويجدد حب المساعدة والائتلاف وكرهه التباين والاختلاف
إلى غير ذلك من محمود الحال وممدوح الخصال وإذا رزقت منه نصيباً جزلاً فوفه
حقه واسلك به طريقه وتأمل ما هديت اليك فيه فانه بعينك عليه ويحسن أسبابه لك
ويكبت لأمنك فيه ويكون جلاء لناظرک وشحذاً لناظرک إن شاء الله سبحانه وتعالى .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في التشبب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك وهو)

﴿ الباب الرابع من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أرق بيت قاله العرب قول امرئ القيس :

وما ذرّفت عينك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

يقول ما بكيت إلا لتجرحي قلباً معشراً أى مكسراً ، يقال برمة اعشار اذا
كانت مشعوبة ، يريد أن قلبه عليل وأنت تزيدينه علة بسهميك يعنى عينها ، والمقتل
المذلل . ومثله قول الشاعر :

رمتك ابنة البكرى عن فرع ضالة وهنّ بنا خوص يخلنّ نعامنا

ولم نسمع للاعشار بواحد . وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لى عن ابن سلام

أنه قال أنسب بيت قالته العرب :

ولما التقى الحيان أقيت العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

إذا قلتُ إني مُشتفٍ بلقاؤها فخم التلاقي بيننا زادنا سقما

وأبلغ من هذا قول أبي نواس :
 ما يرجع الطرف عنها حين أبصرها حتى يعود إليها القلب مشتاقا
 وقد أحسن ابن الرومي ولا أعرف في معناه أبلغ منه :
 أطاقها والنفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تدانى
 وألم فاها كي تموت حزازي فيشتد ما ألقى من الهيجان
 وما كان مقدار الذي بي من الجوى ليشفيه ما ترشف الشفتان
 فان فؤادي ليس بشفي رسيه سوى أن ترى الروحان تمتزجان
 ومن البليغ في الاشتياق ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسين بن اسماعيل :
 هبت شمالاً فقال من بلد أنت به طاب ذلك البلد
 وقبل الريح من صباته ما قبل الريح قبله أحد
 وأبلغ ما قيل في شدة الحب قول بعضهم وقد قيل له ما بلغ من حبك فلانة ؟
 قال انى أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها . وقال نصر بن
 الحجاج لامرأة أحبك حباً لو كان فوقك لا ظلك أو كان تحتك لا قلك ، أخذه بشار فقال :
 انى لا كتم في الحشى حباً لها لو كان أصبح فوقها لا ظلها
 وبيت بين جوانحي وجد بها لو بات تحت فراشها لا ظلها
 وقلت : أحبك يا شبيهة الشمس حباً نغرد بالتمام فلا تمام
 فلو ألقته ما بين ماء ونار كان بينهما التمام
 وقال ابن الرومي في اجتماع الأهواء على محبوبه :
 سالة نور ليس بدر كها^(١) اللمس إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس
 به^(٢) أمست الأهواء يجمهها هوى كأن نفوس الناس في حبه نفس
 وقال بشار :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (بدر كد) . (٢) (به) سقطت من الأصل فاستدر كناها من الديوان ، وفي الأبيات تصحيف صححناه منه .

ولست بناس من يكون كلامه بأذني وان غيبت قرطاً معلقا

ومن ظريف الذئب أيضاً قول ابن المعتز :

كذبت يامن لحاني في مودته ماصورة البدر الأذون مصورته

يارب ان لم يكن في وصله طمع ولم يكن فرج من طول جفونه

فاشف السقام الذي في لخط مقلته واستر ملاحه خديه بلحيتيه

ومن الظريف قول كشاجم :

كان الشفاء للعس منها خواتم من النبر مخنوم هين على الدر

ولأعرف في وصف الفم أحسن من هذا .

وأحسن ما قيل في حث الشوق من قديم الشعر قول عمرو بن شاس الأسدي :

إذا نحن أدلجنا وأنت امامنا كفى لمطايانا بذكرك حاديا (١)

أليس بزبن (٢) العيس خفة أذرع وان كن حسرى ان تكون اماميا

واتم من ذلك شرحاً قول الآخر :

إذا عقت خبت وإن هي خلت لترتع لم ترتع بأذني المراتع

كانت لديها سائفاً يستحثها كفى سائفاً بالشوق بين الأضالع

ومن جيد ما قيل في ازدياد الشوق على القرب قول الآخر :

صب يحث مطاياه بذكركم وليس ينساكم ان حل أوسارا

يرجو النجاة من البلوى بقربكم والقلب يلهب في أحشائه نارا

ومن ظرف الاعرابي قوله أنشده المبرد :

وعود قليل الذنب عاودت ضربه إذا عاد قلبي في معاهدتها ذكر

وقلت له ولقاء ويحك سببت لك الضرب فأصبر إن عادتك الصبر

ونحوه قول الآخر :

قد قطع الأحراج أعناق الابل فهي تسير سير مشتاق عسجل

(١) في الأغاني « بوجهك هاديا » . (٢) في الاصل « بزبن » وفي الاغانى (يزيد) .

وقول الآخر وقد ألغز :

إنَّ لها لسائقاً خَسَدَ لجا لم يُدبِّجَ اللَّيْلَةَ فيمن أدبجا
وفي خلاف ذلك يقول العباس بن الأحنف :

أيام يقتلُ شوقها زيارتي كلما يقتل برده عطش الصدى
فأما أجود ما قيل في التذكرة على البعد فقول بعضهم :

اذكر أخانا تولى الله صحبته أنى وان كنت لالقاءه لقاءه

الله يعلم أنى لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه

وقلت : ذكرتهم والنوى بينى وبينهم ذكرى الشباب الذى قد كان طاصانى

بل كيف أذكر عهداً لست ناسيه هل يعرض الذكر إلا بعد نسيان

ونحوه يقول السرى :

غضبان ينسانى وأذكره ويتسام عن ليلى وأسهره

وبجوره ماضار مورقه حظى وحظ سواى مشره

وكفى الهوى لو كان مكتفياً مارحت أضمره وأظهره

لم يقتسم فى العاشقين أنسى إلا وحظى منه أوفره

فأصبح فى نفس أصدده وأعوم فى دمع أجدده

ومن ملبح ذلك قول بشار :

ولست بناس من يكون كلامه بأذى وان غبيت قرطاً معلقاً

أجود ما قيل فى إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق من الشعر القديم قول امرئ القيس :

سموت إليها بدم ما نام أهابها سمو حباب الماء حالاً على حال

وأحسن من هذا وأنظر فى قول وضاح اليمن^(١) :

واسقط علينا كسقوط الندى ليلته لاناها ولا زاجر

(١) غلب عليه هذا اللقب لبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل ، شاعر عجيب

فى تشبيهه ، قتله الوليد بن عبد الملك لتشبيهه بزوجه .

وهذا أبلغ أيضاً لأن سقوط الندى أخفى من سمو حباب الماء لأن لسمو حباب

الماء صوتاً خفياً ليس ذلك لسقوط الندى وهو من آيات ظريفة أولها :

قالت ألا لا تلجن دارنا إن أبانا رجلٌ غائرٌ
أما ربتَ البابَ من دوننا قلتُ فإني وائبٌ ظافرٌ
قالتُ فإنَّ القصرَ من دوننا قلتُ فإني فوقهُ ظاهرٌ
قالتُ فإنَّ الليثَ عادٍ به قلتُ فسيئى مُرهفٌ باترٌ
قالتُ فهذا البحرُ ما بيننا قلتُ فإني سايحٌ ماهرٌ
قالتُ أليسَ اللهُ من فوقنا قلتُ بلى وهو لنا غافرٌ
قالتُ فأما كنتَ أعيننا فأت إذا ما هجمَ السامرُ
واسقط علينا كسقوط الندى ليلةً لانهٍ ولا زاجرُ

ومن مליح ما جاء في هذا المعنى قول المؤمل :

وطارقات طرفنى رسلاً والليل كالطيلسانِ مُمتكرٌ
فقلنَ جئنا إليك عن ثقةٍ من عند ضوءِ كأنها قمرٌ
هل لك في غادةٍ مُنعميةٍ يحار فيها من حسنها النظرُ
في الجيد منها طولٌ إذا التفتت وفي خطاها إذا مشت قصرُ
فعمت أسمى إلى مُحجَّبةٍ نضىء منها البيوتُ والحجرُ
فقلتُ لما بدا تخفرها جودى ولا يمنعك الخفرُ
قالتُ توَّقرٌ ودع مقالك ذا أنت امرؤٌ بالقبيحِ مشتهرٌ
والله لا نلتَ ما نطالبُ أو يثبت في بطن راحتي شَعْرُ
لا أنت لى قيمٌ فتخبرنى ولا أميرٌ على مؤتمرُ
قلتُ ولكنَّ ضيفٌ أناك به تحت الظلام القضاءُ والقدرُ
فاحسبى الأجرَ في إنائه وباشرى قد تطاولَ العسرُ
قالتُ فقد جئتُ بتبغى عملاً تسكادُ منه السماءُ تنفطرُ

قلت لما رأيتها حرجت وغشيتها الهموم والفكر
 لا عاقب الله في الصبا أبداً أنثى ولكن يعاقب الذكور
 قالت لقد جئتنا بمتدع وقد أتتنا بغيره التذمر
 قد بين الله في الكتاب فلا وازرة غير وزرها ترر
 قلت دعى سورة لهجت بها لا تحرم لذاتنا السور
 وجهك وجه تمت محاسنه لا وأبي لا يمسه سقر

ومثل هذا أصعب ما يرام من الشعر ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من
 هاتين المقطوعتين . ومن أحسن ما عذر به المعشوق في سوء فعله قول كشاجم:

تستدفع الأعين عن حسنها بعوده من سوء^(١) أفعالها
 وهي من آيات قليلة النظير :

هل حاكمٌ بعدي على ظبية ظالمة في كل أفعالها^(٢)
 دأمة الأعراض عني فما يخطر لي ذكرٌ على بالها
 صغيرة عظيمها حُبها عندي وأغراني باجلالها
 تستدفع الأعين عن حسنها بعوده من سوء أفعالها
 لم أطمع العذال فيها وقد أصفت إلى أقوال عذالها
 تمضي بليل فاذا أقبلت أقبلت الشمس باقبالها
 قلت وقد أبصرتها حاسراً عن ساقها فاضل سربالها
 لو لم يكن من برد ساقها لاحترق من نار خلخالها

وأحسن في هذا المعنى ولا أظنه سبق إليه .

وقد أحسن ابن الرومي في ذكر الخلخال والساق أيضاً وهو قوله :

وإذا لبسنَ خلخالاً كذبن أسماء الخلال

يقول لا تخلخل الخلال في سوقهن أي لا تتحرك فقد كذبه أسماءها ، وذلك أن

(١) في ديوان كشاجم (من قبج) . (٢) في الديوان (جائرة في كل أحوالها).

اشتقاقها من التخلخل وهو التحرك . وفي نحو ما تقدم قول كشاجم :

وكانَّ الشمسَ نبطُها قمرٌ يمانُهُ والقدرُ
صدَّ إذ مازحتهُ غضباً ما على الأحابِ إذ مزحوا
وهو لا يدري لنخوتهِ أننا في النومِ نصطلح
ثمَّ لا أنسى مقاته « أطفيلُ » ويقترح «

ومن أفراد المعاني قول الشاعر :

وإني لأغضى الطرفَ عنها تستراً ولي نظراً لولا الحياءُ شديدُ
وسها قالتُ لقد نلتُ ودَّه وما ضرَّني بخلُّه فكيفَ أجودُ

وقالوا أنسب بيت قاله العرب قول الآخر :

سبق لها في مُضمرِ القلبِ والحشا سريرةٌ وُدِّ يومَ تبلى السرائرُ
ومن أجود ما قيل في حسن الحبيب في عين المحبوب قول عمر بن أبي ربيعة :
خرَّجتُ غداةَ النحرِ أعرضَ الدُّمى فلم أرَ أحلى منك في العينِ والقلبِ
فوالله ما أدري أحسنًا رزقه أم الحبُّ يعنى مثل ما قيل في الحبِّ
وهو من قول النبي ﷺ « حُبُّكَ الشَّيْءُ يُعْمَى وَبِصَمِّ »^(١) وأنشدني أبو

أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد الشامي عن الزبير بن بكار لعمر بن أبي ربيعة :

زعموها سألتُ جاريتها وتعرَّتْ يومَ حرِّ تبترد
أكما ينعمني تبصرنني عمر كنَّ الله أم لا يقتصد
فتضاحكنَ وقد قلنَ لها حسنٌ في كلِّ عينٍ من تودَّ
حسدًا حملنه من أجاها وقديماً كان في الناسِ الحسد

وأنشدنا عنه قال أنشدنا اسحق لرجل :

حلفتُ بصحراءِ الحجونِ وناقتي لها بين قاعِ الأخشبينِ حنينُ
غموساً لقد فضلتُ في الحسنِ بطة على الناسِ أوبى من هواك جنون

(١) رواه أبو داود والامام أحمد وغيرهما .

وأنكر بعض المحدثين أن يكون استحسانه لحبيبه لافراط حبه أو لجنونه له فيه
فقال وأحسن :

حسنٌ والله في عيني وفي كلِّ العيون
قينةٌ بيضاء سوداء القرون
لم يصبها سقمٌ قطُّ سوى سقم العيون
لم أصفها بجمالٍ سوى أم جنون
بل لحسنٍ وجمالٍ قولٍ حقٍّ وبقين

وقد أبدع الآخر في قوله في المعنى الأول :

يا مَنْ يَلومُ عليهِ أنظر بعيني اليه
فلست تبرح حتى تصيرَ ملكَ يديه

وقد جمع القائل جمعاً حسناً في قوله « وفي أربع منى حكّت منك أربع »
أجود ما قيل في صفة النساء من الشعر القديم ما أخبرنا به أبو أحمد قال قال
ابن سلام أحسن ما قيل في صفة النساء :

كأنَّ بيضَ نعامٍ في ملاحفها إذا اجتلاهنَّ قيظٌ ليلهِ ومد

وتشبيه النساء ببيض النعام تشبيه قديم وهو كثير مشتهر .

قالوا أحسن ما قيل في الوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم :

تبدت لنا كالشمس تحت غمامةٍ بدأ حاجبٌ منها وضئت بحاجبٍ^(١)
مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فصدت كأنَّ الشمس تحت قناعها بدأ حاجبٌ منها وضئت بحاجب

وهو أحسن ما قيل في إعراض المرأة ، ونقله قيس إلى موضع آخر وزاد فيه فقال :

كانَ المنى بلفائفها فلقيتها وهوتُ من لهو امرئٍ مكذوب

فرايتُ مثلَ الشمسِ عند طلوعها في الحسنِ أو كدنوَّها لغروب

(١) في منتهى الطلب من أشعار العرب « وضئت بحاجب »

أراد في وقتين يمكن الناظر النظر إلى الشمس فيها . ونحو ذلك قول زهير :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور لبلة القدر

وفضلها كثير على الشمس فقال وأحسن :

بأبي وأمي أنت من معشوقة^(١) طبن^(٢) العدو لها فقير حالها

وسعى إلى بعب^(٣) عزّة نسوة جعل الآله^(٤) خدودهن نعالها

ولو أن عزّة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موقف^(٥) لقضى لها

قوله عند موقف غاية ما يكون من الاحسان .

ومن أحسن ما قيل في حسن الوجه قول عمر بن أبي ربيعة :

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت^(٦) وجوه زهاها الحسن أن تتقنا

تبالهن بالعرفان لما رأيتي وقلن امرؤ باغٍ أكل وأوضعا

وقرّبن أسباب الهوى لمتيم يقيس ذراعاً كلما قسن أصبعا

فذكر أنهم لم يتقنن الحسن وجوهن ، أخذه من قول الشماخ :

لها شرق من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا

ثم تصرف المحدثون في تشبيهه أي الوجه بالشمس فقال ابن الرومي

كالشمس غابت في حمرة الشفق • وزاد أبو نواس فقال في الأمين قبل الخلافة :

تنيه الشمس والقمر المنير إذا قلنا كأنها الأمير

فان يك أشبها منه قليلا فقد أخطأها شبه كثير

لأن الشمس تغرب حين تمشي وأن البدر ينقصه المسير

ونور محمد أبداً تمام على وضح الطريقة لايجور

وقد أحسن الآخر وقد جعل في البدر مشابهة من وجه المرأة فقال :

(١) في أمالي القالي (من مظلومة) . (٢) أي فطن ، وفي الاصل غير منقوطة .

(٣) في الامالي « بصرم عزّة » . (٤) في الامالي (جعل المليك) .

(٥) في الامالي (موقف) . (٦) في الأغاني « أشرقت » .

يابدر إنك قد كسيت مشابهاً
وأراك تمصح في الحاق وحسنها
وقال العباس بن الأحنف :

قالت ظلوم وما جارت وما ظلمت
البدر ليس له عينٌ مكحلةٌ
وقال النظام : يامشرفاً ملاً العيو
أوفى على شمس الضحى
وزاد آخر على هؤلاء كلهم فقال :

إذا عبتنا شبهتها البدر طالعا
وحسبك من عيب لها شبه البدر
ومن أبلغ ما قيل في حسن الوجه من طريقة أخرى قول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسنا إذا مازدته نظرا
فذكر أن حسنه يزيد على تكرار النظر والمهود في كل شيء نقصانه على
كثرة التأمل ولا يكاد الشيء الرائع يروعك إذا اعتدته . وقريب منه قول كشاجم :
يضاهي بخصر طيب العيش ما حضرت وان نأت عنك غاب اللهو والفرح
كل اللباس عليها معرضٌ حسنٌ وكل ما تنغني فهو مقترح
والمعارضة تتخير للجوارى على حسب ألوانهن فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر
والأسود والأزرق والسوداء في الأصفر فذكر أن هذه تحسن في كل معرض
فهو غاية . وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضاً :

منعمة يُقرَّبهما هواها وإن نزحت بمنزها البلاد
يمادٌ حديثها فيزيد حسناً وقد يُستقبح الشيء المعاد
وقال الحامى :

إذا كنت لم أفقد الغائبين وان غبت كنت فريداً وحيدا
تباعد نفس إذا ما بعدت فليس تعاود حتى تعودا

وهو من قول أبي نواس :
 أشبهك الشيءَ حسناً فما أتمم ذلك حتى تزيدا
 وقال بعضهم : وكلما عدت فيه يكون في العودِ أحمد
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء عن الإصمعي قال أحسن ما قيل
 في اللون قول ابن أبي ربيعة :

وهي مكنونةٌ تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب
 قال وما أعرف أحداً أخذه فأحسن فيه مثل أحمد بن إبراهيم بن اسمعيل فإنه قال :
 بات يعمى يعالج السهرا وراح نشوان يقسم النظرا
 أغيد ماء الشباب يرغد في خديه لولا أديمه قطرا
 وقال ابن الأحنف :

وقد ملئت ماءَ الشبابِ كأنها
 وقال السري : ومخطف يهتز عن ماء الصبا
 وقلت : ووجهٌ تشرَّبَ ماء النعيم
 يمرُّ فأمنحه ناظري
 تمتعت العينُ في نفسه
 وقال ابن المعتز : بحرك الدل في أنوابه غصنا
 وقال ابن الرومي : تمتعات وجهك في بدببها
 وقوله : مخففة مثقلة تراها
 إذا الاغباب جدَّ حسن شيء
 ومثله قوله : لا شيء إلا وفيه أحسنه
 فوائد العين منه طارقة
 وقد أطرف أبو نواس في قوله :

إنَّ اسمَ حسن لوجهها صفةٌ
 ولا أرى ذا غيرها اجتمعا

فهي إذا سميت فقد وصفت قد يجمع ^(١) اللفظ معنيين معا
وقد بالغ ذو الرمة في قوله :

فيا لك من خدّ أسيلٍ ومنطقي رخيّم ومن خلقٍ تعلل جادبه
إلا أنه ذكر خلقها أجمع ، والجادب : العائب ، هو يقول ان الذي يعيبها لا يجذب
عيباً فهو يتعلل . وهو في خبر حسن : أخبرنا به أبو أحمد عن العبدشي عن
المبرد حدثنا عمر بن شبة ^(٢) حدثني اسحق بن ابراهيم الموصلي حدثني أبو صالح
الفراري قال ذكر ذو الرمة في مجلس فيه عدة من الاعراب فقال عصمة بن مالك
- شيخ منهم كان قد بلغ مائة وعشرين سنة - إياي فاسألوا عنه كان من أنظر بني
آدم خفيف العارضين حسن الضحك حلو المنطق وكان اذا أنشد بربر وحبس صوته
فاذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه ، وكان له أخوة يقولون الشعر : منهم مسعود
وحرفاس وهو أوفى وهشام وكانوا يقولون القصيدة فيزيدون فيها الأبيات فيغلب عليها ،
فجمني وإياهم مربع فأتاني يوماً وقال لي يا عصمة إن ميا منقرية وبنو منقر أخبث حتى وأقوفه
لا أثر وأبصره في نظر فهل عندك من ناقة تزدار عابها ميا فقلت اي والله إن عندي
للجوذر قال علي بها فركبناها جميعاً وخرجنا حتى نشرف على بيوت الحبي فاذا هم خلوف
وإذا بيت مية خلوف فعرف النساء ذا الرمة فقمن إلى بيت مي وجئن حتى
أتخنا وسلمنا وقعدنا نتحدث واذا هي جارية المود؟ واردة الشعر صفراء فيها عمر
وإذا عليها سب أصفر وكان أخضر فتحدثن ملياً ثم قلن له أنشدنا يا ذا الرمة فقال
أنشدن يا عصمة فأشدهن قوله :

نظرتُ الى أظعانٍ مَيَّ كَانَهَا ذُرَى النخلِ أوائلٍ ^(٣) نميل ذوائبه
فأوشكت العينان ^(٤) والصدر كاتم بمُغْرَ ورقٍ نمت عليه سواكبه

(١) في ديوان أبي نواس (ويجمع اللفظ). (٢) في الاصل (شعبة) وكذلك في بعض

الفاظ الخبر تصحيف صححنا أكثره من مصارع العشاق والامالي وغيرها

(٣) في ديوان ذي الرمة المخطوط «مولية ميس نميل ذوائبه». (٤) في ديوان

بكي وامق^(١) جاء الفراق ولم تجل جوائلها أسرارها ومعاتبه
 فقالت ظريفة منهن لكن الآن فليجل فنظرت اليهامي ، ثم مضيت في القصيدة الى قوله :
 اذا سرحت من حب مي سوأرح^٢ عن القلب اتته جميعاً عوازيه
 فقالت الظريفة قتله قتلك الله فقالت مي ما أصحه وهنيئاً له فتنفس ذوالرمة تنفسه
 كاد حرها يطير شعر وجهه ، ومضيت حتى انتهيت الى قوله :

وقد حلفت بالله مية ما الذي أقولُ بها إلا الذي أنا كاذبُه
 إذا فرماني الله من حيث لأرى ولا زال في أرضي عدوُّ أحرابُه
 فقالت الظريفة قتله قتلك الله فقالت مي خف عواقب الله يا غيلان ، ثم مضيت
 حتى انتهيت إلى قوله :

إذا راجعتك^(٣) القول مية أوبدا لك الوجه منها أو نضالدرع سالبه
 فيالك من خد أسيل ومنطقٍ رخيم ومن خلق^(٤) تعلل جادبه
 فقالت الظريفة للنساء ان لهنين لساننا فقمين بنا فقمين وقمت معهن فجلست في
 بيت أراها منه فسمعتها قالت له كذبت والله وما أدري ما قال لها وما كذبت ، فلبث
 قليلاً ثم جاءني ومعه قارورة فيها دهن وقلائد فقال طيب أنتفتنا به مي وهذه قلائد
 للجؤذر ولا والله لا أقلدن بهيراً وشدهن بذؤابة سيفه ثم انصرفنا فكان يختلف
 اليها حتى تقضى الربيع ودعا الناس الصيف فأتاني فقال يا عصمة قدرحت مي ولم
 يبق إلا الأثار والنظر الى الديار فاذهب بنا ننظر في ديارها ونقفوا آثارها فخر جناحني
 أتينا منزلها فوقف ينظر ثم قال :

ألا فاسلمي يا دارمي على البلي ولا زال منهلًا بجرعائك القطر
 قال عصمة فما ملك عينيه فقلت مه فانتبه وقال إني لجلد وان كان مني ما ترى .

ذى الرمة « فأبديت من عيني » وفي المصارع والامالي (فأسبلت العينان والقلب
 كاتم) . (١) في ديوان ذي الرمة (هوى الف جاء الفراق ونم تجل) .

(٢) في الديوان والمصارع (إذا نازعتك) . (٣) في الامالي « ومن وجه » .

قال فارأيت أحداً كان أشد منه صباية ولا أحسن عزاءً وصبراً ثم انصرفنا وتفرقنا
وكان آخر العهد به . ومن بديع ما قيل في حسن الوجه قول الصنوبري :

الم قلبي ناره وما شعر دبت إليه عقرب وقت السحر
دبت إلى ظبي بعينه حور ديب لوطي تواري وانتشر
فظفرت لاظفرت أي ظفر وهكذا العقرب للقمر

أحسن ما قيل في العيون: أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي
قال قال أبو عمرو لأصحابه : ما أحسن ما قيل في العيون ؟ قال بعضهم قول جرير :

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يُجيبن قتلانا
بصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاناً
وقال آخر قول ذي الرمة :

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر
وقال آخر بل قوله :

بذكري ميا من الظبي عينه مراراً وفاها الاقحوان المنور
(مراراً) حشواً يحتاج إليه ، فقال أبو عمرو وأحسن من هذا كله قول عدى بن الرقاع^(١) :

وكانها بين النساء أطارها عينيه أحور من جاذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرقت في عينه سنة وليس بناسم
أخذ بعض المحدثين قول جرير . وهن أضعف خلق الله أركاناً . فقال :

كأنما ازدادت قوى أجفانها ضعفاً تقوين على ضعف القوى
ومثله أيضاً قول الناشي :

لا شيء أعجب في جفنيه أنها لا يضمعان القوى إلا إذا ضعفا
وقد أحسن ذو الرمة في قوله :

(١) الرقاع هو جد جده وعرف بالنسبة إليه لشهرته ، كان شاعراً مقدماً عند بني
أمية مداحاً لهم خاصةً بالوليد بن عبد الملك ، بعد في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام .

إذا عرضت بالرمل أو ماء عوهج لنا قلت هذا عينٌ ميّ وجيدها

ومن التمثيل القليل النظير قول ابن المعتز:

ويجرح أحشائي بعينٍ مريضة كما لان متنُ السيف والحدُّ قاطع

ومن أحسن ما قيل في النظر قول ابن الرومي:

نظرت فأفصدت الفؤادَ بسهمها ثم اثنتُ عنه فكادَ يهيم

وبلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام وزعهن أليم

ومن البديع النادر الغريب في ذلك قول بعضهم:

جعل الفتور بعينه كحلا فحفوته وحسن بها المسرة ؟

وقول الآخر:

ينظرن من خلل السجوفِ كأنما يطرطن أحشاءَ الكريم نبالا

ومن أظرف ما سمعناه في هذا المعنى قول محمد بن أبي الموج:

لله ما صنعتُ بنا تلك الحاجرُ في المعاجر

أمضى وأنفذ في القلوب من الحناجر في الحناجر^(١)

وقلت: فأرعى تحت حاشية الدياجي شقائق وجنةً مقيت مداما

إذا اكرت لواحظُ مقاتليه حسبت قلوبنا مطرت سهاما

وإن مالت بعطفه شمولُ سقانا من شمائله سقاما

(١) دخل أعرابي على ثعلب الراوية فقال أنت الذي تزعم الناس أنك أروى

لشعر العرب؟ قال كذا يزعمون، قال أنشدني أغزل بيت قبيل في العيون فأنشده

بيت جرير * ان العيون التي في طرفها حور * فقال لا هذا شعر غث قد لا كتبه السفلة

بأسنتها هات غيره، فقال ثعلب أفدنا فقال الاعرابي:

نبارزُ أبطال الوغى فنبيدها ويقتلنا في السن لحظ الكواعب

وليست سيوفُ الهند تفتي نفوسنا ولكن سهامٌ فوقت بالحواجب

فجن ثعلب استحساناً لها وقال اكتبوها ولو بانحناجر على الحناجر - كما في هامش الاصل.

وقال ابن الرومي :

نفسها نصفان نصف مؤنث^{هـ} ونصف كخوط الخيزران مذكر^{هـ}
 تعبد من شاءت بعين كأنها وإن سئمت ريامن النوم تسهر^{هـ}
 وقلت : راحت نيمس^{هـ} وحولها خرد^{هـ} كالبدري بين كواكب شهب^{هـ}
 فلأت طرفي من محاسنها ونسيت ما يجني على الصب^{هـ}
 عين لعل السيف لحظتها أصبحت آمنها على قابي

وقال ابن المعتز :

كم ليلة عانقت فيها يده حتى الصباح موسداً كفيه
 فسكرت لا أدري أمن سكر الهوى أم كأسه^(١) أم فيه أم عينيه
 وغدا قتم^{هـ} عليه عمد وسه ؟ أثر من التقبيل في شفثيه
 وسقام عين لم تندق طعم الكرى يدعو العوائد في الصباح اليه
 وقلت : إذا ما جاءني الأخذ عني تشاغل طرفه بالأخذ مني
 وقال البحترى :

أجد النار تستعار^{هـ} من النا ر وينشا من سقم عينيك سقمي
 وقلت : يسعى إلى مفرط^{هـ} في كفه كأس^{هـ} وبين جفونه كأسان
 وقد أطرف البحترى في قوله :

والذي صير الملاحه في عي^{هـ} نيه وقفاً والسحر في أجفانه
 لا أظمت العذول فيه وإن أس^{هـ} رف في ظلمه وفي عدوانه
 فدعا اللوم في التصابي فاني لأرى في السلو^{هـ} ماتريانه
 وقلت : ومقلة كحميا الكأس مسكرة وحاجب كهلال الشهر مقرون
 وقلت أيضاً :

ونسقيك في ليل شبيه بفرعها شبيهاً بعينها وشكلاً بخدّها

(١) في نسخة « كزه » مكان (كأسه) .

ففسكر من عين وكأس ووجنة تحييك أعتاب الكؤوس بوردها
 وقالوا أجود ما قيل في الثغر من شعر المتقدمين قول جرير :
 تجرى السواك على أغر كأنه بردٌ تحدر من متون غمام
 وقالوا بيت النايفة :

تجلو بقادمي حمامة أيبكة برداً أسفً لثاته بالأمس
 كالأقوحان غداة غب سمانه جفت أعاليه وأسفله ندى
 شبه الشفتين لرقتهما بقادمي حمامة . وقالوا بيت بشر بن أبي خازم :
 بفلج الشفاء عن اقحوان^(١) جلاه غب سارية^(٢) قطار
 ومن أحسن ما جاء في ذلك قول البحترى :

ولما التقينا والتقى موعده لنا تبين رامى الدر منا ولاقطه
 فن برد تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
 وهذا أحسن من قول الأول ومنه أخذ البحترى :

إذا هن ساقطن الأحاديث بالضحى سقاط حصى المرجان من كف ناظم
 ومن أحسن ما قيل في بياض الثغر قول البحترى أيضاً :
 ويرجع الليل مبيضاً إذا ضحكت عن أبيض خضل السمطين وضاح
 فجعله يجلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال خضل لأن قلة الريق
 تورث تغير الغم ، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله سمطين . فلا يرى في هذا المعنى
 أجمع من هذا البيت . وقد أحسن ابن طباطبا :

تفره عند سرده كالمناب المزد

مثل در منظم بين در منضد^(٣)

وقد أحسن البحترى وأبلغ في قوله :

(١) في الأصل «عن الخوان» والتصحيح من «منتهى الطلب من أشعار العرب» .

(٢) في الأصل (سائرة) . (٣) (منضد) غير موجودة في الأصل .

وأرتنا خدداً يراح له الور دُ ويشتمه جنى التفاح
 وشنتيناً يفضُّ من لؤلؤ النظم — م وبُرزى على شنتيت الاقاحي
 فأضاءت تحت الدُّجينة للشر ب وكادت تضيءُ للصباح
 وأشارت إلى الفناء بألحا ظيَ مرض من التصابي صحاح
 فطربنا لمن قبل المثاني وسكرنا منهم قبل الراج
 وتدبر^(١) الجفون من عدم الألسباب مالا يدورُ في الأقداح
 وقلت : مخضبة الأطراف تحسب أنها أساريع في أفواههن عقيقُ
 دها في منها ترجس يرشق الحشا وهل ترجس بالرجال رشوق
 ومبتسم عذب المذاقة مونق نجمع فيه لؤلؤ ورجيقُ
 وقلت لبعض البغداديين ما أحسن ما قيل في طيب النكهة والريق وحسن
 الثغر ؟ فقال قول ابن الرومي :

وقلت أفواهاً عذاباً كأنها ينابيعُ خمر خضبت لؤلؤ البحر
 فقلت إلا أن قوله (لؤلؤ البحر) فضل لا يحتاج إليه لأن اللؤلؤ لا يكون إلا في
 البحر ولو كان في غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته إليه فائدة .

وقد أحسن ابن الرومي في وصف طيب النكهة فقال :
 وما تعترها آفة بشرية من النوم إلا أنها تتخترُ
 كذلك أنفاس الرِّياض بسحرة تطيبُ وأنفاس الأنام نغيرُ
 هذا التمثيل مليح جداً . وأجود ما قيل في الريق أيضاً قوله :
 يارب ربق بات بدر الدجى بمجته بين ثناياكا
 يروى ولا ينهاك عن شربه والماء برويك وبينهاكا
 ولا أعرف لهذا البيت نظيراً في معناه . وقد سبق ابن الرومي إلى قوله :
 سقته ابنة العمري من خمر عينها ووجنتها كأساً يمت ويدنفُ

(١) في ديوان البحترى (قد تدبر) .

فقال امزجها بالرُّضابِ لعلهُ يسكنُ من خمر الهوى ويخففُ
فصدتُ ملياً ثم جادتُ بريقةٍ يزيد بها سكرُ المحبِّ ويضعفُ
فراح يضعفني سكره من مزاجها وقد يسأل العدل الولاية فيسعف
فهل من مزاج زاد في سكرِ شاربٍ سوى ريق ذات الخال أم أنت تعرف
وقال : مَزَجَتْ خَمْرَةَ عَيْنِهَا بِرَيْقَتِهَا كَمَا نَسَكْفَكَفُ عَنِي مِنْ حَمِيهَا
فاشتد إسكارها إيايَ إِذْ مُزِجَتْ وَمَزَجْتُكَ الكَأْسَ بِنَهْيِ عَنكَ طَفِيهَا
وأخبرنا أبو أحمد عن يحيى عن الرياشي قال قال الاصمعي أحسن ما قيل
في الثغر قول ذي الرمة :

وتجلو بفرع من أراك كأنه من العنبر الهندي والمسك ينفح
ذرى أقحوان واجه الليل وارتقى إليه الندى غاديه والمتروح
وقد أحسن ديك الجن في قوله :
وقهوة كوكبها يُزهرُ ينفحُ منها المسكُ والعنبرُ
وردية يحدها ؟ كأنها من خدهِ مُعصرُ
مهفف لم يبتسم ضاحكا مذ كان إلا كنبيد الجواهر ؟
وقد جمع كشاجم فأحسن في قوله :

البدرُ لا يفنيك عنها إذا غابت وتغنيك عن البدر
في فمها مسكٌ ومشوالةٌ صرفٌ ومنظومٌ من الدرِّ
فالمسكُ للنكهةِ والخمرُ للسرِّ بقيةِ واللؤلؤُ للثغرِ
جمع ثم قسم تقسيماً صحيحاً ولم يترك مزيداً . ومن البارع المشهور في هذا المعنى
قول الصنوبري :

تلك الثنايا من عقدها نظمتُ أم نظمت العقدُ من ثناياها
وقال غيره وأحسن التقسيم :

وثنايا وريقة كغدير وعقار وروضة من أفاح

قال ابن المعتز : شرب عذب مشارعه
 وقال : قلتُ للكأْس وهو بكرع منها
 وقال : ياسر إن أنكرتني فلکم
 بأبي حبيب كنتُ أعهدہ
 عبق الكلام بمسكة نفحتُ
 وقد أحسن أبو تمام في قوله :

تعطيك منطقتها فتعلم أنه
 وهو من قول بشار :

بأطيب الناس ريقاً غير مختبر
 وقول بشار من قول قيس :

كانَّ على أنوابها الخمر
 وما ذقتہ إلا بعيني تفرساً
 ومثله قول الآخر : وتبسم عن المي اللثام مفلج
 وقال ابن الرومي :

بدالي وميض مؤذن أن صوبه
 وما ذقتہ إلا لشم ابتسامها
 وقال عمار بن عقيل (١) :

كانَّ على أنيابها مبيت السكرى
 تأمل عين لا تقيل إذا ارتأت
 وقال آخر وأحسن : بأبي فم شهد المحبله
 كشهادة لله خالصة
 وقلت في معنى الأول : أقول للملاح من خدره
 وقبعه يردى تهلل في تعب؟
 وقلب وما أنباك أشعر من قلب
 قبل المذاق بأنه عذب
 قبل العيان بأنه ربُّ
 والليل برخي الفضل من ستره

(١) شاعر مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ، والنحويون فيها يأخذون عنه اللغة.

أبدره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من بدره
 قدمات الرقة في شطره ومات الغلظة في شطره
 فآزره غصت بأردافه ووشحه جالت على خصره
 أصبحت لأدرى وإن لم يكن في الأرض شيء أنا لم أدره
 أشعره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من شعره
 ودره يؤخذ من لفظه أم لفظه يؤخذ من دره
 وثغره ينظم من عقده أم عقده ينظم من ثغره
 فمن عذير الصب من صده ومن يجير القلب من هجره
 ياليت يعرف حبي له عساه يجزييني على قدره

أحسن ما قيل في حديث النساء قول القطامي :

فهن يبنذن من قول يصبين به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى
 وقد أحسن القائل :

هي الدرث منشورا إذا ما تكلمت وكالدر منظوما إذا لم تكلم
 تعبد أحرار القلوب بذلها وتملأ عين الناظر التوسم
 وقد أحسن ابن المعتز غاية الاحسان في قوله :

لمعرك ما أجدى هواك سوى المي على وما أفاك إلا كما أخلو
 ثم قال : وشر أحاديث عذاب لو أنها جنى النحل لم يمجج حلاوتها النحل
 الناس كلهم شبهوا حلاوة الحديد بحلاوة العسل وزاد ابن المعتز هذه الزيادة فأحسن.
 وعندى ان أحسن ما قيل في وصف حديثهن قول بعض المحدثين وهو ابن الررمى :
 وحديثها السحر الحلال لو انه لم يجن قسب المسلم^(١) المنحز
 ان طال لم يملل وان هي أوجزت ود المحدث أنها لم توجز
 شرك القلوب وفتنة^(٢) مامثلها للمطمئن وعقلة المستوفز

(١) في من غاب عنه المطرب (العاشق) . (٢) في الأملى (ونهرة)

ومن جيد ما قيل في الحديث ومشهوره قول ابن الرومي :

ولقد سئمت ما ربي فكان أطيها خبيث
إلا الحديث فإنه مثل اسمه أبدأ حديث

وقلت: وحديث كأنه عقد ربا
وحديث الرجال روضة أنس بات برعاه أهل نبل وسرو

ومن جيد ما قيل في الحياء ما أخبرني به عم أبي قال قال أبو العباس الفضل
ابن محمد اليزيدي قال قال المهيم قال لنا صالح بن حسان يوماً هل تعرفون بيتاً
شريعاً في امرأة خفزة؟ قلنا نعم بيت حاتم إذ يقول :

بضئ بها البيت القليل خصاصه إذا هي ليلاً حاولت أن تبسما
قال لم يصف شيئاً ، قلنا فبيت الأعشى :

كان مشيتها من بيت جاريتها مر السحابة لاريت ولاعجل

قال قد جماها خرجت وهذا ضد الخفر ، قلنا فهات ما عندك قال قول أبي
قيس بن الاسلت (١) :

ويكرمها جاريتها فيزورها وتعتل عن إتيانها فتعتذر

أجود ما قيل في العناق قول بكر بن خازجة (٢) :

أني رأيتك في نوم تعانقني كما تعانق لأم الكاتب الألفا

وهذا من المقلوب لأن الألف تعانق اللام ، ويجوز أن يحتج له بأن يقال

الألف لاتعانق اللام واللام معانقة لها . ومن أطرف ما قيل في ذلك قول ابن المعتز :

كأنني عانقت ريحانة تنفست في ليلها البارد

فلو ترانا في قميص الدجى حسبنا من جسد واحد

وقلت في نحو ذلك :

(١) من شعراء الجاهلية ، كانت الأوس قد أسندت إليه حربها وجعلته رئيساً

عليها فساد . (٢) كان وراقاً ضيق العيش ، طيب الشعر مطبوعاً .

ونحن نظم في الهوى واحد^ه كأننا عقداً في نحر

وقال التنوخي :

لله أيام^ه مضمين^ه قطعها وطوالها بالقاصرات قصار^ه
 أخلو النهار على النهار وانني والشمس لي دون^ه الشعار شعار
 خداه^ه ورد^ه والنواظر^ه نرجس^ه والثغر سوسن^ه والرضاب^ه عفار
 حتى إذا ما الليل^ه أقبل^ه ضمنا دون^ه الأزار^ه من العناق إزار
 فعلى النحور^ه من النحور قلادة^ه وعلى الخدود^ه من الخدود خمار
 وقد أحسن وطرف إلا أنه أخذ قوله «من العناق إزار» من قول ابن الرومي :

طالما انتفت^ه الى الصبح لنا ساق^ه بساق

في قناع من^ه لثام^ه وإزار^ه من^ه عناق

وأشده أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد بن عيد كأنه الكاتب :

وكلانا مرتسد^ه صاحبه^ه كارتداء^ه السيف في يوم الوغى

بخدود^ه شافيات^ه من جوى^ه وشفاه^ه مرويات^ه من ظما

نتساق^ه الريق^ه فيما بيننا^ه زامات^ه القطا زغب^ه القطا

أحسن ما قيل في الشعور من الشعر القديم قول الأعشى :

فأنضبت^ه منها الى جنه^ه تدكت^ه على^ه عناقيد^هها

ليس لأشعار المتقدمين نظير ، وكان بشار يتعجب من حسنه ويقدمه على جميع

ما قيل في الشعر . وقد أحسن القائل :

بيضاء تسحب^ه من قيام^ه فرعها^ه وتغيب^ه فيه^ه وهو جئل^ه (١) أسحم

وكانها فيه^ه نهار^ه ساطع^ه وكأنه^ه ليل^ه عليها^ه مظلم

أخذه بعضهم فقال وأحسن :

(١) في الأصل غير منقوطة والتصحيح من (من غاب عنه المطرب)

وفي الامالي «وحف أسحم» .

نشرت على ذوائباً من شعرها حذر الكواشح والعدو المحنق
فكأنني وكأنها وكأنه صبحان باناتحت ليل مطبق
وقد أحسن السرى القول في سواد الشعر مع أوصاف آخر وهو قوله :

مصقولة بسنى الصباح وجوهها^(١) مصبوغة بدجى الظلام طرارها
أغصان بان أبدعت^(٢) في حملها ففرائب الورد الجنى ثمارها
طالت ليالى الحب بعد فراقها وأحبهن إلى الحب قصارها
ولرب ليلايت بهن تفرجت أسدانها وتأرجت أسحارها
ماكان ذلك العيش إلا سكرة رحلت لذاتها وحل خمارها
وقال ديك الجن :

أنظر الى شمس القصور وبدرها والى خزامها^(٣) وبهجة زهرها
لم تبسل عينك أيضاً في أسود جمع الجمال كوجهها في شعرها
وقال أبو تمام :

بيضاء تسحب شعرها من وجهها فى حسنه أووجهها من شعرها
وقال أبو نواس :

وسالت من عقبيصتها سلاسل كسرت حلقا
وقال آخر : سيقرب منك الردى عنوة اذا مانأت عنك أجماله
فهل أنت باك على اثره وهل تشجينك أطلاله
سيكثر من بعد ترحاله توجع صب وإعواله
بنفسى الذى قلقه وشجه وضاق بما فيه خلخاله
يريك الخنادس إداره ويبدى لك الصبح أقباله
مليح الدلال قليل النوال جميل وان قل أجماله
وقلت : رخيتم فاتر اللحظ رشيق مخطف الخصر

(١) في ديوان السرى (جباها). (٢) في الديوان (أغربت). (٣) فى الاصل (حدامها).

وقد مُعِمَ بالليل وقد قنعَ بالفجر
وما ينفعني حسنك يا أحسن من بدر
إذا كان نصيبي منك طول البين والهجر
وقال كشاجم :

بالله يامتفرداً في حسنه (١) ومقلتا هروت بين محاجره
ومحكما أردافه في خصره ومصافحاً خالخاله بضمائرته
ويكاتم الاسرار حتى إنه ليصونها من أن تتمر بخاطره
لا تعصين على قتي يرضى بما أوليته ولو انتقلت بناظره
أخذ قوله * ومصافحاً خالخاله بضمائرته * من قول أبي نواس :

بانوا وفيهم شمس دجن ينعل أقدامها القرون
تعوم أعجازهن عوماً وتثنى فوقها المتون
غريب شكل بديع حسن أفردة (٢) المثل والقرين
بانوا بروحي فصرت (٣) وقفاً لا بي حراك ولا سكون

وقال نصر بن أحمد :

سلسل الشعر فوق وجه فحاكي ظلمة الليل فوق ضوء الصباح
وقال السرى :

قصرت ليلة الخورنق حسناً والليالي الطوال فيه قصار
إذ وجوه الانام فيه رياض ومياه السرور فيه غار
وجنات تحير الورد فيها وتغور جرت عليها العتار
فضحاء من النوائب ليل ودجاء من الخلود نهار
وقال : ومالت غصون طوقتها مناطق ولاحت شمس توجتها حنادس

(١) في ديوان كشاجم (بالله يامتفرداً بجماله) . (٢) في ديوان أبي نواس

(أعوزه المثل والقرين) . (٣) في الديوان (فصرت شخصاً)

وقلت : وذى غنج يأوى إلى فرعه الدحى
 فنيه ظلام بالصباح معمم
 يزوق سليعى منك جعد مسلسل
 وفرعك من صبغ الشباب ممسك
 ووجهك مثل الروض بفسله الحيا
 أبلغ ما قيل في صفة الاصداع والعدار : فمن بديع ما قيل في الصدغ قول ابن المعتز :

له ظمرة كجناح الغداف
 وفي عطفة الصدغ خال له
 وقوله : وكان عقرب صدغه وقفت
 وقوله : غلالة خده ورد جنى
 وقلت : وكان دارة صدغه وعداره
 وقال ديك الجن :

فقام مختلفاً كالبدر مطلقاً
 رقت غلالة خديه فلو رميا
 كأن لاما أديرت فوق وجنته
 وقلت : إذا التوى الصدغ فوق وجنته
 وقلت : الغيم بين ممسك ومكفر
 فإذا شربت فمن رحيق سلسل
 من ربق أهيف كالقضيبي محضرا
 فإذا جلالك غرة في طرة
 فانظر عناق ممسك لمكفر
 وإذا تعانق خده وعداره
 وقال آخر : عجبني لخضرة زعفران عداره
 والخشف ملتفتاً والغصن منقطعاً
 باللحظ أو ماها بأن يكفا
 واختط كاتبها من تحتها ألفا
 رأيت تفاعاً بها عضه
 والروض بين مجدد ومدبج
 وإذا رشفت فمن شتيت أفلح
 أو كف أبلج كالصباح الأبلج
 ألوى بقلبك أبلج في أدعج
 يجلوه حسن مفلج ومضرج
 فانظر عناق عقائق وبنفسج
 ومن العجائب زعفران أخضر

وقال ابن المعتز:

من كف ريم ثنى مناطفه على هضم الكشجين مشوق
 يعطيك ماشاء من معانقة مقفلة من وراء معشوق
 مسطر الخد بالعدار ولا يحسن غصن الا بتوريق
 وقلت: له وجنتا وررد وعينا غزاله وغرة اصباح وطرة غيب
 وصدغ يناجى الاذن وهو معقرب وطورا يناغى الخد غير معقرب
 له من ظلام الليل احسن ملبس وفوق ضياء الصبح احسن ملبس

وقال الصنوبري:

تلك طرار عليك أم حلق زانك صدغان أم هما زررد
 وقلت: يفتن القلب بخد لم يدع للورد قدرا
 مثلها تكتب بالمسك على الكافور سطر
 وعدار يسحر الصب وما يعرف سحرا
 وبصدغ دار في الخد كما تعقد عسرا
 كلما أظلم (ليلي) (١) كان (لى) وجهك فجرا

وقال ابن المعتز:

لعمرك ما أزررت بيوسف لجة ولكنه قد زاد حسنا وأضعفا
 فلا تعتذر من حبه في التحائه فما يحسن الدينار إلا مسيفا
 وقال في خضرة الشارب:

تبسم إذ ما زحته فكأتما تكشف عن در حجاب زبرجد (٢)
 وقال بعض المتأخرين وأحسن:
 ومعدن كان نبت خدودهم أقلام مسك تستمد خلوقا
 قرفوا البنفسج بالشقيق ونظموا تحت الزبرجد لؤلؤا وعقبا

(١) ما بين القوسين غير موجود في الأصل. (٢) في ديوان ابن المعتز (زمرد).

وقلت : وعمافت خلف من صدغه نلقا كالعين في العين وكالجيم في الجيم ؟

وقلت وليس من هذا الباب :

كأما النور مضحك يبق وعطفة العنن شارب خضر

وقلت : وترى النور مثل مضحك خود وترى العنن مثل شارب أمرد

ولعبد الرحمن السبلي رجل من أهل خراسان :

وشادن سائقات الشعر قد سلكت في عارضيه على جهيد بها طرفا

هذا البيت متكلف جداً :

لما رأت أنها قد أخطأت وجنت وأت تعود فدارت كلها حلقا

وهو مأخوذ من قول كشاجم :

علم الشعر الذي عاجله أنه جار عليه فوقف

فقال هذا (وقف) وقال عبد الرحمن (دارت حلقا) الفرق بينهما هذا .

وقلت : لا والذي دار من صدغيك وانعطفنا وصار نونا إذا صيرته ألفا

ما كنت إذ خنتني إلا أخا ثقة لم تستعض منه إذ ضيعته خلفا

لم أسبق لمعنى البيت الأول .

وقلت :

قد التوى ضدغه واختط عارضه كأنه ألف من فوقه نون

وقلت أيضاً ولم أسبق الى معناه :

ومفنج قال الكمال لوجهه كن مجمعا للطيبات فكانه

زعم البنفسج أنه كمداره حسناً فسلوا من قفاه لسانه

أعنى الهنة النابتة تحت ورقة البنفسج : وقلت :

بنفسج عارضه بنتي إلى حمرة من وجنيه

فيجعل قلبي في كفه بسبي إليه ويمدو عليه

وقال ابن المعتز :

والصدغ فوق العذار منكسر كصولجان يرد ضربته

وقال ٥ وصدغه كالصولجان المنكسر ٥

أجود ما قيل في حسن القد وورقة الخصر وكبير العجيزة : أخبرنا أبو أحمد
أخبرنا أبي عن عسل بن ذكوان ، وأخبرنا به أبو علي بن أبي حفص عن جعفر
ابن محمد العسكري عن بعض رجاله قال قال أبو عمرو بن العلاء لأصحابه أنشدوني
أحسن ما قيل في حسن القد وعظم العجيزة فأنشده بعضهم قول علقمة :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^(١) كأنها رشاً في البيت ملزوم
قال لم تأت بشيء ، فأنشديت ذى الرمة :

ترى خلفها نصفاً قناة قويمية ونصفاً نقا يرتج أو يتمرمر
وأنشديت الأعشى :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^٢ إذا عشت يكاد الخصر ينحول^(٣)
وأنشديت ذى الرمة :

عجزاً ممكورة^٢ خصاصة^٢ قلق^٢ عنها الوشاح وتم الجسم والقصب^(٣)
فقال أحسن من هذا كله قول الخارث :

غرثان سمط وشاحها قلق شبعان من أردافها المرط
قال أبو هلال أخذه عبد الله بن عبد الله بن طاهر فقال :

سلمى وتسلمى تفوق المتى ؟ والوصف أنواعاً وألوانا
وشاحها يحسد^٢ خلخالها كجرائم يحسد^٢ شبعانا

نقله إلى وصف السلو ، وأخذه ابن المعتز بلفظه ومعناه فقال :

وظبساء^٢ غرائر مشبعات المآزر

ومن البديع قول أبي نواس :

وربان من ماء الشباب كأنه^٢ يظلم من ضمير الحشا ويجماع

(١) في ديوان علقمة (خرعبة) . (٢) في ديوان الأعشى (ينخزل) .

(٣) قلق وشاحها لضمور بطنها ، والقصب : العظام التي بها المخ .

أخذه الآخر فقال :

ظبي كأنَّ بخصره من ضمره ظمأ وجوط
وقلت : وقد معصن أوفانا كشامات كفسور
وقد شدت زنانيراً على مثل الزنابير
وقد أحسن ابن المعتز حيث يقول :

وتحت زنانير شددن عقودها زنانير عكان معاقدها السرر
وقال مؤمل وأفرط :

من رأى مثل حبتي تشبه البدر إذ بدا
تدخل اليوم ثم تند خل أردافها غدا

وأشد أبو أحمد قال أنشدني أبو بكر بن دريد (١) :

قد قلت لما مرَّ يخطو ماشياً (٢) والرِّدفُ يُجذبُ خصره من خلفه
يا من يُسلمُ خصره من ردفه سلم فؤاد محبته من طرفه
وقد أحسن القائل في وصف لين القوام والسرغ ؟

ممن له حسن الرحيق وطيبه ومزاج شاربه ومشى نريمه
وقلت : لا والظباء الآنسات إذ آرنت فاقن حسن عيونهن فتونا

ان لحن لحن كواكباً ونحن نحن لظاً تماماً أو ملن ملن غصونا
ويدرن من مقل اليك فواتر يكسين قلبك بالفتور فتونا

ماخنت عهد هوى عليك وقفته وأخو المروءة لا يكون خوونا
وقبل هذا: مترجرج الأرداف مضطمر الحشا لدن القوام يكاد بمقد ايننا

داب النعيم له فأثمر صدره ثمراً إذا حلت الثمار حليتنا

يقال حلا الشيء في الفم وحلى في القلب . وكتبت في فصل لي : والله يعلم أني
أخدمه بالضمير خدمة لو تصورت له لرآها الزاني روضاً ممطوراً ووشياً منشوراً

(١) نسب البيتان في ذيل الأملى لخالد الكاتب . (٢) في الذيل (لما أن بدا متبخترا)

ولوؤا منظوماً ومنتورا بل لا بصر أعطاف الفتيان تتثنى ثنى الأغصان في قراطين
 الحبير ومن ررات الديباج والحريز وقد اطلمت أزرارهم بواهر الأتار مطرفة
 بمقارب الاصداع وحلق الاطرار فأقبلوا بسفرون عن غرة الصباح ويسمون
 عن حباب الراح ويمزجون الدلال بنجمل أساء فيهم الوصال فاذا حضروا وكلوا
 الابصار واذ اغابوا استوهبوا القلوب والافكار فهم الداء والدواء ومنهم السقم والشفاء .
 ومن الافراط في ذكر الغيد وهو لين القامة قول ماني (١) :

أتمنى الذى إذا أنا أوماً ت إليه بطرف عيني تجنى
 أهيف كالمضيب لو أن ريجاً حرّ كت هذب ثوبه لتثنى

وأجود ما قيل فى النهود وعظم المعجزة قول الأعرابي : بيضاء جمدة لايمس
 الثوب منها إلا مشاسنه كتفيتها وحلمتى تديها . أخذه الشاعر فقال أو أخذه الأعرابي
 من الشاعر :

أبت الرّوادف والثدى لقمصها مسّ البطون وان تمسّ ظهورا
 وإذا الرّياح مع العشى تناوحت نبهن حاسدة وهجن غيورا
 وقلت : تمشي بأرداف آيين قعودها بين النساء كما آيين قيامها
 وقال ابن المعتز فى النهود :

با غصناً ان هزّه مشيه خشيت أن يسقط رمانه
 إرحم مليكاً صار مستعبداً قد ذلّ فى جبك سلطانه

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن العكلى عن ابن خالد عن الهيثم
 ابن عدى قال قعد اعرابي إلى جانب دار إسماعيل بن على بالكوفة فخرجت جاربة
 فطفق الأعرابي ينظر إليها فقال له رجل ما نظرك إلى شيء غيرك أقبل على شأنك
 واصبر ، والجاربة تسمع - فقال الأعرابي ربلات تصطك وغصن يهتز وتدى بحرق
 أهابه وتقول اصطبر ، فضحكت الجاربة وقالت والله ما مدحتنى أحد مثل ما مدحتنى

(١) هو مان الموسوس الشاعر المصرى المشهور .

به . فقال بأبي أنت وأمي أن الهوى يظهر جيد القول ويبدى المستتر السكامن وانك لما بما يكنى عنه الريلات مجامع الفخزين .؟ وقلت :

أيا وِرداً على غصن بكرٍ اللحظ بلقطه
ورماناً على قن يكادُ المشي بسقطه
آتي والبدرُ يحسدهُ وشمسُ الدجن نغبتهُ
وخوفُ الناس يقبضهُ وحبُّ الوصل يبسطهُ

وأحسن ما قيل في الثدي :

قبيحٌ بمثلِكِ أن تهجرى وأقبح من ذلك أن تهجرى
أفانلتى بفتورِ الجفونِ ورُماتينِ على منبر
كحقين من لبِّ كافورةٍ برأسيهما نقطتنا عنبر

والناس يستحسنون قول مسلم بن الوليد :

فأقسمت أنسي الدأعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العينُ والستر واقع
فغظتُ بكفئها ^(١) ثمارَ نخورها كأيدي الأَسارى أفتلتها ^(٢) الجوامع
وهو حسن جداً ومثله قول النعميري :

أعيرُ كيفَ بحاجةٍ طلبتِ إلى صمِّ الصخور
لله دَرٌ عدانكم كيفَ انتسبنَ إلى الغرور
ولقد تبيتُ أناملِي تجنينَ رمانَ الصدور

وقال علي بن الجهم :

شاخص في الصدر غضبان على قبب البطن وطى العمكن
يملاً الكفَّ ولا يفضلهُ وإذا أنتيته لاينتنى
وقد طرف ابن الرومي في قوله :

صدرورٌ فوقهنَّ حقاق عاج وحلى زانهُ حسنُ اتساق

(١) في ديوان الصريع « فغظت بأيديها » . (٢) في الأصل « أفلتها »

يقول القائلون إذا رأوها أهذا الخلى من هذى الحقائق
 أجود ما قيل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسود بن يعفر :
 يسعى بها ذو ثؤميتين مقرطق^(١) قتات أنامله من الفرصاد
 فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس :
 يا قمرأ أبصرت في مأم يندب شجواً بين أتراب
 يبكي فيلقى الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب
 وقال ديك الجن :

ودعتها لفراق فاشتكت كبدي وشبكت يدها من لوعة يدي
 وحذرت أعين الواشين وانصرفت تعض من غيظها العناب بالبرد
 فكان أول عهد العين يوم نأت بالدمع آخر عهد القلب بالجسد
 ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر :

قالوا الرجيل فأسرعت أطرافها في خدّها وقد اكتسبن خضابا
 فاخضرت موضع كفها فكأتما غرست بأرض بنفسج عنابا
 وقال الناشي وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

من كف جاربية كأن بنانها من فضة قد طرقت عنابا
 وكان يمانها إذا نطقت به يلقى على يدها الشمال حسابا
 وقال أيضاً : لناقينة ترنو بناظرتين بما في قلوب الناس عالمتين
 تخال تطاريف الخضاب بكفها فصوص عقيق فوق قضب لجين
 وقال : متعاشقان مكأمان هواهما قد نام بينهما العتاب فطابا
 يتناقلان اللحظ من جفنيهما فكأتما بتدارسات كتابا
 وإذا هدت عين الرقيب تخالست كفاهما جلس السلام سلابا
 بأنامل منه يلوح مدادها وأنامل منها كسين خضابا

(١) في الأصل «كأتما» وفي منتهى الطلب من أشعار العرب (مقرطق).

فكأنما يجنى لها من كفه عنياً وتجنبيه له عناباً
 يذكّر أثر المداد بأنامله وأثر الخضاب بأناملها. وقلت:

انظر إلى النقش من أطرافها البضة مثل البنفسج منشوراً على فضه
 أو خلتها أخذت أطراف جرمة فنضدته على جمارة غضه

ومن غريب ما قيل في نظم حليهن قول النمر بن تواب:

كأب عليها لؤلؤ وزبرجد^١ ونظم كأجوان الجراد مفصل
 قوله «كأجوان الجراد» غريب بديع لم يسبق إليه ولا أعرف أحداً أخذه منه.

ومن البديع قول الدمشقي:

بدر بدا والشمس في كفه وأنجم الليل عليه رعاش

وهو من الليل ومن طرفه وشعره في ظلمات ثلاث

أحسن ما قيل في صفة الدمع إذا امتزج بالدم قول أبي الشيبان:

لهوت عن الأحران إذا سفر الضحى وفي كبدى من حرهن حريق

مزجت دماً بالدمع حتى كأنما يذاب عليها لؤلؤ وعقيق

وقول أبي تمام: نثرت فريد مدامع لم تنظم والدمع يحمل بعض ثقل المفرم^(١)

وصلت نجماً بالدموع^(٢) فخذها في مثل حاشية الرداء المعلم

وقال: أبيت أراعى أنجم الليل بعدكم فياليت شعري هل تراعونها بعدى

ودمع نثرت دُرّه وعقيقه كأنني حلت العقد من طرف العقد

ومن أجود ما قيل في بياض الدمع على حمرة الخدما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي:

لو كنت يوم الوداع حاضرنا وهن يطفن لوعة الوجد

لم تر إلا الدموع جارية تسقط من مقلة على خد

كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من زجس على ورد

ونحوه قول ابن الرومي:

(١) في ديوان أبي تمام (شجو المفرم). (٢) في الديوان (وصلت دموعاً بالنجيم)

لما دَنَا البينُ وِرَّاحَ الدَّلِّ وَدَعَّتْهَا وَدَمَعَهَا مُنْهَلٌ
وَحَدَّهَا مِنْ قَطْرِهِ مُخْضَلٌ كَأَنَّهُ وَرَدُّ عَلَيْهِ طَلٌ

ومن أجمع بيت قيل قول المحدثين :

فَأَسْلَبَتْ لَوْلَا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرَدًّا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرَدِ

ليس لهذا البيت نظير . . . وقلت :

يَبْكِي فَيَسْقِي الدَّمْعُ وَجْتَهُ كَمَا يَسْقِي الطَّلُ وَرَدَةَ غَضِهِ؟

ومن المشهور قول بعضهم وهو حسن :

كَأَنَّ الدَّمْعَ عَلَى حَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جِلْنَارِ

ونحوه ما أنشدناه أبو أحمد في العرق :

يَحْدَرُ مِنْ أَرْجَاءِ صُورَةٍ وَجْهَهُ مِنْ الْفَمِ سَحٌّ فِي الْجَبِينِ وَفِي الْخَدِّ

فِرَادِي وَمَثْنَى يَسْتَبِينُ كَأَنَّهُ سَقِيطٌ نَدَى وَفِي عَلَى وَرَقِ الْوَرْدِ

ومثله ما قلت :

أَخْرَجَهُ الحَّمَامُ كَأَنَّهُ يَحْسُدُ مِنْهُ بَعْضُهُ بَعْضَهُ

كَأَنَّمَا المَاءُ عَلَى جَسْمِهِ طَلٌّ عَلَى سَوَسْنَةٍ غَضُهُ

وفي صفة الدمع :

تَوْرِيدُ دَمْعِي مِنْ حَدِّكَ بِمُخْتَلَسٍ وَسَقَمُ جَسْمِي مِنْ عَيْنِكَ مُسْتَرْقٍ

لَمْ يَبْقَ لِي رَمَقٌ أَشْكُوهُ هَوَاكَ بِهِ وَإِنَّمَا يَنْشِكِي مِنْ بِهِ رَمَقٌ

وأبلغ ما قيل في امتلاء العين من الدمع قول بعض الاعراب أظنه :

فَظَلْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زَجَاجِيَةِ إِلَى الدَّارِ مِنْ فِرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظَرُ

وقول البحترى في معناه :

وَيَحْسُنُ دَلُّهَا وَالمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يَسْتَحْسِنُ المَوْتُ الصَّقِيلُ

وَقَفْنَا وَالعَيُونُ مُشْفَلَاتٌ بِعَالِجِ دَمْعِهَا طَرَفٌ قَلِيلٌ (١)

(١) في أمالي القالي (يفالِب دمعها نظر كليل).

نَهْتَهُ رَقَبَةُ الْوَاشِيَيْنَ حَتَّى تَعْلُقَ لَا يَفِيضُ وَلَا يَسِيلُ

قوله «يحسن دلها والموت فيه» أحسن ما قيل في الدلال

ومن أعجب ما قيل في الدمع قول بعضهم ونسب إلى السرى ولا أظنه له :
 بنفسى من ردّ التحية ضاحكاً فجدد بعد اليأس في الوصل مطمعي
 إذا ما بدا أبدى الغرام سرارى وأظهر للعذال ما بين أضلعي
 وحالت دموع العين يدي وبينه كأن دموع العين تعشقه معي
 وهذا معنى ظريف حسن جداً

ومن حسن الاستعارة في صفة الدمع ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

قد كلف في طول البكا لى راحة وعنان سرى في يد الكتمان
 حتى إذا الاعلان نبه واشياً رقات دموعى خشية الاعلان
 ومن البديع في ذلك قول بشار وهو مشهور

ماء الصباية نار الشوق تحذره فهل سمعتم بماء خاف من نار
 وقلت : أشكو الهوى بدموع قادها قلقي حتى علقت بجفن ردّها الفرق
 ففي فؤادى سبيل للامى جدد وفي الجفون مقبل للكرى قلقي
 لهيب قلبي أفض الدمع من بصرى والعود يقطر ماء حين يحترق
 ولا أظننى سبقت إلى هذا التمثيل . وقال ابن المعتز

ولطمة خد تجمل الورد خرم ما وتثر دمعاً لا يباع بأثمان

ونظير المصراع الأول قول صاحب مصر :

والله لولا أن يقال تغيرا وصبا وإن كان التصابي أجدر
 لأعاد تفاج الخلود بنفسجاً لثى وكافور الترائب عنبراً

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشد الحسن بن رجاء عن المبرد يوماً بيت ذى الرمة :

لعل أنحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفي نجى البلابل

وقال له من قال في مثله ؟ فقال قد ملح الحسن بن وهب في قوله :

إبك فما أكثر نفع البكا والحبُّ إشفاقٌ وتعليل
إفزع إليه في ازدحام الجوى ففيه مسلاةٌ وتسهيلٌ
وهو إذا أنت تأملتُه حزنٌ على الخلدَيْنِ محلول

وقد ملح العباس بن الاحنف :

إني لأجحدُ حبكم وأسرُّهُ والدَّمعُ معترفٌ بهٍ لم يجحد
والدَّمعُ يشهدُ أنني لك عاشقٌ والناسُ قد علموا وإن لم يشهد
وقال : طالَ عهدي بها فلما رأني نظمتُ لؤلؤاً على تفاح
وقد أحسن الآخر في قوله :

إذ لاجوابٍ لمفحم متحير إلا الدَّموعُ تصانُ بالاطراف
قوله « تصان بالاطراف » عبارة صحيحة جيدة . وقاله آخر :
تقول غداةَ البين عندَ وداعها لك الكبدُ الحرَّى فسرولك الصبر
وقد سبقتها عـبرةٌ فدموعها على خدَّها بيضٌ وفي نحرها حمر
معناه إذا انحدرت إلى نحرها إنصبغت بلون الطيب والزعفران بها .
ومن غريب المعنى قول الآخر :

غَدَتُ بأحبتى طولُ المطايا فبانَ النومُ وامتنعَ القرار
وكانَ الدَّمعُ لي ذخرًا معدًّا فأنفقتُ الذَّخيرةَ يومَ ساروا
أجود ما قيل في طيب عرف المرأة : جميع ما مر بي من الشعر في هذا الفن متقارب في المعنى لا يفضل بعضه بمضاً إلا في القليل ، ومنه ما هو جيد المعنى حلو المعرض فتركته لأن الشرط قد تقدم بإيراد الجيد لفظاً ومعنى وورصفاً وذلك قليل ليس يقع إلا بعد التصفح الطويل والتعب الكثير :

فمن أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر قول الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحزنِ معشبة خضراء جاد عليها مسبلٌ هطل
بضاحك الشمس منها كوكبٌ مشرقٌ مؤزرٌ بصميم التبتِ مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ ذنا الأصل

وقول القطامي وهو جيد النظم متضمن لماء الطلاوة :

وماربيحُ قاع ذى خزامى وحنوة له أرج من طيب الثبت طازب

بأطيب من مئ إذا ما تقلبت من الليل وسنى جانباً بعد جانب^(١)

إلا أنه جاء بالمعنى في بيتين. ومما هو مضطرب الرصف جيد المعنى قول ابن الطثرية:

خود يكون بها القليل يمس من طبعها عبقا بطيب ويكثر

هذا البيت على غاية اضطراب الرصف :

شكر الكرامة جلدها فصفا لها إن القبيحة جلدها لا يشكر

قوله (شكر الكرامة جلدها) في غاية من الحسن أخذه ابن الرومي فقال :

أوف عطر تذكي وهي ذاكية إذا أساءت جوار العطر أبدان

نعيم كل نهار من بحامرها وبشمس الليل منها فهو ضحيان

كأنها وعشان الندى يشملها شمس عليها ضبابات وادخان

وأخذ ابن المعتز قول القطامي ببعض لفظه إلا أنه زاد زيادة حسنة وجاء بألفاظ

بدیعة وهو قوله :

وماربيحُ قاع زاهر مست الندى

ورروض من الریحان سحت سحابه

فجاء سحيراً بين يوم وليلة

كما جر من ذبل الغلالة ساحبه

بأطيب من أنواب شمر موهبا

إذا الليل أدجى دابر كتائبه

إذا رغبت عن جانب من فراشها

تضوع مسكاً أين مالت جوانبه

وقد طرف ابن الاحنف في قوله :

ذكرتك بالریحان لما شمته

وبالراح لما قابلت أوجه الشرب

(١) الذى فى ديوان القطامى :

وماربيحُ روض ذى أقاح وحنوة

وذى نفل من قلة الحزن طازب

بأطيب من ليلى إذا ما تمايلت

من الليل وسنى جانباً بعد جانب

تذكرت بالرَّيحان^(١) منك روائح^(٢) وبالرَّاح طعماً من مقبلك العذب
 وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه
 تطيرت أيام اجتنابك أن ترى مكانك عيني لا خلا منك خاليا
 فأسكنته نوراً كرياك طيبه بد كرفي منك الذي لست ناسيا
 وقد أحسن وحسنه قليل . وقيل لأعرابي أبة رائحة أطيب؟ قال رائحة بدن
 تحبه أو ولد تربه فقال ابن الرومي * ريحه ريح طيب الاولاد * وقلت :
 يمرُّ بي وقد الصبا والليل يقضي نجه
 مرَّ بروض زاهر ذرَّ عليه عشبهُ
 فخائمه من طيبه نشوة من أجه
 ومن البليغ قول سحيم^(٣) :

فما زال بردى طيباً من ثيابها إلى الحول حتى أنهج البرد باليا
 وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب ، وأول من قال
 ذلك النميري^(٤) :

تضوع مسكاً بطن نمان إذ مشت به زينب في نسوة خفرات
 ومن أحسنه وأرشقه قول جميل :
 ألا أيها الربيع الذي غير البلا عفا وخلا من بعد ما كان لا يخلو
 تداوب ربح المسك فيه وإنما به المسك إذ جرَّت به ذيلها جمل
 وقوله : وأنت الذي حبيت سعي إلى بدا إلى وأوطاني بلاد سواهما
 حلت بهذي مرّة ثم مرة بهذي فطاب الوادبان كلاهما

(١) في ديوانه (بالتفاح) في الموضعين . (٢) في ديوانه (سوالفا) . (٣) هو عبد بنى
 الحسحاس ، كان أسود حلو الشعر رقيق الحواشي . (٤) «النميري» ساقطة من الاصل
 فاستدر كناها من الأغاني حيث ذكر البيت في أخبار النميري وهو محمد بن عبد الله
 شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية، وفيه « عطرات » بدل (خفرات) .

وقال الآخر :

أرى كل أرضٍ عمتها^(١) وإن مضت لها حجيجٌ يزداد طيباً ترابها
وقد طرف ابن الاحنف في قوله :

وجدت الناس ساطع المسك من دجلة قد أوسع المشارب طيبا
فهم ينكرون ذلك وما يدرون أن قد حلت منها قريبا
وقال البحترى : فكان^(٢) العبير بها واشياء
وقلت : تأملت منها غزالاً ريبيا
جلت لك عن خضل واضح
وهزت لنا بسراة الكئيب
عشبة راحت وأترابها
يقول بن للهجر طرفاً مريبيا
كواكب ليل إذا مارأت
وأقمار روض قمرن^(٣) العقول
إذا زدتها نظراً زدني
رحلن العشيبة من ذى النضا
وقد أحسن القائل في قوله :

جارية أطيب من طيبها والطيب فيها المسك والعنبر

ووجهها أحسن من حليها والحلى فيها الدرُّ والجوهر

ولوقيل ان هذا أحسن ما قاله محدث في ذلك لم يكن بعيداً . ومما هو غاية قول

إمريء القيس :

ألم تر أنى كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

وقد طرف القائل :

(١) في الأصل (دمتها) . (٢) في الديوان (فصان) (٣) في هامش الأصل : ما عليه

لوقال «عقلن العقول» ليطابق الجنس كما قال «قلبن القلوب» فكان أوقع في النفوس .

أناها بعطر أهلها فتضاحت^١ وقالت وهل يحتاج عطر^٢ إلى عطر
وقد أجاد البحتري :

لنا من ريقه راح ومن رياه ريحان

وأنشدنا أبو أحمد في طيب الريح إلا أنه وصف رجل :

سقى لأيام مضت^٣ وكان معبدها حلوم

أيام بقي لي وبفسني رهطه الرجل العريم

إذ لا دليل على في برد الضحى إلا النسيم

أجود ما قيل في حب الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب^(١)

ولولا أن يقال صبا نصيب^٤ لقلت بنفسى النشاء الصغار

بروحى كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار^٥

إذا ما للذل ضاعفن الحشايا كفاها ان يلاث لها الازار^٦

ومن مליح ذلك قول عوف بن محلم^(٢) :

وصغيرة علقتهما كانت من الفتن الكبار

كالبدر إلا أنها تبقى على ضوء النهار

وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبد الله بن الحسن وقد ملح وطرف :

جارية أذهلها اللعب^٧ عما يقاسى الهائم^٨ الصب^٩

شكوت ما ألقاه من حبا فأقبلت^{١٠} تسأل ما الحب^{١١}

ومن مليح ذلك ما روى أن عبد الملك بن مروان عرضت عليه جارية فقال لها

أبكر أنت أم تيب ؟ فقالت بل تيب فأنشد عبد الملك :

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم خير^{١٢} المطي لدى^{١٣} ما لم يركب

كم بين حبة لؤلؤ^{١٤} منقوبة لست^{١٥} وحببة لؤلؤ لم تنقب

(١) هو نصيب بن رباح الشاعر الفحل المتقدم في المديح والنسيب .

(٢) الخزاعي الشاعر العالم الأديب الراوى صاحب البيت المشهور (إن الثمانين) .

فقات الجارية: إن المطايا لا يلدن ركبها مالم تذلل بالزمام وتركب
والدرر ليس بنافع أربابه مالم يؤلف في النظام ويشقب
قد أحسنا جميعاً إلا أن وجه الكلام أن يقال يشقب ويؤلف في النظام
أصدق ما قيل في صفة الحب قول العباس بن الأحنف:

من كلن يزعم أن يدارى في الهوى حتى يشكك فيه فهو كذوب
الحب أملك للفؤاد بغيره من أن يرى للسر فيه نصيب
وقلت: آفة السر من جفوا نِ دوامِ دوام
كيف يخفى مع الدموع ع الهوى في الهوامع
مارأينا أخا هوى سره غير ذائع
إن نيران حبه باديات الطوالع

من أظرف ما قيل في ذكر الشركة في الهوى ما أنشدنيه أبو أحمد:

مالي جفيت وكنت لأجفني وعلامة الهجران لا تخفي
وأراك تمزجني ونشريني ولقد عهدتك شاربى صرفا

وقد أحسن العباس بن الأحنف في هذا المعنى وهو قوله:

يا فور لم أهجركم للالة منى ولا لالمقال واش حاسد
لكنتي جربتكم فوجدتكم لاتصبرون على طعام واحد

وقد جاء أبو نواس بهذا المعنى إلا أن قول العباس أطبع، قال أبو نواس:

أتيت فؤادها أشكو إليه فلم أخلص إليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها محب ولا ألفا محب كل عام

أظنك من بقية آل موسى فهم لا يصبرون على طعام

ومما سبق به العباس الشعراء كلهم قوله:

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا

صرت كافي ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

وأول من ذكر هذا المعنى صاحب كليله ودمنة وإلى معنى قول البيت الأول
يوميء قول البحترى :

قصائد ما تنفك فيها غرائب تألق في أضعافها وبدائع
مكرمة الانساب فيها وسائل^ه إلى غير من يحجب بها وذرائع
ومما سبقت إليه من المعاني ما قلته :

رفع الستر فأنشئ غصن بان^ه يتجلى الهلال في معناه
ليس لي أن أنال ما آتمنى من جنى وصله اللذيد جناه
فلو أنى كنت في بعض شعري فاذا ما شدها قبلت فاه

ومن أبلغ ما قيل في بخل المشوق من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن أبي
بكر بن دريد عن عبد الرحمن عن عمه :

وما نطفة^ه كانت سلالة بارق^ه تمت عن طريق الناس ثم استظلت
بأطيب من أثياب تلم بعدما حدا الليل أعقاب النجوم فوات
وقد بخلت حتى لو أنى سألتها قذى العين من ضاحي التراب لضنت

ومن أحسن ما قيل في وقوف النظر على المشوق قول بعضهم (قيد الحسن
الحدقا) وهو من قول امرئ القيس « قيد الأوابد » وقد أحسن الآخر في قوله :

ظبي له من قلوب الناس نابتة^ه من المؤدة تجنى أطيب الثمر
إذا بدا رمت الأبصار وجنته دمعاً فلم تختلف عينان في نظر
ونحوه قول المتنبي :

وخصر تثبت الإبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا
ومن أجود ما قيل في كمال الحسن ما أنشدناه أبو أحمد :

كل شيء من محاسنها كامن في حسنه مثلا
ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كمالا

وقال أبو نواس * لومنى الحسن ما تعداها * أخذه أبو تمام فقال :

معتدل لم يمتدل عدله في عاشق طال به خبله
 أطرقه أحسن أم طرفه وحسنه أكمل أم عقله
 انظر فما عاينت في غيره من حسن فهو له كله
 لو قيل للحسن تمنّ المنى إذا تمنى أنه مثله
 أي خصال حازها سيدي لو لم يسكدر صفوها مطله
 وقال أبو نواس: تمت وتم الحسن في وجهها فكل شيء ما خلاها محال
 للناس في الشهر هلال ولي من وجهها كل صباح هلال
 وقال: متانته بجماله صلف لا يستطاع كلامه نيبا
 لو كانت الأشياء صورته حتى إذا كملت تاهت على التيهام
 وقال: ألاحظ حسن وجنته فتجر حتى وأجر حها
 وقال غيره: شكوت إلى شبيهك إذ تجلي هوالك فلم يزل شكوى الحزين
 وكان كانت إشراقا وحسنا وقلة رحمة لمستكين
 أحسن ما قيل في إعراض الحبيب قول النمر بن تولب:

فصدت كأن الشمس تحت قناعها بداحاجب منها وضنت بحاجب
 وقد مر قبل. ومن ظريف ما جاء في ذلك قول ابن الرومي:

ماساءني إعراضه عنى ولكن سررتني
 سالفناه عووض عن كل شيء حسن

وقال الآخر وأحسن:

صدعني محمد بن سعيد أحسن العالمين ثاني جيد
 صدعني من غير جرم اليه ليس إلا لحسنه في الصدود

والفرد الذي لا شبيه له في كثرة اعتلال المشوق على العاشق وكثرة تجنيه عليه قول بعضهم:

شكوت فقالت كل هذا تبرما بحبي أراح الله قلبك من حبي
 فلما كتعت الحب قالت لشرما صبرت وما هذا بفعل الشجي الصب

وأدنو فتقصيني فأبعد طالباً
فشكواى تؤذيتها وصبرى يسوءها
وقرب منه قول مسلم :

ويخطى عذرى وجه جرمى عندها
إذا أذنبت أعددتُ عذراً لذنبها
بذكرك مات اليأسُ في حضرة المني
قد أصاب صفة العاشق . وقلت :

صباية نفس لا ترى الهجرَ حاليها
تزلتُ على حكم الصباية والهوى
ولولا الهوى ما كنتُ أملُ باخلا
ومن شأنه أنى إذا ما ذكرتهُ
على أنى أنانى فأدنو تذكراً
ويعجبني حبي له وصبابتي
فلو ظننى أسلوه لم أكُ هاجراً
ولكن عشق في ضمان جفونه
ومن أصاب وصف العاشق الصادق العشق على حقيقته الذى يقول :

إذا قربتُ دارمُ كلفتُ وإن نأتُ
وإن وعدتُ زاد الهوى لا تظارها
ففى كلِّ حال لا محالة فرحة
ومثله قول الآخر :

وما فى الارض أشقى من محبِّ
تراه باكباً فى كلِّ حين
فيسكى ان نأوا شوقاً اليهم
وان وجدَ الهوى حلوَ المذاق
مخافة فرقة أو لاشتياق
ويسكى ان دنوا خوفَ الفراق

فتسخن عينه عند التناسي وتبرد^(١) عينه عند التلاقي
 ووصفه الهوى بالحلاوة مع هذه الصفات وصف بديع غريب . ومثله قول ابن الاحنف :
 اذا رضيت لم يهنئ ذلك الرضا لصحة علمي أن سيتبعه عتب^(٢)
 وأبكي إذا ما أذنبت خوف عتبها^(٣) فأسألها مرضاتها ولها الذنب
 وصالكم صرم وجبكم قلى وعطفكم صد وسامكم حرب
 ومثل البيت الأول قول سعيد بن حميد وروى لفضل الشاعرة :

ما كنت أيام كنت راضية عنى بذاك الرضا بمقتبط
 علماً بأن الرضا سيتبعه منك التجنى وكثرة السخط
 فكل ما ساءنى فمن خلق منك وما سررتى فمن غلط

ومن البديع في طلب نيل المعشوق قول الآخر :

عدينا موعداً ثم اجحدينا فكم من مبطل حقاً بجحد
 وإلا فابذلى من غير وعد فقد تسكف السماء بغير رعد

وقلت في نحو ذلك :

نسي على بعد الديار تنائياً وخلفك عند القرب من عصب البعد
 كثير سرورى في قليل وفائه وعند ابتسام البرق قهقهة الرعد
 ومن أبلغ ما قيل في الرضا عن المعشوق بالقليل قول جميل :

أقلب طرفى في السماء لعله يوافق طرفى طرفها حين تنظر
 ومثله قول ابن المعلوط :

أليس الليل يلبس أم عمرو وإيانا فذاك لنا تدان
 بلى وأرى السماء كما تراها ويعلوها النهار كما علانى

وأنشدنى أبو أحمد عن ابن الأنبارى لجميل^(٤) :

(١) في الأصل (تسخن). (٢) في ديوان ابن الاحنف (علمى بأن سوف يتبعه العتب)

(٣) في ديوان ابن الاحنف (خوف صدها). (٤) هو جميل بن معمر العذرى

وإني لأرضى من بئنة بالذي لو استيقن الواشى لقرت بلابله
 بلا وبالا استطيع وبالمنى وبالامل المكذوب^(١) قدخاب آمله
 وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أوآخره لا نلتقي وأوائله
 وكان جميل بصدق في حبه وكثير يكذب . ومن ردى . هذا الباب قول بعضهم :
 ومأنت منها محرماً غير أنى إذا هي بالت بلت حيث تبول
 وعفة هذا كعفة التنبي في قوله :

انى على شغفى بما فى خرها لأعف عما فى سراويلها
 سمعت بعض الشيوخ يقول من الفجور ما هو أحسن من هذه العفة إذ عبر
 عنها بهذا اللفظ . وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال حدثني
 أبو يحيى الزهرى عن رجل ذكره قال قيل لسكثير ما أنسب بيت قالته العرب ؟
 قال الناس يقولون :

أريدُ لأنسى ذكراً فكأنما نملُّ لى لى بكلِّ سبيل
 وأنسب عندى منه :

وقل أم عمري وداؤه ودواؤه لديها وريهاها الطبيب الموافق
 وهذا البيت جيد المعنى ردى . الرصف . وأبلغ ما قيل فى شدة الحب ما أنشدناه قدامة :
 يودُّ بأن يمسى سقيماً لعلها إذا سمعت منه بشكوى ترأسله
 ويهتز للمعروف فى طلب العلى لتحمد يوماً عند سلمى شمائله
 وقلت فى معناه :

وقلت عساها إن مرضت تعودنى فأحببت لو أتى غدوت مرىضا
 وزدت اتساعاً فى المكارم والعلا ليصبح جاهي عندهن عريضا
 ومن الشعر المختار فى النسب قول أبى المطاع :

كان كثير راوية جميل وجميل راوية هدبة وهدبة راوية الخطيئة والخطيئة راوية
 زهير بن أبى سلمى . (١) فى وفيات الاعيان (وبالامل المرجو) .

أفدى الذي زرتة والسيفُ يخفرتي
فما خلعت نجاداً في العناقِ لهُ
فباتَ أنعمنا بالأبِ بصاحبه
وقلت في معنى البيت الآخر :

بقدرِ الصبايةِ عندَ المغيبِ
وأطيب ما كان برؤد الثغورِ
ومن المختار في صفة العذار :

وقلت الشعرُ يسليني هواهُ
فقلتُ لشقوتي أفدى وأمي
ولم أعلم بأنَّ الشعرَ حبيبي
سوادَ عذاره بسوادِ عيني

ومن أعجب ما قيل في التهلك في الحب ونهاية التقرب الى المعشوق قول ديك الجن :

بانوا فصارَ الجسمُ من بعدهم
بأى وجهٍ أتلقاهمُ
ما تصنعُ الشمسُ لهُ فياً
إذا رأوني بعدهمُ حياً

ومن أبدع ما قيل في عدم السلو قول ابن الرومي :

أسماءُ أيُّ الواعدِينَ تربتهُ
أنتِ بنيلٍ منك يبردُ غلتي
أشدُّ كما مطلقاً فاني لأدرى
أم النفس بالسوانِ عنك وبالصبر

لم يقل في بعد الحبيب أحسن من قول ابن الاحنف : أخبرنا أبو أحمد عن الصولي
عن هارون بن عبد الله المهلبي قال كنا عند دعبل فذكر العباس بن الأحنف فقال
جيده قليل ولا أعرف أحسن من شعره في الشعر :

هي الشمسُ مسكنها في السماء
فلن تستطيعَ إليها الصعودَ
فمزَّ الفؤادَ عزاءً جميلاً
ولن تستطيعَ إليك النزولاً

ومن البديع القليل النظير قوله أيضاً يذكر كلام الناس فيه وفي معشوقه :
قد سحب الناس أذيالَ الظنونِ بنا
وفرقَ الناسُ فينا قولهم فرقا

فكاذب^(١) قد رمى بالظن غيركم وصادق^٢ ليس يدري أنه صدقا

وهذا معنى غريب بديع ما أظنه سبق إليه .

ومما هو في معنى قوله * هي الشمس مسكنها في السماء * الخ قول الآخر :

شكوت^٣ إلى بدر^٤ هوأى فقال لي ألت ترى بدر السماء الذي يسرى

فقلت^٥ بلى قال التمه^٦ فإنه نظيري ومثلي في علو^٧ وفي قدر

فإن نلت^٨ فاعلم^٩ بأنك نائلي وإن لم تنله^{١٠} فابغ^{١١} أمراً سوى أمرى

فكان^{١٢} كلا البدرين صعباً مرامه^(١٣) فويلي من بدر السماء ومن بدرى

ومن الغريب البديع في مدح الفراق لمكان القبلة والاعتناق قول محمد بن

عبد الله بن طاهر :

ليس^{١٤} عندي شحط^{١٥} النوى بمعظم فيه غم^{١٦} وفيه كشف^{١٧} غموم

من يكن^{١٨} بكره^{١٩} الفراق فاني أشتيه^{٢٠} لموضع^{٢١} التسليم

إن^{٢٢} فيه اعتناقة^{٢٣} لوداع^{٢٤} وانتظار^{٢٥} اعتناقه^{٢٦} لتقديم

فلكم^{٢٧} قبلة^{٢٨} وغيبة^{٢٩} شهر^{٣٠} (هي) خير^{٣١} من امتناع^{٣٢} مقيم

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن المسيب لابن الرومي :

فإذا كان^{٣٣} في الفراق^{٣٤} عناق^{٣٥} جعل^{٣٦} الله^{٣٧} كل^{٣٨} يوم فراقا

أجود^{٣٩} ما قيل^{٤٠} في خفقان^{٤١} القلب^{٤٢} قول^{٤٣} قيس^{٤٤} بن ذريح^(٤٥) :

كان^{٤٦} القلب^{٤٧} ليلة^{٤٨} قيل^{٤٩} يندى^{٥٠} بليلى^{٥١} العامرية^{٥٢} أو يراح^{٥٣}

قطاة^{٥٤} عزها^(٥٥) شرك^{٥٦} فباتت^{٥٧} تجاذبه^{٥٨} وقد^{٥٩} علق^{٦٠} الجناح^{٦١}

فلولا^{٦٢} التضمين^{٦٣} الذي^{٦٤} فيه^{٦٥} لكان^{٦٦} غاية^{٦٧}. ومن الغريب في ذلك قول^{٦٨} ديك^{٦٩} الجن :

ومملوء^{٧٠} من^{٧١} الحزن^{٧٢} يعالج^{٧٣} سورة^{٧٤} الأرق^{٧٥}

(١) في ديوان ابن الأحنف « فجاهل » . (٢) في الاصل (صعباً فراقه) .

(٣) الكنأني من شعراء العصر الاموي من سكان المدينة شعره على الطبقة في التشبيب

والحنين . (٤) كذا في الأمالي ، وفي الأصل « غزها » وفي الصناعتين « غرها »

تَكَادُ غُرُوبٌ مُقْلَنِهِ تَعْمُ الْأَرْضَ بِالْفَرْقِ
كَأَنَّ فُزَادَهُ قَلْقَا لِسَانَ الْحَيَةِ الْفَرْقِ

وقد أحسن في قوله أيضا :

عَلِمْتُ قَلْبِي وَجِييًّا لَسْتُ أَعْرِفُهُ مَا أَنْكَرَ الْقَلْبَ إِلَّا كَلِمًا خَفِيقًا
بِأَشْوَقِ الْفَيْنِ حَالِ الْبَيْنِ بَيْنَهُمَا فَمَا فَصَّاهُ عَلَى التَّوَدُّيعِ فَاعْتَنَقَا
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ عَيْنِي مَا بَكَيْتُ بِهَا تَطْيِيرًا مِنْ بَكَائِي بَعْدَ شَفَقَا

وقد أحسن القائل وجاء بما في نفس العاشق :

وَلَوْ دَاوَاكَ كُلُّ طَيِّبٍ (رَكْب) بَغَيْرِ كَلَامٍ لَيْلِي مَا شَفَاكَ
وَلَوْ أَصْبَحْتَ تَمَلِّكُ كُلَّ شَيْءٍ سِوَى لَيْلِي عَتَبْتَ عَلَى غَنَاكَ
وَمَنْ أَعْجَبَ مَا قِيلَ فِي الشَّفَقَةِ عَلَى الْمَعشُوقِ قَوْلُ أَبِي ذَلْفِ الْعَجَلِي :
أُحِبُّكَ يَا جِيَانُ وَأَنْتَ مَنِي مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجِيَانِ
وَلَوْ آتَى أُحِبُّكَ حُبَّ نَفْسِي نَلَفْتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الطَّمَانِ
لَأَقْدَامِي إِذَا مَا الْخَيْلُ جَالَتْ وَهَابَ شَجَاعَهَا وَقَعَ الطَّمَانِ

خص الجبان لأنه أشد شفقة على نفسه من الشجاع وهذا من جيد الاستطراد.
ومن بليغ ما قيل في الحب مع الشجاعة ومن أجود ما قيل في اليأس عن الوصل
قول مجنون ليلي أو غيره :

خَرَجْتُ فَلَمْ أَظْفِرْ وَعَدْتُ فَلَمْ أَفْزِ بِنَيْلِ كَلَا الْيَوْمِينَ يَوْمَ بِلَاءِ
فِي أَحْسَرْتِي مَا أَشْبَهَ الْيَأْسَ بَأَقْتِي وَإِنْ لَمْ يَكُونَا عِنْدَنَا بِسِوَاءِ
وَقَالَ : وَقَدْ أَيَقَنْتُ نَفْسِي بِأَنْ حِيلَ بَيْنَهَا وَيِنَّكَ لَوْ بَاتِي يَأْسَ بَقِيْنَهَا
أَرَى النَّفْسَ عَنِ لَيْلِي تَعَانِي بِلَاعِنَا وَقَدْ جُنَّ مِنْ وَجْدِي بِلَيْلِي جُنُونَهَا
وَمِثْلَ ذَلِكَ : فَانْ يَكُ عَنِ لَيْلِي غَنِيًّا وَتَجَلَّدُ فَرُبُّ غَنِيٍّ نَفْسٍ قَرِيبٌ مِنَ الْفَقْرِ
وَمِنْ أَطْرَفِ مَا قِيلَ فِي النَّحْوْلِ مَا أَنْشَدْنِيهِ أَبُو أَحْمَدَ :

إِذَا (يَوْمًا) بَلَيْتُ وَذَابَ جَسْمِي لَمَلَّ الرِّيحَ تَحْمِلُنِي إِلَيْهِ

وقال ابن المعتز :

ماذا ترى في مدنف يشكوك طول سقمه
أضنيته فما يطيق ضعفه^(١) حمل اسمه
فلا يراك عائداً إلا بعينٍ وهمه

وقال كشاجم :

وما زال يبرى أعظمَ الجسم حبها وينقصها حتى لطفنَ عن النقص
وقد ذُبتُ حتى صرتُ إن أنا زرتها أمنتُ عليها أن يرى أهلها شخصي
وقال دبك الجن وبالغ :

أنحلَّ الوجدُ جسمهُ والحنينَ وبرَّاهُ الهوى فما يستبين
لم نرس أنه جليدٌ ولكنَّ دقَّ جداً فما تراهُ العيون
وقال نصر بن أحمد :

قد كنَّ لي فيما مضى خاتمٌ فاليوم لو شئتُ تمنطقتُ به
وذُبتُ حتى صرتُ لوزجبي في مُقلَّةِ النائم لم ينتبه
الحسن بن وهب^(٢) :

أبليتُ جسمي من بعد جدتهُ فما تكادُ العيونُ تبصرهُ
كأنه رسمٌ منزل خلقه تعرفهُ العينُ ثم تنكرهُ

ومما لا أظن أن له شبيهاً قول بعض الحول وليس في هذا المعنى :

حمدتُ إلهي إذ بليتُ بحبها على حَوْلٍ يغني عن النظرِ الشرز
نظرتُ إليها والرقيبُ يظنني نظرتُ إليه فاسترحتُ من العذر
ومن فصيح ما قيل في إفشاء الهوى صاحب ؟ قول بعض نساء الاعراب :
ألا قاتلَ اللهُ الهوى ما أشدهُ وأصرعهُ للره وهو جليدٌ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (فلم يعلق من ضعفه)

(٢) هو الكاتب الشاعر الوجيه صاحب الاخبار مع أبي تمام ، رثاه البحتری لامات .

دعاني الهوى من نحوها فأجبتهُ فأصبح بي حيثُ يريدُ

وقال كشاجم وأحسن في قوله وليس من هذا المعنى :

أقبلتُ ثمَّ عرَّجتُ ليتها لم تُعرِّج

في حدادٍ كأنها وردةٌ في بنفسج

ومن أحسن ما قيل في مجيء الفراق بعد التلاق قوله أيضاً :

لم أستتمَّ عناقهُ لقدومه حتى بدأتُ عناقه لوداعه

فمضى وأبقى في فؤادي حسرةً تركته موقوفاً على أوجاعه

وأشدني أبو أحمد قال أنشدني الصولي أنشدني الحسين بن يحيى أنشدني

الحسين بن الضحاك لنفسه :

بأبي زورٌ تلفت له فتنفستُ عليه الصعدا

بينما أضحك مسروراً به إذ تقطعتُ عليه كذا

وأشدنا عنه لأبي العميثل (١) :

لقيتُ ابنةَ السهمي زينبَ عن عُفْرِ ونحن حرَّامٌ مُسىَ عاشرَةَ العشر (٢)

فكلمتها ثنتينِ كالتلجِ منهما وأخرى على لوحٍ أحرَّ من الجمر

الأولى تسليم اللقاء فهي باردة طيبة والأخرى تسليم الوداع .

ومن جيد ما قيل في تجدد الشوق على قرب الديار قول بعض العرب :

وزدادُ في قرب الديار صبايةً ويبعدُ من فرطِ اشتياقِ طريقها

وما ينفع الحرَّ أن ذا اللوع أن يرى حياضَ القرى مملوءةً لا يذوقها

ومن جيد ما قيل في رد العذول :

(١) هو عبد الله بن خلود ، كان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره ، كان

مكثراً من نقل اللغة عارفاً بها ، شاعراً مجيداً . (٢) في البيت تصحيف صححناه

من الأمايلى ، وفيه : عن عُفْرِ : عن بعد أى بعد حين ، ونحن حرَّام : أى محرمون ،

ومسى عاشرَةَ العشر يعنى أنه لقيها بعرفات عشية عرفة وهو مُسى عاشرَةَ العشر .

إذا أمرتني العاذلاتُ بهجرها هفت كبدٌ مما يقطن صديق
 وكيف أطيع العاذلاتِ ووجهها بؤرقنى والعاذلاتُ هجوع
 ومن جيد ما قيل في رياضة النفس على الهجر ما أنشده أبو اسحق الموصلى :
 وإنى لا أستحيى كثيراً وأتقى عيوباً وأستبقى المودةً بالهجر
 وأنذرُ بالهجرانِ نفسى أروضها لأعلمَ عندَ الهجرِ هل لى من صبر
 وقال غلام من فزارة :

وأعرض حتى يحسب الناسُ أنما هى الهجرُ لا والله ما لى لك الهجرُ
 ولكن أروضُ النفسَ أنظرَ هل لها إذا فارقتُ يوماً أحبته صبرُ
 وزاد العباس بن الأحنف فقال :

أروضُ على الهجرانِ نفسى لعلها تمسك لى أسبابها حينَ تهجر
 والزيادة فى قوله :

وأعلمُ أنَّ النفسَ تكذبُ وعدها إذا صدقَ الهجرانِ يوماً وتقدر
 وما عرَّضتْ لى نظرةً مذعرفتها فأنظرَ إلا مثلتُ حينَ أنظرُ
 وهذا من قول جميل :

أريدُ لأنسى ذكراً فكأنها تمثُلُ لى ليلى بكلِّ سبيل
 وذكر بعضهم أنه بهجرها مخافة العين تصيب وصلها : أنشدناه أبو أحمد عن

الصولى عن أحمد بن يحيى ، وأحمد بن سعيد الدمشقى عن الزبير :

خشيتُ عليها العينَ من طول وصلها فهاجرتها يومين خوفاً من الهجر
 وما كانَ هجرانى لها من ملالةٍ ولكننى جرَّبتُ نفسى على الصبر
 ومن فضيح الشعر الداخل فى هذا الباب قول إبراهيم بن العباس أنشدناه أبو
 أحمد عن الصولى عن ثعلب وأبى ذكوان قالا أنشدنا إبراهيم بن العباس لنفسه :

يمرُّ الصبا صفحاً بساكن ذى الغضا فيصدعُ قلبى أن يهبَّ هبوبها
 قريبةٌ عهدٍ بالحبيبِ وإنما هوى كلِّ نفسٍ أين حلَّ حبيبها

تطلع من نفسى اليك طواع^١ عوارف أن اليأس منك نصيبها
 وإنما أغار إبراهيم بن العباس على ذى الرمة حيث يقول:
 إذا هبت الأرواح من نحو جانب^(١) به أهل مي زاد شوقى^(٢) هبوبها
 هوى تدرف العينان منه وإنما هوى كل نفس أين^(٣) حل جيبها
 وقال العباس بن الأحنف في غير هذا المعنى:

متى تبصرينى ياظلوم تبينى شمائل بادی البث منصدع القلب
 بريثاً تمنى الذنب لما هجرته^(٤) لكما يقال الهجر^(٥) من سبب الذنب
 وقد كنت أشكو عتبتها وعتابها فقد فجعتنى بالعتاب وبالعتب
 أشفق عليها من أن تهجره بغير ذنب فيقال إنها ملول فيلحقها هجنة .
 ومن أجود ما قيل في الوقوف على الديار قول امرئ القيس * قفا نيك من
 ذكرى حبيب ومنزل * وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في
 مصراع فليس له شبيه في جميع أشعارهم . وأحسن ما قيل في وصف الديار وبلاها
 ما أنشدناه أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر عن أبيه :

ولم يترك الأرواح والقطر والندى من الدار إلا مايشف^١ ويشفق
 وقلت : قد عريت أمها حين اكنست^٢ أردية الریح عشياً وضحى
 لم يبق فيها غير مايدكى الجوى ويصرف النوم ويبعث البكى
 وأنشدنا أبو القاسم :

ألا حى من أجل الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن اللياليا
 ولا عرابى : طللان طال عليهما الأبد^٣ دثرا فلا علم ولا نضد^٤
 لبسا البلى فكأتما وجدا بعد الأجابة مثل ما أجد^٥

(١) في ديوان ذى الرمة (من كل جانب) . (٢) في الديوان (هاج شوقى)

(٣) في الديوان (حيث حل) . (٤) في ديوان العباس المطبوع (صرمته)

(٥) في الديوان (الصرم) .

وهذا مثل قول جرير * أحب لحب فاطمة الديارا * والذي أورد من أنواع
 هذه المعاني إنما هو إشارة إلى جمهورها وتنبية على معظمها ولو اتبعت كل ما فيه أمثاله
 وعلقت عليه أشكاله لكثرت واتصلت وتوفرت حتى أملت وأضجرت وتجاوز
 الحد في القول من هذه فيه وهجنة على قائله؟ ومن أجود ما قيل في حب السودان :
 أحبُّ النساءِ السودَ من حبِّ تكتمٍ ومن أجلها أحببتُ من كانَ أسودا
 فجنني بمثلِ المسكِ أطيبَ نفحةً وجنني بمثلِ الليلِ أطيبَ مرقدًا
 البيت الثاني على غاية الجودة وحسن التمثيل . وقلت :

صرفتُ ودِّي إلى السودان من هجر وما (أميل) إلى روم ولا خزر
 أصبحتُ أعشقُ من وجهٍ ومن بدنٍ ما يعشقُ الناسُ من عينٍ ومن شعر
 فإنَّ حسبتُ سوادَ الجلدِ منقصةً فانظر الى سعةٍ في وجنة القمر
 وروى للجاحظ :

يكونُ الخلالُ في وجهٍ ملبحٍ فيكسوهُ السلاحةُ والجمالا
 ولستَ تملُّ من نظرٍ إليه فكيفَ إذا رأيتَ الوجهَ خالا
 وقد ملح بعضهم في خلاف ذلك :
 إنَّ الذي يعشقُ من لا
 وإنَّ من يعشقُ زنجيةً كالذي ذلك في الظلمة

أجود ما قيل في الخيال من قديم الشعر قول قيس بن الخطيم :
 أتى سریت وكنت غير سرورٍ وتقربُ الأحلامُ غير قريبٍ
 ما تمنى يقضى فقد تؤتينه في النوم غير مكدر^(١) محسوب
 كلُّ المنى بلقائها فلقيتها ولهوتُ من هو امرئ مكدوب
 وقول عمرو بن قميئة^(٢) :

(١) في ديوان قيس (غير مصرد) . (٢) من قدماء الشعراء في الجاهلية ،
 يقال إنه أول من قال الشعر من زار وهو أقدم من امرئ القيس ، وهو شاعر فحل .

نأتكَ أمانة إلا سؤالا وإلا خيالاً بواني خيالاً
 خيالي يخيل لي نيلها ولو قدرت لم يخيل نوالا
 وهذا من معاني القدماء غريب وهو أبلغ ما قيل في بخل المعشوق ، ومن هاتين القطعتين
 أخذ المحدثون أكثر معانيهم في الخيال ، ومن البارع الفصيح في هذا المعنى قول البعيث^(١) :
 أزارتك ليلي والركاب خواضع وقد بهر الليل النجوم الطوالع
 فأعطتك آيات المنى غير أنها كواذب إن حصلتها وخوادع
 على حين ضم الليل من كل جانب جناحيه وانقضت نجوم ضواجع
 وأعجلها عن زورة لم أفر بها من الصبح حاد يزعج الليل ساطع
 وأحسن النميري حيث يقول :

عجباً لطيفك أنه يشكو الجوى وهو الجوى

أخذه مسلم فقال :

طيف الخيال عهدنا منك إلما داوبت سقماً وقد هيجت أسقاما
 ومن اللفظ الغريب قوله : « ز » السكري طيفها وهنا خيالي .
 لأعرف أنه سبق إلى هذا اللفظ . وقال أبو تمام :

استزارته فكرتي في المنام فأناهي خيفة^(٢) واكتنام

بالها ليلة تزاورت^(٣) الأثر واح فيها سرّاً من الأجسام

بجلس لم يكن لنا فيه عيب غير أنا في دعوة الأحلام

وهذه معان إلا أنه ليس لألفاظها طلاوة . ومن غريب المعاني في هذا قول دعبل :

سرى طيف ليلي حين حان هبوب وقضيت شوقي حين كاد يثوب

ولم أر مطروقاً يحل بطارق ولا طارق يقري المنى ويثيب

(١) هو خدّاش بن بشر من بني مجاشع ، كان أخطب بني تميم وسمى البعيث بقوله :

بعث منى ماتبعث بعدما استمر فؤادي واستمر عزيمي

(٢) في ديوان أبي تمام « فأناني في خيفة » . (٣) في الديوان (تنزهت) .

يقول ان العادة أن يقرى الطارق المطروق والخيال طارق يقرى المطروق .

ومن الغريب الدقيق قول ابن الرومي :

طرقنا فأناالت نائلا شكره لو كان في التبة الجحود

ثم قالت وأحست عجيبي من سراها حيث لا تسرى الأسود

لا تعجب من سرنا فالسرى عادة الأعمار والناس هجود

فرايت في هذه الأبيات زيادة وتضميناً قلت :

رقت غفلة الرقيب فزارت تحت ليل مطر ز بهار

فتمجبت من سراها فقالت غير مستطرف مرمى الأعمار

ثم مالت بكأسها فسقتني جلنارية على جلنار

آخر : فيا ليت طيفاً خيلته لي المنى وإن زادني شوقاً إليك يعود

أكلف نفسي عنك صبراً وسلوة وتكليف مالا يستطاع شديد

الجيد أن يقول (تكلف مالا يستطاع) وأما تكليفه في الحقيقة فغير شديد على المكلف

وأما جعل هذا التكليف مكان التكلف وهو رديء . وقال الحمدوني :

لم انله فنلتسه بالاماني في منامي سرّاً من الهجران

واصل الحلم بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحن مقترنان

وكان الارواح خافت رقيباً فطوت سرّها عن الأبدان

منظر كان كزّهة العين إلا أنه ناظر بغير عيان

وقال ابن المعتز :

لا فرج الله عن عيني رؤيته ان كنت أبصرت شيئاً بعده حسنا

إلا خيالاً عسى ان نمت بطرقي وكيف يحلم من لا يعرف الوسنا

وقال : كلامه أخذع من لحظه ووعدّه أ كذب من طيفه

وليس لأحد في الخيال ما للبحترى كثرة فمنه قوله :

بمبيك اعوالى وطول شهيق وإخفاق عيني من كرى وخفوق

على أن تهويماً إذا طارضا طي^(١) سرى طارقاً في غير وقت طروق
فبات يماطيني على رقبة العدى ويمزج ريقاً من جناه بريقي
وبت أهاب المسك منه وأتقى رداع عبير صائك وخلق
أرى كذب الاحلام صدقاً وكم صفت إلى خير أذناى غير صدوق
وما كن من حق وبطل فقد شفى حرارة متبول وخبل مشوق
وقلت في خلاف ذلك:

طرق الخيال فزار منه خيالاً فسرى يغازل في الرقاد غزالاً
يا كشفه للكرب إلا أنه ولى على دبر الظلام فزالاً
فعدا المتيم وهو أكبر صبوة وأشد بلبالاً وأكسف بالاً
وما قبل في الامتراج والاختلاط مثل قول الخريمي^(٢):

ليالى أرى في جنابك روضة وآوى إلى حصن منيع مراتبه
وإذ أنت لى كالحمر والشهد ضعفا بماء لصاص ضعفته جنائبه
وقال بشار:

لقد كان ما بينى زماناً وبينها كما بين ربيع المسك والعنبر الورد
أجود ما قبل في صفة الركب: أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنا محمد بن
سعيد عن عمر بن شبة قال كان الناس يقدمون قول أبي النجم وبتعجبون من حسنه:
كان تحت درعها المنعطف ضخم القذال حسن المحط
وقد بدا منها الذى تغطي كأنما قط على مقط
شطاً رميت فوقه بشط كرامة الشيخ اليماني الشط
لم يعمل في البطن ولم ينحط

حتى قال بشار:

(١) في الاصل (اطأى) (٢) هو اسحق بن حسان، اتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة، وله فيه مدائح جياذ، عمى بعد ما أسن، وقال في ذلك شعراً.

عجزاء من سرب بني مالك لها حرٌّ من بطنها أرفع
 زينَ أعلاهُ بأشرافه وانضمَّ من أسفله المشرع
 قال أبو هلال رحمه الله تعالى أول من أتى بهذا المعنى النابغة حيث يقول :
 وإذا طمنت طمنت في مستهدفٍ رابى المجسة بالعبير مقررمد
 وإذا نزع نزعاً عن مستحصفٍ نزع الخزور بالرشاء المحصد
 يصف ضيقه ويقول إن النازع منه يتعب من نزعها كما يتعب الخزور - وهو
 الغلام - إذا استقى من البئر .

وأحسن ابن الرومي في وصف الضيق والحرارة حيث يقول :
 لها من تستعيرٌ وقدمته من قلب صبٍّ وصدر ذى حنق
 كأنما حرُّه لخابره ما أوقدت في حشاه من حرق
 يزداد ضيقاً على المراس كما تزداد ضيقاً أنشوطه الوهق
 وقال في سجنه :

بسع السبعة الاقاليم طرّاً وهو في أصبعين من إقليم
 كضمير الفؤاد بلتهم الدنيا وتحويه دفنا حيزوم

ومن النادر قول الناجم :

إن ردف الفتاة عجنة خبا زٍ وقد أمها من الأدم جينه

وقال المذلل بن غيلان (١) :

ومركب كبيضة الأذحي كأن نبت الشعر المطلق

عليه شونيزٌ على فرني

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

أقول والقوم تعادى بهم الى الوغى مضمرة قرح

استحمل الله على مركبٍ بحثٌ بالسير ولا يبرح

(١) هو والد عبد الصمد بن المذلل الشاعر المشهور .

وهو مثل قول مسلم :

ما مركب من ركوب الخيل بمجيبى
ومثل الأول : فبات بسرى ليله ولم ينم
وقال الفرزدق : ثم اتقتنى بجهم لاسلاح له
كان رمانة في جوفه انفجرت
وأبلغ ما قيل في كبره قول الفرزدق :

إذا بطحت فوق الأثافي رفعتها
يقول إنها إذا بطحت على وجهها لم يمس الأرض منها شيء لان نهود تديبها وكبر
ركبها مثل أثافي القدر لبدنها ، وهذا أبلغ من قول بشار الذي اختاره الأصمعي .
وقال الراجز في وصف الضيق :

كأن هجأماً^(١) شديداً أهره يدارك المص ولا يفتره

ومما قيل في حب السكبار قول المجنون :

وعهدى بليلي وهي ذات موصل
فشب بنو ليلى وشب بنو ابنا
ابن المعتز : من معبى على السهر
وابلائي من شادن
كبر الحب إذ كبر

ومن البديع قول ابن الأحنف :

لعمري لقد كذب الزاعمون
ولو كان حقاً كما يزعمون
بأن القلوب نحاذى القلوبا
لما كان يشكو محب حبيباً

ومما يلحق بالفصل الأول ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن البلعي عن أبي
حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه
فقلت له هذا يأباهير المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العنزي^(٢) في آخر

(١) في نسخة (هماماً) (٢) شاعر اسلامي من المتيمين .

أياته التي أنشدها :

أراني تعرفوني لذكراك رعدة^(١) لها بين جلدى والمظام ديب
وما هو إلا أن أراها فجاءة فأبته حتى ما أكاد أجيب
وأصرف^(٢) عن رأيت الذي كنت أرتئي ويعزب عني ذكره وبغيب^(٣)
ويضمر قلبى عندها ويعينها على فمالي فى الفؤاد نصيب
فقال الرشيد من قال هذا وهما فاني أقوله علماً والله درك يا أصمى فاني أجد عندك
ما يضل عنه العلماء ، فأخذه محدث فقال :

بؤازرة قلبى على وليس لى بدان بين قلبى على بؤازرة

وأخذه سهل بن هرون فقال :

أعان طرفي على جسمي وأعضائي بنظرة وقفت جسمي على دأى
و كنت غراً بما تجنى على يدي لاعلم لى أن بعض أعدائى
وهذا شعر فيه تكاف ، أخذه البحترى :
ولست أعجب من عصيان قلبك لى عمداً إذا كان قلبى فيك بمصينى
وقال ابن الأحنف :

قلبي الى ما ضررتى داعى يكثر أسقامي وأوجاعى

كيف احترازى من عدوى اذا كان عدوى بين أضلاعى

ومن جيد ما قيل فى قرب الدار مع تباعد القلوب قول النظار الفقعسى :

يقولون هذى أم عمرو قريبة دنت بك أرض نحوها وسما

ألا إنما بعد الحبيب وقربه اذا هو لم يوصل إليه سواء

وفي خلافة : وإنى زوار لمن لا يزورنى اذا لم يكن فى وده بمرىب

يقرب لى دار الحبيب وإن نأت وما دار من أبغضته بقرب

(١) فى الأغانى (وإنى لتغشائى لذكراك هزة) (٢) فى الأغانى (وأصدف)

وهما بمعنى . (٣) فى الأغانى (وأنسى الذى أزمعت حين تغيب) .

ومن ظريف الشكاية قول ابراهيم بن العباس :

فدعني راغماً أشقى بوجدى ومُخذ قلبي إليك بغير حمد
سقام لا يرقُّ عليّ منه ووجد لا يكافئهُ بودّ
وقد أصفيتهُ ودّي بجهدى فعارضَ في الجفاءِ بمثل جهدى

ومن جيد ممدوح به الفراق قول بعض الكتاب : في الفراق مصافحة التسليم
ورجاء الأوبة والسلامة من المسالل وعماراة القلب بالشوق والدلالة على فضل
المواصلة واللقاء . وقال الشاعر :

جزى الله يومَ البينِ خيراً فإنه أرانا على علانهِ أمّ ثابت

وكتب بعضهم في معنى قول الشاعر * وما في الأرض أشقى من محب * وقد تقدم :
تفكرى في مرارة البين يمنعنى من التمتع بحلاوة الصبر وتكره عيني أن تقر بك مخافة
ان تسخن يبعدك فى عند الاجتماع كبد ترجف وعند التناهى مقالة تكف . ومثله :
لا الذى بيده السلامة بروح دارك وبعد مزارك ما زادنى اللقاء إلا صابرة وأسفاً والاجتماع
إلا نزاحاً وكلفاً لأنى منقسم القلب بين رجاء يبعثنى بقربك وحذر يوعدنى يبعدك وإذا
قربت دارك كلفت وان نأت أسفت فلا فى القرب أسلو ولا البعد .

وسمعت لماني الموسوس^(١) معنى أظنه ابتكره وهو :

بكت عيني غداةَ البينِ دمعاً وأخرى بالبكى بخلت علينا

فعاقتُ التى بخلت علينا بأن غمضتها يومَ التقينا

وسبكه البيت الأول وورصفه ردى . جداً لا خير فيه وإنما استغربت المعنى

فأوردته . وقد أخذه ابن الرومي فشرحه وزاد فيه وهو من قوله :

ولقد بولفنا اللقاءَ بلبلةٍ جعلت لنا حتى الصباح نظاماً

نجزى العيون جزاءهن عن البكى وعن السهادِ فلا نصيبُ اناما

فنبيحهن مُرادهن يردنه فيما ادعين ملاحه ووساما

(١) هو أبو الحسين محمد المصرى ، شاعر لين الشعر رقيقه ، لم يقل غير الغزل .

ونكافي الأذان وهي حقيقة^١ إذ لا تزال تكابدُ اللواما
 فتثيبهن من الحديث مثوبة^٢ تشفي القليل وتكشف الأقسام
 ونكافي الأفواه عن كتابها إذ لا يزال لها الصماتُ لجاما
 فنيبحن ملاماً ومراشفاً ماضراً أن لا تكون مدا
 نجزي الثلاثة أنصباء ثلاثة مقسومة آناؤها أقساما

وخالد الكاتب معنى يلحق بما تقدم وهو قوله :

بكيتُ دماً حتى بكيتُ بلا دم بكاءً قتي فرد على شجن فرد
 أبكى الذي فارقتُ بالدمع وحده^٣ لقد جلَّ قدرُ الدمع فيه إذاً عندي
 وكتبت في فصل لي : قد جل شوقي إليك ووجدى بك عن أن يبرد نارها
 ويسكن أوارها دمع ينصب على مثله فتحسبه دراً يتكسر على در ويمتزج بالدم
 فتحاله شذور عقيق في نظام فريد .

ومما يلحق بما تقدم أيضاً قول سعيد بن حميد^(١) :

وما كنَّ حبيها لأولِ نظرةٍ ولا غمرة من بعدها فتجلتِ
 ولكنها الدنيا تولت فما الذي يسلى عن الدنيا إذا ماتولتِ
 وقال أعرابي :

أعللُ أصحابي بجدي وباطلي وأسماء جدد القلب منى وباطله
 ومن بديع المعاني قول ابن أبي فتن :

أدميتُ بالألحاظِ وجنته^٤ فاقتصص^٥ ناظره^٦ من القلبِ
 أخذه على بن حاصم فقال :

ضربتُ إني يدي خانَ يميني جلدِي
 فاقتصص^٧ لما اغرورقت^٨ مقلته^٩ من كبدِي
 فلا أقلت^{١٠} بعدها سوطي من الأرضِ يدي

(١) هو الشاعر الكاتب المترسل ، كان حسن الكلام فصيحاً ، وكان والده شاعراً .

ومن أجود ما قيل في تكافؤ الحسن قول الراجز وكان ينبغي أن يقدم :
 جاءت تهض الأرض أي هض يدفع منها بعضها من بعض
 يقول يتحير الناظر فيها ولا تقف عينه على واحدة فيصيبها بعين لأن بعضها
 يشغل عن بعض . ومن بديع المعاني قول بعض الشعراء :

قصاراك منى الودّ ما دمت حيةً وودك ماء المزن غير مشوب
 وآخر شيء أنت في كل مضجع وأوّل شيء أنت عند هبوب
 ومن جيد القول في الفراق قول أبي محلم :

وما خفت وشكّ البين حتى رأيتهم معض ؟ أمماط لهم وقطوع
 لعمرك ما شيء مرّيتُ بذكره كآخر يأتي بفتة فيروع
 ومما لا أعرف في معناه أجود منه قول بعضهم :

ما بين باب الوزير والمسجد الجا مع ظبي كالظباء في جیده
 أطاره رنة فقد ضاع لا ضاع وضاع التميز في بلده
 ليس له ناقد فيعرفه وآفه التبر ضعف منتقده
 وفي خلاف ذلك قول صاحب البصرة :

ولست بواصف أبداً حيباً أعرضه لأهواء الرّجال
 تراني آمن الشركاء فيه وآمن فيه أحداث اللبالي
 معنى آخر :

وقائلة متى يفنى هواه فقلت لها إذا فنى السلاح
 معنى آخر : وإذا أنبتك زائراً متشوقاً قصر الطريق وطال عند رجوعي
 معنى آخر : إذا طلعت شمس النهار فأنها أمارة تسليبي عليك فسلمى
 آخر التشبّه والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قال فأبلغ وأنعم فأسبغ ، أحل الملاذ ومنح لينعم
عباده في العاجل وبدل على ما أعد لمحسنهم في الآجل فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ
كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا) وقال (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا) وقال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وله الحمد على كمال بره وتمام لطفه والصلاة على خير خلقه
محمد النبي وآله .

(هذا كتاب المبالغة)

(في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب

وما يجرى مع ذلك - ثلاثة فصول وهو :)

(الباب الخامس من كتاب ديوان المعاني)

(الفصل الأول في ذكر النار)

فأول ما نذكر فيها قول الله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) الى
قوله (نَحْنُ جَمَعْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَاعًا لِلْمُقْسُومِينَ) فذكر منفعتها وحسن
عائدها في الدنيا والدين فأما منفعتها في الدين فانها تذكر ما أعد الله تعالى لعصاته
منها في دار العذاب فيكون ذلك مزجرة لمن تذكر ومنهارة لمن تبصر ، وأما منافعتها
في الدنيا وكثرة مراقبتها فغير مجهولة وقد خص الانسان بخيرها دون سائر الحيوان

فليس يحتاج إليها شيء سواه وليس به عنها غنى في حال من الأحوال ولهذا عظيمها
المجوس وقالوا إنها قد أفردتنا بنفعها فينبغي أن نفردها بتعظيمنا على أنهم يعظمون
جميع ما فيه نعمة على العباد فلا يدفنون موتاهم في الأرض ولا يستنجون في الأناهار،
رؤى على عهد كسرى رجل يغتسل في دجلة فضربت رقبتة، وكانت العرب إذا
تحالفت تحالفت على النار ويدعون على من يغدر وينقض العهد بجرمان منافعهما. وقد أحكمنا
ذلك في كتاب الأوائل. ومن عجيب التشبيه في النار قول الأول:

كَأَنَّ الرِّيحَ تَقَطِّعُ مِنْ سَنَاهَا بِنَائِقِ حَبَّةٍ مِنْ أَرْجَوَانٍ
وقول ابن المعتز:

وموقدات بن^(١) يضر من اللهب^١ يشبعنه^٢ من فحم ومن حطب^٣
يرفعن نيراننا كأشجار الذهب

وقال آخر: كأن نيراننا في جنب قلعهم مصبغات على ارسان قصار
وقول أبي تمام في إحراق الأفشين:

نار يساور جسمه من حرها لهب كما عصفت شوق إزار
صلى لها حياً وكان وقودها ميتاً ويدخلها مع الفجار

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا أحمد بن اسمعيل حدثني جعفر بن علي بن
الرشيد فقال أنشدنا المعتصم قول بعض الهاشميين في فتحه هرقة:

ريمت هرقة لما أن رأت عجباً جو الساء^(٢) ترتمى بالنفط والقار
كأن نيراننا في جنب قلعهم مصبغات^(٣) على ارسان قصار

فقال لابن داود وقد أنشدنا شاعر طائي أوصلته إلى في حرق القادر أفشين شيئاً من
هذا الجنس استحسنته فقال أحمد ما أحفظه وإنما أحضر الشاعر فقال بعض أولاد
الحجاب أنا أحفظ القصيدة والموضع فقال هات فأنشد:

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلي سر الزناد الواري

(١) في الأصل غير منقوطة. (٢) في الأصل (جوائماً) (٣) في الأصل (مصقلات)

ناراً يساورُ جسمه من حرّها لهبٌ كما عصفت شقُّ إزار
 طارت لها شررٌ ^(١) يهدمُ لفحها أركانهُ هدماً بغيرِ منار ^(٢)
 ففصلنَ منه كلَّ مجمع مفصل وفعلنَ فاقرةً بكلِّ فقار
 رمقوا أطلَى جذعه فكأنما رمقوا هلالَ عشية الإفطار
 كروا وراحوا في متون ضواميرٍ قيدت لهم من مربطِ النجار
 لا ينزلون ^(٣) ومن رآهم خالهم أبدأ على سفيرٍ من الأسفار
 فقال المعتصم أحسن ما شاء قد أمرت له بعشرة آلاف درهم ولهذا الذي حفظها
 بنصفها ، قال فتمعجبنا من فطنة المعتصم ومن رزق هؤلاء على غير طلب ولا أمل
 قال فلم يبق في العسكر أحد إلا حفظ قصيدة أبي تمام . وقلت :

أوقدتُ بعدَ الهدوءِ ناراً لها على الطارقينَ عَيْنُ
 شرارها إن علا نضارُ لكنهُ إن هوى لجين
 دعتهُمُ فأنثى اليها محبهم قرة رأين؟
 إلى كريمِ الفعاليِّ سمح عطاؤهُ للكريمِ زين
 يقضى ديونَ الملا ببذلٍ إذ ليس يقضى لهنَّ دين

وقال ابن المعتز :

وقد تولى شررُ الكانون كأنه تشارُ ياسمين
 وقلت : نار تلعب بالشقوق كأنها محللٌ مشققةٌ على حيسان
 رَدَّتْ عليها الريحُ فضلَ دخانها فأنتَ به سيجاً على عصان
 فالجوُّ يضحك في ايضاضِ شمائر منها ويعبسُ في اسودادِ دخان

وقال أبو فضلة :

اشربْ على النار في السكوانين إذ ذهبتْ دولةُ الرِّياحين

(١) في ديوان أبي تمام (شعل) . (٢) في الديوان (بغير غبار) .

(٣) في ديوان أبي تمام (لا يبرحون) .

بَدَّتْ لَنَا وَالرَّمَادُ بِحُجْبِهَا كَجَلَنَارٍ مِنْ تَحْتِ نَسْرِينِ
وَقَلَّتْ فِي مَعْنَاهُ :

قَصُرَتْ بُدَّ الشَّتَاءِ بِحَرِّ جَمْرٍ وَأَخْتِ الْجَمْرِ صَافِيَةِ الرَّحْبِيقِ
تَرَى نَبْدَ الرَّمَادِ يُوَجِّنِيهِ كَكَاغُورٍ يَنْدُرُ عَلَى خَلُوقِ
وَقَلَّتْ : تَحْرُكُ الشَّمَالُ فُقْرًا لَيْسِي فَهَاتِ الرَّاحَ مِنْ أَيْدِي الْمَلَايحِ
جَرَادِ الْجَمْرِ يَسْتَرُهُ رَمَادُ كَمَثَلِ الْوَرْدِ يَسْتَرُهُ الْأَفَاحِي
وَأَنْفَاسُ الرِّيَاضِ مَعْطَرَاتُ تَطِيرُ بِهِنَّ أَنْفَاسُ الرِّيَاحِ
وَأُرْدِيَةُ الظَّلَامِ مَسْكَاتُ مَطَرَزَةُ الْخَوَاشِي كَالصَّبَاحِ

وقال ابن المعتز في سقوط الشرر على الثياب والبسط :

فَتَرَكَ الْبَسَاطَ بَعْدَ الْحَمْدِ ذَا نَقْطِ سَوْدٍ كَجِلْدِ الْفَهْدِ
وَقَالَ أَيْضًا * وَصِيرَتْ جِبَابَهُمْ مَنَاخِلًا * وَقَلَّتْ :

كَأَنَّ النَّارَ بَيْنَهُ ذَهَبٌ وَالْجَمْرُ مِنْ تَحْتِهِ يَوَاقِيْتُ
وَمِنْ بَدِيعِ مَا قِيلَ فِي الْقَدُورِ عَلَى النَّارِ قَوْلُ بَعْضِ الْعَرَبِ :

كَأَنَّ صَوْتَ غَلِيهِ الْمَسْتَعْجِلِ قَصْدَ الشَّبُوحِ لِلشَّبُوحِ الْجَهْلِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَالسَّيْفُ رَاعِي إِبِلِي فِي الْحَلِجِ بِسَلْمِهَا ^(١) إِلَى قَدُورِ تَغْلِي
تَرَقَّلَ فِيهَا بِالْوَقُودِ الْجَزْلِ أَرْقَالُهَا فِي السَّيْرِ تَحْتِ الرَّحْلِ
وَقَالُوا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْإِثْنَانِي وَالرَّمَادِ قَوْلُ ابْنِ هَرْمَةَ ^(٢) :

نَبِكِي عَلَى زَمَنِ وَنَزَى هَامِدِ وَجِوَالِمِ سَقَعِ الْخُدُودِ رِوَاكِدِ
عَرَبِينَ مِنْ عَقْدِ الْقَدُورِ وَأَهْلِهَا فَمَكْفَنَ بَعْدَهُمْ بِهَابِ لَابِدِ
فَوَقَيْنَهُ عَيْثَ الصَّبَا فَسَكَتُهُ دَنْفَ يَرِنُ الدَّمْعَ بَيْنَ عَوَائِدِ ؟

(١) في ديوان ابن المعتز (يسوقها) . (٢) إبراهيم بن علي الكِنَانِي

القرشي ، من سكان المدينة ، مدح الوليد الأموي بدمشق فأجازه .

وقال أبو تمام: أئاف كالخود لظمن حزننا ونوى مثل ما انفصم السوار
ومما يجرى مع ذلك القول في الشمعة: ومن أجود ما قيل فيها قول السرى
• شفاؤها ان مرضت ضرب العنق • وقول الآخر • موقوف بين حريق وغرق •

وقلت: كم قد جنيتُ اللهو من غصنه ما بين أنوارٍ ونوار
من روضة بلل أعطاها سقيطُ أندامٍ وأمطار
وأوجه تحسبها أشمسا في ليل أصداغٍ وأطرار
وشققت عنها ستور الدحى نارٌ على نارٍ على نار
وقلت في السراج:

وحيةٌ في رأسها دُرَّةٌ تعملُ في وجهِ الدحى غرَّةً
وجنتها أكبرُ من رأسها فهي إذا أبصرتها عبره
كم من مرربٍ أهدكت ستره وصيرته في الورى شهره
يرد فيها أصفرٌ في أصفر يقدمها أسودٌ في حمرة

وقال السرى في الكانون:

وكأتما الكانونُ أهبَ جمره أحداق أسدٍ بدرين أسودا
يكسو خدود الشرب من نفحاتها قبل الكؤوس وحسنها توريدا
وقلت في الكانون:

وبركةٌ مترعة الأرجاء فارغةٌ من سبل الأنواء
يفسل فيها حلة الظلماء أقامت النارَ مقامَ الماء
نارٌ كوجه غادة حسناء ترقصُ في مبدعة صفراء
والجرُّ في حلتِه الحمراء مثل بنانٍ عل بالحناء
وأسهم تصبغ بالحناء فها كما ريحانة الشتاء
واشرب عليها حلب الصهباء فشرِبُ صهباء على شقراء

بطرف عين البؤس والضراء

ومن أجود ما قيل في الفحيم قول بعضهم :
 فحيمٌ كيومِ الفراقِ تشعله نارٌ كَنارِ الفراقِ في الكبدِ
 أسود قد صارَ تحتِ حمرتها مثلَ العيونِ اكتحلنَ بالرَّمَدِ

(الفصل الثاني من الباب الخامس)

(في ذكر ألوان الطعام)

العرب تشبه البر بقراضة الذهب وبمناقير النفران ، والنفران جمع نفرة ^(١) وهي عصفورة : أخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال شيخ من أهل البادية ضفت فلاناً فأتاني بخبزة من حنطة كأنها مناقير النفران قد انتفخت في الملة حتى رأيت الحجر يتحدر منها تحدر الحشو من البطان وتراها حين غمرت بالسمن يجول فيها المثراد كما يجول الضبعان في الضفرة ، ثم أنانا بتمر كأنه أعناق الورلان يدخل فيها الفرس . الحشوصغار الابل ، والضفرة الزمل المتعقد . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن عبد الله بن محمد القرشي عن المثني بن معاذ العنبري عن بشر بن الفضل عن عقبة الراسبي قال دخلت على الحسن وهو يأكل خبزاً ولحماً فقال لي هلم إلى طعام الأحرار . والعرب تدعو الخبز أم جابر . وأخبرنا أبو أحمد حدثنا الجلودى حدثني محمد بن زكريا حدثني مهدي بن سابق حدثنا شبيب قال استأذن خالد بن صفوان على يزيد بن المهلب فأذن له فوجده يتغدى فقال يا ابن صفوان أدن فكل فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت؟ فوصف ما أكل ثم قال أتيت بخبزة أرز كأنه قطع العقيق وكانما تجرى عليه سبائك الذهب ثم أتيت بيناني بيض البطون زرق العيون سود المتون حذب الظهور مقفعات الأذنان صغار الرؤوس غلاظ القصر عراض السرر مع بصل

(١) في الأصل (نفرة)

نظيف كأنه قطع الزند وخل تقيف مري حريف ، قال أبو هلال ما سمعت في وصف السمك أحسن من هذا ولا أتم .

وقريب منه ما أخبرنا به أبو خليفة عن ابن سلام عن محمد بن القاسم قال قال الأعمش لجليس له أما تشتهي بناني زرق العيون بيض البطون سود الظهر وورأرغفة باردة لينة وخلأ حاذقا ؟ قال بلى قال فانهض بناقال الرجل فنهضت معه فدخل منزله وقال خذ تلك السلة فكشفها فاذا فيها رغيفان يابسان وسكرجة كامخ وشبت قال فاجعل بأكل وقال لي تعال كل قلت فأين السمك فقال ما عندي سمك وإنما قلت أنتشيه وأنا والله أشتميه . أخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن المغيرة بن محمد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال قال أبو صوارة^(١) وكان بمكة مثل الأشعب بالمدينة في شهوة الأكل : يا أبا سعيد الأرز الأبيض بالابن الحليب بالسكر السليمانى بالسمن السلى ليس من طعام أهل الدنيا . ومن أحسن ما قيل في الرقاق قول ابن الرومي :

ما أنسَ لأنسَ خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقةَ وشكَّ الملح بالبصر
ما بينَ رؤيتها في كفه كرةٌ وبينَ رؤيتها قوراء كالقمر
وقلت : وخبز بأبدي الخابزين كأنه ترأس تعاطيها الجنود جنود
وأطعمة حلت بساحتها المنى إذا جاء من أرداحين يريد
وضمت إلى الخلواء فيه فواكهٌ عليهم أهواءُ النفوس وفود
وقال الصنوبري في رقاق ورؤوس :

غير ماراج من رقاقٍ رقيق فوق هام على عداد الهام
ذاك كلاء ذى الجباب وهاتيك عليه كطير ماء نيام
بالأقبالين وما يمسد بن من مضرم شديد الضرام
كأناس يُوشحون مناديبيل إذا خرجوا من الحمام
ورصف هذه الأبيات غير مختار عندي ولكني أوردتها لجودة معانيها

(١) (أبو صوارة) غير موجودة في الأصل فاستدركناها من العقد الفريد .

وإصابة التشبيهات فيها، وقوله (غير ماراج) فإن الرواج لفظ عامي لا يستعمله الفصحاء.

وقال ابن الرومي :

هامُّ وأرغفةٌ وضاءٌ فخمةٌ قد أخرجت من جاحم فوارٍ
كوجوه أهل الجنة ابتسمت لنا مقرونةً بوجوه أهل النار

وقال غيره في :

وقادم من جاحم فوارٍ محلل الشقشق والأنوار
ملبساً حلةً جلفارٍ يقسر منه جلد النضار

عن بدن أبيض كالخار

ومن النادر البديع في هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودى عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كان عوانة يكثر أكل الرؤوس فقيل له إنها متخمة فقال إنما أكل لحم . وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمعي قال قيل لأعرابي كيف تأكل الرؤوس قال أفك لحبيبه وأنخص عينيهِ وأفص أذنيه وا خديه وأرمى بالدماغ إلى من هو أحوج مني إليه فقيل له إنك لا أحق من ربع قال وما حق ربع إنه ليتجنب العدوى ويتبع المرعى ويرواح بين الأطباء فما حقه باهلاً^(١) وقيل لأحدكم ما أحب الفاكهة إليك قال أما الرطب فالحلم وأما الياض فالتقيد . وقلت في صفة لحم :

تركتُ سمينَ اللحمِ بيضُ بعضه ويحمرُّ بعضُ خلطك الدرَّ بالتبر
وأعرضتُ عن حلواءِ شق فنونها فيبيضُ إلى حمرٍ وحمرٍ إلى صفر
إلى ثردةٍ رقطاءَ قطع فوقها مقفعةٌ خضراءُ في ورق خضر

وحاجة الإنسان إلى الطعام إنما هي من أجل ما يأخذ الهراء من جسده فيحدث فيه خلل فإذا أكل اللحم فقد رم الجسد بما هو من جنسه فكأنه رقع الديباج بالديباج فإذا أكل غير اللحم فكأنه رقع الديباج بالكرباس، وفي الحديث «مَنْ

(١) في أمثال الميداني (وما حق الربع والله إنه ليتجنب العدوى ويتبع أمه في المرعى

ويرواح بين الأطباء ويعلم أن حنينها له دعاء فأين حقه)

ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه .

وأحسن ما سمعت في جمل مشوى قول السرى :

أنتمه معصر البردين أبيض صافي حمرة الجنين
 خلف شهرين على خلفين ثم رعى بعدهما شهرين
 فحسه شبران في شبرين يا حسنه وهو صريع الحين
 بعرفة مرهفة الحدين بكف شاعر الكفمين
 كسارق حد من اليدين ذو طرف يستوقف العينين
 يريك مرآة من اللجين مذهبة المقبض والوجهين
 شق حشاه عن شقيقتين أختين في القد شبيهتين
 كما قرنت بين كاتين أو كرتي مسك لطيفتين^(١)
 ان شين ذورقين ناجمين فانه زين بغير شين

ومن المشهور قول ابن الرومي في دجاجة مشوية :

وصميطة صفراء دينارية^٢ ثمناً ولوناً زفها لك حزور^٣
 طفقت نجول بندر بها حوذاية^٤ فأنى لباب اللوز فيها السكر
 ظللنا نقشر جلدها عن لحمها فكان تبراً عن لجين يقشر^٥
 يا حسنها فوق الخوان وبنتها قدأما بصهرها تنفرغ^٦
 وتقدمتها قبل ذلك ثرائد^٧ مثل الرياض بمثلهن بصد^٨
 ومدققات كلهن مزخرف^٩ بالبيض منها ملبس ومدنر^{١٠}
 وأنت قطائف بعد ذلك لطائف^{١١} ترضى اللهاة بها ويرضى الخنجر
 ضحك الوجوه من الطبر زد فوقها دمع العيون من الدهان تعصر

وقلت في سكباجة :

سكباجة طيبة نشرها كأنها عود على مجمر

(١) سقط هذا العجز من الاصل فاستدر كناه من ديوان السرى المخطوط .

يا حسنها في القدر إذ أقبلت* وهي تحاكي سفظاً الجواهر
ويستنير الشحم في لحمها كغرة في فرس أشقر
يا حسن باذنجانها إذ بدا أسمر وسط المرق الأحمر
كأنه ماء خلوق جرى وجال فيه قطع العنبر
وقال ابن الرومي في دجاجة :

عظيمة الزور بصدر نهد أجريت منها في مجال العقد
مرهفة ذات شباً وحداً لغير ما دخل وغير حقد
بل رغبة فيها شبيه الزهد

وقلت في قدور على نار :

كثبت أستعجل الندامى والنار تستعجل القدورا
وقد أتاني الفلام يسمي بأرغف تشبه البدورا
وعندنا قهوة شمول لو قطعت صيرت شذورا
تكون قبل المزاج ناراً فانقلبت بالمزاج نورا
فانفض إلى سرعة إينا نثر على نفسك السرورا

وقال الشعبي ما رأيت فارساً أحسن من زبد على تمر ، وأنشد لبعض الاعراب :

ألا ليت لي خبزاً تسربل رائباً وخيلاً من البرني فرسانها زبد

ومن عجيب ما روى عن الاعراب في شهوة الطعام ما أخبرنا به أبو أحمد عن

أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال لقيت اعرابياً فقلت
هل لك في ثردة ؟ فتنفس الصعداء ثم قال :

واهاً على محسومة وصحفة مكتومة

بالدسم مؤسومة واللحم مغسومة

قد كملت عراقا وألحفت رقاقا

منقوشة الحواشي بطيب التماشي

بغلفـلـ وحصـ فـكلـ هـنـدئـا وارقصـ

فأخذت بيده وذهبت إلى المنزل فأمرتهم فصنعوا ثردة كما وصف فلما قدمتها ارتعش طرباً ثم قال أي بأبي والله هذه المرقصة ثم وثب على رجله فرقص ساعة وجلس فأكل أربعة أرغفة في ثردة وستة ثم قبل رأسى وقال بأبي أنت وأمي لك حاجة في بدونا؟ قلت تمضى ، ثم قال أي والثردة والله ما دخلت الحضرة إلا في طلبها ثم أنشأ يقول :

عمرتُ بطناً لم يزل مصفراً لم يعرف الرشفَ ولا المزدرا

حتى لقد أوجعت والله ترى ما صنعت كفاى في جنب القرى

وقال ابن خلاد في خبز الأرز والملح :

إذا الطابق المنصوب ألقى ثيابه وقدت جيوب الخبز شبرين في شبر

رغيف بملح طيب النشر خلطة حوارجه تغنيك عن أرج القطر

عليه من الشونيز آثار كاتب وجلباب وراق ينقط بالحبر

ومن سمسم قد زعفرؤه كأنه قراضة تبر في لجينة غر

وقال في الباقلاء :

فلا تنس فضل الباقلاء فانه من المرق قدوافى به الفضل في الزبر

إذا جعلوا فيه سذاباً ونعنماً وجزءاً من الزيت المقدس في الذكر

فما صدف العاج المغشى ظواهرأ بطاشى أفرند معقدة الخصر

بأحسن من مخضرة الفصن إذ بدت بواكر منها في المجاسد والازر

ثم قال : ويالك باذنجانة سارية جلاها نسيم الليل نائرة الفجر

فجاءت بأثواب الحداد مدتها بأذناها العم المعقفة الخضر

وأكرم بها نياً إذا بز ثوبها فأبدت لنا عن واضح الكشح والصدر

فنجعلها شطرين نلقم شطرها وتبعه قبل الاساعة بالشطر

وقال ابن الرومي في الهريسة :

أياهنتاهُ هل لك في هريس
 أمل الليل صانعها بضرب
 وبين يدبك من مرى عتيق
 أرانا حولَ صحفتها (١) بروكا
 فبالله من لقم هنا كم
 تجاذب بالشجيج وبالغطيظ

وقال مسكين الدارمي في قدور على النار :

كأنَّ قدورَ قومي كلَّ يوم
 كأنَّ الموقدين لها جمالٌ
 بأيديهم مغارفٌ من حديدٍ
 وقلت في هريسة :

هريسةٌ بيضاءُ كافوريةٌ
 للمرء فيها حمة مسكية
 تدورُ في مبيضةٍ فضيه
 مثل السوارِ في بدرِ الرُّوميه

ومن عجيب ما قيل في قلة الطعام على المائدة ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني

نصر بن أحمد لنفسه :

من حديثي أن ابن بكر دعاني
 غراني منه منظرٌ ولباسٌ
 مجلسٌ كالجنان حسناً ولكن
 فلمعمرى كان الخوانُ ولكن
 وجفانٍ مثل الجوابي ولكن
 وغضار الألوان جاءت ولكن
 فإذا ما أدرتُ فيها بناني
 لم أجد ما أمه بيناني

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « فنبرك فوق صحفتها بروكا » .

إنني ماضعٌ على غيرِ شيءٍ غيرِ صكِّ الأسنانِ بالأُسنانِ
 ترجعُ الكفُّ وهي أفرغُ منها عندَ مدِّي لها فدأبني وشانِي
 لو ترأني والجوعُ يضحكُ مني عندَ غسلي يديَّ بالأشنانِ
 زادَ في السفرِ مسرفاً مثلما أسرفَ عندَ الطعامِ بالنقصانِ
 والغضاراتُ فارغاتٌ أتتنا وسقانا بالمترعِ الملآنِ
 سكرةً فوقَ جوعَةٍ تركتني راحماً كلَّ جائعٍ سكرانِ
 وقلت في قريبٍ منه :

أتدعوني ونطعمني يسيراً وتسقيني الكثيرَ على اليسيرِ
 فأصبح منك في يومٍ عسيرِ فلا ينفكُ في يومٍ عسيرِ
 هما حرَّانِ من جوعٍ وسكرِ فيالك من سعييرِ في سعييرِ
 أقولُ وفي غضائره عظامٌ أعرق من قدورِ أم قبورِ

ومن جيد ما قبل أيضاً في ذم الدعوة قول أبي الحسن بن طباطبا^(١) وقد
 دماه الكراريسى فقرب إليه مائدة عليها خيار وفي وسطها جامات عليها قطر ولم
 بصحبها بوارد فساها مسيحية لأنها أشبهت موائد النصراري ، وقدم سكباجة بعظام
 عارية فساها شطر نجية ، ثم قدم مضيرة في غضارة بيضاء فساها معقدة^(٢) لأن البياض
 لبس المعقد وهي لآمس الدهن والطيب ، ثم قدم زير باجة بأطراف جدى صفراء
 لقلّة زعفرانها فساها عابدة لأن ألوان العباد صفر ثم قدم لونا بقضبان محلولة فساها
 قنبية ثم قدم لونا بزبيب أسود فساها موكبية ثم قلية بعظام الأضلاع فساها
 حسكية لتشجج لحمها ثم قرب زعفرانية فساها سلحية صفراء ثم قرب فالوذجة قليلة
 الزعفران والملاوة فساها صابونية ثم اعتل على الجماعة بأن ابنه عليل فحولهم من
 منزله إلى بستان قد طبق بالسكرات وأحضرهم جرة منثلة يمزجون منها شرابهم

(١) هو محمد بن إسماعيل العلوي الشاعر المفلق العالم المحقق، من أهل خراسان.

(٢) في معجم الأدباء لياقوت (معتدة).

وإذا ضرب أحدهم الفائط نقلها معه وربط الاكار^(١) بجذائهم عجلة تخور عليهم
خواراً شبيهاً بغناء فاطمة وكان اسمها فاطمة فقال :

يادعوة مغيرة قائمة كأنها من سفر قادمه
قد قدموا فيها مسيحية أضحت على أسلافها^(٢) نادمه
ثم بشر نجيحة لم تزل أيدٍ وأيدٍ حولها حائمه
فلم تزل في لعبها ساعة ثم نفضناها^(٣) على قائمه
وبعدها معتدة^(٤) أختها عابدة قائمة صائمه
في حجرها أطراف موودة قد قتلها أمها ظالمه
والتنبيات فلا تنسها فحيرتى في وصفها دائمه
أقنب ما امتد في أصبعي أم حية في وسطها نائمه
والحسكيات فلا تنس في خندقها أوتادها قائمه
والموكيات بسطانها قد تركت آنافا راغمه
والسلحة الصفراء فاعجب بها إذ سلحتها أنفس هائمه
وجام صابونية بعدها فانخر بها إذ كانت الخائمه
ظل الكراريسى مستعبراً من عصبه في داره طاعمه
وقال إن ابني عليل ولى قيامة من أجله قائمه
وولت داياته حوله فليس إلا عبرة ساجمه
وليس هذا لسوى كسرة تكسر ما زالت له سالمه
وقد أكلناها فكم هيجت من لاطم خدأ ومن لاطمه
ثم هربنا نحو بستانه خوفاً من المنية العازمه
ظللنا لدى الكراث نلهوبه فياله من زهرة قائمه

(١) أى الحراث . (٢) كذا فى الاصل ومعجم الأدباء لياقوت ، وفى نسخة

(إسلامها) . (٣) فى الاصل (ثم نقضينا) . (٤) فى الاصل (مقيدة) .

وغابية اللطفِ ففي جريرةٍ محطومةٍ صارت لنا حاطمه
 نبولُ فيها ثم نسمى بها بالك من عارضةٍ لأئمه
 وعجلة تشدو بأحسانها وكانت الكية الخازمه
 فكان فيما أنشدت أذشدت من لى من بمدك يافاطمه
 نشتم من أسمعتنا صوتها وهى لنا من بمدٍ شامه
 ظلت تبكي شجوناً فما أبصرت من أربابه عالمه
 فلو ترانا وترى زادنا حياً وفت منا نعماً ساممه؟

فلما سمعها الكرار بسى حلف لا يدخل أبداً الحسن ولا أحد من أصحابه داره واتخذ
 دعوة ودعا قوماً من الشطرنجيين فقال أبو الحسن إنما دعاهم لينظروا في الشطرنجية
 التي كنا نفضناها على قائمة هل يمكن فيها من حيلة ، وكتب إليه من وقته أيأنا منها :

طمعت بأحسق في قمرها لو أمكن القمر قمرناها
 فان أقاموها فما ذنبنا كنا على ذلك نفضناها

ثم كتب إليه أبو الحسن :

يا من دعاني أطال الله عمرك لى ولا عدمتك من داعٍ ومحتفل
 ما أنسَ لأنسَ حتى الحشر مائدةً ظلنا لديك بها في أشغل الشغل
 إذ أقبل الجدى مكشوقاً ترائبه كأنه من مطبٍ دائم الكسل
 قد مددنا كنا بدبه لى فذكرنى بيتاً تمثلته من أحسن المثل
 كأنه عاشقٌ قد مدد بسطته يوم الفراق الى توديع مرتحل
 وقد تمدى بأطمار الرقاق لنا مثل الفقير إذا ملاح في سمل
 فليت شعرى ماذا كان أنمله فصار إيمانه قولاً بلا عمل
 مددت كفى فلم ترجع بفائدة كأنما وقعت منه على طلل

وأخذ أبو الحسن قوله شطرنجية من قول جحظة أظنه :

قدّم لى أعظم حولةٍ قد طبخت بالماء فى برمته

فلم أزل زلتُ به نعلهُ ألبُ بالشرنج في قصته
ومن جيد الوصف قول أبي الفضل بن العميد في وسط: أنشدنا أبو أحمد أنشدنا
أبو الفضل بن العميد لنفسه :

ودونك وسطاً أجاد الصناعُ تغيفَ شطريه باهتدمة
فمن صدر فائقةٍ قد نوت ومن عجز ناهضةٍ ملقمة
ودنر بالجوزِ أجوازه ودَرهمَ باللوزِ ما دَرهمه
وقابل زبتونها والجبن صفائح من بيضةٍ مدغمه
فمن أسطيرٍ فيه مشكولة بملح ومن أسطيرٍ معجمه
وطرز بالبقل أعطافهُ فوافي كحاشيةٍ معلمه
مرشا نخال به مطرفا بدبع التغايف والنمنمه
وأنشد في الشواريز (١) :

مامتعة العين من خدِّ تورثدُه يزهي عليك بنخال فيه مركزوز
مستغرق الحسن في توسيع وجنته بدائع بين تسهيم وتطريز
يوفي على القمر الموفى إذا اتصلت يسراه بالسكاس أويمناه بالكوز
انهى اليك من الشيراز إن وضحت في صحنٍ وجنته خيلان شونيز (٢)
وقد جرى الزيتُ في مثنى أمرته فضارعتُ فضةً تعلَى بأبريز
وقال ابن خلاد :

وسوفَ بزورك شيرازها فتقسم بالله أن تكرمه
يمسُ بشونيزة كالعروسِ نخطرُ في الحلة المسهمه
وتفشي موائد قد عوليتُ أطايبَ كالبردة المعلمه
تباهى بجاماتها والفضار كواكب في الليلة المظلمه

وأول من ذكر الفالوذ أبو الصلت جاهلي يذكر عبد الله بن جدعان :

(١) جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج مأوه . (٢) أي الحبة السوداء .

لهُ دَاعٌ بِمَكَّةَ مَشْمَلٌ^(١) وَآخِرُ فَوْقِ دَارَتِهِ^(٢) يَنَادِي
 إِلَى رُدْحٍ^(٣) مِنَ الشَّيْزِيِّ عَلَيْهَا لِبَابُ الْبَرِّ يَلْبِكُ بِالشَّهَادِ
 لِبَابِ الْبَرِّ يَعْنِي النَّشَا^(٤) . وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ جَفْنَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالرَّاكِبُ
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُنْتُ أُسْتِظَلُّ بِجَفْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدَّانٍ فِي الْهَوَا جِرٍ .
 وَمِنَ النَّوَاحِرِ فِي هَذَا مَا أَخْبَرَ نَابَهُ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ رِحَالِهِ قَالَ سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ عَنْ رَأْيِهِ فِي
 الْفَالُوذِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى أَتَى فِرْعَوْنَ بِفَالُوذٍ لَأَمَّنَ بِهِ وَلَكِنَّهُ أَتَاهُ بِعَصَاهُ .
 وَمِنْ مَصِيبِ التَّشْبِيهِ فِيهِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَلَا طِفْهَ بِالشَّهْدِ الْمُخْلَقِ وَجْهَهُ وَإِنْ كَانَ بِاللَّطَافِ غَيْرَ خَلِيقِ
 كَأَنَّ أَصْفَرَارَ اللَّوْزِ فِي جَنْبَاتِهِ كَوَاكِبُ تَبْرِ فِي سَمَاءِ عَقِيقِ
 وَقَلْتُ : حَمْرَاءُ فِي بَيْضَاءَ فَضِيَّةَ وَظَرْفُ كَافُورٍ وَحَشْوُ الْخَلُوقِ
 يَطُوفُ الدَّهْنُ بِأَرْجَائِهِ إِطَافَةَ الدَّمْعِ بِجَفْنِ الْمَشُوقِ
 كَأَنَّهَا اللَّوْزُ بِحَافَاتِهِ أَنْصَافُ دُرٍّ رَكِبَتْ فِي عَقِيقِ
 وَمِنَ الْمَشْهُورِ قَوْلُ ابْنِ الرَّومِيِّ فِي اللَّوْزِ بِنَج :

كَأَنَّهَا قَرَّتْ جَلَابِيْبُهُ مِنْ أَعْيُنِ الْقَطْرِ إِذَا قَبِيَا
 مَسْتَكْتَفٍ الْحَشْوِ عَلَى أَنَّهُ أَرْقُ جَسْمًا مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا
 يَدُورُ بِالنَّفْحَةِ فِي جَامِهِ دَوْرًا تَرَى الدَّهْنَ لَهُ لَوْلَا
 لَوْ أَنَّهُ قَعْرٌ لِرُومِيَّةٍ لَكَانَ مِنْهُ الْوَاضِعُ الْإِشْبَا
 وَقَلْتُ فِي قَطَائِفِ :

كَثِيْفَةُ الْحَشْوِ وَلَكِنَّهَا رَقِيْقَةٌ الْجَلْدِ هَوَانِيَه
 رَشَتْ بِمَاءِ الْوَرْدِ أَعْطَافَهَا مَنشُورَةٌ الطِّيِّ وَمَطْوِيَه

(١) فِي الْأَصْلِ «وَارْتَمَهُ» . (٢) فِي الْأَصْلِ (لِدِيحْرُوح) (٣) اشْمَلٌ : أَشْرَفُ وَالْقَوْمُ فِي
 الطَّلَبِ بَادِرُوا فِيهِ ، وَالرَّحْدَةُ سِتْرَةٌ تَكُونُ فِي مَوْخِرِ الْبَيْتِ أَوْ قِطْعَةٌ تَزَادُ فِيهِ ، وَالشَّيْزِيُّ
 خَشَبٌ أَسْوَدٌ يَتَخَذُ مِنْهُ الْقِصَاعُ ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي نَسَبٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ .

كأنها من طيب أنفاسها
جاءت من السكر فضية
قد وهب الليل لها برده
وقلت في ذم الباذنجان :

قرانا بقولاً إذ أنخنا يابه
وقفنا عليه الركب نسأله القري
فصام وصوم الليل ليس بجائز
أجاز صيام الليل حين استغزاه
فبتنا أديم الليل نطوى على الطوى
وأطعمنا لما مرقنا من الدجى
مدورة سود المتون كأنها
فأبشارها تحكى بطون عقارب

فأصبح فينا ظالماً للبهائم
ونحن على أعناق أغبر قائم
وإن جاز في فقه اللثام الأشائم
تعاور ضيف في دجى الليل عائم
كأننا على غبراء من ظهر واشم
دحاريج لانساق في حلق طاعم
خصي الزنج لاحت تحت فبش قوائم
وأرؤسها تحكى أنوف محاجم^(١)

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي حدثنا نصر قال قال
الأصمعي قيل للفاخرى أى التمر أجود؟ قال الجرد الفطس الذى كأن نواه السن
الطير تضع الواحدة فى فيك فتجد حلاوتها فى كعبك يعنى الصيحاني تمر العلية .
وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن أبى أويس حدثنى أبى حدثنى عبد الله بن
دينار عن عبد الله بن عمر قال اجتمع أربعة رهط سرورى ونجدى وحجازى وشامى
فقالوا تعالوا نتناعت الطعام أى أطيب : قال الشامى إن أطيب الطعام تريدة
موسعة زيتاً تأخذ أذناها فيضطرط عليك أقصاها تسمع لها وقياً فى الخنجره كتفحم
بنات الخاض فى الخرف ، قال السروى ان أطيب الطعام خبز بر فى يوم قر على
حمر عشر موسع سمناً وعسلاً . فقال الحجازى أطيب الطعام خنس فطس باهالة
حس يغيب فيها الضرس . فقال النجدى أطيب الطعام بكر سنمة مقبضة نفسها

(١) تقدمت هذه الايات .

غير ضمنه في غداة شعبة بشفار خدمه في قدور جذمه . ثم قال الشامي دعوني أنت
لكم الطعام إذا أكلت فأبرك على ركبتيك وافتح فك وأجحظ عينيك وامرح أصابعك
وعظم لعمتك واحسب نفسك . قال عبد الله بن دينار ما سمعت ابن عمر حدث هذا
الحديث قط فبلغ قول الشامي « واحسب نفسك » إلا ضحك . وقلت في عصيدة :

وعدتُ عَصِيدَةً شَقْرَاءَ تَحْكِي طَرَارَ الصَّبْحِ فِي نَوْبِ الظَّلَامِ
تراها حين تَبْرُزُ فِي ظِلَامِ كَرَفِ الطَّرْفِ فِي زَمَنِ قَتَامِ
كذى دَلَّ عَلَيْهِ مَعْصِرَاتُ يَدُلُّ عَلَى المَشُوقِ المِستَهَامِ
فلما اب صبا قلبي إليها ومدت نحوها عين اهتمامي
تقاصرَ دونها كفايَ حتى كَأَنَّ الدَّبْسَ علقَ بالغمَامِ
فدونَ السجَنِ أطرافُ العوَالِي ودونَ النارِ بَادِرَةٌ الحِسامِ
أنتك عَصِيدَةٌ أم طرفُ سَلْمَى فليسَ يزورُ إلا فِي المَنَامِ
وقلت في سمكة طرية :

يَقْبِضُ للمَكْتُوبِ ماجرٌ حتفه فجازَ بنا فِي الغَيْضِ شراً مجازِ
بعثنا اليه ينسر الباز فأنثى إينا بظهيرٍ مثل جَوْجُو بازِ
فأطفا نيرانَ الطَاهَةِ كأنها سحابٌ يسح الودق فوق عزازِ
العزاز: الأرض الصلبة . وقال كشاجم في السمك :

ومحجوبة في البحر عن كل ناظرٍ ولكنها في حجبتها تتخطفُ
أخذنا عليهنَّ السبيلَ بأعينٍ رواددٍ إلا أنها ليسَ تطرفُ
فجاءَ بها بيض المتونِ كأنها خناجرٌ في أيماننا تتعطفُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن القاسم عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد
وهو يأكل الفالوذ فقال يا أصمعي هل قالت العرب في هذا شيئاً ؟ فقال يا أمير
المؤمنين وأنى لها هذا ولكن قالت فيما دونه ، قال وما قالت ؟ قال قال مُرَرْدُ (١)

(١) في الأصل « مرز » وفي المعقد القريد طبعة بولاق « مرزود أخي سماح »

ابن ضرار أخو الشماخ :

ولما غدت أُمى تزورُ بناتها أغرتُ على العمم الذي كان يمنع
خلطتُ بصاعى حنطة صاعَ عجوة إلى صاعِ سمنٍ فوقها بستربع
ودبلتُ^(١) أمثالَ الأثافي كأنها رؤوسُ نقادٍ قُطعت يومَ تجمِع^(٢)
وقلتُ لبطنى أبشرى اليومَ انه حمى آمنًا مما تفيدُ وتجمع
فانْ تكُ مصفوراً فهذا دواؤهُ وانْ تكُ جوطاناً فذا يومَ تشيع
فضحك الرشيد وقال يا أصمى مال الدنيا ليس فيها مثلك حسن ، فدعوت له وفضلته
على الملوك بالعلم ، فقال يا أصمى نحن كل يوم نشيع

ومما يجرى مع هذا القول في الرجا : فمن أجود ما قيل فيها ما أنشدناه أبو أحمد :

عجبتُ من سائرة لا تَبْرَحُ ينهالك عن ركوبها من ينصحُ
دائبة تسمى بحيثُ نصبحُ

والحمد لله وحده .

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في ذكر الشراب وما يجرى معه من رقيق المعاني)

للقدما في صفة الخمر قول الأعشى ◦ تريك القذى من دونها وهى دونه ◦
يريد أنها من صفاتها تريك القذى عالية عليها وهى في أسفلها
ومن أطرف ما قيل في صفا الخمر قول أبى نواس :
ترى حيثما كانت من البيتِ مشرقا ومالم تسكن فيه من البيتِ مغربا

وهو تصحيف على ما في مقدمة ◦ القصد والأهم في التعريف بأنساب العرب
والمعجم لابن عبد البر ◦ (١) دبل اللقمة : جمعها بأصابعه وكبرها ، وفي العقد الفريد
طبع بولاق ◦ وذيلت ◦ وهو تصحيف ، وفي العقد اختلاف في بعض الألفاظ
(٢) كذا في لسان العرب ، وفي الأصل « ما تجمِع »

إذا عبَّ فيها شاربُ القومِ خلتهُ يقبلُ في داجٍ من الليلِ كوكبا
أخذه ابنُ الرومي فقال وأحسن :
ومهفف نمتُ محاسنهُ حتى تجاوزَ منيةَ النفسِ
وكأنهُ والكأسُ في فيه قمرٌ يقبلُ عارضَ الشمسِ
فجعل الشاربُ قمرًا وليس هذا في بيتِ أبي نواس . وقال أبو نواس يذُكر صفاء
الخمر ورقتها وحبابها :

فإذا ما اجتليتها فهباءُ يمنعُ الكفَّ ما يبيحُ العيونَا
ثم شجتُ فاستضحكت عن جمان^(١) لو نجم منَ في يدٍ لاقتنينا^(٢)
في كؤوسٍ كأنهنَّ نجومٌ دثراتُ^(٣) بروجها أيدينا
طلعاتُ مع السقاةِ علينا فإذا ما غرنَ يغرنَ فينا
لو ترى الشربَ حولها من بعيدٍ قلتَ قومٌ من قرةٍ يصطلونا
وقلت في لطافة الخمر والزجاجة :

قلتُ والراحُ في أكفِ الندامى كنجومٍ تلوحُ في أبراجِ
أمداماً فرطمُ لمدام أم زجاجاً سبكتُمُ في زجاجِ
وكانُ النجومَ والليلُ داجِ نقشُ طاجِ يلوحُ في سقفِ ساجِ
ومن أعجب ما قيل في صفاتها قول الناشي . * فليس شيءٌ عندها إلا القذى *
وقلت : ومشمولة دارت على كؤوسها فرحتُ كأني في مدارِ الكواكبِ
أنازعها بدرًا مع الليلِ طالماً وليسَ بمرودٍ مع الصبحِ غاربِ
وقد شابَ لينا بالشماسِ وإنما تطيبُ لك الصهباءُ من كفِّ قاطبِ
وأنشدني أبو أحمد :

فنبهتني وساقى القومِ بمزجها فصارَ في البيتِ للمصباحِ مصباحُ

(١) في ديوان أبي نواس (عن لآل) . (٢) في الأصل (لضئينا) .

(٣) في الأصل « طلعات » .

قلنا على علمنا والشك يظلمنا أراحنا دارنا أم دارنا الراح
ومثله قول البحري :

فأضاعت تحت الدجنة للشر ب وكادت تضي للمصباح
وأحسن ما وصفت به كأس على فم قول ابن المعتز :
ظبي خلى من الاحزان أو دعنى ما يعلم الله من حزن ومن قلق
كأنه وكان الكأس في فمه هلال أول شهر غاب في الشفق
وقول الآخر :

كأنما الكأس على ثغرها موصولة بالأتمل الخمس
ياقوتة صفراء قد صيرت واسطة للبدر والشمس
قد ذهبت نفسي على نفسها وآفة النفس من النفس
وقلت : فيسقينى ويشرب من عقيق خليق أن يشبه بالخلوق
كأن الكأس من يده وفيه عقيق في عقيق في عقيق

الكأس الحمراء مثل العقيق واليد المحضوبة كالعقيق والشفة مثل العقيق في لونها . وقلت :
ودار الكأس في يد ذي دلال رشيق القند يعرف بالرشيق
يحلى بالتبسم در ثغر تخلله شواير العقيق
رأيت الكأس في يده وفيه وجنح الليل منصرف الفريق
ففي فمه هلال في غروب وفي يده الثريا في شروق
وأحسن ما قيل في الشروق وأتمه قول ابن الرومي وأتى بشيء لم يسبق إليه
وهو تشبيه الحجاب بفلق اللؤلؤ وهو على الحقيقة تشبيهه والناس قبله إنما شبهوه
بالؤلؤ الصحيح ، وهو قوله :

لها صريح كأنه ذهب ورغوة كاللالي الفاق

فشرحت ذلك وقلت :

وكأس تمتطي أطراف كف كأن بنانها من أرجوان

أنازعها على العلاتِ شرباً لهنّ مضاحكٌ من أقحوانِ
 يلوحُ على مفارقتها حجابٌ كأنصافِ الفرائدِ والجمانِ
 وفي هذا زيادة لأن في الحجاب ما هو كبير يشبه بأنصافِ الفرائدِ وهي كبار
 اللؤلؤ ، ومنه ما هو صغير يشبه بأنصافِ الجمانِ وهي صفار اللؤلؤ :
 وطالعتي الفلامُ بها سحيراً فزاد على السكواكبِ كوكبانِ
 ووافقتها بخدِّ أرجوانِ وخالفها بفرعِ أرجوانِ
 وأغرب ما قيل في الحجاب قول أبي نواس :
 فإذا علاها الماءُ ألبسها حبيباً كمثلِ « جلاجلِ الجبلِ
 حتى إذا سكنتُ جوامحها كتبتُ بمثلِ اكراعِ النملِ
 ومن غريب ذلك وبديعه قول الأول ويقال انه ليزيد بن معاوية :
 وكأس سبأها البحرُ من أرضِ بابلِ كرقعةِ ماءِ المزنِ في الأعينِ النجلِ
 إذا شجها الساقِ حسبتُ حبابها عيونَ الدبا من تحتِ أجنحةِ النملِ
 وأبدع ما قيل في الحجاب قول أبي نواس :
 قامت نربني وأمرُ الليلِ مجتمِعِ صبحاً تولدَ بينَ الماءِ واللهبِ (٢)
 كأنَّ صغرى وكبرى من فواقها حصباءُ دُرٍّ على أرضِ من الذهبِ
 وخطأه النحويون في قوله « كبرى وصغرى من فواقها » ، أخذه ابن المعتز فقال :
 يا خابلي (٣) سقياني فقد لا حَ صباحٌ وأذنَ الناقوسُ
 من كبتِ كأنها أرضُ نبرِ في نواحيه لؤلؤٌ مفروسُ
 وقلت : راح إذا ما الليلُ مدَّ رواقه لاحتَ تطرُّزُ حُلَّةِ الظلما
 حتى إذا مسَّ جت أراك حبابها زهراتِ أرضِ أو نجومِ سما
 وقلت في المعنى الأول :

(١) في الأصل « نمشاً كمثل » وفي ديوان أبي نواس « حبيباً شبيهه » .
 (٢) في الأصل « والعنب » . (٣) في ديوان ابن المعتز « يا نديمي »

تَبَيَّتْ لِي اللَّذَاتُ مُعْقودَةَ العَرَى إذا ما أَدَارَ الكَأْسَ أَحورٌ طاقِدُ
 يَدْبُ الدُّجَى عن وَجهِ نارٍ تَحْلَهُ كَأْسٌ لا عُنَاقَ اللَّيَالِي قَلَانِدُ
 وقال ابن المعتز :

قد حثني بالكأسِ أوَّلَ فِجْرِهِ ساقُ علامةٍ دِينِهِ في خِصْرِهِ
 فكانَ حَمْرَةَ لونها من خَدِهِ وكانَ طيِّبَ نَسِيهِما من نَشْرِهِ
 حتى إذا صَبَّ المِزاجُ تَبَسَمَتْ عن ثَفْرِها فحَسِبْتُهُ من ثَفْرِهِ
 وقال : لهُاءٍ فيها كِتابَةٌ عَجَبُ كَمَثَلِ نَقْشٍ في فَصٍّ ياقوتِ
 وقلت : دارَ في الكَأْسِ عَقيقٌ جَرَى واطفُ الدُّرِّ عليه فَطَفَحَ
 نصبُ الساقِ على أَقداحِها شبكُ الفِضَّةِ تصطادُ الفِرحِ
 وقال ابن الرومي في لطافتها :

لَطَفَتْ فَقد كَلَدَتْ تَكُونُ مُشاعَةً في الجِوِّ مِثْلَ شِعاها ونَسِيهِها
 ومن الاستعارة البديعة قول ابن المعتز : فأضحك عن ثغرها الجباب فم الكأس .
 وقلت : وشراب طوى الزمانَ فحاكى نفسَ الوردِ رِقَّةً ونَسِيما
 إن يكنُ بالعقولِ غيرُ رَحِيمِ فهو بالروحِ لا يزالُ رَحِيما
 ومن أحسن ما قيل في خيال الكأس على اليد قول بعض المحدثين :
 كأنَّ المَديرَ لها باليمينِ إذا قامَ للسقَى أو باليسارِ
 تَدَرَّعَ توباً من الياسمينِ لَهُ فَرْدٌ كم من الجِلنارِ
 وقال السري في معناه :

وبكر شربناها على الوردِ بِكَرَةٍ فكانت لناورداً على خَيْرِ مُورِدِ
 إذا قامَ مبيضُ الجبينِ يُبَدِرُها توَهَّمْتُهُ بِسَمي بِكمِّ مُورِدِ
 وقال البحترى : أَلارِ بما كَأْسِ سَقانِي سَلانِها رَهِيفُ الثَنِي واضِحُ الثَفْرِ أَشْنَبِ
 إذا أخذتْ أَطرافَهُ من قَنوِها^(١) رأيتِ اللَجينَ بِالمدامَةِ يَذْهَبِ

(١) في ديوان البحترى (إذا ذكرت أطرافه من قنورها) .

وقلت: شغلت كلنا يديه بقهوة فقلت أرى قدمين أم قدحين
 كأن خيال الكأس فوق ذراعه غشاء من العقيان فوق لجين
 وقلت أيضاً:

يسمى إلى مقرطق في كفه كأسه وبين جفونه كأسان
 وتناسبت فيها بغير قرابة كف المدير وجنة الندمان

ومن أحسن ما قيل في الزجاجية ورقتها وصفائها قول بعضهم:

رق الزجاج وراقت الحجر وتشابها فتقارب الأمر
 فكانها خمر ولا قدح وكأنه قدح ولا خمر

وقال ابن المعتز في رقة الحجر وصفائها وذكر الكأس ولطافتها:

وكأس تحجب الأبصار عنها فليس لناظر فيها طريق
 كأن غمامة بيضاء بيني وبين الراح تحرقها البروق

وقلت: وندمان سقيت الراح صرفاً وجنح الليل مرتفع السجوف

صفت وصفت زجاجتها عليها لمعني دق في ذهن نصيف

وليس هذا التشبيه بالمختار ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج ما يرى

بالعيان إلى ما يعرف بالفكر^(١). وقال بعضهم:

خفيت على شرايها فكانهم يجدون ربا من إناء فارغ

وقال غيره: وزنا الكأس فارغة وملأى فكان الوزن بينهما سواء

وقال ابن الرومي:

لطفت فقد كادت تكون مشاعة في الجو مثل شعاعها ونسيها^(٢)

وقلت: حملت بخصرها إناء مدامة صفراء تلمع في زجاج أقر

فكانها واللحظ ليس يحورها شمس النهار تختمت بالمشتري

ومن أجود ما قيل في الأباريق وفضول الكأس وأنشده إسحق:

(١) لعل في الأصل نقصاً لأن الشعر المنتقديس من قول المصنف. (٢) تقدم قريباً.

كأن أبريقَ المدام لديهم طباءُ بأعلى الرقمتين قيامُ
وقد شربوا حتى كأن رقابهم من اللين لم يخلق لمن عظامُ
وقد أحسن مسلم في قوله :

إبريقنا سلب الغزاةً جيدها وحكى المديرُ بمقتنيه غزالا
وأحسن الآخر وينسب الى بشار :

كأن إبريقنا والقطرُ في فمه طيرٌ تناول ياقوتاً بمنقار
إلا أن قوله « طير » ردىء والجيد طائر ، وأجازه أبو عبيدة ولم يجزه غيره .

وقلت : تضحك في الكأس أبريقنا وحسب ما يضحكن يبيكنا
كأن أعلاها إذا أسفرت تعقد في الكأس نلاينا
وأول من شبه الأبريق بالأوز لبيد^(١) في قوله ولم يذ كر الخمر :

تُضَمَّنُ بِيضاً كالأوز ظروفيها إذا تاقوا أعناقها والحواسلا
فأخذه بعضهم فقال :

ويوم كظل الرُمح قصرَ طولهُ دمُ الزرق عنا واصطكاكُ المزاهر
كأن أبريقَ المدام عشيّة إوزٌ بأعلى اللف عوجُ الخناجر
وقال أبو الهندي^(٢) :

سيغني أبا الهندي عن وطب سالم أبريق لم يعلق بها وضرُّ الزبد
مقدمة قرأ كأن رقابها رقابُ بناتِ الماء تفزع للرعْد
وقوله (تفزع للرعْد) زيادة على ما تقدم .

وأما فضول الكؤوس فأحسن ما قيل فيها قول أبي نواس :

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهأً تدرىها بالقمى الفوارسُ

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة لبيد بن ربيعة العامري ، الشاعر الحكيم
الجواد الفارس الفتاك المعمر .

(٢) هو غالب بن عبد القدوس الشاعر المطبوع المسرف في وصف الخمر .

فللخمر مازرت عليه جيوبهم
وقال السرى الموصلى :

كان الكؤوس وقد كالت

بفضلاتهن أكاليل نور

جيوب من الوشي مزرورة

فجئت به في بيت وقلت :

وييض نهوى في مزعفرة صفر

وهبت لها قلبي وأخدمتها فكري

فدارت بأقداح كأن فضولها

سوالف تبدو من معصرة حمر

وقال السرى أيضاً :

وصفراء من ماء الكروم شربتها

على وجه صفراء الغلائل غضة

تبدت وقضل الكاس يلعم ساطما

كأثرجة زينت باكاليل فضة

وقال الناشء : ملوك ساسان على كأسها

كانها في عز سلطانها

فخمرها من فوق أذقانها

وماؤها من فوق تيجانها

بصف كأساً نقش فيه صور ملوك ساسان .

ومن أجود ما قيل في صفة صفاء الاناء وحسنه مع صفاء الخمر قول ابن الممتز :

غدا بها صفراء كرخية كأنها في كأسها تنقد

فحسب الماء زجاجاً جرى وتحسب الأقداح ماء جمد

ومن أجود ما قيل في صوت الأباريق ما أنشدناه أبو أحمد :

وقد فجت القيم السماء كأنها يمدد عليها منه ثوب ممسك

ومجلسنا في الجوى بهوى ويرتقى وإبريقنا في الكأس يبيكي ويضحك

ومن أحسن ما قيل في ابتداء السكر قول بعضهم :

ولها ديب بالمعظام كأنه فيض النعاس وأخذاه بالمفصل

عبقت أكفهم بها فكأنما يتنازعون بها سخاب قرنفل

وقول أبي نواس :

فأرسلت من فم الأبريق صافيةً كأنما أخذها بالمين إخفاء
 وقوله: ثم لما مزجوها وثبتت وثب الجراد
 ثم لما شرّبوها أخذت أخذ الرقاد
 ومن شعر المتقدمين قول الأخطل^(١):

أناخوا فجرًا وشاصيات كأنها رجال من السودان لم يتسر بلوا
 « لم يتسر بلوا » تتميم حسن ، والبيت من أحسن ما قيل في الزقاق :

فقلت اصبحوني لا أبا لأبيكم وما وضعوا الاثقال إلا ليفعلوا
 تدب ديباً في العظام كأنه ديب نعال في نقأ يتهيل
 أحسن ما قيل في خروج الحمر من الميزال قول أبي نواس :

وخندريس باكرت حانتها فودجوا خصرها بميزال

فسال عرق على ترائبها كأن مجراه قتل خلخال

وقال ابن المعتز: تخرج من دنها وقد حدثت مثل هلال بدا بتقويس

قوله « بدا بتقويس » فضل لا يحتاج إليه لأن الهلال لا يبدو إلا بتقويس . وقال :

جاءتك من بيت خمار بطيبتها صفراء مثل شعاع الشمس تتقد

فأرسلت من فم الأبريق فانبعثت مثل اللسان بدا واستمسك الجسد

إلا أن هذا في وصفها جارية من فم الأبريق ، وقال في المعنى الأول :

سمى إلى الدن بالميزال ببقره ساق توشح بالمندبل حين وثب

لما وجاها بدت صفراء صافية كأنه قد سيراً من أديم ذهب

وقلت: قد بزل الدن فقومي انظري زنجية تفتل خلخالاً

واسقنيها واشربي واطربي وجرري في الهواء أذبالاً

تنعمي ما استطعت واستمتعي إن وراء المرء أهوالاً

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، يشبهه من شعراء الجاهلية بالناطقة الذياني

كان يمدح الأمويين .

أبلغ ما قيل في الكبر الذي يمتري المنتشى قول الأخطل يخاطب عبد الملك :

إذا ما ندبني على ثم على ثلاث زجاجاتٍ لهن هدير
خرجتُ أجرُ الذيلِ حتى كأنني^(١) عليك أمير المؤمنين أميرُ

وإنما صار ذلك أحسن من غيره لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال أنا أمير

عليك في ملك الحال . والأصل فيه قول حسان :

ونشربها ففتركتنا ملوكا وأسداً ما ينههنا اللقاءُ

ومنه قول الأخطل :

وإذا سكرتُ فأنى ربُّ الخورنقِ والسرير

وإذا صحوتُ فأنى ربُّ الشوبهةِ والبعير

وأجاد ابن الرومي القول في تفسيح أمل السكران حتى يأمل ما لا يجوز وجوده وهو قوله :

ومدامة كحشاشة النفس لطفت عن الإدراك والحس

لنسيبها في قلب شاربها روح الرجاء وراحة النفس

وتعدُّ في أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الأمل

وأجود ما قيل في صفة السكران قول عبد الله بن عبد الله بن عتبة :

وشربك من ماء الكروم كأنه إذا مجَّ صرفاً في الأناة خضابُ

صريع مدام والندامي بلونه وفي الشدق قى سائل ولعاب

وقريب منه قول الآخر في حماد الراوية :

نعم القتي لو كان يعرف ربه ويقم وقت صلته حمادُ

هدلت مشافره المدام وأنفه مثل القدم بسنها الحدادُ

وابيض من شرب المدامة وجهه فيياضه يوم الحساب سواد

وأبداع ما قيل في صفة أنف السكران إذا تورم من السكر قول الآخر :

وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدنان كأن أنفك دمل

(١) في ديوان الأخطل « جعلت أجر الذيل مني كأنني »

ومن جيد ما قيل في مبادرة اللذات قول أحمد بن أبي قنن: ^(١)
 جَدِّدِ اللذاتِ فاليوم جديد وامض فيما تشتهي كيف تريد
 انى ان أمكن يوم صالح ان يوم الشرب لا كان عتيد
 وقال دبك الجن ^(٢) :

تمتع من الدنيا فانك فانى وإنك فى أيدى الحوادثِ فانى
 ولا تنظرن اليوم فى لهُو غد ومن لقد من حادث بأمان
 فانى رأيتُ الدهرَ يسرعُ بالفتى وينقله حالينِ مختلفانِ
 فأما الذى يمضي فأحلامُ نائم وأما الذى يسقى له فأمانى
 ونحوه قول عمران بن حطان ^(٣)

بأسفُ المرءِ على ما فاتهُ من لباتانِ إذا لم يقضها
 وتراهُ فرحاً مستبشراً بالتي أمضى كأن لم يمضها
 عجباً من فرح النفسِ بها بعد ما قد خرجت من قبضها
 أنا عندى ذاق أحلام الكرى تقرب بعضها من بعضها
 وقال ابن المعتز :

وبادر بأيام السرورِ فانها سراغٌ وأيامُ الهمومِ بطاءُ
 وخَلَّ عتابَ الحادثاتِ لوجهها فانَّ عتابَ الحادثاتِ عناءُ
 تعالوا فسقوا أنفساً قبل موتها ليلى ما يأتى وهنَّ وراءُ
 ونحر عجير الدلولى ^(٤) جملة لأصحابه وجعل يشرب معهم ويقول :
 علانى إنما الدنيا عللٌ واركأنى من عتابٍ وعذلٌ
 وانشلا ما غبر من قدرى كما واسقياى أبعده الله الجمل

(١) فى الاصل (ففس) وهو تصحيف . (٢) نسبها فى الأمانى لسعيد بن حميد باختلاف
 فى البيت الثانى . (٣) شاعر فصيح ، طال عمره فضعف عن الحرب وحضورها فاقصر
 على الدعوة والتحرىض بلسانه . (٤) شاعر إسلامى مقل من شعراء الدولة الإسلامية

وقال أحمد المادرائي :

طافر الرّاح ودع نعت الظلّل^١ واعص من لامك فيها وعذل^٢
فادها واسع لها واغربها وإذا قيل نصاباً قل أجل^٣
إنما دنياك فاعلم ساعة أنت فيها وسوى ذلك أمل
ولا بن بسام^(١) :

واصل خليلك إنما السدُّ نيا مواصلة الخليل
وانعم ولا تتعجل السمكروة من قبل النزول
بادر بما تهوى فما تدرى متى وقت الرّجيل
وارفض مقالة لاثم إن الملام من الفضول

وقد أجاد دبك الجن في قوله بصف السكر ، واسمه عبدالسلام بن رغبان الحمصي :

استغفر الله لذنبي كله قتل إنساناً بفـير حله
وانصرم الليل ولم أصله والسكر مفتاح لهذا كله

قد أوطأ إلا أنه أصاب المعنى . وقال أيضاً :

مشعشة^(٢) من كف ظبي كما تناو لها من خده فادارها
فظلت بأيدينا تتمتع روحها وتأخذ من أقدامنا الرّاح نارها
وهذا معنى بديع حسن أخذه أبو تمام منه وكان كثير الأخذ منه فقال :
إذا اليد نالتها بوتر توقدت^(٣) على ضعفها ثم استقادت من الرجل
وبيت عبد السلام أجود منه .

أحسن ما قيل في وصف الساق إذا أخذ الكأس قول الآخر :

يعدّ في الطبقة الخامسة من شعراء الاسلام . (١) هو أبو الحسن علي بن محمد ،

كان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء لسنا مطبوعاً في الهجاء ، يشبه بالخطبة في الهجاء .

(٢) في وفيات الأعيان (موردة من كف) .

(٣) في ديوان أبي تمام (توقرت على ضعفها) .

كأنته والكأس في كفه بدر إلى جانبه كوكب
 وقلت: وطالعتي الغلام بها سحيراً فزاد على الكواكب كوكبان
 ومما يدخل في مختار هذا المعنى قول ابن الرومي * ومهفهف تمت محاسنه *
 وقد مر . ولم أسمع في هذا المعنى أجود من قول الآخر :

فكأنه وكأنها وكانهم قمر بدور على النجوم بأشمس
 ومثله في الجمع قول الآخر :

فالكف عاج والحباب لآلى والراح تبر والزجاج زبرجد
 وأجود ما قيل في قيام السقاة بين الندامي قول ابن المعتز :

بين أقداهم حديث قصير هو سحر ومساواة الكلام
 وكان السقاة بين الندامي ألفات بين السطور قيام
 فشبه اصطفاة الشرب جلوساً بالسطر والسقاة بينهم بالألفات فأحسن .
 ومن البارع الداخل في هذا الباب قول عنتره :

وإذا سكرت فاني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يسكلم
 وإذا صحوت فما أقصر عن ندي وكما علمت شمائلي وتكرمي
 أخذه البحتری فزاد عليه في قوله :

ومازلت خلا للندامي إذا انتشوا وراحوا بدورا يستحشون أنجما
 تكررمت من قبل الكؤوس عليهم فما اسطن أن يحدثن فيك تكرما
 والزيادة أن عنتره ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبحتری ذكر أنه تكرم
 قبل الكؤوس فيبالغ حتى لا يستطيع الكؤوس أن تزيده تكرماً .

ومن أطرف ما قيل في حسن الندامي قول بعضهم :

لقد علم الریحان والراح أني على الكأس والندمان غير جهول
 فان ساء في منهم مقام غفرته واست إلى ماساءهم بعجول
 قوله * لقد علم الریحان والراح اني * في غاية الظرف . وشبيه البيت

الثاني قول الآخر :

ليس من شأنه إذا دارت الكأسُ
قول ما أسخط النديم وإن أسخطه
عند ذلك قول النديم
إلا أن في هذين البيتين عيبن أحدهما التضمين والآخر قوله (عند ذلك)
وهي زيادة لا يحتاج إليها . وقال بجي بن زياد^(١) :

واست له في فضلة الكأس قائلاً
لأصرفه عنها تحس وقد أبي
ولكن أحبيه وأكرم وجهه
وأشرب ما بقي وأسقيه ما شتهي
وليس إذا ما نام عندي بموقظ
ولاسماع يقظان شيئاً من الأذى
وهذا جامع جداً . ومن جيد ما قيل في مدح النديم قول اعرابي وقد قيل له :

كم تشرب من النبيذ ؟ قال على قدر النديم . ومن المنظوم قول بعضهم :
ورضيع أرضعت في كبر السن فأضحى أخاً لدى مطا
لم يكن بيننا رضاعٌ ولكن صبرت بيننا المدام رضا
وهو من قول الناشئ : المدام الرضاع الثاني . ويقولون ذكر الرجل عمره الثاني .
وروى ابن عون عن ابن سيرين أنه قال : لانكرم أخاك بما يشق عليه ، قالوا مغناه

لانسقيه من النبيذ ما لا يقوم به . وجعل آخر النديم قطب السرور في قوله :

أرى للراح حقاً لا أراه
تفسير الراح إلا للنديم
هو القطب الذي دارت عليه
رحا اللذات في الزمن القديم
وقلت : لما تبدى وجهه
كالبدر من خلل الغمام
وكأنه ضوء الصبا
ح يمس في خلع الظلام
آثرت طاعة حبه
واخترت معصية المدام
لا أستفيد من المدا
م سوى منادمة الكرام
فاذا حننت إلى الندام
م فقد حننت إلى المدام

(١) هو أبو الفضل الحارثي شاعر مقل .

خلق النديم اذا صفا أغناك عن صفو المدام
 وفاخر كاتب نديماً فقال : أنا معونة وأنت مؤونة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا
 للشدّة وأنت للرخاء وأنا للحرب وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للخدمة
 وأنا للحظوة وأنت للهينة تقوم وأنا جالس وتحتشم وأنا مؤانس تدأب لرضاتي (١)
 وتسمى لما فيه سعادتى فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين فمثله وقلت :

ما أظفُ النبيذَ خيفةً إثمٍ إنما عفتهُ لفقيدِ النديمِ
 ليس في اللهو والمدامة حظٌ لكريمٍ دونَ النديمِ الكريمِ
 فتخير قبلَ النبيذِ نديماً ذا خلالٍ معطراتِ النسيمِ
 وجمالٍ إذا نظرتَ بديعٍ وضميرٍ إذا اختبرتَ سليمِ
 وأحسن ما قيل في احمرار لون الشارب من الشعر القديم قول الاعشى :
 وسيبئة مما نعتقُ بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها
 الجريال : اللون . وقال بعض المحدثين :

نفضت على الأيام حمرةً لونها وسرت بلذتها الى الأرواح
 وأخذ الناجم قول الاعشى (سلبتها جريالها) فقال :

فخذها مشعشة قهوة تصبُّ على الليل ثمَّوبَ النهار
 ويسلبها الخلدُ جريالها فتهديه للعين يومَ الخمار
 إلا أن هذا فيه زيادة وهو قوله * فتهديه للعين يوم الخمار * وهو في صفة حمرة
 العين من الخمار جيد إلا أن قوله (مشعشة قهوة) ردى . ووجه نظم اللفظ أن يقال
 قهوة مشعشة ، ألا ترى أنك تقول خمر ممزوجة ولا تقول ممزوجة خمر ، وإن كان
 جائزاً فليس كل جائز حسن فاعلم ذلك . وقلت :

شقائق كناظر المحمور وأقحوان كشتور المحور
 وزرجس كأنجم الديجور

(١) في الأصل (تدأب الرضى) .

فشبهت ما يعتري بياض العين والخالق من الحجرة عند الخمار مع سواد الخدقة
بجمرة الشقائق حول سوادها. وقد أحسن أبو نواس في ذكر مراح الكأس حيث يقول:

ألا دارها بالماءِ حتى تليتها فلن تكرم الصهباء حتى تهينها
أغالى بها حتى إذا ما ملكتها أدلت لا كرام الصديق مصونها
وصفراء قبل المزج بيبضاه بعده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لعانها وتحسر حتى ما تقل جفونها
أخذه ابن دريد فقال:

وحمره قبل المزج صفراء بعده بدت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكى وجنة المعشوق صر فأفسلطوا عليها مزاجاً فاكنست لون عاشق
ومن أجود ما قيل في صفة القيان:

بدت في نشوة مثل السهما أدجن إدماجا
يجاذبن من الأردا في كشياناً وأمواجا
وقضبباناً من الفضة قد أثمرت العاجا
ويسترن من الأباشا ر في الديباج ديباجا
وقد لانت من الكور على مفرقها ناجا
فلما طفن بالمجلس أفراداً وأزواجاً
تجاذبن فغنينك أرمالاً واهزجا
وحركن من الأوتار امسداً وادراجا
فلا لوم على قلبك إن هيج فاهتاجا

ومن جيد ما قيل في بحه حلق المعنى قوله أيضاً:

أشتهى في الغناء بحه حلقه ناعم الصوت متعب مكدود
كأنين الحب أضعفه الشوق ق فضاهاى به أنين العود
لأحب الأوتار تعلو كما لا أشتهى الضرب لازماً للعود

وأحبُّ المجنبات كحبي للمبادي موصولة بالنشيد
كهبوب الصبا توسط حالاً بين حالين شدة وركود
وقد أحسن ابن المعتز في صفة أنامل القينة :

وتلفظُ بمناسها إذا ضربت بها وتثرُ بسرهما على العودِ عتابا
وقلت: وهيجت لي من شوقٍ ومن فرح أيدٍ نثرن على الأوتار عتابا
لا عيب في العيش إلا خوف غيبتكم إن السرور إذ ما غبتم غابا
ومن أحسن ما قيل في وصف المغني قول ابن المعتز :

ومغن ملحقٌ كل نفس بهواها وهو للسكر عنبر
لا يمدُّ الصوت فيه نفور لا ولا يقطعنه منه بهر

وأجمع من ذلك قول ابن الرومي :

تنفني كأنها لانفي من سكون الأوصال وهي تجيد
مدً في شأو صوتها نفسٌ كما في كأنفاس عاشقها مديد
ولها الدهر لائمٌ مستزبد ولها الدهر سامعٌ مستعبد
وللناجم من أبيات :

مندرة في كل أصواتها لا كالتى تندرُ في الندره

وقول الآخر :

إذا وقع بالعود زمرنا بالكؤوس (له)

فأما أعجب ما قيل في ذم المغني والتناهي من مماعه فقول ابن الرومي :

فظلتُ أشربُ بالارطال لاطربا عليه بل طلباً للسكر والنوم

ومن أحسن ما قيل في مجالس الشرب قول أبي نواس :

في مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر

وقد أحسن ديك الجن في قوله :

كأنما البيتُ بريحانه ثوبٌ من السندس مشقوق

ومثله قول الصنوبري :

وقد نظم الروض سمطيه من سنان نؤيق إلى زجه
 كفرجك خفتان وشي بد يياض الغلالة من فرجه
 ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين وهما بالاستهجان أولى لا لرداءة
 معناها ولكن لتكلف ألفاظهما ، وليس التكلف أن تكون الألفاظ غريبة
 وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفاً وإن كان ظاهر اللفظ إذا لم يوضع في موضعه
 وخولف به وجه الاستعمال . وقال السري ولا أعرف في معناه أحسن منه يدعو صديقاً له :
 ألت ترى ركب الغمام يساقُ وأدمعه بين الرياضِ مُراقُ
 وقدرق جلاباب النسيم على الثرى ^(١) ولكن جلايب الغيوم صفاق
 وعندى من الرياضِ نوع تحية وكأس كرقراق الخلق دهاق
 وذو أدب جلت صنائع كفه ولكن معاني الشعر فيه دفاق
 لنا أبدأ من ثره ونظامه بدائع حلى مالهن حقاق
 وأغيد مهتر على صحن خده غلائل من صبغ الحياء رفاق
 أحاطت عيون العاشقين بخصره فمن له دون النطاق نفاق
 هذا البيت من قول المتنبي :

وخصر ثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نفاقا
 وقد مر ، وبيت السري أجود منه سبكاً ونظماً ورصفاً :
 وقد نظم المنشور فهو قلادة علينا وعقد مذهب وحناق
 وغرفتنا بين السحائب تلتقى لهن علينا كلمة ورواق
 تقسم زوار من الهند سقمها خفاف على قلب النديم رشاق ^(٢)
 وليس في هذه الآيات عيب إلا هذا الإبطاء ، وهو من أسهل العيوب التي تعترى القوافي عندهم :
 أطجم تلند الخصام كأنها كواعب زنج راعهن طلاق

(١) في ديوان السري «على الندى» (٢) في الأصل (قلب الكريمر رفاق).

أنسن بنا أنس الأمان نجبت
 مواصلة والورد في شجراته
 فزرفنية برد الشراب لديهم
 وقلت : ليل ابعت به لذة
 أصاب فيه الوصل قلب الجوى
 وقد خلطنا بنسيم الصبا
 واكؤس الرّاح نجوم إذا
 تضحك في الكأس أباريقنا
 كأن أعلاها إذا كفرت
 وقلت : هذا حبيب وصول
 وذاك شرح شباب
 وقهوة وغناء
 فخذ نصيبك منه
 وشيمتها غدر بنا وابق
 مفارق إلف حان منه فراق (١)
 حميم إذا فارقهم وغساق
 وبعث فيه العقل والديننا
 وبات فيه الهم مسكينا
 نسيم راح ورياحينا
 لاحت بأيدينا هوت فينا
 وحسبا بضحكن بيكينا
 يعقد الكأس ثلاثينا
 وذا رقيب صروم
 أغر وهو بهم
 وسامر ونسليم
 فليس شيء يسدوم

وهذا من أجمع ما قيل في هذا الباب . وقال الصنوبري :

يوم ذبول مزنه على الثرى منسجبه
 بروقه سافرة وشمسه منتقبه
 فما سي ؟ سماءه ضاحكة منتجبه
 طلبت أقصى أملى منه فنلت الطلبة
 بسيدين ارتقيا منقبة فمنتقبه
 واتفقا في كنية والتقيا في مرتبه
 نشربها عنذراء قد قامت بحق الشربه
 أكرم ذخر ذخر من كرمه في عنبه

(١) في ديوان السري « مفارقة ان حان منه فراق » .

في مجلس أطنا به على الملا مطن به
 أكرم به يوماً مضت ساعاته المستعذبه
 كالحظة مخلوسة وقبلة مستلبه
 وقلت : عندنا طيبٌ وربحاً نٌ ونقلٌ وغناء
 ومن المشروبِ لونا نِ شمولٌ وطلاء
 ومن اللحمِ خليطاً نِ طبيخٌ وشواء
 ومن الحلواءِ ألوا نٌ أحادٌ وثناء
 ولنا غلسانٌ صدق أدباءٌ أرباء
 أرسلوا في الصحن ماءً فكان الصحن ماء
 واتنوا للحسنِ عدواً فخواشيه رداء
 فارشف الهممُ عناءً أما الهمُّ بلاء
 واغتمم لذةً يوم قد تخطاهُ العناء
 فهو بطوبك ويمضي ليسَ للدنيا بقاء

و من المشهور في صفة السكرى قول بعضهم :

مشوا إلى الرَّاحِ مشى الرَّخَّ وانصرفوا والرَّاحُ تمشى بهم مشى الفرازين
 غلوا إليها كأمثال السهام مضت عن القسي وراحوا كالمراجين
 وكان شربهم في صدر مجلسهم شرب الملوكة وناموا كالساكين
 ومثل البيت الأول :

راحوا عن الرَّاحِ وقد بدَّوا مشى الفرازين بمشى الرَّخاخ

ومما يجري مع هذا قول الآخر :

تزيد حسا الكأس السفيه سفاهة وتترك أخلاق الكريم كاهيا
 وإن أقل الناس عقلاً إذا انتشى أقلهم عقلاً إذا كان صحياً

ومن أحسن ما أنشد في الخيش ما أنشدناه أبو أحمد ولم يسم قائله ورأيت

بعد في ديوان السرى :

وقد نشأت بين السكوس غمامة
وعلى بماء الورد خيش كأنه
وقلت : ظبي يروق الناظرين بأبيض
ومقوم مثل القضب مهف
ومفرج من خده ومكفر
وبياض وجهه بالصباح مقنع
علقت أباريق المدام بكفه
وعلا دخان الندى أبيض ساطعاً
فكأنما الكاسات في حافاته

من الندى إلا أنها ليس تهطل
على جلده ثوب العروس المصنفل
وبأسود وبأخضر وبأشكال
ومعوج كالصولجان محبل
ومخلق من شعره ومسلسل
وسواد فرع بالظلام مكال
كالبدري يعلق بالسماك الاعزل
مثل الغمامة غير أن لم يهمل
شقر الخيول نجول تحت القسطل

ومن أبدع ما قيل في لذة الغناء قول الناجم :

شدو^١ ألد^٢ من ابتدا في العين في اغنائها

أحلى وأشهى من منى نفس وصدق رجائها

وأجود ما قيل في الاصفاء إلى الغناء والسكوت له قول الآخر :

وأصغوا نحوها الآذان حتى كأنهم وما ناموا نيام

ومن عجيب المعاني في الغناء قول أبي تمام :

حمدت^١ك ليلة شرفت وطابت أقام سهادها^(١) ومضى كراها

صمعت^٢ بها غناء كان أولى بأن يقتاد^٢ نفسي من عنها

ومسمعة نفوت السمع حسناً^(٢) ولم تصعمه لا يصم صداها

مرت^٣ أوتارها فشتت وشاقت ولو بسطيع^٣ حاسدها فداها^(٣)

ولم أفهم معانيها ولكن ورت^٤ كبدي فلم أجهل شجاها

(١) في ديوان أبي تمام (شكرتك ليلة حسنت وطابت أقام سرورها).

(٢) في الديوان (يحار السمع فيها). (٣) هذا البيت سقط من النسخ

فكنتُ كأنني أعمى معنى بحبِّ الغانياتِ ولإبراهيم
 وكان ينبغي أن يقول (فداها حاسداها) وليس لقوله (فلا يستطيع حاسداها)
 معنى مختار. وأول من أتى بهذا المعنى حميد بن ثور^(١) في قوله:

عجبت لها أني يكون غناؤها فصيحاً ولم تفر^(٢) بمنطقها فما

ولم أرَ محقوراً لها مثل صوتها أحس وأشجى للحزين وأكلم

ولم أرَ مثلي شاقه صوتٌ مثلها ولا عرياً شاقه صوتٌ أعجم

ومن أحسن أوصاف العود إذا احتضن تشبيههم إياه بالولد في حجر أمه

وتشبيه إصلاحه بعرك أذنه فمن أحسن ما قيل في ذلك وأجمعه قول بعضهم:

فكأنه في حجرها ولدٌ لها ضمتهُ بينَ ترائبٍ ولبان

طوراً تدغدغ بطنه فاذا هفا عركت له أذناً من الآذان

ومثله قول الناجم:

إذا احتضنتُ عابثٌ عودها وناغتهُ أحسنَ أن يعربا

تدغدغُ في مهيل بطنه فتسمعنا مضحكاً معجبا

وذكر الضحك مع الدغدغة جيد.

ونظم كشاجم قول الحكماء إن العود مر كب على الطبائع الأربع فقال:

شدت فجلت أسماءنا بمخفف يحدتها عن سرها وتحدته

مشاكلة أوتاره في طباعها عناصر منها أحدث الخلق محدته

فللنار منه الزبر والارض وللريح متناه وللماء مثلته

وكل امرئ يرتاح منه لنفمة على حسب الطبع الذي منه يبعته

شكاضرب يمناها فظلت يسارها تطوقه طوراً وطوراً ترعته

فما برحت حتى أرتنا مخارقا يجاذبه في أحسن النقر عثته

فاستدر كناه من ديوان أبي تمام. (١) الهلالي من فحول المخضرمين والمعرين.

(٢) أي لم تفتح.

وحتى حسبت البابلين القنا ؟ على لفظها السحر الذي فيه تنفته
 وأجود ما قيل في انفاق الضرب والزمر قول هرون بن علي المنجم :
 غصن على دعص نفا منها ل سعى بكأسٍ مثل لمع الآل
 وفاتنات الطرفِ والدلالِ هيف الخصورِ رجيع الا كفال
 يأخذنَ من طرانف الأرمال ومحكم الخفاف والنعال
 يجرى مع الناسِ بلا انفصال مثل اختلاط الخمر بالزلال
 يدعو إلى الصبوة كلَّ سال بصرع كلَّ فاتك بطل
 ومن حرام اللهو والحلال أكرم من مصارع الأبطال
 وقال كشاجم في وصف العود والقينة وأحسن :

تميسُ من الوشى في حُلَّةٍ نجرُّ من فضل أذيالها
 وتحملُ عوداً فصيحَ الجواب بضاهي اللحون بأشكالها
 له عنقٌ مثل ساق الفتاة ودستانةٌ مثل خلخالها
 فظلتُ تطارحُ أوتارَه باهزاجها وبأرمالها
 وتعملُ جساً كجسِّ العروق وتلوى الملاوى بأمثالها

وقيل لرجل أى المغنين أحذق ؟ قال ابن شريح كأنه خلق من كل قلب فهو
 يفتى لكل إنسان بما يشتهي . وأخبرنا أبو القاسم عن المقدي عن أبي جعفر
 عن المدائني قال قال المغيرة للوليد بن يزيد بن عبد الملك أني خارج إلى
 العراق فاستهد ما أحببت فقال إهدلى بربطا من عمل زرلى فأهدى إليه عوداً وكتب
 إليه : قد بعثت به أرسح البطن أحدب الظهر صافي الوتر رقيق الجلد وثيق الملاوى
 كهيئة طاليه وملاحة محتضنه وحسن النشارب به وطرب المستمع له .
 ومن أحسن ما قيل في حسن الضارب ما تقدم ذكره وهو قول الناشئ .
 * وكان ينهاها إذا ضربت بها * وقال ابن الحاجب :

إذا هي جستهُ حكت متطبياً يجيلُ يديه في مجسِّ عروق

وقد استحسن الناس هذا البيت وأجازوه وليس هو في طريقة الاختيار
 لأن الطيب يجس بيد واحدة وكذلك الضارب فليس لذكر اليدين وجه
 ومن جيد ما قيل في صحة عبارة العود عن الغناء قول ابن أبي عون :
 تناجيك بالصوت أو تاره فتوفيك أسنه أحرف
 وأبين منه قول الناجم :

إذا نوت الضرب قبل الغناء أنشدنا شعرها عودها
 وقلت: رب ليل كساك ثوب نعيم بين ساق وسامر ونديم
 وكووس جرت وراء كووس وأعانت على طريق الهموم
 ولنا مزهر كمثل فطيم في يدي مطرب كأنم الفطيم
 وسموا صدره بعاج وذبل فزهته محاسن التوسيم
 مثل أرض تحببت بأفاح أو سماء تسكلت بنجوم
 ذو ملاو سود الفروع ومجر مثل أطراف فرحة ونعيم
 ووساين لانبجول عليه كخلائيل مراد وظلوم
 أحمر الزير أسود الم أحوى هل رأيتم جداول التقويم

ومن جيد ما قيل في سرعة الضرب والجلس قول كشاجم :
 وزى لها عوداً تحركه وكلامه وكلامها وفقاً
 لو لم تحركه أناملها كأن الهواء يفيد نطقاً
 جسته طامة بحالته جس الطيب لمدنف عرقاً
 فحسبت بمناسها تحركه رعداً وختل يمينها برقاً
 وقال بعضهم في رقص:

عجبت من رجليه تدبانه يعلوها طوراً وبعنوانه
 كأن أفعيين تلسعانه

ومما لم يقل مثله في إزالة الحمار بمعاودة الشرب قول الأعشى :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
كل من أخذ هذا المعنى منه قصر في العبارة عنه ولا يجوز أن يؤتى بمثله ، قال
أبو نواس * وداوئي بالتي كانت هي الداء * فحشا الكلام بما لا وجه له وهو قوله
كانت هي الداء ، وقال المجنون * ولا يتداوى شارب الخمر بالخر * ولا يقع هذا مع
قول الأعشى موقماً ، ومثله قول البحترى :

تداويت من ليلي بليلى فما اشتفى من الداء من قد بات بالداء يشتفى
ومن جيد ما قيل في الدنان والزقاق قول الأخطل * أناخوا فخرأ شاصيات *
وقد مر . وقد أحسن ابن المعتز في صفة الدنان :

ودنان كمثل صف رجال قد أقيمواليرقصوا دستبندا
وقال العلوي الأصفهاني في الزق :

عجبت من حبشي لا حراك به لا يدرك النار إلا وهو مذبح
طور أبرى وهو بين الشرب مضطجع رغو الزقاق وطوراً وهو مشبوح
وفي ألفاظ العلوي زيادة على معناه في أكثر شعره ، وأخذ البيت الأول من
قول بشار يصف ركب المرأة :

وصاحب مطرق في طول صحبته لا ينفع الدهر إلا وهو محموم
وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذو الكلامين حذو واحد . وقال ابن المعتز :
إن غدا ملآن أمسى فارغاً كأسير الرق أدى فعتق
وقال القطامي :

استودعتها رواقيداً مقيرة قد برنسن بالطين
مكالحات لحر الشمس قائمة كأنهن نبيط في بساتين
وقال آخر : نحسب الزق إذا أسندته حبشياً قطعت منه الشوى

وقال العلوي الأصفهاني يصف شراباً في ظرف خرف :
محدرة مكنونة قد تكشفت كراهية بين الحسان الأوانس

وأترابها يلبسن بيضاً غلائل هي العرى مقرورٌ بها كلُّ لابس
 مشمشة مرهات ما خلت أنى أرى مثلها عذراءً في زى طانس
 المعنى جيد وفي الألفاظ زيادة وليس لها حلاوة . وقال آخر في الراووق :
 كأنما للراووق^(١) وانتصابه خرطومٌ فيل سقطت أنيابه
 وفيه : سماء لا ذقن هار حريق رَحْب الذرى ينحط فيه الضيق
 ماء حقيق لو جرى العقيق حتى إذا ألهبها التصفيق
 صحنا إلى جيراننا الحريق

وأنشد أبو عثمان :

فبت أرى الكواكب دانياتٍ بنلن أناملَ الرَّجْلِ القصير
 بالكفين عنى وأمسح عارضَ القمر المنير
 أبو حكيم فمن حكمت كأسك فيه فاحكم له باقاة عند العثار . ؟ في ضعف السكر :
 فديتك لو علت بضعف سكرى أما سقيتى إلا بمسقط
 بحسبك أن خارا بجنبي أمرٌ يبابه فأكاد أسقط^(٢)
 ولا بن الرومي في نبيذ حامض :
 قد علمرى اقتصصت من كل ضررٍ كان يجنى عليك في رغفانك
 قد رد دناه فاتخذهُ لسكبا جك والنائبات من أدقانك
 واتخذهُ على خوانك خلا^(٣) فهو أولى بالخل من إخوانك
 أضرستنا حموضةً فيه تحكى رعدة^(٤) تعريك من ضيفانك
 معنى آخر : إسقنى بالكبير إلى كبير إنما يشرب الصغير الصغير
 لا يفرنك يا عبيد خشوعى تحت هذا الخشوع فسق كثير

(١) الراووق : ناجود الشراب الذى يروق به ، والكأس بعينها .

(٢) نسبها الثعالي في النهاية لابن لنكك باختلاف في بعض الألفاظ .

(٣) في ديوان ابن الرومي (أدماً) . (٤) في ديوانه (ضجرة)

وكان ابن عائشة ينشد :

لما رأيتُ الحظَّ حظَّ الجاهلِ ولم أرَ المغبونَ غيرَ العاقلِ
رحلتُ عنا من كرومِ بابلِ فبتُّ من عقلي على مراحلِ
وقال غيره في نبيذ الدبس :

علني أحمد من الدوشاب شربة نفضت سوادَ الشباب
لو تراني وفي يدي قدحُ الدو شاب أبصرت بازباني غراب
وقال بعضهم في كيزان الفقاع :

لستُ بنافِ خمارِ مخمور إلا بصافي الشرابِ مقرر
يطيرُ عن رأسه القناع إذا نفست عنه خناق مزور
يميلُ أعلاه وهو منتصب كأنه صولجان بلور
وقلت : وأبيض في أحشاء خضر كأنها قصارُ رجال في المسول قعود
وقال بعضهم في الطنبور :

مخطف الخصر أجوف جيدة نصف سائر
أنطقته بدا فتى فأن اللحظ ساهر
فحكى عن ضميره ماجرى في خواطره
وقال آخر في المعزقة :

معلنة الأوتارِ سخابة لها حنينٌ كحنينِ الغريب
مكسوة أحشاؤها حلة بيضاء من جلد غزالِ ريب
كأنما نسمة أوتاره نصبن أشراكاً لصيد القلوب

آخر الباب والحمد لله وحده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل السماء سقفاً محفوظاً شديد بنيانها ووثق أركانها فأمنها من التهاافت وبرأها من التفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير وصير لونها أوفق الألوان لأبصار الناظرين وأحلاها في أنفس المتوسمين وحبرها بالنجوم وطرزها بالرجوم وبيض أعلام صبحها وسود ذوائب ليلها وجلا غرة شمسها ومسح صفحة قمرها وقدره في منازلته وخالف بين مناظره لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق . وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء وأكرم الأصفياء وعلى عترته وأصحابه المختارين وسلم تسليماً كثيراً .

(هذا كتاب المبالغة)

(في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر)

وما يجرى مع ذلك : وهو

الباب السادس من كتاب ديوان المعاني - ثلاثة فصول

(الفصل الأول)

في ذكر النجوم

أحسن ما قيل في النجوم من الشعر القديم قول امرئ القيس :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصايحُ رهبانٍ تشبُّ لُقُفَالُ (١)

(١) تشب : أى توقد ، والقفال : اراجعون من السفر .

وقول الآخر :

سربنا بليل والنجوم كأنها قلادة درر سل عنها نظامها
وقد أصاب القائل التشبيه في قوله :

ورأيت السماء كالبحر إلا أن مرسوبه من الدر طافي
فيه ما يملأ العيون كبير وصغير ما بين ذلك خافي

المعنى جيد وليس للألفاظ رونق . وقال ابن طباطبا في معناه :

أحسن بها لججاً إذا التبس الدجى كانت نجوم الليل حصباءها
وأحسن من هذا كله لفظاً وسبكاً مع إصابة المعنى قول ابن المعتز :

كأن سماءها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح
رياضُ بنفسج خضل نداء تفتح بينها نور الأفاقي

إلا أنه مضمن . وقلت :

لبسنا إلى الخمار والنجم غائر غلالة ليلٍ بالصباح مطرر
كأن يياض النجم في خضرة الدجى تفتح ورد بين رند^(١) وعبقر
وقلت : كم سرور زرعته بين الندامى وهموم طردت بين الكؤوس
وتلوح^(٢) النجوم في ظلمة الليل كما ج يلوح في ابنوس
وقلت : بليل كما ترفو الغزاة أسود على أنه من نور وجهك أبيض
كواكبه زهرٌ وصفرٌ كأنها قبائع منها مذهبٌ ومفضض
وفي النجوم ما هو أبيض ومنها ما هو أصفر وأحمر فشبه الأبيض بقبعة
مفضضة والأصفر والأحمر بالذهبة والذهب يوصف بالحمرة والصفرة ، ومثل هذا
التمييز قليل في الشعر . وقال ابن المعتز :

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) في هامش الأصل : ما عليه لو قال « وياض النجوم » لنتم المقابلة ويخلص

من تكلف « وتلوح » .

وخلتُ نجومَ الليلِ في ظلمِ الدُّجى خصاصاً أرى منه النهارَ نقاباً
 وقد أحسن الناثية القول في اشتباك النجوم والتفافها حيث يقول :
 وردت عايبها والنجوم كأنها كتابُ جيشٍ سوّمتُ لكتائب
 وقلت : وأنجم كزرب في شهب كالشهب تجرى في خلال خطب
 والخور ترنو من خلال الحجب

ومن أحسن ما قيل في الثريا قول امرئ القيس :
 إذا ما الثريا في السماء تعرضتُ تعرضَ أثناء الوشاح المفصل
 وقد استحسّن الناس هذا البيت في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه ، ثم
 قال بعضهم وهو معيب لأنّ التعرض إنما هو أن يبدي لك عرضه أي جانبه قال
 والثريا تشق وسط السماء شقاً . وقالوا أحسنه قول ذى الرمة :

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء مخلق
 وقالوا أحسنه قول ابن الطثيرة :

إذا ما الثريا في السماء كأنها جمانٌ وهي من سلكه فببددا
 أنشد عبد الملك بن مروان هذا البيت فقال ما هي بمتبددة وإسكنها مرصوفة .
 قال أبو هلال : وإنما أرادها عند غروبها وهي متبددة عند الغروب ، وامرؤ القيس
 أيضاً أرادها حين تغيب لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب ، وأحسن
 الوصف ما يتضمن أكثر صفات الموصوف ، والوشاح وابن الماء إنما شبها بها من جهة
 البياض فقط . وأخذ معنى ابن الاسلت بعض المحدثين فقال :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقمُ الهلال بالعيد
 تبدو الثريا كفاغرِ شره يفتحُ فاهُ لا مكلٍ عنقود
 والأول أجود لذك وهذا ذكر العنقود ولم يصفه وقد يكون العنقود أسود
 أو أحمر . وكان أبو عمرو بن العلاء : يقول أجود ما قيل فيها قول الآخر :

ولاحت لسا ربها الثريا كأنها على الأفق الغربي قرطٌ مسلسل
أخذه ابن الرومي فقال :

طيبٌ طعمه^(١) إذا مُذقتَ فاهُ والثريا في جانبِ الغربِ قرطٌ
وقد قصر عن الأول أيضاً ، ومثله قول أبي فضلة :

وتأملتُ الثريا في طلوعِ ومغيبِ

فتخيرتُ لها التشبيبهَ بالمعنى المصيبِ

فهي كأسٌ في شروقٍ وهي قرطٌ في غروب^(٢)

وقلت : شربنا والنجومُ مغفراتٍ نمرٌ كما تصدعت الزحوف

وقد أصغت إلى الغربِ الثريا بوالدٍ لو يسلمها الضعيف

وأجود ما قال فيها محدث عندي قول بعضهم :

كانَ الثريا هو دَجٌّ فوقَ ناقةٍ يسيرُ بها حادٍ من الليلِ مزعجِ

وقد لمعتَ بينَ النجومِ كأنها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرجِ

وتروى لابن المعتز ، وفي ألفاظ البيهقيين زيادة على معناهما ، وقال مخد الموصلي :

وترى النجومَ المشرقات كأنها دررُ العصابة

وترى الثريا وسطها وكأنها زردُ الذؤابة

وزرد الذؤابة يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب . وقال ابن المعتز :

فناولنيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

قالوا لو قال باقة نرجس كان أحسن ، فقلت :

أراعى نجومَ الليلِ وهي كأنها بواظرُ ترنو (نحو) رافع سندس

كأنَّ الثريا فيه باقةُ نرجس وما حولها مهنٌ طاقات نرجس

(١) في ديوان ابن الرومي (طيب ريقه) . (٢) في هامش الاصل : وقد وصفها

الصنوبري على كل حالاتها فقال :

في الشرق كأسٌ وفي مغاربها قرطٌ وفي أوسطِ السماء قدم

وأنشدني بعض العمال :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتُهُ بِفَنُونَ مِنْ غِنَاءٍ وَقَهْوَةٍ وَمُجُونَ
وَالثَّرِيَا كَنَسْوَةٍ خَفَرَاتٍ قَدْ تَجَمَّعْنَ لِلْحَدِيثِ الْمَصُونِ
وَقَدْ أَحْسَنَ وَأَطْرَفَ . وَقَدْ أَصَابَ الْقَائِلُ بَعْضَ وَصْفِهَا فِي قَوْلِهِ
كَأَنَّ الثَّرِيَا حَلَّةَ النُّورِ مَنْخَلٌ ° وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

أَلَا فَاسْقِنِيهَا وَالظَّلَامُ مَقْوُوضٌ وَخَيْلُ الدُّجَى نَحْرَ الْمَغَارِبِ تَرَكُضُ
كَأَنَّ الثَّرِيَا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا تَفْتَحُ نَوْرًا أَوْ لَجَامًا مَفْضُضٌ
وَشَبَّهَتْ بِالْقَدَمِ ، قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

قَمٌّ يَا نَدِيمِي نَصْطَبِيحٌ بِسَوَادٍ قَدْ كَادَ يَبْدُو الصَّبْحُ أَوْ هُوَ بَادٍ
وَأَرَى الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا قَدَمٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حَدَادٍ
وَقَلْتُ : كَأَنَّ نَهْوِضَ النُّجْمِ وَالْأَفْقِ أَخْضَرُ تَبْلُجُ تُغْرِ تَحْتَ خَضْرَاءِ شَارِبٍ
وَقَلْتُ : تَلُوحُ الثَّرِيَا وَالظَّلَامُ مُقْطَبٌ فَيَضْحَكُ مِنْهَا عَنْ أَغْرٍ مَفْلَجٍ
تَسِيرُ وَرَاءَهُ وَالْهَلَالُ أَمَامِهَا كَمَا أَوْمَأَتْ كَفًّا إِلَى نِصْفِ دَمَلَجٍ
وَقَلْتُ : شَمْسٌ هَوَتْ وَهَلَالٌ الْأَفْقِ يَنْبَعُهَا كَأَنَّهَا سَافِرٌ قَدَامَ مَنْتَقِبٍ
تَبْدُو الثَّرِيَا وَأَمْرُ اللَّيْلِ يَجْتَمِعُ كَأَنَّهَا عَقْرَبٌ مَقْطُوعَةٌ الذَّنْبِ
وَأَحْسَنَ مَا قِيلَ فِيهَا عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ قَوْلُ الْآخِرِ :

وَكَأَنَّ الصَّبْحَ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الثَّرِيَا
مَلِكٌ أَقْبَلَ فِي التَّاجِ بِفَدَى وَيُحْيَا
وَقَلْتُ : وَبِالثَّرِيَا أَمْرُ الْخُودِ كَأَنَّهَا لَا تَسْمَعُ بِالْوَقُودِ
فِي أَنْجَمِ كَرَّ بَرِّ فِي يَدِ يَلُوحُ فِي التَّصَوِّبِ وَالتَّصْعِيدِ

كشرفت فدن مشيد

وَقَلْتُ : قَمٌّ بَدَّ نَظْرُ الدُّهُومِ بِكَأْسِ وَالثَّرِيَا لِمَفْرَقِ اللَّيْلِ تَاجٌ
وَقَدْ انْجَرَّتِ الْمَجْرَةُ فِيهِ كَسَبِيبٍ يَمُدُّهُ نَسَاجٌ

وقال العلوى الأصفهاني في حسن الاستعارة :

رُبَّ لَيْلٍ وَهَتْ لَأَلَى كُدُوعِي فِيهِ حَتَّى وَهَتْ لَأَلَى الثَّرِيَا
وَرَدَاءُ الدُّجَى لَيْسَ دَرِيْسٌ يَدِ الصَّبْحِ وَهُوَ يَطْوِيهِ طِيَا
وشبه أبو فراس الثريا بالفخذ من النمر وهو من المقلوب لأن أنجم الثريا بيض
والنقط على فخذ النمر سود . وقال السرى :

تَرَى الثَّرِيَا وَالبَدْرَ فِي قَرْنٍ كَمَا يَجِيَا بِنَرَجَسٍ مَلِكِ
أَجُودٍ مَا قِيلَ فِي الجُوزَاءِ مِنَ الشَّعْرِ القَدِيمِ قَوْلِ كَعْبِ الغَنَوِيِّ (١) :
وَقَد مَالَتِ الجُوزَاءُ حَتَّى كَانَهَا فَسَاطِيطُ رَكِبٍ بِالفَلَاحِ نَزُولِ
ولوشبها بفسطاط واحد كان أشبه . ومن شعر المحدثين قول ابن المعتز فيها وفي الثريا :
وَقَد هَوَى النَجْمُ وَالجُوزَاءُ تَدْبَعُهُ كَذَاتِ قِرْطِ أَرَادَتُهُ وَقَد سَقَطَا
مع أن المصراع الأخير غير مختار الرصف ، والنجم اسم مخصوصة به الثريا .
وقال فيها وفي الشعرى العبور :

وَلَا حَتَّ الشَّعْرَى وَجُوزَاؤُهَا كَمَثَلِ رُمْحِ جَرَّةٍ رَامِحِ
وَقَلْتُ : سَقَانِي وَالجُوزَاءُ يَحْكِي شَرْدِقَهَا طِفْوَ غَرِيْقٍ فَوْقَ مَاءِ مَطْحَلِبِ
وهذا وصفها عند طلوعها . وقلت فيها حين توسط السماء :

شَرِبْتَهَا وَالبَيْلُ مُسْتَوْفِزٌ يَجْرُ فِي جَلْبَابِهِ كَوَكْبِهِ
كَأَنَّهَا الجُوزَاءُ رَقَاصَةٌ تَرْقِصُ فِي مَنْطِقَةِ مَذْهَبِهِ
كَأَنَّهَا الجُوزَاءُ طِبَالَةٌ تَحْتَضِنُ الطَّبْلَ عَلَى مَرْقَبِهِ

وقلت فيها عند غروبها :

إِسْقِنِيهَا وَالبَيْلُ فَرَعٌ عَرُوسِ زَيْنُوءٍ بِدُرَّةٍ وَجْهَانِهِ
وَكَأَنَّ الجُوزَاءَ حِينَ تَهَاوَتْ فَارِسٌ مَالٌ عَنِ سِرَاةٍ (٢) حِصَانِهِ
وقال آخر : وَكَأَنَّ الجُوزَاءَ وَاتْرُ قَوْمٍ أَخَذُوا وَتَرَمَ بِقَطْعِ يَدِيهِ

(١) من بني غنى ، وهو في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية . (٢) سراة كل شيء : أعلاه .

وقد استحسن قول العلوي الاصفهاني فيها :
وتلوح لي الجوزاءُ سكرى كلاً ناءت بها الجرباءُ كادت تنثنى
ونطاقها متراصفٌ في نظمه فكأنما انتطقت بقطعة جوشن
الجرباء اسم للسماء ، وفي الفاظها تكاف كما ترى والمعنى جيد .

وقلت : وليل أسود الجلبابِ داج كفرع الخودِ أوعين الغزالِ
كأنَّ كواكبَ الجوزاءِ فيه زميلةٌ^(١) مفعرة البزالِ
تميس بالخلي قرط الثريا إذا انخفضت وتوج بالهلالِ
ركبت صدوره وتركت خيلي توالى تحت أنجمه التوالى
ويخبطن الصباح إذا تبنى كما يكرعن في الماء الزلالِ
ومن ظريف ما قيل في الشعرى قول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر :
أقول لما هاج شوقٌ الذكري واعترضت وسط السماء الشعرى
كأنها ياقوته في مدري ما أطول الليل بسرّ مررى
وقد أكثروا من وصفها بالمبر وأخذوا ذلك من اسمها وهو العبور .

أحسن ما قيل في سهيل وبعده من الكواكب قول بعضهم :
ولاح سهيل من بعيد كأنه شهابٌ ينحيه عن الرشح قابسٌ
وقال ابن المعتز :

وقد لاح للسايرى سهيل كأنه على كل نجم في السماء رقيبٌ

وأجود ما قيل في خفقانه واضطرابه قول جبران العسود :

أراقب لمحا^(٢) من سهيل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل مطرف^(٣)

وقلت : وبسهيل رعدة المزوود^(٤) وهو من الأنجم في مجيد

حل محل الرجل الطريد

(١) في نسخة « زميرة » . (٢) في ديوان جبران العسود « أراقب لوحاً » .

(٣) في ديوانه « بطرف » . (٤) أى المزور .

وقال ابن طباطبا في المعنى الأول :

كأن سهيلاً والنجوم أمامه يعارضها راع أمام قطيع

أجود ما قيل في النسر الواقع قول الحماني :

وركب ثلاث كالأثافي تماوروا دُحى الليل حتى أو مضت سنة البدر

إذا اجتمعوا سميتهم باسم واحد وإن فرقوا لم يعرفوا آخر الدهر

وهو من الغز المليح . ومن جيد ما قيل في الفرقدين قول ابن المعتز :

ورنا إلى الفرقدان كارت زرقاء تنظر من نقاب أسود

وفي الحجرة قول بعضهم :

كأن الحجرة جدول ماء نور الاقحاح في جانبه

وقال ابن طباطبا :

بحجرة كالماء إذ ترقرقا شقت بها الظلما برداً أزرقا

لباس نسكي وشيها المشققا

ونقله إلى موضع آخر فقال :

كأن التي حول الحجرة أوردت لتكرع في ماء هناك صيب

فوجدته متسكلاً جداً فقلت في معناه :

ليل كما نفض الغراب جناحه متبعم الأعلى بهم الأسفل

تبدو الكواكب من فنون ظلامه لمع الأسننة من فتون القسطل

وترى الكواكب في الحجرة شرعاً مثل الظباء كوارعاً في جدول

وقلت : تبدو الحجرة منجر ذوائبها كالماء ينساح أو كالإيم ينساب

وزهرة بازاء البندر واقفة كأنه غرضه بنحوه نشاب

أغرب ما قيل في صفة الهلال من الشعر القديم قول الأعرابي :

كأن ابن مزنته جانحاً قسيط لدى الأفق من خنصر

أي كأن ابن مزنته وهو الهلال لدى الأفق قسيط من خنصر والقسيط القلامة

وهذا البيت على غاية سوء الرصف . وقد أخذهُ ابن المعتز فحسَنه في قوله :
 ولاح ضوء هلال كاذب يفضحه مثل القلامة قد قدت من الظفر
 وقال ابن طباطبا :

وقد غمض الغرب الهلال كأنما يلاحظ منه ناظر ذات أشعار
 كأن الذي أبقى لنا منه أفقه قصيص سوارٍ أو قرأضة دينار
 ولا خير في رصف قوله * كأن الذي أبقى لنا منه أفقه *
 ومن غريب ما قيل فيه وعجيبه قول ابن المعتز :

إذا الهلالُ فارقتهُ ليلته بدا لمن يبصرهُ وينعته

كهامة الاسود شابت هامته

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله إلى موضع آخر فقال :

وقد بدا فوق الهلال كرتة كهامة الاسود شابت لحيته

ومن أطرف ما قيل فيه قوله أيضاً :

أهلاً بفطرٍ قد أنارَ هلاله فالآن فاغدُ إلى المدام وبكر

وانظر اليه كزورقٍ من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وقال : في ليلة أكل المحاق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج

وقلت : لست من عاشق أضل السبيلا فسقى دمه الهطول طولاً

برد الليل حين هبت شمالاً فجمعت الصلاة فيها الشمولا

في هلال كأنه حية الرمل أصابت على البقاع مقبلا

بات في معصم الظلام سواراً وعلى مفرق الدجى إكليلا

وقلت : وكؤوس اذا دجى الليل أسرت تحت سقف مرصع بالاجين

وكانت الهلالَ مرآة تبر تنجلي كل ليلة أصبعين

هذا البيت يتضمن صفته من لدن هو هلال إلى أن يتم . وقلت في هلال شهر رمضان :

جلب الجماعة ضامرٌ بنخل قد خلت فيه لضعفه سلاً

طفلٌ ولكن أمره عجبٌ قد عاد بعد كهولةٍ طفلاً
 قد كان حمل ليلتين فلم تر مثله طفلاً ولا حملاً
 ومن العجائب أن يعود فتى في سبع عشرة ليلة كهلاً
 وقال السري :

تم يا غلامُ فهاها في كأسها كالجلنارة في جني نسرين
 أومارأيت هلال شهرك قد بدا في الأفق مثل شعيرة السكين
 جعل الزجاج كأساً ولا يقال كأس إلا إذا كانت مملوءة ، ولا أعرفه سبق إلى هذا التشبيه . وقال بعضهم :

والجو صافٍ والهلال مشنف بالزهرة الزهراء نحو المغرب
 كصحيفة زرقاء فيها نقطة من فضة من تحت نون مذهب
 جعل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها .

وقلت : والبدر زين للعيون هلاله فرمقن منه حاجباً مقرونا
 يبدو ويبدو النجم فوق جبينه وكأن جنح الليل ينقط نونا
 وقد استحسنت للعلوي الأصفهاني قوله :

لاح الهلال فويق مغربه والزهرة الزهراء لم تغب
 نهوى دوين مغيها فهوت تبكي بدمع غير منسكب
 فسكانها أسماء باكية عند انفصام سوارها الذهب
 ومن البديع قول الآخر :

لم أنس دجلة والهوى متضرم والبدر في أفق الساء مغرب
 فسكانها فيه رداء أزرق وكأنه فيها طراز مذهب

حق الدجى ان تؤنث لانها جمع دجية . وقلت :

كان الهلال الشهر قطعة دملج تلوح على أعضاء معتكر غاس
 نرى الزهرة الزهراء نهوى وراءه كما مر سهم قاصد نحو قرطاس

ومن أجود ما سمعته في الليلة المقمرة ما أنشدني أبو أحمد :

هل لك في ليلة بيضاء مقمرة كأنها فضة ذابت على البلد
وقلت: كم قد تناولت اللذاذ من كذب والدَّهر مسكون الحوادث والنوب
في ليلة قراء نحسب أنها تلتقى على الآفاق أردية قصب
ومن البديع قول ابن المعتز :

ماذقت طعم النوى لو تدرى كأنما جنبي على جمر
في قمر مشرق نصفه كأنه مجرفة العطر
فريسة للبق منهوشة قد ضعفت كفي عن النصر
وقال في ذم القمر :

وبات كما سرَّ أعداؤه إذا رام قوتا من النوم شد
تعززه شررات البعوض في قمرٍ مثل ظهر الجرذ

(الفصل الثاني من الباب السادس)

(في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجري مع ذلك من سائر أوصافه)
فن أحسن ذلك قول ذي الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرعته^(١) بأربعة والشخص في العين واحد
أحم علافي وأبيض صارم وأعيس مهري وأروع ماجد^(٢)
فأخذ ابن المعتز ونقله إلى ما هو أظرف لفظاً منه وهو قوله :

وليل كجلباب الشباب قطعته بفتيان صدق يملكون الأمانيا
جلباب الشباب أظرف من جلباب العروس .

(١) في الأصل (ودعته) والتصحيح من ديوان ذي الرمة .

(٢) أحم : أسود يعني الرجل ، علافي : منسوب إلى علاف حي من العرب يعملون
الرحال ، والأعيس : الأبيض يعني بعيره ، والمهري منسوب إلى مهرة حي من اليمن .

قالوا من أبلغ ما قيل في ظلمة الليل قول مضر بن ربيعي^(١) .
 وليل يقول الناس من ظلماته سواء صحيفات العيون وعورها
 كأن لنا منه بيوتاً حصينة مسوحاً أعاليها وساج كسورها^(٢)
 وقريب من هذا قول الأعرابي : خرجنا في ليلة حندس قد أنفت على الأرض
 أكرعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نتعارف إلا بالأذان . وقلت في هذا المعنى :

وليلة كرجائي في بني زمني مسودة الوجه منسوباً إلى الفحم
 سدت على نظري الرائيين منهجه حتى تعارفنا الأشخاص بالكلم
 لا أسامُ الجهد فيها أن أكابده ولا ترى صاحب الحاجات ذا سام
 أحاول النجح في أمر أزاوله والنجح في دلجات الأبنق الرسم
 ومن جيد التشبيه قول أبي تمام :

إليك هتكنا جنح ليل كأنه^(٣) قد اكتحلت منه البلاد بأتمد
 أخذه من قول أبي نواس :

أين لي كيف صرت إلى حريمي وجنح الليل مكتحل بقار
 وقول أبي تمام أجود لأن الاكتحال بالأتمد لا بالقار ، وأظرف ما قيل في ذلك
 قول مسلم بن الوليد :

أجدك ما تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك تنشر
 صبرت لها حتى نجت بفرقة كغفرة يحيى يوم يذكر جمفر
 وقد طرف القائل في قوله :

لا تدعني لصبوح

إن الغبوق حبيبي

فالليل لون شبابي

والصبح لون مشبي

ومن الاستعارة قول ذي الرمة :

(١) نسب البيتان في زهر الآداب إلى ابن محكان السعدي . (٢) في زهر الآداب

(مسوحاً أعاليها وساجاً) . (٣) كذا في ديوان أبي تمام ، والذي في الأصل (كأنما) .

وَدَوَّيَّةٌ مِثْلُ السَّمَاءِ عَسَفَتْهَا وَقَدْ صَبَغَ اللَّيْلُ الْحَصَى بِسَوَادٍ^(١)

أَخَذَهُ الْبَحْتَرَى فَقَالَ وَقَصْر :

عَلَى بَابِ قَنْسَرِينَ وَاللَّيْلُ لَاطِخٌ جَوَانِبُهُ مِنْ ظَلْمَةِ بَمْدَادٍ

لَيْسَ الْبَيْتُ عَلَى السَّكَّةِ الْمُخْتَارَةِ وَقَوْلُهُ (لَاطِخٌ جَوَانِبُهُ مِنْ ظَلْمَةِ بَمْدَادٍ) مِنْ بَعِيدِ
الِاسْتِعَارَةِ . وَأَخَذَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَوْلَ مُسْلِمٍ ° كَأَنَّ دَجَاهًا مِنْ قُرُونِكَ تَنْشُرُهُ فَقَالَ :

سَقْتَنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرَاهَا شَبِيهَةٌ خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ

فَوَقَعَ بَعِيدًا عَنْهُ وَاخْتَلَفَ فِي النِّزَامِ وَأَفْلَقَ الْقَافِيَةَ . وَقُلْتُ فِي مَعْنَاهُ :

تَسْقِيكَ فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِفَرْعِهَا شَبِيهًا بِعَيْنَيْهَا وَشَكْلًا بِخَدَّيْهَا

فَتَسْكُرُ مِنْ عَيْنٍ وَكَأْسٍ وَوَجْنَةٍ تَحْيِيكَ أَعْقَابَ الْكُؤُوسِ بِوَرْدِهَا

وَمِنْ الْبَدِيعِ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

أَرَقْتُ لَهُ وَالرَّكْبُ مِيلَ رَوْسِهِمْ يَخْوَضُونَ ضَحَضَاحَ الْكُرَى وَبِهِمْ قَرْهُ

عَلَانٌ جَلِيدُ اللَّيْلِ حَتَّى كَانَهُمْ بَرَاةٌ تَجَلَّى فِي مَرَاقِبِهَا قَمَرٌ

إِلَى أَنْ تَعَرَّى النُّجُومُ مِنْ حُلَّةِ الدُّجَى وَقَالَ دَلِيلُ الْقَوْمِ قَدْ نَقَبَ الْفَجْرُ

وَقَدُوا أَدِيمَ الْفَجْرِ حَتَّى تَرَفَعَتْ لَهُمْ لَيْلَةٌ أُخْرَى كَمَا حَوَمَ^(٢) النَّسْرُ

وَقَالَ دِيكُ الْجَنِّ :

سِيرَ ضِيكُ أُنَى مَسْخَطِ فَيْكُ كَاشِحًا وَمَرْتَقِبٌ هَوْلَانُ مَوْتِ مَرْقَبٍ

وَجَانِبُ لَيْلٍ لَوْ تَعْلَقُ قِطْعَةً بِقِطْعَةٍ صَبَحَ لَانْتَتْ وَهِيَ غَيْهَبٌ

وَقُلْتُ : وَمَدَّ عَلَيْنَا اللَّيْلُ مُتَوَبًّا مَنَمَقًا وَأَشْعَلَ فِيهِ الْفَجْرُ فَهُوَ مَحْرَقٌ

وَصَبَحْنَا صَبْحًا كَأَنَّ ضِيَاءَهُ نَعْلَمُ مَنَا كَيْفَ يَبْهَى وَيَشْرَقُ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

نَخَلْتُ الدُّجَى وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ خَيْطَهُ رَدَاءُ مَوْشَى بِالْكَوَاكِبِ مَعْلَمًا

وَهُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)

(١) فِي الْأَصْلِ نَصْحِيفٌ صَحْحَنَاهُ مِنْ دِيْوَانِهِ . (٢) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الْمُعْتَزِ (حَلَقٌ) .

ومن أوصاف الظلمة الذي ليس في كلام البشر مثله قول الله عز وجل
(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ
سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) وقال الأصفهاني العلوي :

وَرُبَّ لَيْلٍ بَاتَتْ عَسَاكِرُهُ تَحْمَلُ فِي الْجَوِّ سَوْدَ رَايَاتِ

لَامِعَةٍ فَرَقَهَا أَسْنَتُهَا مِثْلَ الْأَزَاهِيرِ وَسَطَرًا وَرَوَّضَاتِ

ولست أورد أكثر شعره إلا لاصابة معناه دون لفظه لأن أكثر لفظه متكاف
وجل صنعته فاسد وهذا من العجب لأنه من أكثر الناس نقداً لشعر غيره وقد
صنف كتاب عيار الشعر فأجاده وهو إذا أراد استعمال ما ذكرناه لم يكمل له
فهو كالسن يشخذ ولا يقطع .

ومن أحسن الاستعارة في ذكر الليل قول ابن أبي فتن :

أَقُولُ وَجَنَحُ الدُّحَى مَلْبِدٌ وَلِلَّيْلِ فِي كُلِّ فَجٍّ يَدٌ

وَنَحْنُ ضُجْبِعَانُ فِي مَسْجِدٍ فَلَهُ مَا ضَمَّنَ الْمَسْجِدُ

أَيُّ لَيْلَةٍ الْوَصْلُ لَا تَنْفَدِي كَمَا لَيْلَةُ الْهَجْرِ لَا تَنْفَدُ

وَيَاغِدُ إِنْ كُنْتُ لِي رَاحِمًا فَلَا تَدْنُ مِنْ لَيْلَتِي يَاغِدُ

وقال السري :

وَشَرَّ دَالِصَبِيحٍ عَنَا اللَّيْلُ فَانْضَحَتْ سَطُورُهُ الْبَيْضُ فِي رَايَاتِهِ السُّودُ

وقلت : ليل كفرع الخود تخلفه ضحى زهراء مثل عوارض الزهراء

عبقت بأنفاس الرِّياض كأنما نفص الرقيب غلالة الدلتاء

وقلت : والليلُ يمشي مشية الوئيد في الخضر من لباسه والسود

والصبحُ في أخراه ثانی الجيد

فأما أجود ما قيل في طول الليل من الشعر القديم فقول امرئ القيس :

وليل كموج البحر^(١) أرخى سدوله على بأنواع الهوم ليتلى

(١) أي كموج البحر في شدة ظلمته .

فقات له لما نمطى بصلبه ^(١) وأردف أعجازاً وناء بكل كل
 ألا أيها الليل الطويلُ ألا انجلُ بصبح وما الاصبحُ منك بأمثل
 وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضميناً يلحق به بعض العيب
 وهو من أدل شيء على شدة الحب والهم لانه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما
 يسكبه من الوجد والحزن وجعل النهار لا ينقصه شيء من ذلك وهذا خلاف العادة
 إلا أنه دخل في باب الغلو . والذي أخبرنا بما في العادة الطرماح في قوله :

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا اصبحُ بصبح وما الاصبحُ منك بأروح
 فهذا معنى قول امرئ القيس ، ثم استدرك فقال :

على أنَّ للعينين في الصبح راحةً بطرحيهما طرفيهما كلَّ مطرح
 فجاء بما لا يشك أحد في صحته إلا أن لفظه لا يقع مع لفظ امرئ القيس
 موقفاً والنكاف في قوله « بطرحيهما طرفيهما كل مطرح » بين والكرامة فيه ظاهرة .
 وقال ابن الدمينه في معنى قول الطرماح :

أظللُ نهارى فيكم متعللاً ويجمعى والهم بالليلِ جامع
 وقال المجنون :

يضمُّ إلىَّ الليلُ أطفالَ حبها ^(٢) . كاضمُّ أزرارَ القميصِ البنائِقُ
 جعل ما ينشأ من الهم بالليل أطفالاً ، وفي هذا المعنى يقول النابغة :

كليني لهمَّ بأميةً ناصبٍ وليل أفاويه بطيء السكواكب
 تطاول حتى قلتُ ليس بمنقضٍ وليل الذي برعى النجوم ^(٣) بأيب
 وصدر أراح الليل عازب همهم نضاعف فيه الحزن من كلِّ جانب

(١) وفي رواية « بجوزه » وهو ضعيف المعنى . (٢) في الاصل
 « حبكم » وفي اللسان « حبها » وقال فيه : يروى « أثناء حبها » ويروى « أبناء
 حبها » وأراد بالاطفال الاحزان المتولدة عن الحب . (٣) في ديوان النابغة
 « يهدى النجوم » وهو الذي يتقدمها .

فجعل الهمَّ يأوى إلى قلبه بالليل كأنعم العازبة تريحها الرعاة مع الليل إلى
أما كنها ، وهو أول من ذكر أن الهموم تتزايد بالليل . وقلت :

وذكرني البدرُ والليل دونهُ فبات بجدَّ الشوق والصبر يلعب
كذكرى الحمى والحمى في منعج اللوى وذكر الصبا والرأس أخلس أشيب
فأزدادُ في جنح الظلامِ صبايةً فلا صعبَ إلا وهو بالليلِ أصعبُ
وقلت نورأيتُ الهمومَ بالليلِ أدهي وكذلك السرورُ بالليلِ أعذب
ومما استجدت من شعر أبي بكر الصولى في معنى امرىء القيس قوله :

أسرَّ القلب في هواهُ وسارا وتجنى على ظلماً وجارا
فتهارى أراه للبعدِ ليلاً وأرى للسهادِ ليلى نهارا
أنتَ فرقتَ بالتفرُّقِ صبرى فأعرتنى لمسا عراني اصطبارا

وبستجاد هذا بالاضافة إلى جملة شعره فأما لنفاسته لنفسه فلا .

وقال إسحق الموصلى في معنى النابغة :

إنَّ في الصبحِ راحةً لمحبِّ ومع الليلِ ناشئاتُ الهمومِ
وهذه اللفظة مأخوذة من قول الله تعالى (إنَّ ناشئةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ
وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً) وقال طاهر بن على بن سليمان :

إذا لاح لي صبحٌ فهمى مقسم وفي الليلِ همى بالتفرُّقِ دأطول
ومنى بعض المثقلين بالدين المبتلين بالفقر دوام الليل لما يلقى بالنهار من الغرماء
ولما يحتاج اليه من النفقة في كل يوم فقال :

ألا ليتَ النهارَ يعودُ ليلاً فإنَّ الصبحَ يأتي بالهموم
حوائج لا تطيقُ لها قضاءً ولا رداً وروحات الغريم
قوله « ولارداً » من التتميم الحسن . وقال التنوخى في طول الليل :
وليلة كأنها طولُ الأملِ ظلامها كالدهر ما فيه خللُ
كأنما الاصبحُ فيها باطلُ أزهقه اللهُ لحقَّ فبطلُ

ساعاتها أطولُ من يوم النوى وليلةِ الهجرِ وساعاتِ العذل
 موعدة على الورى ابوابها كأنار لا يخرجُ منها من دخل
 وهذا يستملح وان لم يكن مختاراً من التشبيه لأن إخراج المحسوس إلى
 ما ليس بمحسوس في التشبيه ردى . ومن التشبيه الغريب في ذلك قول بعض العرب :
 ويوم كظلل الرُمح قصرَ طولهُ دم الزرق عنا واصطكاك المزاهر
 وقال البحتري :

وقاسين ليلاً دون قاسان لم تكد أو اخرهُ من بعد قطربه تلحق
 وقال ابن المعتز في نحوه :
 وحلت عليه ليسة أرحبية إذا ما صفا فيها الغديرُ تكدراً
 بعيدة^(١) ما بين البياضين لم يكد يصدق فيها صباحها^(٢) حينَ بشرا
 وقال : بمخشية الاقطار حيلية الصدى معطلة الآيات محذورة القصد
 كأن نجوم الليل في حجراته دراهم زيف لم يجزن على النقد
 يريد أن نجومه واقفة ليست تسير فكأنها دراهم زيفت ليست تنقد . وقد
 أبر بعض المحدثين على من تقدم حيث يقول في طول الليل على دناءة لفظه :
 عهدى بنا ورداء الليل مُسدل والليلُ أطولهُ كاللمح بالبصر
 والآن ليلى من باتوا فديتهم ليلُ الضريرِ فصبحي غير منتظر
 وهذا أبلغ معنى من قول امرئ القيس الذي تقدم إلا أنه لا يدخل في مختار
 الكلام لا بتدال لفظه وزيادته على معناه وسوء صنعته ، والمعنى أن ليله ممدود
 بلا انقضاء كالليل للضرير كله عند الضرير ليل . وقال على بن الخطيب :
 لا أظلم الليل ولا أدعى أن نجوم الليل ليست تعول
 ليلى كما شاءت قصيرُ إذا جادت وإن ضنت فليلي طويلُ
 فأغار عليه ابن بسام فقال :

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع « طوييلة » (٢) في ديوانه (فجرها)

لا أظلم الليلَ ولا أدعى أن نجومَ الليلِ ليست تغور
 ليلى كما شامتُ فإن لم تنزُر طال وإن زارتُ فليلى قصير
 إلا أن بيته الثاني أحسن تقسيماً من بيت الخليل . وسمعت كافي الكفاة يقول
 لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد وقد أنشده . جُلُّهمي وهمتي جرجانُ *
 فقال هذا المصراع خطبه ، قال أبو هلال العسكري وأنا أقول إن قوله :
 ليلى كما شامت خطبه . وقال سعيد بن حميد :

يا ليلُ بلْ يا أبدُ أنا ثمَّ عنك عندُ
 وقال ابن الرومي وأحسن التشبيه * ليست تزول ولكن تزيد * وقلت :
 غابوا فلم أدرِ ما ألقى مس من الوجدِ أوجنون
 ليلى لا بيتني براحاً كأنه أدمُ حرونُ
 أجيلُ في صفحتيه عيناً ما تتلاقى لها جفون
 وملح ابن الأحنف في قوله :

حدَّثوني عن النهار حديثاً وِصفوه فقد نسيتُ النهارا
 وقد أنبأ بشار عن العلة التي يستطال لها الليل وهو السهر فقال :
 لم يطل ليلى ولكن لم أنم * ونفى عن الكرى طيفُ ألم
 ولا أرى في قلة النوم أجود من قول المجنون :

ونوم كحشرِ الطيرِ بتنا ننوشه على شعبِ الاكوارِ والليل غاسق
 على أن زهيراً قد قال * وكصفقة بالكف كان رقادي * والاول أفصح .
 وأنبا المعجاج أيضاً عن العلة التي لها يطول الليل * تطاول الليل على من لم ينام *
 وقال بشار :

لخدِّيك من كفيك في كلِّ ليلةٍ إلى أن ترى ضوء الصباح وسادُ
 وهذا مأخوذ من قول أبي ذؤيب * نام الخلى وبت الليل مشتجرا * والاشتجار
 وضع اليد على الخلد والاعتماد عليها وهو جلسة المتفكر :

نبئت نراعى الليلَ نرجو نفادهُ وليس لليل العاشقين نفاذ
 وقال : خليلي ما بال الدجى لا تزحزحُ وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
 كأن الدجى زادت وما زادت الدجى ولكن أطال الليل هم مبرح
 وقال ديك الجن :

من نام لم يدري طال الليل أم قصرا ما يعرف الليل إلا عاشق مهرا
 وقد أجاد ابن طباطبا العلوى القول في طول الليل وهو :
 كأن نجوم الليل سارت نهارها ووافت عشاءً وهي أنضاء أسفار
 فخيمن حتى تستريح ركابها فلا فلك جار ولا فلك سارى
 وذكر خالد الكاتب^(١) أنه ليس يدري أطال ليله أم قصر لتخيره وتبلده فقال :
 لست أدري أطال ليلى أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى
 لو تفرغت لاستطالة ليلى ولرعي النجوم كنت مخرى
 وتبعه أبو بكر الصولى فقال :
 وطولت ليلى لو دريت بطوله ولكنه يمضى لما بي ولا أدري
 وقال بشار :

طال هذا الليل بل طال السهر ولقد أعرف ليلى بالقصر
 لم يطل حتى دهاني بالهوى ناعم الأطراف فتان النظر
 فكان المهجر شخص مائل كلما أبصره النوم نفر
 وقلت : صيرني البين عرضة الحين لا أربح الله صفقة البين
 قد طال يومي وليلى بهم لما يزالا بهم قصيرين
 كان قليلاً لدى مكثهما فكنت أدعوها الجديدين
 فطال بعد الحبيب لبثهما فصرمت أدعوها عتيقين

(١) هو خالد بن يزيد ، من أهل بغداد ، وأصله من خراسان ، وكان أحد

كتاب الجيش في أيام المعتصم العباسي . أكثر شعره في الغزل .

وقال آخر :

بالبيلة طالت على عاشقٍ منتظرٍ في الصبح ميعادا
 كادت تكون الحول في طولها إذا مضى أولها عادا
 أجود ما قيل في قصر الليل وأشدّه اختصاراً قول ابراهيم بن العباس :
 وليلة من الليالي الزهر قابلتُ فيها بدرها بيدري
 لم تك غير شفقٍ وفجر حتى تولت وهي بكر الدهر
 وقال غيره : وليلة فيها قصر عشاؤها مثل السحر

وهذا على غاية الاختصار . وقال العلوي الاصفهاني في قصر الليل واليوم :

ويوم دجن ذو ضمير متهم مثل سرور شابه عارض غم
 صحوٌ وغيمٌ وضياءٌ وظلمٌ كأنه مستعرٌ قد ابتسم
 مازلتُ فيه عاكفاً على صنمٍ مُهتفٍ الكشح لذيد المتزعم
 تفاحه وقفٌ على ثمٍ وشمٍ وبانه وقفٌ على عصيرٍ وضمٍ
 باطيه يوم تولى وانصرم وجوده من قصر مثل العدم
 وقلت : قصر العيشُ بأكتاف الغضا وكذا العيشُ إذا طاب قصر
 في ليلٍ كأباهيم القطا است تدرى كيف تأتي وتمر
 وقلت : إذا البرق من شرقٍ دجلة ينبري على صفحات البارق المتأنيق
 أشبهه دهرًا أغرًا محجلًا فقمنا به في ظل فينان مورق
 فرّ كرجع الطرف ليس يمسه حنينٌ إلى مخبورة المتعشق
 وقد بعرض المحذور من حيث يرتجى ويمكنك المرجو من حيث تنق

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن سعيد عن أبي عكرمة قال أنشدت
 اعرايياً قول جرير :

أبدل الليل لا تسرى كواكبه أم طال حتى حسبت النجوم حيرانا
 فقال هذا حسن وأعوذ بالله منه ولكن أنشدك في ضده من قولي وأنشدني :

وليسل لم يقصره رقاد وقصره لنا وصل الحبيب (١)
 نعيم الحب أوزق فيه حتى تناولنا جناه من قريب
 بمجلس لذية لم نقو فيه على الشكوى ولاعد الذنوب
 بخلنا أن نقطعه بلفظ فترجت العيون عن القلوب
 فقلت له زدني فما رأيت أظرف منك شعراً ، فقال أمان هذا فحسبك
 ولكن غيره وأنشدني :

وكنت إذا علق حبال قوم صحبتهم وشيمتي الوفاء
 فأحسن حين يحسن محسوم وأجذب الاساءة إن أساؤا
 أشاء سوى مشيبتهم فآتى مشيبتهم وأترك ماأشاء
 وأنشدنا عن محمد بن يزيد :

لله ليلتنا بجو سوية والعيش غض والزمان غرير
 طابت فقصر طيبها أيامها فكأنما فيها السنون شهر
 وأنشدنا عن عون بن محمد بن إسحق الموصلي :

ظلنا في جوار أبي الجناح بيوم مثل سالفة الذباب
 يقصره لنا شغف التلاقي ويوم فراقنا يوم الحساب
 وأخبرنا عنه عن محمد بن الحسن أبي الحسن العتابي عن عيسى بن اسماعيل
 قال سمعت الأصمعي يقول قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت إلى قوله :
 ويوم كاهام القطاة محبب إلى هواه (٢) غالب لي باطله
 رزقنا به الصيد العزيز ولم نكن (٣) كن نبهة محرومة وجبائله
 فيالك يوم خيره قبل شره تغيب وأشبهه وأقصر عاذله

(١) في زهر الآداب « وقصر طوله وصل الحبيب » . (٢) في زهر الآداب

« إلى صباح » . (٣) في الأصل (الصمد العزيز ولم يكن) .

يا ليلة نسي الزمانُ بها احداً كوني بلا فجر
 راح الصباحُ بيدرها ووشت فيها الصبا بمواقع القطر
 ثم انقضت والقلبُ يتبعها في حيث ماسقت من الدهر
 وقلت : وصلت نعم ولكن صلةً تشبه اللحظة في انتقالها
 لست أدري أتممتُ بها أم بزور الزور من خيالها
 ومضى الليلُ سريعاً مثلها أنشطت دهاء من عقابها

الفصل الثالث من الباب السادس

في ذكر الصباح والشمس والنهار وما يجري مع ذلك

أجود ما قيل في الصباح من شعر الاعراب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر
 ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال نزلت بقوم من عُنى وقد جاورا
 قبائل من بني عامر بن صعصعة^(١) فحضرت نادبهم وهناك شيخ طويل الصمت
 عالم بالشعر^(٢) قد جعل الناس يأتونه من كل ناحية فيجلسون اليه وينشدون
 أشعارهم فاذا سمع الشعر الجيد قرع الأرض بمحجته فينفذ حكمه على من حضر منهم
 بشاة^(٣) إذا كان ذا غنم وابن مخاض ان كان ذا إبل فذبح أو نحر لأهل الوادي
 فقال حضرتهم يوماً والشيخ جالس فأنشده بعضهم بصف القطا :

عَدَّتْ في رَعِيلِ ذِي أَدَاوَى مَنُوطَةٍ بِلِبَاتِهَا مَرْبُوعَةٌ^(٤) لَمْ تَمْرُخْ^(٥)
 إِذَا مَسَّرَ بَيْخٌ عَطَّتْ^(٦) بِجَالِ سِرَائِهِ تَمَطَّتْ فَحَطَّتْ بَيْنَ أَرْجَامِ سَرِيخِ
 قَرَعِ الشَّيْخِ الْأَرْضِ بِمَحْجَتِهِ وَهُوَ صَامِتٌ ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ آخِرُ يَصِفُ لَيْلَةَ^(٧) :

- (١) في الأصل (من بني صعصعة) . (٢) في أمالي القائل زيادة (وأيام الناس)
 (٣) في الأمالي (فينفذ حكمه على من حضر بيكر للمنشد ، وإذا سمع مالا يعجبه
 قرع رأسه بمحجته فينفذ حكمه عليه بشاة) . (٤) في الأصل (مدبوعة)
 (٥) تمرخ أي تسلين . (٦) السربخ : الأرض الواسعة ، وعطت : شقت .
 (٧) في الأصل (يصف إبلا) والاستدراك من الأمالي .

كأن شميطة الصبح في أخرياتها ملاء ينقي من طيا لسة خضر
نخال بقاياها التي أسار^(١) الدجى تمد وشيعاً^(٢) فوق أردية الفجر
فقام الشيخ كالمجنون مصلتاً سيفه حتى خالط البرك^(٣) فجعل يضرب يميناً
وشمالاً وهو يقول :

لا تُفرغن في أذنيّ بعدها ما يستفزّ فأريك فقدّها
إني إذا السيف تولى ندّها لا أستطيع بعد ذلك ردّها

قال أبو هلال رحمه الله تعالى وهذا دليل على أن علم الشعر والتميز بين جيده
ورديته كان غريزاً عند أهل البوادي وهم أصوله ومنبعه ومعدنه ، وكان فعل هذا
الشيخ واستفزاز جيد الشعر له قريباً مما روى عن محمد الأمين أنه قال إني لأطرب
على حسن الشعر كما أطرب على حسن الغناء .

ومن غريب ما قيل في الصبح من الشعر القديم قول ذي الرمة ، وقد أجمع الناس
على أنه أحسن العرب تشبيهاً :

وقد لاح للسارى الذى كمل الشرى على أخريات الليل فتقّ مشهراً
كلون الحصان الأنبط البطن قائماً تمايل عنه الجمل واللاون أشقر
وهذا أحسن تشبيهه وأكمله ، الأنبط : الأبيض البطن ، شبه بياض الصبح تحت
حمرته بياض بطن فرس أشقر . أخذه ابن المعتز فقال :

وماراعنا الا الصباح كأنه جلال قباطى على فرس ورد
وقال أو قال غيره :

بدا والصبح تحت الليل بادٍ كمهر أشقرٍ مرخى الجلال
ومن أغرب ما قاله محدث فيه قول ابن المعتز :

(١) السور: البقية والفضلة، يقال اذا شربت فأستر . (٢) الوشيعه : لفيفة من
غزل، وتسمى القصبه التي يجعل النساج فيها لحمة الثوب للنسيج وشيعه . (٣) البرك
إبل أهل الحواء بالغة ما بلغت، وقيل البرك الإبل البروك، وقيل البرك: ألف بعير .

بقدر انما هي من الرضا بموتها لا يكون من رغبة في موتها
 كما انما هو في الرضا بموتها لا يكون من رغبة في موتها
 فلو لم يكن احد الا بالرضا بموتها فيه انما هي من رغبة في موتها
 وذلك لان الرضا بموتها ليس من رغبة في موتها بل من رغبة في موتها
 بعد انما هي من رغبة في موتها بل من رغبة في موتها
 انه رانا والله في كل واحد من الطرفين اذ هو في رغبة في موتها بل من رغبة في موتها
 بل لو لم يكن احد الا بالرضا بموتها فيه انما هي من رغبة في موتها
 ان موتها من رغبة في موتها بل من رغبة في موتها بل من رغبة في موتها
 فلو لم يكن احد الا بالرضا بموتها فيه انما هي من رغبة في موتها بل من رغبة في موتها
 فلو لم يكن احد الا بالرضا بموتها فيه انما هي من رغبة في موتها بل من رغبة في موتها
 فلو لم يكن احد الا بالرضا بموتها فيه انما هي من رغبة في موتها بل من رغبة في موتها

- (١) انما الامور كلها من رغبة في موتها
- (٢) ان الامور كلها من رغبة في موتها
- رغبة في موتها
- (٣) ان الامور كلها من رغبة في موتها
- رغبة في موتها

وقال الشعر دل بن شريك^(١) :

ولاحَ ضوءَ الصبحِ فاستبيننا
وقال التنوخي: والستريا كدواءِ
كما أرتنا المفرق الدهينا
وبدا الفجرُ كسيفٍ
خافق من فوقِ مرقبٍ
وقلت: أدير اعلَى الكأسِ والليلُ راحلُ
وفي أثره للصبحِ بلقُ شوائلُ
كما ابتسمتُ لمياءُ والسترُ مائلُ
ترفع عنه منكب الليلِ فأنجلى
وقال التنوخي :

وبدا الصبحُ كالحسامِ علاه
وقال: أسامره والليلُ أسودُ أورك
علق فوقَ شفرتيه متاع
تبسم محمراً أخلال سواده
إلى أن جلا الاصباح عن أشقرورد
تبسم ورد الخد في الصدغ الجعد

ومن حسن الاستعارة في الشفق قول ابن المعتز :

ساروا وقد خضعت شمسُ الأصيل لهم
وألحاجة لم أضاجع دونها وسنا
حتى توقد في جنح الدجى الشفق
وأبرع بيت قيل في الصبح من شعر المحدثين قول ابن المعتز :

والصبح يتلو المشتري فكأنه
والناس يظنون أنه ابتدأه وابتكره وإنما أخذه من قول ابن هرمة في
عربان يمشى في الدجى بسراج
وصف السحاب والبرق :

تؤام الودق كالزأحـف يزجى خلف اطلاق
صدوق البرق كالسكران يمشى خلفه الصاحي
كأن العازف الحنى أو أصوات نواح
على أرجائه والبرق يهديه بمصباح
وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لاخير فيه والمعنى بارد .

(١) شاعر إسلامي من شعراء الدولة الاموية كان في أيام جرير والفرزدق .

ومن أطرف ما قيل في الليالي الطيبة قول ابن المعتز :

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه حرُّ الموم
وقلت: وقد غدوت وصبغ الليل منتقص وغرّة الصبح مصقول حواشيها
وغربت أنجم الظلماء وانحدرت فشال أرجلها وانحطت أيديها
فأما أجود ما قيل مما أنشدناه أبو القاسم عن عبد الوهاب عن العقدي عن أبي
جعفر عن ابن الاعرابي قديماً في صفة الشمس فقال وهو أحسن وأتم ما قالته العرب فيها :

مخبأة أما إذا الليلُ جنها فتخفي وأما بالنهار فتظهر
إذا انشق عنها ساطعُ الفجر فانبجلى دجى الليل وانجاب الحجاب المستر
وأبس عرض الأرض لو نأ كأنه على الأفق الشرقي ثوب معصر
ولون كدرع الزعفران مشبه شعاع بلوح فهو أزهر أصفر
إلى أن علت وأبيض عنها اصفرارها وجالت كما جال المليح المشهر
ترى الظل يطوى حين تعلق وتارة تراه إذ امالت إلى الأرض ينشر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبين إذا ولت لمن يتبصر
وأفنت قروناً وهي في ذلك لم تزل تموت وتجا كل يوم وتشر

وأنشدناه أيضاً أبو أحمد عن الصولي عن علي بن الصباح عن ابن أبي محلم علي
غير ما تقدم هنا أخذ ابن الرومي قوله * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض *
ومن بديع ما قيل في انقلابها عند الغروب قول الراجز :

صبَّ عليه قانصٌ لما غفل والشمس كالمرآة في كف الأشل
ونحوه قول أبي النجم * وصارت الشمس كمين الأحول *
ولأعرابية تذكر السحاب :

تظالني الشمس من دونها طلاع فتاة تخاف اشتهارا
تخاف الرقيب على سرها وتحذر من زوجها أن يغارا

(فهرست لطيفة الأبحاث من ديوانه الشريف)

١ (١) بناءً عليها سبيل تلك الهدايا تشبهه ريسالة الفقيه

٢ : بالبراهين والبيانات والبراهين

٣ : ما ذكره في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

٤ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

٥ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

٦ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

٧ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

٨ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

٩ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

١٠ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

١١ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

١٢ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

١٣ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

١٤ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

١٥ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

١٦ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

١٧ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

١٨ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

١٩ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

٢٠ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

٢١ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

٢٢ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

٢٣ : في بيانها في شرحه من كلامه في بيانها في بيانها

ومن بديع ما قبل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب :
 سبقت إذا ما الشمسُ عادت^(١) كأنها صلاة طيب ليظها واصفرارها
 ومن جيد ما قبل في النهار قول أعرابي :
 فإذا أشرقَ النهارُ تراها راملات في مثل ماء زلال
 وقلت : وبخبطنَ الصباح إذا تبدي كما يكرعن في الماء الزلال
 وقلت : وعلى الصباح غلالة فضية فيها طراز من خيالك مُذْهَب
 آخر الباب السادس والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
 وعلى آله وصحبه أجمعين .

(انتهى الجزء الأول)

(إستدراكات وتصويبات)

الصفحة	السطر	
٥٨	١٦	هذا البيت يجب أن يكون قبل سابقه .
٦٠	١٩	يقول كان المأمون يتعصب للأوائل من الشعراء ويقول انقضى الشعر مع ملك بني أمية ، وكان عمي الفضل بن سهل يقول الأوائل
٦٣	١٦	وقال غيره
١٥٩	١١	عليت بأن التاب ليست رزية
١٩٨	١٣	من صخر تدمر أو من وجه عنان

(١) في ديوان أبي ذؤيب « آصت » .

{ فهرس الجزء الأول من ديوان المعاني }

	الصفحة
ترجمة المؤلف .	٢
صورة آخر النسخة الشنقيطية .	٦
مقدمة الديوان .	٧
أحسن ما قيل في وصف شعر .	٨
النضر بن شميل والمأمون، والكلام على « سداد » .	١٠
أخلب بيت قاله العرب .	١٠
أنصف بيت قاله العرب ، أقنع بيت للعرب .	١١
أبواب ديوان المعاني .	١٤
الباب الأول : في المديح والتهاني والافتخار .	١٥
الفصل الأول : في المديح .	١٥
الفصل الثاني : في الافتخار .	٧٦
الفصل الثالث : في التهاني .	٩١
الباب الثاني : في أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم والحزم والعقل ، وما يجرى مع ذلك .	١٠٣
الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .	١٥٧
الفصل الأول : في المعاتبات .	١٥٧
الفصل الثاني : في الهجاء .	١٧٠
الفصل الثالث : في الاعتذار .	٢١٦
الباب الرابع : في التشبب وأوصاف الحسان وما يجرى مع ذلك .	٢٢٢
الباب الخامس : في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب وما يجرى مع ذلك .	٢٨٦
الفصل الأول : في ذكر النار .	٢٨٦
الفصل الثاني : في ذكر ألوان الطعام .	٢٩١
الفصل الثالث : في وصف الشراب .	٣٠٥

100	101	102
103	104	105
106	107	108
109	110	111
112	113	114
115	116	117
118	119	120
121	122	123
124	125	126
127	128	129
130	131	132
133	134	135
136	137	138
139	140	141
142	143	144
145	146	147
148	149	150
151	152	153
154	155	156
157	158	159
160	161	162
163	164	165
166	167	168
169	170	171
172	173	174
175	176	177
178	179	180
181	182	183
184	185	186
187	188	189
190	191	192
193	194	195
196	197	198
199	200	201

٥	شيمت	٩	٤٩	أن محل به	٤	١٥٣	اقفروا	١٥	٩٧
٦	وما ظلم	٦	٥٠	وبادرت منه	٦	١٥٣	ولشاوه	١	١٠٠
٨	ويمرع	٧	٥٣	زفر	١٦	١٥٥	تجلى لك	١٧	١٠٠
٨	وتدولا. وعتودا	١٠	٥٤	راضى سنة	١٢	١٥٨	من مواليه	٦	١٠٢
٩	مد العلاء	٧	٥٥	بجنب الستار	١٠	١٥٩	ويلقيك ثواب	٢٠	١٠٢
١٠	٢٠، ١٦ خدى	١٦	٥٦	بطائشة الصدور	١٧	١٧٠	إنك	٥	١٠٦
١٢	مذهبه	٧	١٤٥	دوبل .. دوبل	١١	١٧٣	بلبال	٢٢	١٠٦
١٧	عليم بن جناب	١٨	١٤٩	يزقق	٢٢	١٧٥	آلف	١٠	١٠٩
٢٠	سعيد بن مسلم	٢٠	١٥٠	جذمة	٢	١٧٦	يواكب	٣	١١٠
٢٠	بذى شكر	٧	١٩٦	تغلب	٧	١٧٦	تفديتها	٩	١١٠
٢٠	نحوى جمية	٨	١٩٦	به الدعى	١٦	١٨١	مجدلا	١	١١١
٢٠	فى التطير	١٩	١٩٦	تكن لتكون	٣	١٩٨	مما لم	٢	١١١
٢٠	وأدغمت أبا	١١	١٩٩	أمين	١٠	١٩٨	أغشى	٣	١١١
٢٠	ثنتى عنك	١٥	١٩٩	الدار يطوف	٢	٢٠٦	أخم	٧	١١١
٢٠	فيه مذمان	٦	٢٠١	غادر الرفض	١٥	٢١٣	ما ذلك	٢٠	١١١
٢٠	ظاهرة سوء	٧	٢٠١	وقعتما للحين	١٨	٢١٣	الصقعب النهدي	١٣	١١٢
٢٠	كا تزيد	١٧	٢٠١	زور اذوى السنة	١٩	٢١٣	قد جبت جلبابه	٢١	١١٢
٢٠	بسلب الصفات	١١	٢٠٢	فيزيد فيها	١١	٢٣٣	رفيقة	٦	١١٣
٢٠	عن الأشنادانى	١٥	٢٠٢	أملود	١٦	٢٣٣	بلعام	١٨	١١٤
٢٠	كالذبيح	١٨	٢٠٢	سب .. وطاق	١٧	٢٣٣	يبحر	١٠	١١٥
٢٠	ابن مهرويه	١٩	٢٠٣	يا اسلى	١٩	٢٣٤	عبيد بن الأبرص	٦	١١٨
٢٠	وتنتنى حتى	٢٠	٢٠٦	فيها بدرها	٨	٢٣٧	وأنتى غير	٥	١٢٢
٢٠	كبير الجناح	٢	٢٠٨	الغمرى	١٤	٢٥٣	دجاجة	١٨	١٢٢
٢٠	خامد المصباح	٣	٢٠٨	يذاب بعينى	١٣	٢٥٥	ابن ميادة	٨	١٢٣
٢٠	وسماد الحية	٦	٢١٠	فأسبلت	٤	٢٥٦	عنى الحساب	٥	١٢٦
٢٠	به من دمامته	٣	٢١٢	غضبة	٥	١٧	أنعمة الله	٢٢	١٢٨
٢٠	أظهر فيه	١	٢١٣	تكدر عيشة	١	٤٢	المشقر	٩	١٣١
٢٠	غادية	٨	٢١٤	خَبث	١٤	٧٦	راوية .. ابن	١٣	١٣١
٢٠	ولا تأتبنى	١٧	٢١٥	قعبان	٥	٩٢	تعيب	٣	١٣٢
٢٠	فى بيتى	٧	٢١٦	بخترى	١٥	١٢٥	تجنب	٤	١٣٢
٢٠	وللقارف ذنباً	١٨	٢٢٠	شارب	٤	٢٤٩	حلحلة	٦	١٣٣
٢٠	أرى الراغب إلى	٢	٢٢١	آراؤهم	٥	٤٩	بوانى	٧	١٣٣
٢٠	الهيبة الحية	٤	٢٢١				قول عمارة	٧	١٣٦
							التضافر	١٥	١٥١
							ويهدم صالحى	٣	١٥٣

من المن	٢٩٦	١٥	الموامى الهوامع	٢٦٣	٨	دمع احدره	٢٢٥	١٥
فى السقى	٢٩٦	٤	قوم موسى	٢٦٣	٢٠	عند خود	٢٢٦	١٣
أتعرف من	٢٩٨	١١	كنت فى	٢٦٤	٨	ونبتها قالت	٢٢٨	٨
المعتدة	٢٩٨	١٦	الحسن عليه	٢٦٤	١٤	الحسن بسطة	٢٢٨	٢٢
الكيسة الحازمة	٣٠٠	٣	معاً فلم	٢٦٤	١٧	بيضاء كالفضة	٢٢٩	٤
صادفت منا	٣٠٠	٧	أظرفه	٢٦٥	٢	قاسنى بالبدرقد	٢٣١	٤
وقد تردى	٣٠٠	١٩	لشدهما	٢٦٥	٢٣	حسنه .. حفلت	٢٣٢	١٥
موشى تحال	٣٠١	١٠	الوصل شافيا	٢٦٦	٨	عين تفل	٢٣٧	٦
نغر .. الواضح	٣٠٢	١٧	وأرحم	٢٦٦	١٠	يحتها أحور	٢٤٠	١٣
فدون السمن	٣٠٤	١٠	لم يك	٢٦٦	١٤	مشرب عذب	٢٤١	١
طيف سلبى	٣٠٤	١١	فى الشمس	٢٦٩	١٨	بدلها	٢٤٢	١٤
منسر الباز	٣٠٤	١٤	فغافصاه	٢٧١	٥	وأثنى	٢٤٤	٤
سباها التجر	٣٠٨	١١	ياجنان	٢٧١	١١	زق أمات	٢٤٤	١٤
أرى نجمين	٣١٠	١	يعش .. المنون	٢٧٢	١٠	فأفضيت	٢٤٤	١٦
ووجهة	٣١٠	٥	اقتياد .. صاحبه	٢٧٢	٢٠	قلقت وشحه	٢٤٥	١٩
ذهن لطيف	٣١٠	١٣	بى بستن	٢٧٣	١	تغضبن .. اتعلت	٢٤٦	٨
وقد حجب	٣١٢	١٨	سفة	٢٧٦	١٠	طرة .. طرة	٢٤٧	٧
اله ان	٣١٥	٣	يشنى الجوى	٢٧٧	١٠	أوبالمى	٢٤٧	١٤
لهوآ الى	٣١٥	٦	زف .. خياني	٢٧٧	١٣	قرنوا	٢٤٨	٢٢
ليأتى ما	٣١٥	١٧	معان جياذ	٢٧٧	١٨	أو كالجم	٢٤٩	١
فأزرى	٣١٨	٢	ولاطارقاً	٢٧٢	٢٠	وما سلبى	٢٥٠	١٦
راضعت	٣١٨	١١	ونحن منمترقان	٢٧٨	١٥	وصف الساق	٢٥٠	١٨
على الأجسام	٣١٩	١٣	ليلة القرر	٢٨١	٥	نقطن أذقانا	٢٥١	٣
ذكر مزاج	٣٢٠	٢	حجاماً	٢٨١	١١	القوام والترنج	٢٥١	١٣
يميل	٣٢٥	٥	من نزوح	٢٨٣	١٢	الإمشاشة	٢٥٢	١٠
والارض به	٣٢٦	١٨	فنبهن	٢٨٤	٢	يخرق	٢٥٢	٢١
ابن سريج	٣٢٧	١٥	تنفض	٢٨٥	٨	خلس	٢٥٤	٢١
عمل زلزل	٣٢٧	١٨	وجواثم سفع	٢٨٩	١٩	أطراف خرمة	٢٥٥	٤
فى جس	٣٢٧	٢١	موقوفه بين	٢٩٠	٣	كما سقى	٢٥٦	٦
أحرفه	٣٢٨	٤	تصبغ بالدماء	٢٩٠	٢١	السيف الصقيل	٢٥٦	٢١
بأ يتداوى	٣٢٩	٤	فى جوذابة	٢٩٣	٥	فاض من	٢٥٧	١٢
دكن الظواهر	٣٢٩	١٩	أرج العطر	٢٩٦	١١	كروم المطايا	٢٥٨	١٥
فى تباين	٣٢٩	٢٠				من طيبها	٢٥٩	٦
						يفيم كل	٢٥٩	١١

٢٢٧	٢٢٨	٢٢٩
٢٢٨	٢٢٩	٢٣٠
٢٢٩	٢٣٠	٢٣١
٢٣٠	٢٣١	٢٣٢
٢٣١	٢٣٢	٢٣٣
٢٣٢	٢٣٣	٢٣٤
٢٣٣	٢٣٤	٢٣٥
٢٣٤	٢٣٥	٢٣٦
٢٣٥	٢٣٦	٢٣٧
٢٣٦	٢٣٧	٢٣٨
٢٣٧	٢٣٨	٢٣٩
٢٣٨	٢٣٩	٢٤٠
٢٣٩	٢٤٠	٢٤١
٢٤٠	٢٤١	٢٤٢
٢٤١	٢٤٢	٢٤٣
٢٤٢	٢٤٣	٢٤٤
٢٤٣	٢٤٤	٢٤٥
٢٤٤	٢٤٥	٢٤٦
٢٤٥	٢٤٦	٢٤٧
٢٤٦	٢٤٧	٢٤٨
٢٤٧	٢٤٨	٢٤٩
٢٤٨	٢٤٩	٢٥٠
٢٤٩	٢٥٠	٢٥١
٢٥٠	٢٥١	٢٥٢
٢٥١	٢٥٢	٢٥٣
٢٥٢	٢٥٣	٢٥٤
٢٥٣	٢٥٤	٢٥٥
٢٥٤	٢٥٥	٢٥٦
٢٥٥	٢٥٦	٢٥٧
٢٥٦	٢٥٧	٢٥٨
٢٥٧	٢٥٨	٢٥٩
٢٥٨	٢٥٩	٢٦٠
٢٥٩	٢٦٠	٢٦١
٢٦٠	٢٦١	٢٦٢
٢٦١	٢٦٢	٢٦٣
٢٦٢	٢٦٣	٢٦٤
٢٦٣	٢٦٤	٢٦٥
٢٦٤	٢٦٥	٢٦٦
٢٦٥	٢٦٦	٢٦٧
٢٦٦	٢٦٧	٢٦٨
٢٦٧	٢٦٨	٢٦٩
٢٦٨	٢٦٩	٢٧٠
٢٦٩	٢٧٠	٢٧١
٢٧٠	٢٧١	٢٧٢
٢٧١	٢٧٢	٢٧٣
٢٧٢	٢٧٣	٢٧٤
٢٧٣	٢٧٤	٢٧٥
٢٧٤	٢٧٥	٢٧٦
٢٧٥	٢٧٦	٢٧٧
٢٧٦	٢٧٧	٢٧٨
٢٧٧	٢٧٨	٢٧٩
٢٧٨	٢٧٩	٢٨٠
٢٧٩	٢٨٠	٢٨١
٢٨٠	٢٨١	٢٨٢
٢٨١	٢٨٢	٢٨٣
٢٨٢	٢٨٣	٢٨٤
٢٨٣	٢٨٤	٢٨٥
٢٨٤	٢٨٥	٢٨٦
٢٨٥	٢٨٦	٢٨٧
٢٨٦	٢٨٧	٢٨٨
٢٨٧	٢٨٨	٢٨٩
٢٨٨	٢٨٩	٢٩٠
٢٨٩	٢٩٠	٢٩١
٢٩٠	٢٩١	٢٩٢
٢٩١	٢٩٢	٢٩٣
٢٩٢	٢٩٣	٢٩٤
٢٩٣	٢٩٤	٢٩٥
٢٩٤	٢٩٥	٢٩٦
٢٩٥	٢٩٦	٢٩٧
٢٩٦	٢٩٧	٢٩٨
٢٩٧	٢٩٨	٢٩٩
٢٩٨	٢٩٩	٣٠٠
٢٩٩	٣٠٠	٣٠١

ذِيوَانُ الْمُعْكَاتِي

لِلْإِمَامِ اللَّغَوِيِّ الْأَدِيبِ أَبِي هِلَالِ الْعَسْكَرِيِّ

الجزء الثاني

عن نسخة الامامين العظيمين: الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي
مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني

عنيت بنشره

مكتبة دار الفقه

لصالحها اجتمعت ما للدين القديسي

القاهرة - باب الخلق - حارة الجداوى ١

سنة ١٣٥٢ و حقوق الطبع محفوظة

تكملة السمعان ايمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمه التامة وأياديه الخاصة والعامة في إنشاء السحاب الثقيل وإجراء العذب الزلال وتفجير البارد السلسال ليغذوه النجم والشجر ويرب الحب والتمر رحمة للأنام ونظراً للأنعام فله الحمد أولاً وآخراً. والصلاة على نبيه محمد الذي أرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً وعلى آله المختارين وعترته المنتجبين .

وقد رأينا الحكماء في كل زمان يجتهدون في تقريب الحكمة وتسهيل سبيلها وشرح مشكلها وإيضاح أبوابها وإدناء أسبابها ليخف مجملها ويقرب متناولها ويرغب فيها كل أحد ويأخذ منها بنصيب ويفترف منها بذنوب .

و كنت جعلت كتابي الموسوم بديوان المعاني مشتملاً على اثني عشر باباً يتضمنها خمسمائة ورقة فرأيت بعض الناس يستكبر حجمه ويستثقل نسخه فجعلت كل باب منها كتاباً ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليقرب أمره ويسهل نسخه ولتسرع الرغبة اليه فيكثر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق .

(هذا كتاب المبالغة)

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض
والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم وما يجرى مع ذلك وهو :
(الباب السابع من كتاب ديوان المعاني وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الأول)

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والثلج والضرب
أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال
أبو عمرو لذي الرمة أي قول الشعراء في المطر أشعر ؟ قال قول امرئ القيس :
ديمة هطلاء فيها وطف طبق الأرض تحرى وتدر
قوله طبق الأرض غاية في صفة عموم السحاب أراد أنها على الأرض بمنزلة
الطبق على الأنا . ولا أعرف أحداً أخذه فأجاده كاجادة ابن الرومي حيث يقول :
سحائب قيست بالبلاد فالتقت غطاء على أغوارها ونجودها
هدتها النعامى منقلات فأقبلت نهادى رويداً سيرها كركودها
قوله سيرها كركودها غاية في وصف ثقلها وثقلها من كثرة ماؤها .

والبيت البليغ المشار إليه من أبيات امرئ القيس قوله :
وترى الشجراء في ريقه كرووس قطعت فيها الخمر
الشجراء الأرض ذات الشجر وإذا غرقت الشجر من ريقه حتى لا يبين منها
إلا فروعها فكيف يكون في شدته ، وريق المطر أوله وأخفه ، وشبه رؤوس الشجر
خارجة من الماء برؤوس قطعت عليها عمام ، والخمار ههنا العمامة .
وقالوا أجود ما قيل في المطر قوله :

كَأَنَّ أَبَانَا فِي أَفَانِينَ وَبِلَهٍ كَبِيرٍ رَجَالٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ^(١)
 يقول كأن أبانا - وهو جبل - من التفاف قطره وتكاثفه في الهواء شيخ في كساء،
 وخفض مزمل على الجواب وهو نمت كبير كما تقول جحر ضب خرب .
 وقالوا أجود ما قيل فيه قول أبي ذؤيب :

لكل مسيل من تهامة بعد ما تقطع أقران السحاب عجيج
 وهذا مع جودة معناه فصيح جداً . أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن
 ذكوان قال قال الأصمى قلت لأبي عمرو ما أحسن ما قيل في المطر فقال قول القائل^(٢) :
 دَانَ مَسْفٍ فَوَبِقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مِنْ قَامٍ بِالرَّاحِ
 فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِمُعْتَوَتِهِ وَالْمَسْتَكِنِ كَمَنْ يَمْشِي بِقَرَوَاحٍ^(٣)
 يقول قد عم هذا السحاب فاستوى في شيم يرقه وأصاب مطره المنجد والغائر
 والمستكن والمصحح ، قرب من الأرض لتقله بالماء حتى يكاد يدفعه القائم براحته
 وهذا غاية الوصف .

ومن أبلغ ما جاء في ذلك من نثر الأعراب ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي
 بكر بن دريد عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمى قال سألت أعرابياً
 من عامر بن صعصعة عن مطير أصاب بلادهم فقال نشأ عارضاً فظلم ناهضاً ثم ابتسم
 وامضاً فاعترض الأمطار فأعشاها وامتد في الآفاق فغطاها ثم ارتجز فهمهم ثم
 دوى فأظلم فأرك^(٤) ودث وبنش ثم قطقط فأفرط ثم ديم فأغمط ثم ركذ فأجثم ثم

(١) في ديوان امرئ القيس « ودقه » مكان « وبله » و « أناس » مكان (رجال) .

(٢) قيل هو أوس بن حجر وقيل عبيد بن الأبرص ، وقيل البيت :

يَا مَنْ لَبِقَ أَيْدِيَ اللَّيْلِ أَرْقَبَهُ فِي عَارِضِ كَمْضَى الصَّبْحِ لِمَاحِ

(٣) القرواح الأرض الواسعة التي لانبات فيها ، ومطلع القصيدة :

وَدَعِ لَيْسَ وَدَاعِ الصَّارِمِ اللَّاحِي إِذْ فَتَكَتْ فِي فِسَادٍ بَعْدَ إِصْلَاحِ

(٤) أرك أتى بمطهر ركيك أي قليل .

وبل فسح وجاد فأنعم فقمس الربى وأفرط الزبى سبغاً تباعاً لا يريد انقشاعاً حتى
ارتوت الحزون وتضحضحت المتون ساقه ربك الى حيث شاء كما جلبه من
حيث شاء . الدث والبغش المطر الخفيف ، والقطقط المطر الصفار ، وقوله أنعم أى
بالغ من قولهم دقه دقاً ناعماً ، وقمس أى غوص ، وأفرط ملاً . والزبى جمع زبية وهى
حفرة تحفر للأسد ويجعل فيها طعم فيجىء حتى يقع فيها ولا تحفر إلا فى مكان
عال فاذا بلغها السيل فهو الغاية ، وفى المثل « بلغ السيل الزبى » والمتن صلابة من
الأرض فيها ارتفاع ، وتضحضح أى صار عليه ضحضاح وهو الماء يجرى على
وجه الأرض رقيقاً .

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن ابن أبي طاهر عن ابن الاعرابى لأعرابية :

فبيننا نرْمَقُ أحشاءنا أضاءَ لنا عارضٌ فاستناراً

فأقبل زحفٌ زحفٌ الكسيرِ سياقَ الرعامِ البطاءِ العشاراً

تغنى وتضحك حافاتهُ امامَ الجنوبِ وتبكي مراراً

كأنا تضىء لنا حُرةً تشدُّ إزاراً وتلقى إزاراً

فلسا حسبنا بأن لا نجاءَ وأن لا يكون فرار فراراً

أشارَ له أمرٌ قَوْقهُ هَلْمْ فأمَّ إلى ما أشاراً

وأنشدنا لغيرها :

تبسمتِ الريحُ ربيعُ الجنوبِ فهاجتِ هوىً غالباً وادّكرا

وساقتِ سحاباً كمثلِ الجبالِ إذا البرقُ أومضَ فيه أنارا

إذا الرعدُ جلعجلَ في جانبيه فروى النباتَ وأروى الصحارى

تطالعنا الشمسُ من دونهِ طلاعَ فتاةٍ تخافُ اشتهارا

تخافُ الرقيبَ على سرِّها وتحننُ من زوجها أن يفارا

فتسترُ عُرتها بالخمارِ طوراً وطوراً تزيلُ الخمارا

وقدمت هذه الايات الثلاثة قبل :

فلما مراها هبوبُ الجنوبِ وانهمرَ الماءُ منه انهارا
 تبسمتِ الأرضُ لما بكت عليها السماءُ دُموعاً غزارا
 فكان نواجذها الاقحوان وكان الضواحك منها البهारा

وقال ابن مطير وهو أجود ما قيل في سحاب :

مستضحكٌ بلوامعٍ مستعبرٌ بدوامعٍ لم تمرها الاقضاء
 فله بلا حزنٍ ولا بمسرةٍ ضحكٌ يؤلفُ بينه وبكاء
 نقلت كلاله وأنهرت^(١) أصلابه وتبعجت^(٢) من مائه الاحشاء
 غدقٌ ينتج بالاباطح فرقا تلدُ السيولَ ومالها اسلاء^(٣)
 وكان ريقه ولما يحتفل ودقُ السحابِ عجاياة كدراء
 غرٌّ مججلةٌ روائحُ ضمنت حقلَ اللقاءِ وكلها عذواء
 سحمٌ فمن إذا كظمن فواحمٌ وإذا ضحكنا فانهن وضاء^(٤)
 لو كان من لجج السواحلِ ماؤه لم يبقَ من لجج السواحلِ ماء

ومن هذا البيت أخذ المتكلمون الحجة على الفلاسفة في قول الفلاسفة المطر إنما هو البخارات ترتفع من البحر ، قالوا لهم لو كان الأمر كذلك لكان ماء البحر ينقص عند كثرة الأمطار فقالت لا يلزم ذلك لأن البحر مغيص لمياه الأرض فمصدر ما يتحلب من الثلوج اليه ومنه مواد هذه الأشياء فمثله مثل المنجنون يفرغ من بحر ثم يصب فيه فليس له نقصان والذي ينقص هذا ان ماء البحر يزيد عند كثرة الأمطار وينقص عند قلتها والعادة في ذلك معروفة ولو كان الأمر على ما يقولون لكان ماء البحر ينقص على مرور الأوقات لاحتالة لأن الشمس

(١) من أنهر العرق لم يرقأ دمه . (٢) تبعج السحاب تبعجاً وهو إفراجه في الودق . (٣) ينتج أى يولد ، وفرفت الناقة أخذها الخاض فندت في الارض فهي فارق ج فوارق وتشبه بها السحابة المنفردة عن السحاب . والاسلاء جمع سلى وهي الجلدة فيها الولد من الناس والمواشي (٤) وضاء جمع وضية .

والهواء لا شك تأخذ مما يتفرق عنه في الأرض بزعمهم ، والكلام فيه يتسع
وإنما أشرت الى موضع الدلالة على فساد قولهم .

وقال النظار الغفمسي :

يا صاحبي أعيناني بطرفكما أنى تشيان^(١) برق العارض الساري
أبصرته حين غاب النجم وانسرفت عنا غفائر^(٢) من دجن وأمطار
فبات ينهض بالوادي وجلهته^(٣) نهض الكسير بذى أو نين جرّار^(٤)
حيران سكران يغشى كل رابية من الروابي بأرجاف وأضرار
مفرق لدمات الأرض منهمر رطاب أفردة شعال أبصار
كأن بليقا غرابا تحت ريقه عودا تذب برمح عند امهار

وشبه البرق برمح الابلق ، وهو من قول أوس بن حجر :

كأن ريقه لما علا شيطبا^(٥) أقراب أبلق ينقى الخيل رماح

ومن أبلغ ما قيل في ذلك قول الاعرابية التي سألتها ذوالرمة عن الغيث فقالت :
غثنا^(٦) ماشئنا . فكان ذوالرمة يقول قائلها الله ما أفصحها . وترك ذوالرمة هذا
المذهب على إعجابه به واختياره له وقال :

ألا يا سلمى يادارمي على البلى ولا زال منهلأ بجرعائك القطر
فقيل له هذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها لأن القطر إذا دامت فيها
فسدت . والجيد قول طرفة :

فسقى بلادك غير مفسد لها صوب الربيع وديمة نهى

وقال اعرابي : أصابتنا سحابة وأنا لبنوطة بميدة الأرجاء فاهرمع مطرها حتى
رأيتنا ومارأينا غير السماء والماء وصهوات الطلح فضرب السيل النجاف وملا

(١) شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر .

(٢) الغفائر جمع غفارة ما يوضع على الرأس نحو العمامة . (٣) الجلهة : الجانب .

(٤) الاوتان : جانب الخرج . (٥) اسم جبل . (٦) أى أصابتنا الغيث .

الأودية فرعها فما لبثنا إلا عشرًا حتى رأيتها روضة تندى . قوله ما رأيت غير
 السماء والماء وصهوات الطلح غاية في صفة كثرة المطر . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي
 بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال خرج النعمان بن المنذر في بعض
 أيامه في عقب مطر فلقى أعرابياً فأمر بأحضاره فأتى به فقال كيف تركت الأرض
 وراءك ؟ قال فيح رحاب منها السهولة ومنها الصعاب منوطة بجبالها حاملة أثقالها .
 قال إنما عن السماء سألتك قال مطلة مستقلة على غير سحاب^(١) ولا أطناب يختلف
 عصرها ويتعاقب سراجها ، قال ليس عن هذا أسألك قال فسل عما بدالك قال
 هل أصاب الأرض غيث يوصف قال نعم أغمطت^(٢) السماء في أرضنا ثلاثاً هوأ
 ثرت وأرزغت^(٣) ورسفت ثم خرجت من أرض قومي أقروها^(٤) متواصية^(٥)
 لاخطيطة^(٦) منها حتى هبطت تمشار فتداعى السحاب من الأقطار فجاء السيل
 الجرار فعفا الآثار وملا الجفار وقوب الأشجار وأجحر الحُضار ومنع السفار ثم
 أقلع عن نفع واضرار فلما اتلأبت في الغيطان ووضحت السبل في القيعان تطلعت
 رقاب العنان من أقطار الاعنان فلم أجد وزراً إلا الغيران فقات وجار الضب فعادت
 السهول كالبحار تتلاطم بالتيار والحزون متلغمة بالغشاء والوحوش مقذوفة على الأرجاء
 فمازلت أطال السماء وأخوض الماء حتى أطلعت أرضكم اه . أغمطت السماء دام مطرها ،
 رهوأسا كناً ، ثرت تركته ثرية^(٧) ، أرزغت تركت الأرض فيرزغة والرزغة
 والرذغة الطين إذا غطي القدم ، رسفت بلغت الرسغ ، متواصية متصلة ، الهطيطه
 والخطيطة أرض لم يصبها مطر بين أرضين ممطورتين ، وتمشار موضع ، والعنان
 السحاب والاعنان نواحي الشخب فقات من القى وجار الضب وهو عندهم غاية

(١) أي أعمدة . (٢) أي دامت . (٣) أزرع المطر الأرض : بلها

ولم نسل . (٤) أي أتبعها قرية قرية . (٥) أي متصلة .

(٦) الخطيطة الأرض غير الممطورة بين أرضين ممطورتين ، أو التي مطر بعضها .

(٧) أي تراها مبلولا .

ما يوصف به المطر وهو عندهم الذي يجر الضب من وجارها فيخرجها من كثرة
سيله . وقوله والحزون متلغمة بالغشاء يقول بلغ الماء رؤوس الحزون ثم نصب عنها
فبقي الغشاء في موضعه .

ومن الوصف الجيد التام في تكاثف المطر قول بعضهم : وقع مطر صفار
وقطر كبار وكان الصغار لحمه للكبار ، جعل الهواء كالثوب المنسوج من كثرة
المطر وتكاثفه .

والرعد والبرق ما أنشدناه أبو أحمد عن نبطويه للمعاني :

أرقت للبرق يخفو ثم بأناقٍ يخفيه طوراً ويديه لنا الاقنق
كانه غرة شهباء لائحة في وجه دهاء ماني جلدها بلق
أوتفر زنجية تفر ضاحكة تبدو مشافرها طوراً وتنطبق
أوسلة السبيض^(١) في جاواء مظلمة وقد تلقت ظباها البيض والدرق
والقيم كالثوب في الاقنق منتشر من فوقه طبق من تحته طبق
تظنه مصمتاً لا فتق فيه فان سالت عواليه قلت الثوب منفنق
ان ممع الرعد فيه قلت ينخرق أولاً لا البرق فيه قات يخرق
تستك من رعدة أذن السميع كما نمشي إذا نظرت من برقه الحدق
فالرعد صليق^(٢) والريح منخرق والماء منبثق
قد حال فوق الرئي نور له أرج من صفرة بينها حراء قانية
من صفرة بينها حراء قانية

فاستحسن هذه الطريقة فقلت :

برق يطرز ثوب الليل مؤتلق والماء من نار يهيم فينبثق
توقدت في أديم الارض حرته كأنها غرة في الطرف أو بلق
ما امتد منها على أرجائه ذهب إلا تحدر من حافاته ورق

(١) السيوف . (٢) الصهـ صليق من الأصوات : الشديد .

كأنها في جبين المزن إذ لمت
فأرعد مرتجس^١ والبرق مختلس
والضال فيما طما من مائه غرق
والغيم خز^٢ وأنها^(١) اللوى زرد
والروض يزهو^٣ عشب أخضر^٤ نضر^٥
ومما ورد في المياه^(٢) :

من سيول يمجها الواديان
ذو استواء إذا جرى والثواء
فهو حيث استدار وقف لجين
وقال ابن المعتز :

لا مثل منزلة الدورية منزل^١
بؤساً لدهر غيرتك صروفه
لم يحل بالعينين بعدك منظر^٢
أى المعاهد منك أندب طيبة^٣
أم برد ظلك ذى القصون وذى الحيا
وكانما سطعت مجامر^٤ عنبر
وكانما حصباء أرضك جواهر^٥
وكان^٦ درعاً مفرغاً من فضة
وهذه الأبيات أحسن أبيات قيلت في صفة دار . وقلت :

شققت بنا تياراً بحراً كأنه^١
ترى مستقر^٢ الماء منه كأنه^٣
إذا ماجرت فيه السفين^٤ يعربد^٥
سبب^٦ على الأرض الفضاء^٧ تمدد^٨

(١) جمع نهى وهو منتهى الرمل الذى يسكن إليه الماء .

(٢) هنا يياض فى النسخ . (٣) الأرض الميثاء : السهلة .

ويجري إذا الأرواح فيه تقابلت
فان تسكن الأرواح خلت متونه
فطوراً تراه وهو سيف مهند
نصعد فيه وهو زرق حمامه
كامل من كف النهامي^(١) مبرد
متون الصفايح البيض حين تجرد
وطوراً تراه وهو درع مسرد
فنجسب أنا في السماء نصعد
وقال ابن طباطبا العلوي في مد الوادي :

ياحسن وادينا ومد الماء
يختال في حلتها الكدراء
في صحب عال وفي ضوضاء
تري به تناطح الطباء
قد جاء بين الصيف والشتاء
أكدر يمتد على غبراء
بصافح الرياح في الهواء
جاء قد شدت إلى جءاء
من كدر ينجاب عن صفاء
فانظر الى أعجب مرأى الرأى
تقشع الغيم عن السماء

وقال السري في المد وانقطاع الجسر ببغداد :

أحذركم أمواج دجلة إذ غدت
فظلت صفار السفن يرقصن وسطها
تفرقها هوج الرياح وتمتلى
فهن كدم الخليل جالت صفوها
مصنلة بالمد أمواج مائها
كرقص بنات الزنج عند انتشائها
ربي الموج من قدامها وورائها
وقد بدرتها روعة من ورائها
وقد سامها ضيماً أسود سمائها
على تربة محمرة من فضائها
فأبصرت أقماراً تروح وتغرب
وغودر فوق الماء يطفو ويرسب
فكم ثم من خشف^(٢) على الماء لآعب
كأن السميريات فيه عقارب

(١) النهامي بالنون : الحداد . (٢) الخشف مثلثة الخاء : ولد الظبي .

وقال أبو بكر الصنوبري :

إذا السماء أعنقت منها الى شطّ وشطّ
حسبت أن بطها الامواج والامواج بطّ
وقال : وروضة أريضة الأرجاء من ذهب الزهر لجين الماء
يجري على زمرد الحصباء بين استواء منه والتواء
كما ففضت جونة الحواء

وقال أبو فراس بن حمدان :

أنظر الى الزهر البديع والماء في برك الربيع
وإذا الرياح جرت عليه في الذهاب وفي الرجوع
نثرت على بيض الصفا نوح ينفها حلق الدروع
ومن أوائل ماجاء في ذكر الماء المظلل بالأشجار قول لبيد :

فتوسطا عرض السماء فصدا مسجورة متجاوز قلامها
مخوفة وسط البراع يظلمها منه مصرع غابة وقيامها
وقال بشر بن أبي خازم في البحر :

ونحن على جوانبها قعود نفض الطرف كالابل القماح
إذا قطلعت براكبها خليجا تذكر مالدبه من الجفاح

(الفصل الثاني من الباب السابع)

في ذكر الرياض والانوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك
أخبرنا أبو أحمد عن رجاله عن أبي عمرو وغيره قالوا أجود ما قيل في وصف
روضة قول الأعشى :

ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هيطل
بضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بقميم النبت مكتهل

بوماً بأطيبٍ منها نشرَ رائحةً ولا بأحسنٍ منها إذ دنا الأصلُ
قال المصنف خص العشي لأن كَوْن الانسان بالعشي أحسن منه بالغداة لراحة
تعلوه بالعشي وتهيج^(١) يعتاده بالغداة وتعتري الألوان بالعشيات صفرة قليلة
تستحسن ولذلك شبهها بالروض لما في الروض من الزهر وهو أصفر ، ومن
هذا قوله أيضاً . وصفراء العشية كالعرارة . وقال بعضهم بل خص العشي
لنقصان الحسن فيه قال فشبهها في نقصان الحسن بالروضة في حال تمام حسنها ،
وليس كذلك لأن الروض بالغداة أحسن منه بالعشي .

والتشبيه المصيب من الشعر القديم قول بشر بن أبي خازم :
وروض أحجم الروادُ عنه له نفلٌ وحوزان^(٢) توأم
تعالى نبتُه واعتمَ حتى كأنَّ منابتَ العليجان^(٣) شام
الشام جمع شامة أى ظاهر كظهور الشامة في الوجه ويقال ما أنت إلا شامة
أى أمرك ظاهر . وأنشد الجاحظ قول النمر بن تولب العكلى :

ميتاءُ جادٍ عليها مسبلٌ هطلٌ فأمرعت لاحتيال فرطاً أعوام
إذا يجفُّ تراها بلها ديمٌ من كوكبٍ نازلٍ بالماء سجام
لم يرعها أحدٌ وارتبها زمنا فأوَّمن الأرض محفوفٌ بأعلام
تسمعُ للطير في حافاتها زَجلاً كأنَّ أصواتها أصواتُ مُخدّم
كأنَّ ريحَ خزامها وحنوتها^(٤) بالليل ريحٌ يلنجوجٍ وأهضام

ولم يدع شيئاً يكون في الخصب إلا ذكره . ومن أبلغ ما وصف به كثرة الكلام ما أخبرنا
به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه عن ابن السكيت عن أبيه قال خطب
ابنة الخس ثلاثة نفر من قومها فارتضت أنسابهم وجمالهم وأرادت أن تسير

(١) التهيج بالباء قبل الجيم : شئ من التورم في الوجه يظهر عند القيام من النوم .

(٢) النفل والحوزان نبتان ، وتوأم أى توأمان (٣) العليجان : نبت

(٤) الخزامى والحنوة : نبتان طيبا الرائحة .

عقولهم فقالت لهم انى أريد أن ترنادوا إلى مرعى فلما أتوها قالت لأحدهم ما رأيت
 قال رأيت بقلًا وبقيلًا وماءً غدقًا سيلا يحسبه الجاهل ليلًا قالت أمرعت
 وقال الآخر رأيت ديمة فوق ديمة على عهد غير قديمة فالناب تشبع قبل الفطيمة .
 وقال الثالث : رأيت نبتًا تعداً معداً متراكباً جمداً كأنفاذ نساء بنى سعد
 تشبع منه الناب وهي تعدو اه . بقلًا وبقيلًا : يقول بقل قد طال وتحتة عمير
 قدنشأ ، والغدق : الكثير يحسبه الجاهل ليلًا من كثافته وشدة خضرته ، والديمة
 المطر يدوم أياماً في سكون ولين ، والعهاد أول ما يصيب الأرض من المطر
 الواحد عهد ، تشبع منه الناب قبل الفطيمة : يريد أن العشب قد اكنهل وتم
 فالناب وهي المسنة من الابل تشبع قبل الصغيرة منها لأنها تنال الكلال وهي قائمة
 لا تطلبه ولا تبرح موضعها والفطيمة تتبع ما صغر والصغير فيه قليل . وهذه صفة
 بليغة . وأبلغ منها قول الآخر تشبع منه الناب وهي تعدو اى من طول النبات
 وكثرته وعمومه تعدو وتأكل لا تحتاج إلى تتبعه وطأطأة رأسه له . ولا أعرف
 في جميع ما وصف به كثرة الكلال أبلغ من هذا . والثعد : الرطب اللين والمعد
 اتباع . والثرى الجعد الذى قد كثر نداءه فاذا ضمته بيده اجتمع ودخل بعضه
 في بعض كالشعر الجعد ، وخص نساء بنى سعد لأن الأدمة فيهم فاشية .

ومن أبلغ ما قيل في طول الكلال قول الآخر أنشده ابن السكيت وتعلب :
 أَرَعَيْتُهَا أَطِيبَ أَرْضِ عُبُودَا الصَّلِّ وَالصَّفْصَلِّ وَالْبِعْضِيْدَا
 وَالْحَازِبَازِ السَّنَمِ الْمُجُودَا بِحَيْثُ يَدْعُو طَامِرٌ مَسْعُودَا

يقول قد سد النبات من طوله وسبوغه مسعوداً فليس يراه عامر فهو يصيح
 به ، الصل والصفصل وخازباز ضرب من النبات . وليس ألفاظ الأبيات بالمتخارة
 إنما اخترتها لجودة معناها .

ونظر أعرابي الى يوم دجن والى نبات غض فاستحسن فقال ارتجالاً :
 أَنْتَ وَاللَّهِ مِنَ الْأَبْسَامِ لَدُنَّ الطَّرَفَيْنِ

كلما قلبت عيني فني قرّة عين
 وقلت: أتاه يُريدُ المزنَ ينشدهُ الصبا
 فدوّمَ من أعلى رُباهُ ودَيْمًا
 ولاحَ اليه بالبروقِ مُطرزًا
 فأصبحَ منها بازواهرٍ معلما
 ومن بديع ماقاله محدث في صفة الرياض والبساتين قول عبدالصمد بن المعدل
 أنشدناه أبو أحمد وغيره :

معان من العيش الغرير ومَعَمَّر	ومبدي أنيقٌ بالعُذيبِ ومُحَضَّر
نما الروضُ منه في غداةٍ مَرِيعةٍ	لها كوكبٌ يستأنقُ العينَ أَزهر
ترى لامعَ الانوارِ فيها كأنه	إذا اعترضتهُ العينُ وشيٌ مُدَرَّر
تسابقَ فيه الاقحوانُ وحنوةٌ	وساماهما رندٌ نضيرٌ وعِبِير
يمجُّ تراها فيه عفراء جمدة	كأن نداها ماءٌ وردٍ وعنبر
أعاد نسيمَ الريحِ أنفاسَ نشره	وخايل فيه أحمر اللون أصفر ^(١)
بدا الشَّيخُ والقيصومُ عند فروعه	وشتٌ وطَبَّاقٌ وبانٌ وعَرَعَر
وناضرُ رمانٍ يرفُّ شكيرهُ	يكادُ إذا ماذرت الشمسُ يقطر
ويانعُ تفاحٍ كأنَّ جنيهُ	نجومٌ على أغصانه الخضرِ تزهر
إذا زرتهُ يوماً تغرد طائرهُ	وراناك ظبيٌ بين غصنين أحور
فاذهاج نوح الأبيك في دونق الضحى	تذكر محزونٌ أوارتاح مقصر
تجاوبن بالترجيع حتى كأننا	ترنم في الاغصانِ صنج ومزهر
مرانة موموقٍ وترجيع شائق	فلقلب ملهاةً وللعينِ منظر
واني إلى صحن العذيب لائق	واني اليه بالمودّةِ أصوَر
مرعت ولازالت تصوبك ديمة	يجودُ بها جونُ الغواربِ أقمر
أحم الكلي واهي العرى مسبل الجدى	إذا طعنت فيه الصبا يتفجر
كأن ابتسام البرق في حجرانه	مهسدةٌ بيضٌ تشامٌ وتشهر

(١) أي فاخر الأصفر الأحمر .

وقول ابن المعتز يتضمن صفة الأنوار على التمام ولا يكاد يشذمه شيء البتة وهو :

والروض مغسولٌ بلبيلٍ ممطر
جلا لناوجه الثرى عن منظر
كالعضب أو كالوشى أو كالجوهر
من أبيضٍ وأحمرٍ وأصفر
وطارقٍ أجفانه لم تنظر
تخاله العين فإلم يُغفر
وفائق كاد ولم ينسور
كأنه مبنسّم لم يكشر
وأدمع الغدران لم تكدر
كأنه دراهم في منثر
أو كشور المصحف المنشر
والشمس في أصحاء جو أخضر
كدمعة حائرة في محجر
نسقى عقاراً كالسراج الأزهر
تسقى عقاراً كالسراج الأزهر
مدامة تعقر إن لم تعقر
يدبرها كف غزالٍ أحور
ذى طرة قاطرة بالعنبر
وملثم يكشفه عن جوهر
وكفيل يشغل فضل المئزر
تخبر عيناه بفسق مضم

يعلم الفجور إن لم يفجر

وقلت : جواهر عشبٍ ونورٍ نظم
وأفرادٍ ظلٍ وقطرٍ تثير
فمن بين صفرٍ وحمرٍ وأخضر
على القضب غيدٍ وزورٍ وصور
ولس تناسب لفس الشفاء
وبيض تعارض بيض الثغور
نواظرٍ من بين يقظى ووسنى
ونجلٍ ومخزٍ وحولٍ وحور
وقد استوفى في هذه الأبيات جميع أوصاف الأنوار على اختلاف حالاتها .

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا التنوخى لنفسه :

أما ترى الروض قد وافاك مبتسماً
ومد نحو الندامى للسلام يدا
فأخضر ناضر في أبيض يقق
وأصفر فاقع في أحمر تضدا
مثل الرقيب بدا للعاشقين ضحى
فاحمر ذا خجلا واصفر ذا كدا
ومن المشهور قول الجاني :

ديم كان رياضها يكسين أعلام المطارف

وكأنا غدرا^١ فيها عُشور^٢ في مصاحف
 وكأنا أنوارها تهتر^١ بالريح القواصف
 طرر الوصائف بلفت - من بها إلى طرر الوصايف
 وقلت : وروضة حالية الصدور كاسية البطون والظهور
 محودة المحبور والمنظور موقفة المطوى والمنشور
 معجبة الظاهر والمستور ضاحكة كالوافد المحبور
 باكية كالعاشق المهجور شذرها الغيث بلا شذور
 شقائق كناظر المحمور واقحوان كثغور الحور
 ونرجس كأنجم الديجور والظل منشور على منشور
 يرصع^٣ الياقوت بالبلور .

وقال السري وأحسن : وليس فيمن تأخر من الشاميين أصفى أنفاً مع الجزالة
 والسهولة وأزم لعمود الشعر منه :

وجنات مجي الشرب وهنا جنى وهدايا حتى رباها
 إذا ركذ الهواء جرت نسيماً وان طاح الغمام طفت مياها
 يُفرج^٣ وشيها عن ماء ورد يفيض على الآلى من حصاها^(٢)
 تعانق^٣ ريحها لم الخزامى وأعناق القرنفل في سراها
 ويأبى زهرها إلا هجوعاً ويأبى عرفها إلا انتباها
 وقال البحترى :

قطرات من السحاب وروض نثرت وردها عليه الخلود
 فالرياح التي تهب نسيم والنجوم التي تطل سعود
 وقال ابن الرومي :
 أصبحت الدنيا تروق من نظره بمنظر فيه جلا^٣ للبصر

(١) في نسخة « تفتت » . (٢) في نسخة « صفاها » .

واهاً لها مصطنعاً لقد شكر أننت على الله بالآء المطر
والارض في روض كأفواه الخبر تهرجت بعد حياء وخفر
تبرج الانثى تصدى للذكر

وقال وأحسن :

وحلس من السكتان أخضر ناضر يُباكره دان الرباب مطير
إذا درجت فيه الرياح تنابت ذوائبه حتى يقال غدير
وقلت: أنظر إلى الصحراء كيف ترخرفت وإلى دموع المزن كيف تُذرف
وعلى الربى حليل وشاهن الحيا فسهم ومقصب ومفوف
وملابس الأنواء فيها سندس ومضاجع الانداء فيها زخرف
نم الرياح على الرياض نماماً ذكر نك الكافور حين يدوف (١)
وعلى التلاع من الاقاحي حلة وعلى البغاغ من الشقائق مطرف
والغيم تنقشه الرياح عشية كالتطن في زرق الثياب يندف
والقطر بهمي وهو أبيض ناصع ويصير سيلاً وهو أغبر أكلف
والبرق يلمع مثل سيف ينتضي والسيل يجري مثل أفي ترجف

وقال أعرابي: يا كرونا وصي (٢) ثم خلفه ولي فالارض كأنها وشي منشور عليه لؤلؤ
منثور ثم أتتنا غيوم جرار بمناجل حصاد فاخترت البلاد وأهلكت العباد فسبحان
من يهلك القوى الأكل بالضعيف الماء كول: وقال أبو تمام:

الروض ما بين مغبوق ومصطبح من ربق محتفلات بالحيا دُح
جون إذا هطلت في روضة طيفت عيون نوارها تبكي من الفرح
وقال أبو الغضبان اليمامي:

غدونا على الروض الذي طله الندى سحيراً وأوداج الأباريق تسفك
فلم أر شيئاً كان أحسن منظرأ من الروض يجري دمه وهو يضحك

(١) أي يذاب . (٢) الوصي: أول المطر ، والولي الذي يليه .

ومن اللجين لسعبد ورق
وجديده بجديدا خاسق

يُنقلن في صفراء من حمراء

وغدا الندى في حليه يتكسر
صحو بسكاد من النضارة يسطر
خلت السحاب آناه وهو معذر
لو أن حسن الروض كن بعمر
تمجبت وحسن الروض حين يغير
تريا وجوه الأرض كيف تصور
زهر الربيع فكانما هو مقمر
جلى الربيع فأنما هي منظر
نورا تكاد له القلوب تنور
فكانما عين عليه تحدر
عذراء تبدو تارة وتخفر
الجيم متكاتف النبات، يقول بظهر بتحريك الرياح إياه ويستتر عند سكونها

فيغطيه الجيم :

ماطاد أصفر بعد إذ هو أخضر

طلقاً ذرّبت به على الأطلاق
يردى الوجوه ومبسم براق
مثل الضعيف ينوء بالأوساق

وقال غيره : وإذا الزمرد مشمر ذهباً
لازال يمتنعنا بجديته
وقال غيره في تلون الأرض :

فترى الرياض كأنهن عرائس
وقال أبو تمام :

رقت حواشي الدهر وهي تمر مر
مطر يروق الصحو منه وبعده
وندى إذا أدمنت به لم الشرى
ما كانت الأيام تسلب بهجة
أولا ترى الأشياء إذ هي غيرت
باصحبي تقصيا نظريكا
تريا نهارة مشمسا قد شابه
دنيا معاش للورى حتى إذا
أضحت تصوغ ظهورها لبطونها
من كل زاهرة ترقرق بالندى
تبدو ويحجبها الجيم كأنها

الجيم متكاتف النبات، يقول بظهر

صنع الذى لولا بدائع لطفه
وقلت في مديح :

إنى أرى لك فى الساحة والندى
طلق النمام سرى بوجه باسرى
ثقلت على عنق الصبا أعباؤه

فترى النبات يروق وسط رياضه
وقال البحترى :

إذا أردت ملأت العين من بلد
يمسى السحاب على أجيالها فرقا
فلست تبصر إلا وا كفا خلا
وقال أيضا: ولا زال مخضرا من الأرض يافع
بذكرنا ربا الأجابة كلما
شقائق يحمأن الندى فكانه
ومن لؤلؤ في الأرجوان منضد
كان جنى الحوذان في رونق الضحى
رباع تروت بالرياض مجودة
إذا راوحتها مزنة بكرت لها
كان يد الفتاح بن خاقان أقيبات
وقلت: أماترى عود الزمان نضرا
أنته الطاف السحاب تثرى
تبسط في الصحراء بسطا خضرا
ونرجسا مثل العيون زهرا
كانا يصوغ فيها تبرا
كانا ينثر فيها دررا
كلما لونا والعبير نشرا
والعيش أن تسر أو تسرا
لأنفسدن بانغرام العمرا
أحسن ما قيل في النرجس قول أبي نواس :

لدى نرجسٍ غضَّ القطافِ كأنه إذا ما منحناه العيونَ عيون
مخالفة في شكاهن فصفرة مكان سوادٍ والبياض جفون
والناس يشبهونه بالعيون ولا يفضلون هذا التفضيل . ومالم يقل مثله قول ابن الرومي :

خجلتُ خدودُ الوردِ من تفضيله خجلاً تورُّدُها عليه شاهدُ
لم يخجل الورد المورود لونه إلا وناهله الفضيلة حائد
للنرجس الفضل المبين وان أبي آبٍ وحادٍ عن الطريقة حائد
فصل القضية أن هذا قائدُ شتانَ بين اثنين هذا مُوعِدُ
وإذا احتفظت به فامتع صاحب يحكي مصايحَ السماء وتارة
ينهى النديمَ عن القبيح بلحظه ان كنتَ تطالبُ في الملاح سمية
هذي النجوم هي التي ربتهما فانظر الى الأخوين من أدناهما
أين العيون من الخدود نفاسةً وقلت : ونرجس مثل أكفٍ مُخرِّدٍ
ناولنيه مثله في حسنه مبتسمٌ عنه وناظرٌ به
وقلت في معناه :

ألم ترنا نعطي الغواية حقها ونجري مع اللذات جري السوابق
بمحرة الاجساد مبيضة الذرى كمثل سقيطِ الطلِّ فوق الشقائق
لدى الصفر في أوساطِ بيضِ كأنها كؤوسٌ عُقار في أكفٍ عواتق
وقاين الرومي :

للرجس الفضل يرغم من رغم
العين قبل السن وهي المبتسم
على صنوف الورد والفضل قسم
فألها وألحد وهو المتقدم
ماهو إلا نعمة من النعم
ومن التشبيه المصيب قول الآخر :

ونرجس لاحتفى طرفها
بشبه ديناراً على درهم

وقال ابن الرومي في الخمر والنرجس :

ريحانهم ذهب على درر
وشرايهم درر على ذهب
وقلت : يركب الأفحوان فيها نهاراً
فترى درهماً على دينار
فرشت فوقها فرائد طل
علقت بالنبات والأشجار
وتدلت على الفصون فجاءت
كشئوف الكواعب الأبيكار
وقال الآخر :

ونرجس قام فوق منبره
نام الندى في عيونه سحراً
مثل عروس تجلى وتشهر
فاعتاده من منامه سهر
لم يفتضم والظلام حل به
كأنما في جفونه قصر
تحير الطل في مدامعه
فليس يرقا وليس ينحدر
كعمعة الصب كاد يسكبها
فردّها في جفونه الخدر
وقلت : وغنت الطير بألحانها
فانتبه النرجس من رقدته

وأحسن ما قيل في الورد قبل أن يفتح قول بعض المحدثين :

قد ضمه في الفصن قرص يرد
ضم قم لقبلة من بعد
وقلت فيه إذا فتحت :

سربنا يهتز في خطره
ما بين أغصان وأقمار
يدير في عمله وردة
جاءت من المسك بأخبار
يلوح في حمرتها صفرة
كالحد منقوطةً بدينار

وقال ابن المعدل :

عشبة حيانى بورد كأنه خدودٌ أضيفت لبعضهن إلى بعض
 وقلت: قومي انظري بورداً كخذك أحمرآ ترك الربيع وراءه وتقدما
 قد ضمه بردٌ ففتحه ندى كالصب قبل فك ثم تبسما
 ولم أجد في تشبيه الورد أبعد مما ذكرته ، وتشبيهه بالخلد تشبيه مصيب
 ولكنى تركت الا كثار منه لشهرته وكثرته ويقال للوردة الحمراء الحوجة وللبيضاء
 الوتيرة ويشبه بها قرحة الفرس^(١) قال عمرو بن معدى كرب :
 يبارى قرحةً مثل الوتيرة لم تكن معدى

وقد أحسن على بن الجهم في قوله يصف الورد :

كأنهن يواقيت يطيف بها زمردٌ وسطها شذرٌ من الذهب
 وهو من قول أزد شير : الورد ياقوت أحمر وأصفر ودر أبيض على كراسى زبرجد
 بتوسطه شذور ذهب . وقال البحترى :

وقد نبه النيروز في غلس الدحي أوائل ورد كسن بالأمس نوماً
 بفتححه بردٌ الندى فكأنه بيتٌ حديثاً كان قبلُ مكتماً

وقلت في تفضيل الورد على الترجس :

أفضلُ الورد على الترجس لا أجعلُ الأنجم كالشمس
 ليس الذى يقعدُ فى مجلس مثل الذى يمثُلُ فى المجلس

وقال ابن بسام :

مداهنٌ من يواقيت منضدة على الزمرد فى أوساطها الذهبُ
 كأنه حين يبدو من مطالعه صبُّ يُقبِلُ صباً وهو مرتقب
 ومن الياقوت الأزرق والأصفر والأحمر وليس فى البيت ذنبيل على أنه أراد
 الأحمر دون الأزرق فهو معيب من هذه الجهة . وقلت فى الورد على الشجر :

(١) القرحة فى وجه الفرس دون الفرة .

أصبح الورد في الغصون يحاكي
مثل فرسان غارة يستلبهم
لمع من دماء سحر ونحر
فهو كالرجل^(١) في عائم صفر
بين نبذ من الشقائق يحكي
وقال ابن المعتز:

ولازوردية أوفت بزرقها
كانها فوق طاقات ضعفن بها
بين الرياض على زرق اليواقيت
أوائل النار في أطراف كبريت
والصحيح أنه في الخرم والشاهد قوله:

بنفسج جمعت أطرافه فحككت
دمعاً ينشف كحل يوم تشنيت
قوله كانها فوق طاقات ضعفن بها يدل على أنه أراد الخرم لأن ساق البنفسجة
لا يضعف عن حمل وردتها وهذا الوصف بالخرم أشبه منه لكبر نوره ودقة ساقه
فاعرف ذلك . وقلت في البنفسج :

وروضة كانها من حسنها
قد نثر الليل على أنوارها
تبرز في أثواب سعد ومني
لآلئ الطل وأفراد الندى
بكت عليها مرنة فابتسمت
عن لؤلؤ بين فرادى وثنى
وحولها بنفسج كانه
أواخر النيران في جزل الغضا^(٢)
وقال آخر:

وكان البنفسج الغض فيه
أثر اللطم في خدود الغيد
وقلت : وبخافاتها البنفسج يحكي
أثر القرص في خدود العذارى
وقلت في الهنة النادرة تحت ورقة البنفسج ولم أسمع فيها من الشعر العربي شيئاً :
ومغنج قال الكمال نطقه
كن مجمماً للطيبات فكانه
زعم البنفسج أنه كعذاره
حسناً فسألوا من قفاه لسانه

(١) أي الرجال . (٢) الغضا : شجر يبقى جمره كثيراً .

وقال ابن الرومي :

أشرب على ورد البنفسج قبل تأنيب الحسود
فكأما أوراقها آثار قرص في الخلود

أغرب معنى جاء في الشقائق قول الأخيطل :

هذي الشقائق قد أبصرت حرمتها مستشرفات على قضبانها الذالِ
كأنها دمة قد مسحت كحلاً جالت به وقفة في وجنتي خجلِ
وأظن الاخيطل ابتكره إلا أنه أورده في أهجن معرض وفي أشد ما يكون من

التكلف وآتى بالمحال لان الوقفة لا تجول فنظمته وقلت :

وشقائق^١ نقش الربيع^٢ ثيابها فبرزن^٣ بين مكحل^٤ ومجسد^٥
كانت^٦ بصبغة^٧ الحياء^٨ بحمرة^٩ وجرى عليه^{١٠} الدمع^{١١} خلط^{١٢} الأمد^{١٣}

ومن غريب ما قيل فيها قول بعض المتأخرين :

طرب^{١٤} الشقائق^{١٥} للحمام^{١٦} وقد شجا^{١٧} شجوا^{١٨} القيان^{١٩} فشق^{٢٠} فضل^{٢١} ردايه^{٢٢}
وتحيرت^{٢٣} ما بين^{٢٤} إمد^{٢٥} ماقه^{٢٦} في الخلد^{٢٧} دمعته^{٢٨} وبين^{٢٩} حياته^{٣٠}
فكانه^{٣١} الحبشي^{٣٢} بضع^{٣٣} جسمه^{٣٤} فثيابه^{٣٥} مخضلة^{٣٦} بدمائه^{٣٧}
وجعل الشقائق واحداً وهي جماعة مؤنثة والواحد شقيقة فاذا ذكر فعلى

معنى النور وتسميه العرب الشقر . وقلت :

والشقائق خال^{٣٨} فوق^{٣٩} وجنتها^{٤٠} ووجنة^{٤١} الورد^{٤٢} بالدينار^{٤٣} منقوطة

وقال التنوخي :

شقائق^{٤٤} مثل^{٤٥} خدود^{٤٦} نقشت^{٤٧} شوارب^{٤٨} بالمسك^{٤٩} فيها^{٥٠} ولحى^{٥١}

وهو بعيد لأن السواد الذي فيها لا يشبه الشوارب .

ومن أحسن ما قيل في الآذريون قول ابن المعتز :

يا ربما نازعني^{٥٢} روح^{٥٣} دنان^{٥٤} صافيه^{٥٥}

في روضة^{٥٦} كأنها^{٥٧} جلد^{٥٨} سما^{٥٩} طاربه^{٦٠}

(٤ - ثاني المعاني)

كأنما أنهارها بمساءٍ وردٍ جاربه
 كأن آذريونها غيبٌ سماءٍ هاميه
 مداهنٌ من ذهبٍ فيها بقايا غاليه

وقال أيضاً :

وصبر آذريونه فوقَ أذنه
 وقلت : ولاح آذريونها
 ككأسٍ عتيقٍ في قراراتها مسك
 وقال الشمشاطي (١) :

تراهُ مُعيوناً بالنهارِ نواظراً
 وبعد غروبِ الشمسِ أزرارَ ديباج
 وقال ابن المعتز :

كأنها مداهنٌ من ذهبٍ
 أمم التشبيه ههنا بقوله « مشرفات » . ومن جيد ما قيل في البهار قول ابن الرومي :
 وروضة عذراء غيرُ عانسه
 فيها شمسٌ للبهارِ دارسه
 مشرفاتٌ وسطهنَّ غاليه
 ترؤفك النورُ منها الباكسه
 وخرمٌ في صبغه الطياله
 خضراء مافيه خلاة يابسه
 كأنها جماجمُ الشمامسه
 بعينٍ يقظي وبجيد ناعسه
 مثل الطواويسِ غدت مطاوسه
 وقال ابن المعتز :

في روضة كحلل العروسِ
 وخرمٌ كهامةِ الطاوسِ
 وقلت في المذهب الذي ساكبه ابن الرومي :

خرمةٌ كهامةِ الطاوسه
 والعين في فنائها محبوسه
 دارى من بهجتها مانوسه
 محفوظهٌ تحسبها محروسه
 تعجبني منظورة ملوسه
 مرفوعة الهامة أومنكوسه

(١) هو علي بن محمد الشمشاطي اتصل بأل حمدان ، له تصانيف في الأدب .

باقوتة لكنها مفروسة في زهر^(١) كالشعل المتبوسه
كحلل ألوانها ملبوسه

وقال التنوخي :

ومن خرمٍ عضٍ خلالَ شقائقٍ يلوحُ كخيلائِ على وردتي خدٍ
وإذا كان في الخلد خيلائن لم يستحسن الخلال الواحد . وقلت :

على رياضٍ خرمٍ كأنها رؤوسُ هداياٍ حريرٍ الخل
وقال ابن طباطبا :

وطوسٌ فيها خرمٌ فكأنها صيافاتٌ وشي هبئت لمجازين
وقلت في البهار والورد :

وردٌ إلى جنبه بهار كأنه أصفى إليه قرط
وقد جمعت أصناف المنشور في أبيات وما جمعها أحد إلا بعض الكتاب

في أبيات غير مختارة الرصف فقلت :

ألوانٌ منشورٍ يربك حسنها
ياحسنها في كفٍّ من يشبهها
من أشهل كعينه وأبيض
وأصفرٍ مثلٍ صريعٍ حبه
وقال السري في الورد :

من بعد مامرٍ حولٍ وهو اضمار
إلأعري أغفلت منها وأززار
تتكافا وأنعم تتجدد
وسنى برقه يطرز مطرد
وأما ترى الورد قد باح الربيع به
وكان في حلالٍ خضرٍ وقد خلعت
قلت : ليس ينفك للغمام أباد
فترى رعدهُ يشقُ حريراً
وترى للزمان غصناً وربقاً
يملكُ الطرفَ إذ يقومُ ويأود

(١) في نسخة « زهرة » :

أنبت الأرض عسجداً ولجيناً فالروابي مكالٌ ومقلد
 وجرى الريح سجسجاً^(١) ورخاءً فالمناهي^(٢) مسلسلٌ ومُسرِّد
 وسبي العين لؤلؤٌ وعقيقٌ نظماً في زمردٍ وزبرجد
 قترى ثمَّ مضحكاً يتجلى وترى ثمَّ وجنةً تتورد
 قطرات الندى أحادٌ ومثني مثل دُرٍ منظمٍ ومبدد
 وكأنَّ الشقيقَ كأسٌ عقيقٍ طرح المسك في قرارها ند
 قترى النجد في رداءٍ موشى وترى الوهد في قبصٍ مُعمد
 وعليه من البهار عطاف ومن الورد والشقائق مجسِّد
 وترى النور مثل مضحكٍ خود وترى الغصن مثل شاربٍ أمرد

ومن بديع ما قيل في كمن النيلوفر وظهوره قول ابن الرومي :
 فكأنه في الماء صاحب مذهبٍ أغراه وسواس بأن لا يظهر
 وقال السري^(٣) :

ونيلوفرٍ أوراقه الخضر تحتها بساطاً إليه الأعين النجل شخص
 هذا البيت غير مختار الرصف ظاهر التكلف :
 إذا غاص في الماء النمير حسبه رؤوس إوزٍ في الحياض تقوص
 وقوله « النمير » لا يحتاج إليه . وقال آخر من أبيات :
 كأنما كلُّ قضيبٍ بها يحمل في أعلاه ياقوته
 وقلت : فشربتها عذراء من يدٍ مثلها تحكى الصباح مع الصباح المشرق
 في روضةٍ تلقاك حين لقيتها بمنمنم من فبتها ومنمق
 فانظر إلى عشبٍ هناك مجمع وانظر إلي زهر هناك مفرق

(١) في نسخة « سجسداً » . (٢) المنهبي : المحل الذي ينتهي إليه الماء .

(٣) هو السري الرفاء الموصلی ، مدح سيف الدولة والوزير المهلبى والكبار ،

وكان بينه وبين الخالدين معاداة .

تجى بورِد كالجينِ مكفرٍ منها وورد كالعقيقِ مخلق
وكذاك تتحف من مناقع مائها بمخلقٍ بعلو ذؤابةٍ أخلق
يبدو ويكمن في الغديرِ كأنه جانٍ يحاول أن يبينَ ويتقى
فالى السرورِ لنا عنانٌ مطلقٌ إن الفوائدَ فى العنانِ المطلقِ
وقد أحسن القائل فى صفة الرياض :

بكينَ فأضحكنَ الرُّبى عن زخارفٍ من الروضِ عنهنَّ الثرى متهاملٌ
ترى قضبَ الياقوتِ تحتَ زبرجدٍ تنوءُ به أعناقهنَّ الموائلُ
تلقحها الانداءُ ليلاً بريقها فيصبحنَ أبكاراً وهنَّ حواملُ
وقلت فى الآسِ ولا أعرف لأحد فيه شيئاً بديعاً :

ومهرجانٌ معجبٌ موقٌ كالنَّورِ غبَّ السَّبلِ الساجمِ
طالعتُ فيه غرراً وضَّحا كمثلِ أيامِ أبى القاسمِ
والآسِ فى كفى أحبيهمُ مثلَ شوابيرِ بنى هاشمِ
وقلت فى الريحانِ :

وخضرٌ يجمع الأعجاز منها مناطق مثل أطواقِ الحمامِ
لها حسنُ العوارضِ حينَ تبدو وفيها لينُ أعطافِ الغلامِ
وقال كشاجم وأحسن :

أرتك يدُ الغيثِ آتارها وأعلنت الأرضُ أمرارها
وكانت أكننتُ لكانونها خبيثاً فأعطته آذارها
والنصف الأول من هذا البيت متكلف :

فما تقعُ العينُ إلا على رياضٍ تصنَّف أنوارها
يفتح فيها نسيم الصبا جناها فيهتك أستارها
وبسفع فيها دماء الشقيقِ ندى ظلِّ بفتض أبكارها
وتدنى الى بعضها بعضها كضمِّ الاحبة زوارها

كأنَّ تفتحها بالضحى عذارى تحللُ ازرارها
 تفضُّ لبرجسها أعيناً وطوراً تحددُ أبصارها
 إذا مزنةٌ سكبت ماءها على بقعةٍ أشعلت نارها
 وقال فيها: وأقبلَ ينظمُ أنجادها
 وأرضع جناتها دَرَه فعممَ بالنورِ أشجارها
 ودارَ بأكنافها دَوْرَه تنسى الاوائل برجارها
 وقال أيضاً في الباقي:

جنى يومٍ لم يؤخر لغدي ولم ينقل من يدٍ الى يد
 كالمقدِّ إلا أنه لم يُعقدِ أو كالفصوص في أكناف الخرد
 أو ككبار اللؤلؤ المنضد في طيِّ أصدافٍ من الزبرجد
 مفروشة بالكسفِ الملبَّد

وقلت فيه أيضاً:

أبدى الربيعُ لنا من حسنِ صنعته شبائهُ اتفقت في الشكلِ والصور
 خضرٌ ظواهرُها بيضٌ بطائنها تحكى القباطي تحت السندس النضر
 بيضٌ شبائهُ في خضرٍ مللمةٍ مثل الزبرجدٍ مثيباً على درر
 ينشقُّ أخضرُها عن أبيضٍ يققُ كالشعرِ يشرقُ تحت الشارب الخضر

ومن المشهور في ورد الباقي قول الصنوبري:

وبنات باقلى يُشبه نورُها بلىق الحمامِ مُشابةً أذنا بها
 وقلت فيه: وُبُرْهَى وَرْدُ باقلى كأطواقِ الشعانين
 وقال السرى في غير ذلك:

في زاهر عبقِ تِضوعه فسكانٌ عطاراً يعطره
 ضاهى ممسكهُ معنبره وحكى مدْرَهْمَه مدْرَه

ومن أجود ما قيل في البساتين ومواضع الأشجار قول الخليل بن أحمد أخبرنا

أبو أحمد عن رجل عن الرياشي قال كان في يد الخليل بن أحمد أرض من أراضي البصرة ليقيم فلما بلغ البيت مضى به الخليل إلى الأرض ومعه قارورة من ماء زمزم فلما جاء المدُّ صب ما فيها في فوهة نهرها ليخلص إلى جميعها ثم قال يا بني هذه أرضك فقم فصل فيها ركعتين واشكر الله على ما أعطاك منها وادع بالبركة لك ولن بعدك ، ثم أنشأ يقول في وصفها :

ترفعت عن يدِ الاعماقِ وانخفضت عن المعاطش واستغنت بسقياها
فالتفَّ بالزهرِ والريحانِ أسفلها ومالَ بالنخلِ والرمانِ أعلاها
وصارَ يحسده فيها أصادقهُ ولائمٌ لامَ فيها من تمنائها
أبا معاوية اشكر فضلَ واهبها وكلما جثتها فاعمر مصلاها

وقال ابن المعتز في السرو والزرجس :

لدى زرجسٍ غضٍ وسروٍ كأنه . قد وُدَّ جوارِ رحنٍ في أُررٍ خضر
وقلت : لبسَ الماءَ والهواءَ صفاءً واكتسى الروضُ بهجةً وبهاءً
فكانَ النهاءَ صرنَ رياضاً وكانَ الرياضُ عدنَ نهاءً
وكانَ الهواءَ صارَ رحيقاً وكانَ الرحيقَ صارَ هواءً
وتخالُ السماءُ بالليلِ أرضاً وترى الأرضُ بالنهارِ سماءً
جللتها الانواءُ زهراً وصفراً يومَ ظلت تنادمُ الأنواءُ
قراها ما بينَ نَوْمٍ ونَوْرٍ تكافأ نبساً وبكاءً
وتظللُ الأشجارُ تتخذُ الحسنَ قميصاً أو الجمالَ رداءً
لبست حينَ أثمرت مُخلدات^(١) واكتست حينَ أورقت سِراء^(٢)
وترى السرو كلنابرٍ تزهي وترى الطير فوقها خطباء
وقال أبو عيينة :

تذكرني الفردوسُ طوراً فأرعوى وطوراً تواتبني على القصف والفتك

(١) أي أقراط. (٢) نوع من الثياب .

بفرس كأبكار الجوارى وثرية
وقال السرى في تفتح ودستنبورى ورمات :

إن شيطانك في الظر في شيطان مريد
فهذا أنت في مبدى ثم معيد
قد أتتنا طرف منك على الظرف تزيد
طبق فيه خدود وقدود ونهود

وقد أحسن التنوخي في وصف النارج حيث يقول :

لم لا تجن بها القلوب وقد غدت مثل القلوب
وقلت: تطالعا بين الفصون كأنها خدود عذارى في ملاحفها الخضر
أنت كل مشتاق برىا حبيبه فهاجته الأحران من حيث لا يدري
وقال: إذ الاح في أغصانه فكأنه شمس عقيق في قباب زبرجد
وقلت في المركب :

مركب تعجب من حسنه قد كنز الفضة في تيره
بشا كل العاشق في لونه ويشبه المشوق في نشره

وقال الصنوبرى في التفتح وقد ظرف :

أعطت بداهة محبة تفاعاة تعطى المحب أمانه من صداه
وهذا البيت متكلف جدا :

فعلت حين لثمتها من كفه انى سألتم أختها من خده
وقال أيضا في الترجمة وأحسن :

جاء فجيانى بأترجة من ذهب قد حشيت فضه
أتى بها ناعمة غضة من كفه الناعمة الفضه
ببذل للقبلة حسنا ولا تصلح أن تبذل للعضه
أجيب بها من مسكة محضة ناولنيها مسكة محضة

وقلت في الأثرج وال نارنج :

ترى النارنج في ورق نصير فنحسبه عقيقا في زبرجد

وأترج على الأغصان يزهي كإرفع العتي قنديل عسجد

وقال بعضهم في دستنبوية :

يا حبذا تحبة رحت بها مسرورا

مخرنة من ذهب قد ملئت كافورا

وقال غيره في الليمون :

وقهوة تزهر في السراج نشرها على كراق حاج

ملبسات أصفر الديباج

وقالت فيه : أحلق ليمون بأترجة كأنجم تحديق بالبدر

مخروطة الأجساد من فضة ملبسات قمص التبر

قد شدت من هاماتها زرها يا عجباً من ذلك الزر

اشرب عليها وتمتع بها فاتها من تحف الدهر

وابعض الكتاب رسالة في التفاح ليس لها نظير في معناها وهي التي أخبرنا بها

أبو أحمد قال أخبرنا الجلودى قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال أهدى ظريف من الكتاب

تفاحة وكتب : لما رأيت تذافس أحبابك وثقات أصدقائك على الهدايا وتواتر الطافهم

عليك تفكرت في هدية تحف مؤنتها وبهظم خطرها وبجل موقعها تجمع الخصال

المحمودة وتنظم الخلال المرموقة فلم أجد شيئاً يجتمع فيه ما أحببنا وبكامل ما وصفنا

غير التفاح فأهديت إليك منه واحدة وأحببت أن أنبهك على فضلها وأقنك على

نيلها وأكشف لك عن سر أثارها وأعرفك لطائف معانيها وأنعت لك مقالة الأطباء

فيها وما نظمت الشعراء في مدحها حتى تراها بيمين الجلالة وتنظر إليها نظر الصيانة

فانه يحكى عن أمير المؤمنين المأمون أنه قال : اجتمع في التفاح الصفرة الدرية والحمرة

الحمرية الذهبية وياض الفضة ونور القمر يلتذ بها من الحواس ثلاث العين الحسن لونها

(٥ - ثانی المعانی)

والأنف لطيب عرفها والفم للذة طعمها ، وقال حكيم من الحكماء : الخمر صديقة
الجسم والتفاح صديق الروح ، وقال آخر منهم وقد حضرت وفاته واجتمع إليه
تلاميذته وأراد مناظرتهم فضعف عنها فقال : إئتوني بتفاحة أعتصم برأيتها ربنا
أقضى وطرى من المناظرة . فلم يستخفها إلا لفضلها على غيرها ، وقال آخر : جسم التفاح
صديق الجسم وريحه صديق الروح ، وقال حكيم من الأطباء : إن أجود الأشياء
لعلاج المزاج الحاد الكائن في المعدة مع المزاج البارد الكائن في الرأس وغثيان
النفس وقلة الاستمرار للطعام التفاح ، وقال إبراهيم بن هاني : ما علل المريض المبتلى
وسكنت حرارة الثكلى ورددت شهوة الحلبى ولا كسرت فورة السكران ولا أرضى
الغضبان ولا ردت عرامة الصبيان بشيء مثل التفاح . والتفاحة إن حملتها لم تنقلك
وإن رميت به لم تؤلمك وقد اجتمع فيها لون قوس قزح من الحمرة والخضرة ولو حل
التفاح لكان قوساً ولو عقدت القوس لكانت تفاحاً ، وقال بعض الشعراء :

مُحْمَرَةٌ التَّفَاحِ فِي مَحْضَرَتِهِ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ قَوْسِ قَزْحِ
وَالْحَمْرَةُ تَفَاحَةٌ ذَائِبَةٌ وَالتَّفَاحَةُ حَمْرَةٌ جَامِدَةٌ . وقال الشاعر * الخمر والتفاح شكلان *
وقال آخر : تَفَاحَةٌ حَمْرَاءُ مَنْقُوشَةٌ رَكِبَتْهَا فِي غُصْنِ الْأَسِّ
أَبَسَتْهَا وَرَدَّاءٌ وَكَلَّتْهَا إِكْلِيلَ نَسْرِينَ عَلَى الرَّاسِ
وقال آخر في التفاحه :

كَأَنَّمَا حَمْرَتُهَا حَمْرَةٌ خَدَّ خَجَلٍ

وقال ابن أمية :

مَازَلْتُ أَرْجُوكَ وَأَخْشِي الرَّدَّيَ مَعْتَصِماً بِاللَّهِ وَالصَّبْرَ

حَتَّى أَتَنَّى مِنْكَ تَفَاحَةً زَحْزَحَتِ الْأَحْزَانَ عَنِ صَدْرِي

حَشَوْتَهَا مَسْكَاً وَنَقَشْتَهَا وَنَقَشَ كَفَيْكَ مِنَ السَّحْرِ

وَإِهْأَ لَهَا تَفَاحَةٌ أَهْدَيْتُ لَوْلَمْ تَكُنْ مِنْ مُخَدَّعِ الدَّهْرِ

فاذا وصلت اليك - أوصلك الله إلى رحمته وعطفه - فأمل وصفها بيمينك وتناولها

يسينك وأحضرها ذهنك وفرغ لها شغلك واجمع لها عقلك وغازلها ساعة وهازلها
أخرى ولا تكن متهاوناً بقدرها غير عالم بفضائها فتتناولها بحركة باردة وطبيعة
جامدة وقلب ساهٍ وعقل لاهٍ وذهن غبي وشراهية نهم عساه أن يكلمها بأسنانه
ولا يدري ما قدرها عند إخوانه ويقصر بمن حياه وينتقص من أهدها ولا يتحدثها
بيدك ولا تثلها بظفرك ولا تبتذلها للغبار ولا تعرضها للدخان فاذا طال لبثها لديك
وخفت أن يرميها الزمان بسهمه ويقصدها بريبه ويذهب بهجتها ويحول نضرتها
فهنيناً لك أكلها والسلام .

وشبه بعضهم ورق الريحان بقافات وفاآت في شعر غير جيد فتركته ولم أذكره.

وقلت في الريحان :

ثم اثنيننا الى خضير منعمة كأن أوراقها آذان مجرذان
وقهوة كجني الورد وشحه من لؤلؤ القطر والأنداء ممطان

وقال السري في دستنبوية :

وأغن كلرشاً الغريب نشا خلال الربرب

في خده ورد حماه من القطاف بعقرب

حيا بدستنبوية مثل السنان المذهب

وقال أيضاً فيها :

صفراء ما عنت لعيني ناظر

وقلت : وأترج يحف بها أقاح

وقال السري في نارنجية :

أهدت على ناي المحل وقد

نارنجية منها استعير لها

وشعاعها من نور وجنتها

وكان ما يخفيه باطنها

أناي التصبر طول هجرتها

ما ألبست من حسن بهجتها

ونسيمها من عطر نكهتها

ما أضمرت من سوء غدرتها

وحكى اخضرار^ه شاب^ه وجنتها قرص^ه الا^ه كف^ه اديم^ه وجنتها
 فأتتك^ه مكملة^ه محاسنها تختال^ه في أنواب^ه زيتها
 فشعارها صفو^ه اللجين^ه ومن^ه ذهب^ه مصوغ^ه ثوب^ه بذلتها
 تُهدى^ه إلى الأرواح^ه من^ه بعيد^ه تحف^ه السرور^ه لطيب^ه نشوتها
 وبصونها^ه سرى^ه روايحها^ه من^ه أن تباشرها^ه بشمتها
 فاشرب^ه عليها^ه من^ه شقيقتها^ه في نعت^ه رايها^ه وصبغتها
 واعطف^ه عنان^ه النفس^ه عن^ه فكر^ه راحت^ه معذبة^ه بفكرتها^ه (١)

وقال ابن طباطبا العلوى في الأترج :

ريحانة^ه في اصفرار^ه مهديها شبهتها^ه بعد^ه فكرة^ه فيها
 أحية^ه لم^ه تُصيخ^ه لهاذها تسد^ه آذانها^ه بأيديها

فأورد المعنى في يتين فقصر من غرابة معناه . وجعلت دستنبوية مقفعة في غصن آس
 فسقطت فناولنيها^ه بعض^ه الأحية^ه فقلت :

وأصفر^ه يهوى^ه من^ه ذؤابة^ه أخضر^ه كما انقض^ه نجم^ه في^ه الدجنة^ه ثاقب^ه
 له^ه شعب^ه تهوى^ه (٢) على^ه سر^ه وانه^ه كمثل^ه بنان^ه الكف^ه يلويه^ه حاسب^ه
 فناولني^ه ذو^ه دلال^ه كأنما^ه له^ه الشمس^ه أم^ه والبدور^ه أقارب^ه
 فأصبح^ه مشهور^ه الجمال^ه مشهراً^ه له^ه الحسن^ه خدن^ه والملاحة^ه صاحب^ه
 وقال بعضهم في الأترج :

لها^ه ورق^ه ريحها^ه ريحة^ه وما^ه ذاك^ه في^ه غيره^ه لو^ه طلب^ه
 كأن^ه تعطف^ه أوراقها^ه أكف^ه تشير^ه إلى^ه من^ه نحب^ه

وقال ابن خلاد في شجر الزيتون :

إذا^ه ذلت^ه الأشجار^ه يوماً^ه لجنوة^ه فإن^ه لها^ه عز^ه القناعة^ه والصبر^ه
 تصرف^ه في^ه اللذات^ه من^ه كل^ه مطعم^ه تصرف^ه زيد^ه آخذاً^ه بقفا^ه عمرو

(١) في نسخة (بصحبتها) . (٢) في نسخة (تلوى) .

وقلت في التفاح :

ليس ربيعُ التفاحِ عندى بريحٍ لاولكنهُ صديقٌ لروحي
مُحرمةُ الخلدِ واخضرارُ عذارٍ فليحُ بطوفِ حَوْلِ مليحِ

وقال نصر بن أحمد :

أكلتُ تفاحةً فعاتبتنى فتى رآها كخداً معشوقه
فقال خدُّ الحبيبِ نأكلهُ فقلتُ لابلِ أمصُّ من ريقه

وقال السرى :

لو جُمدتُ راحنا اغتدت ذهباً أو ذابَ تفاحنا غدا راحا
وقلت في الرمان ولا أعرف فيه شيئاً مرضياً :

حكى الرمانُ أوّلَ ما تبدى حِقاقَ زبرجدٍ يُحشِنَ دُرّاً
فجاءَ الصيفُ بحشوهُ عقيقاً وبكسوهُ مرورُ القبطِ تبراً
ويحكى في الغصونِ ندىً حور شققنَ غلاتلاً عنهن خضرا

وقلت في خوخة :

وخوخة ملء يدِ الجانية تملكُ لحظَ الأعينِ الرانية
مصفرة الوجنة محمرة كأنها عاشقةٌ سالية
وأجود ما قيل في العنب قول ابن الرومي :

ورازقيّ مخطف الخصورِ كأنه مخازنُ البللورِ
قد ملئت مسكاً إلى الشطورِ وفي الاعالى ماءُ وردٍ جورى
لم يُبقِ منها وهجُ الحرورِ إلا ضياءً في ظروفِ نورِ
له مذاقُ العسلِ المشورِ وبردُ مسِّ الخصرِ المقرورِ
ونفحةُ المسكِ مع الكافورِ لو أنه يبقى مع الدهورِ
قرظُ آذانِ الحسانِ الحورِ

وقال في معناه :

ورازقٍ مخطفٍ خصورهُ قد أينعت أنصافهُ الأسافل
 كأنها مخازنٌ مملوءةٌ من ماءٍ وردٍ فيه مسكٌ نافل
 لا يزيد على هذا الوصف أحد . ودخل اعرابي على هشام بن عبد الملك فقال
 له هشام ما أطيب العنب عندكم ؟ قال ما خضر عوده وغلظ عموده وسبط عنقوده
 ورق لحاؤه وكثر ماؤه . فقال له كم عطاءك ؟ فقال ألفين فسكت ساعة ثم قال له
 كم عطاؤك ؟ قال ألفان . قال فلم لحت أولاً ؟ قال لم أشته أن أكون فارساً وأمير
 المؤمنين راجلاً لحت فلحنت ونحوت فنحوت . فاستحسن أدبه وأجازته . وقلت :

باكرنا الدهرُ بسرَّائه وكفَّ عنا بأسَ بأسائه

وجاءنا أيلولُ مستبشراً يفتي على الدهرِ بالآائه

أما ترى الرقةَ في جَوهٍ تناسبُ الرقةَ في مائه

أنظر الى أنواع أثماره قد ضمها في بُردِ أحشائه

راحت عليها نسائمُ الصبا تقرصها في بردِ أفنائيه

أما ترى حسنَ ملاحيه يُهدى الى بهجة شعرائه

أنظر الى رمانه ضاحكاً حراؤه في وجهه بيضائه

وقال ابن المعتز في العنب :

ظلت عناقيدُها يخرجن من ورق كما اختبى الزنج في خضرٍ من الأزرق

وبروى لابن المعتز في التفاح :

وتفاحة صفراء حراء غضة كخذٍ مُحب فوق خدٍ حبيب

أحبابها طوراً وأشربٌ مثلها من الراح في كفي أغن ريب

وقلت في النارنج :

روضٌ زهاهُ المزنُ في كراته بمكفر^(١) ومزعفرٍ ومُضرج

فتبسم النارنج في شجراته مثل العقيق بلوح في الفيروزج

(١) أي ممزوج بالكافور .

والسكاس، يحملها أغنٌ يزينهُ وجناتٌ وردٌ في عذارٍ بنفسج
ومن أجود ما قيل في النخل من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن الجلودى
عن محمد بن العباس عن أبيه عن الأصمعي للنمر بن تولب :

ضرينَ العرقَ في بنبوعِ عينِ طلبنَ معينه حتى ارتوينا (١)
بنات الدهر لا يخبشين محلاً إذا لم تبق سائمةً بقينا
كانَ فروعهنَّ بكل ريح عذارى بالنوايب ينتصينا (٢)
وقد ملح النابغة في قوله :

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليس قشرها إذا طار قشرُ التمرِ عنها بطائر
من الوارداتِ الماءَ بالقاع تستقى بأعجازها قبلَ استقامِ الخناجر
وهذا أجود من الأول لأنه ذكر أنهم وردن الماءَ يعنى الماء الذى فى
بطن الأرض معينا . وقال النمر « طلبن معينه » فجعل الماء الذى فى بطن الأرض
معيناً ، والمعين إمسا هو الماء الجارى على وجه الارض ظاهراً .

ومن أجود ما قيل فى الطلع من الشعر القديم قول كعب بن الأشرف (٣) :

ونخيل فى تلاعِ جمةٍ تخرجُ الطلعَ كأمثالِ الكف
وقال الربيع بن أبى الحقيق :

أذلك أم غرسٌ من النخلِ مترعٍ بوادى القرى فيه العيونُ الرواجعُ
لها سعفٌ جمدهٌ وليفٌ كأنه حواشى بُرودٍ حاكهن الصوانع
وهذا فى وصف الليف حسن . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن الحرث بن

اسماعيل عن سهل بن محمد عن علي بن محمد عن أسلم الأزدى عن يونس عن الشعبي
قال كتب قيصر إلى عمر : إن رسلى أخبرونى أن بأرضك شجرة كالرجل القائم تغلق

(١) فى نسخة « حتى روينا » . (٢) أى يأخذ بعضها بنواصى بعض .

(٣) هو كعب الطائى الشاعر الشجاع الجاهلى كان ينال من المسلمين

عن مثل آذان الحجر ثم يصير مثل اللؤلؤ ثم يعود كالزمرد الاخضر ثم يصير كالياقوت
 الاحمر والاصفر ثم يرطب فيكون كأطيب فالوذ اتخذ ثم يجف فيكون
 عصمة للمقيم وزاداً للمسافر فان كان رسلي صدقوني فهي الشجرة التي نبتت على مريم
 بنت عمران . فكتب عمر اليه : إن رسلك صدقوك وهي شجرة مريم فاتق الله
 ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله .

وهذه تشبيهات مصيبة أخذها عبد الصمد بن المعتز فقال يصف النخل :

حدائقٌ ملتفة الجنانِ رست بشاطي ترع ريان
 تمتازُ بالاعجازِ للاذقانِ لارتهبُ المحلَّ من الازمان
 ولا توفى خنل الذوبانِ ولا ترى ناشدة الرعيان
 ولا تخافُ عرَّةَ الاوطانِ سُحم الرؤوسِ كمتُ الابدان
 لها يوم البارح الجنانِ مثلُ تناصي الخرد الحسان
 إذ هي أبدت زينة الرهبانِ لاحت بكافورٍ على إهان
 يطلعُ منها كيد الانسانِ إذا بدت ملومة البنان
 عُلت بوريس أو بزعفرانِ حتى إذا شبه بالآذان
 من حرِّ الوحشِ لذي عيانِ وهذا لفظ زائد على معناه :
 شققه علجانِ ماهرانِ من لؤلؤ صيغ على قُضبان
 مصوغة من ذهب خلصانِ ثم ترى لاسيع والثمان
 قد حال مثل الشدر في الجمانِ يضحكُ عن مشبه الاقوان
 كأنه في باطن الأفنانِ زمردٌ لاح على التيجان
 حتى إذا تمَّ له شهرانِ وانسدلت عثا كل القنوان
 كأنها قضب من العقيانِ فصلنَ بالياقوتِ والمرجان
 من قاني أحمر أرجوانِ وفاقع أصفر كالنيران

مثل الأكاليل على الغواني

ولا أعرف في النخل من شعر المحدثين أجود من هذه الارجوزة . وقلت :
 ونخيل وقفن في معطف الرمس وقوف الحبشان في التيجان
 شربت بالانجاز حتى تروى وترأت بزينة الرحان
 طلع الطلع في الجماجم منها كأ كف خرجن من أردان
 فتراها كأنها كمت الخيل توافت مُصرة الآذان
 أهو الطلع أم سلاسل طاج مُحلت في سفائن العقيان
 ثم عادت شبانها تنباهي بأعلى شبانه أقران
 خرزات من الزبرجد خضر وهبتها السلوك للقضبان
 ثم حال النجار واختلف الشكـل فلاحت بجوهر ألوان
 بين مُصفر فواقع تنباهي في شماريخها ومُحمر قواني
 وقال بعض العرب * طلماً كأذان الكلاب البيض *

وقال ابن المعتز في الرطب :

كقطع العقيق بانمات بخالص التبر مُنوعات
 وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن السعيد
 قال أخبرنا محمد بن عباد قال تكلم صعصعة عند معاوية بكلام أحسن فيه فحسده
 عمرو بن العاص فقال : هذا بالتمر أبصر منه بالكلام ، قال صعصعة : أجل أجوده
 ماذق نواه ورق سحاؤه وعظم لحؤه والريح تنفجه والشمس تنضجه والبرد
 يدبجه ولكنك يا ابن العاص لا تمرأ تصف ولا الخير تعرف بل تحسد فتعرف^(١)
 فقال معاوية رغباً فقال عمرو أضعاف الرغم لك وما بي إلا بعض ما بك .

ومن الغلو في صفة التمر ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأباري عن اسماعيل
 ابن أسحق القاضي عن أبي نصر قال قال الأصمعي قيل للغاضري أي التمر أجود ؟
 قال : الجرد الفطس الذي كأن نواه ألسن الطير تضع الواحدة في فمك فتجد

(١) أي تغذف .

حلاوتها في كعبك يعني الصيحاني . وقال الخباز البلدي :

ذرى شجر للطير فيه شاجر^١ كأن بنات الورد فيه جواهر
 كأن القمارى والبلايل بينها قبان^٢ وأوراق الغصون ستائر
 شربنا على ذلك الترمم قهوة كأن على أحداقها الدر^٣ دائر

وقال غيره :

أى يوم لنا على التل^١ بالما^٢ وعيش تضيق^٣ عنه النعموت^٤
 ورد^٥ الدر فيه في شجر اللو ز^٦ وفي الخوخ ورد^٧ الياقوت
 وقلت : ظل بسقى حدائقنا وجناننا يلهما من حدائق^٨ وجنان
 خطرت بينها الرياح^٩ سحيراً فتناصت^{١٠} تناصى^{١١} الأقران
 وتناجى الغصون فيها سراراً وتنادى الطيور^{١٢} بالاعلان
 فتناجى الغصون^{١٣} شبه عتاب وتنادى الطيور^{١٤} مثل أغاني
 من كروم^{١٥} تمايلت بعناقيد^{١٦} كجمد^{١٧} الزنوج^{١٨} والمهبشان
 وملاحية^{١٩} تميل^{٢٠} أخرى كوجوه^{٢١} الخرائد^{٢٢} الغرآن
 كلالى^{٢٣} تشبث^{٢٤} بلال^{٢٥} وبنان^{٢٦} تشبكت^{٢٧} بينان
 فهى^{٢٨} كالنجم^{٢٩} في فروع^{٣٠} كروم^{٣١} وهى^{٣٢} كالشمس^{٣٣} في بطون^{٣٤} الدنان

وقلت في البطيخ :

وجامعة لأصناف المعانى صلحن^١ لوقت^٢ إكثار^٣ وقله
 وإحداهن^٤ تبرز^٥ في عباء^٦ وأخراهن^٧ في حبر^٨ وحله
 ومنها ما تشبهه^٩ بدوراً فان^{١٠} قطعها رجعت^{١١} أهله

وقلت : ولون^١ واحد^٢ يلقى^٣ فيأتينا^٤ بألوان^٥
 بسمران^٦ وسودان^٧ ومهران^٨ وصفران^٩
 كوشى^{١٠} فى يدى^{١١} واش^{١٢} وشهد^{١٣} فى يدى^{١٤} جاني

(١) الماء : اسم لناحية . (٢) أى أخذت كل واحدة بناصية الأخرى .

فمن أدم ومن نُقلٍ وريحانٍ وأشنانٍ
 وأنشدنا أبو أحمد في الكرم :
 لمن ظلُّ باردُ الودائق يحملنَ لذاً طعمه للذائق
 كأنها غدائرُ العوائق تُناطُ في حُجرٍ من المعالق
 كأنها أناملُ القرائق

وهو من قول الآخر : * يحملنها بأنامل النقران * وقلت في اللُفَّاح :
 انظر الى اللُفَّاح تنظرُ معجباً يجلو عليك مُفضَّضاً في مُذَّهَب
 يملو مفارقة قلائس أخفيت من تحتهنَّ دراهم لم تضرب
 وقلت في قصب السكر ولا أعرف فيه شيئاً لأحد :

ومشوقة القامات بيض نحورها ومُخضر نواصيها وضفر جُسومها
 لها حقب لا تستطيع أطراحها وليس يطيق سلبها من يرومها
 وهنَّ رِمَاح لا تريق دَمَ العدى ولكن يراقُ في القدود صميمها
 يميل على أعرافها عذباتها كحور تناصى هندها ورميمها^(١)
 تنهى بها الإدراك حتى كأنها يُعلُّ بماء الزعفران أديمها
 ترى الريح يُغريها بنجوى خفيَّة إذا ماجرى قصر العشي نسيمها
 ومن جيد ما قيل في السدر والطلح قول بعضهم :

لم ترَ عينا ناظرٍ منظرًا أحسن من أفنانٍ طلح مروح^(٢)
 كأنها والريحُ نسمو بها ألويةٌ منشورةٌ للفتوح
 وسِدرةٌ مدت بأفنانها على سواقٍ كتون الصفيح
 إلا أن قوله « للفتوح » فضلٌ لا يحتاج إليه لأن الألوية إذا نشرت للفتوح
 مثلها إذا نشرت لغير الفتوح فذكر الفتوح لغو .

وإنما أورد في هذا الكتاب مثل هذا الشعر لأن غيري اختارها فأريد أن

(١) رميم : اسم امرأة كهند . (٢) مروح : أى أصابته الريح .

أدُلَّ على موضع العيب فيه ليوقف عليه . ومن جيد ما قيل في النبق قول بعضهم :

أنا في غيَّاتي بنبقٍ كأنه حُلِّيُّ عروسٍ زانٍ ليتاً وأخذها
بأحمرٍ كالياقوتٍ يَقطُرُ ماؤهُ وأصفرَ كالعقبانِ ضمَّهما معا
وقال آخر :

أقبلَ نحتَ الليلِ كالظبيِّ الفَرَقِ بالراحِ والرَّيحانِ والمسكِ عَبيقِ
فجَادَ بالوصلِ وحبًّا بالنبقِ وقلتُ نبقٌ هكذا وتنفق
ما خضرَ عودُهُ أبداً لانفترق

وقلت في النبق :

جلى الربيعُ	علينا	كواعباً	أبكارا
مُتَوَجَّاتٍ	عقيقاً	مسورات	نهارا
ترى طنَّ من الور	د شوخراً وخيارا		
أهدى لنا جواهرات	تخيُّرُ	الابصارا	
ياحسنُ حمرٍ وُصْفَرُ	تريكِ	جرأً	ونارا
قد راقَ ذاكِ احمراراً	وراعِ	ذاكِ	اصفارا
وخلتُ هذا عقيقاً	وخلتُ	ذاكِ	نُضارا
وذاكِ شهداً مشاراً	وذاكِ	راحاً	عُقارا
لو كان يبقى سليماً	نظمتُه	تقصارا	(١)

وقلت في الشمس ولا أعرفُ فيه لأحد شيئاً مرضياً :

جنيتهما والصبحُ وَرَدَى العَذْبُ بنادقاً مخروطةً من الذهب
قد مُضْمِنَتْ أمثالها من الخشبِ والتفُّ منها خشبٌ على غَرَبِ
وصار منه السَّمُّ حشواً للضربِ فهو لعمري عجبٌ من العجبِ
الغربِ الفضةُ ، والضربُ العسلُ . ولا أعرفُ في التينِ أجودَ من قولِ القائل :

(١) التقصار : القلادة تحيط بالعنق .

أهلاً بتينِ جاءنا مُبتسماً على طبق
يحكى الصباحَ بعضُهُ وبعضُهُ يحكى الفسق
كسُفرةٍ مضمومةٍ قد جُمعت بلا حلق

وقال الحلبي في الفُستق :

من الفُستقِ الشاميِّ كلُّه مصونةٌ
زرجدةٌ ملفوفةٌ في حريرةٍ
نصانٌ من الاحداثِ في بطنِ تابوت
مضْمَنَةٌ دُرّاً مَغشَى ياقوت

وقلت في خيارة :

زرجدةٌ فيها قراضةٌ فِضَّةُ
تلم بناطورينِ في كلِّ حَجَّةِ
فَعند المصيفِ ليسَ يَفقدُ نفعها
وعند الخريفِ ليسَ يُؤمِّنُ ضرُّها
فان رجعتُ تبرا فقد خَسَّ امرُها
فيكثرُ فينا خَيْرُها ثم شرُّها

وأما ذمُّ الدياتينِ فمن أجود ما قيل فيه قول ابن الرومي :

للهِ ما ضيَعْتُهُ من الشجرِ
وَمُعْجَبَاتٍ من بقولِ وزهرِ
في بقعةٍ لا تُسْقِيتُ صوبَ المطرِ
ضميرها النارُ وان لم تستمر
أطفالِ غرَمٍ تُرْتَجِي وتُنْتَظِرُ
مصفرةٌ قد هَرمتَ لامنِ كبرِ
حالقةٌ لنبتها حلقَ الشعرِ
كلُّ امرئٍ غيبري من هذا البشرِ

بستانه أنثي وُبتاني ذكر

ومما يجرى مع هذا قول الاعرابي :

مُطِرنا فلما أن رويانا تهادرت
ورامت رجالٌ من رجالِ ظُلامةٍ
ونصت ركابٌ للصبا فتروحت
بني عمنا لا تُعجلوا نضبَ^(١) الثرى
شقا شق فيها رائبٌ وحليبُ
وعدت دُحُولُ بيننا ودُؤوبُ
ألا ربما هاجَ الحبيبَ حبيبُ
قليلاً وبشوقِ المترفينِ طيبُ
وحنَّت ركابُ الحى حين تزوب
ولو قد تولى الضبُّ وامترت القرى

(١) أي جفافه .

وصارَ غَبُوقَ الخُودِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ عَلَى أَهْلِهَا ذُو جِدَتَيْنِ مَشُوبٌ
 وَصَارَ الَّذِي فِي أَنْفِهِ خُنْزُوانَةٌ يُنَادِي إِلَى هَادِي الرِّيحِ فَيَجِيبُ
 أَوْلَيْكَ أَيَّامٌ تُبَسِّينُ لِلْفَسَى أَكَابَ سَلِيبٌ أَوْأَشْمٌ نَجِيبٌ

(الفصل الثالث من الباب السابع)

في ذكر النسيم

من غريب ما قيل فيه قول ابن المعتز :

وَنَسِيمٌ يُبَشِّرُ الْأَرْضَ بِالْقَطْرِ كَذَيْلِ الْغَلَاةِ الْمَبْلُولِ
 وَوُجُوهُ الْبِلَادِ تَنْتَظِرُ الْغَيْثَ انْتِظَارَ الْمَحَبِّ رَدَّ الرُّسُولِ

وقال ابن الرومي :

حَيْتَكَ عَنَا شِمَالٌ طَافَ طَائِفُهَا بِجَنَّةٍ فَجَرَتْ رَوْحًا وَرِيحَانَا
 هَبَّتْ سُحَيْرًا فَنَاجَى الْغُصْنَ صَاحِبَهُ سِرًّا بِهَا وَتَنَادَى الطَّيْرُ إِعْلَانَا
 وَرَقٌّ تُغْنِي عَلَى خُضْرٍ مُهْدَلَةً تَسْمُو بِهَا وَتَشُمُّ الْأَرْضَ أَحْيَانَا
 تَخَالُ طَائِرُهَا نَشْوَانَ مِنْ طَرَبٍ وَالْغُصْنَ مِنْ هَزِهِ عَطْفِيهِ نَشْوَانَا

وقال ابن المعتز :

بَشُقٌ رِيَاضًا قَدْ تَبَقَّظَ نَوْرُهَا وَبَلَّلَهَا دَمْعٌ مِنَ الْمُزْنِ ذَارِفٌ
 كَأَنَّ عِبَابَ الْمَسْكَ بَيْنَ بَقَاعِهَا يَفْتَحُهَا أَيْدِي الرِّيحِ الضَّعَائِفِ
 وَقَلْتُ : وَالصَّبَا يُجْلِبُ الْغَمَامَ الْيَنَا فَتَرَى الْقَطَرَ لِلرِّيَاضِ نَدِيمَا
 وَتَرَى لِلْغُصُونِ فِيهَا نَجِيمًا وَعَلَى زَهْرَةِ الرِّيَاضِ نَمِيمَا

وقال ابن الرومي :

كَأَنَّ نَسِيمَهَا أَرْجُ الْخُزَامِي وَلاَهَا بَعْدَ وَسْمِيٍّ وَلى^(١)

(١) الولي المطري يأتي بعد الأول وهو الوسمي .

هدية شمال هبت بليلى
إذا أنفاسها نسمت سحيراً
لأفنان الفصون بهانجى
تنفس كالشجي لها الخلى

وقال ابن المعتز:

وماربح قاع عازب طله الندى
فجاءت سحيراً بين يوم وليلة
وروض من الريحان درت سحائبه
وقد أحسن التشبيه أيضاً في قوله:

ومهم كرداء الوشى مشتبه
والريح تجذب أطراف الرداء كما
نفضته والدهجى والصبيح خيطان
أفضى الشفيق إلى تنبيهه ولسان
وقلت:

وأقبل نشر الروض في نفس الصبا
فبات به ثوب الهواء مكفراً^(١)

ومما لم يحجى في معناه مثله قول بشار: أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا المكتفى بالله يوماً أنه كان نائماً فسمع دق باب فانتبه له مرتاعاً ثم سكن قليلاً ثم عاد فنظر فإذا الريح تمحرك الباب حركة كأنها دق بيد، قال فقلت له قد ذكر الشاعر ذلك وما هو فأنشدته لبشار:

طرقنى صبا فحركت البيا
فكأنى سمعت حس حبيب
بهدو آفارت منى ارتياها
نقر الباب نقرة: ثم هابا

قال ما كنت أظن أنه قيل في هذا شئ وما أقل ما يجرى مما لم يذكره الناس.

وقال ابن الرومى وأحسن:

لولا فواكه أيلول إذا اجتمعت
إذا لما حفت نفسى متى اشتعلت
من كل نوع ورق الجو والماء
عليه هائلة الخالين غبراء
ياحبذا ليل أيلول إذا بردت
فيه مضاجعنا والريح سجواء
وجش القر في الجلد وأنلفت
من الضجيعين أحشاء وأحشاء

(١) أى فيه كافور.

وأسفر القمر السارى فصَفَحْتُهُ رِيَالَهَا مِنْ صَفَاءِ الْجَوِّ لِأَلَاءِ
 يَا حَبِذَا نَفْحَةً مِنْ رِيحِهِ سَحْرًا يَا نَيْكَ فِيهَا مِنَ الرِّيحَانِ أَنْبَاءُ
 قَلَّ فِيهِ مَا شُدَّتْ مِنْ شَهْرِ تَعَهُدُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَدُّهُ لِيَضَاءُ
 وَقَلْتُ: وَلَهُ مَجْنَحُ الْأُصْبُلِ نَسِيمُ لَيْنِ الْعَطْفِ هَيْنَ الْخَطْرَانِ
 أَرْجُ يَقْتَدِي بِهِ نَفْسُ الْمَسْكِ وَتَحْكِيهِ نَكْبَةُ الزَّعْفَرَانِ
 كَمْ غَرَامٌ مُدْفَعًا وَرَاحَ حَسِيرًا يَتَهَادَى فِي دَجَلَةِ الْمَسْرُفَانِ
 فَرَأَيْنَا لَهُ لِبُوسَ شَجَاعٍ وَوَجَدْنَا بِهَا ارْتِعَاشَ جَبَانِ

وإلى هذا انتهى بنا القول في هذا الباب ولو أردنا استقصاءه أضجرنا وأملنا ولم
 نأت على ما في نفوسنا منه ، والاقتصار على المشاهير^(١) والأعيان منه أولى وبالله التوفيق .
 انقضى الباب السابع من كتاب ديوان المعاني والحمد لله وحده وصلواته على
 سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون
 ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قمع الضلالة ودمغ الجهالة وقذف بالحق على الباطل فأزهقه
 وأزاله منه حتى أوبقه بما أقام من الدلائل الواضحة وبين من الشواهد اللائحة
 وجعل خلقه حدوداً حذرهم تعديها وخوفهم تخطيها بالقول الصادق والبيان الصادق
 إغذاراً وتحذيراً وحجةً وتنبيةً فمن لم يقنع به ما سبق من صدق قوله وحتم أمره ونهيه
 حكم فيه السيف وسلط عليه السوط ليرداه إلى سبيل الحق بعد أن يجملاه نكالا
 للخلق والله عليم حكيم . وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(١) يرى بعضهم عدم جواز جمع (مشهور) على (مشاهير) بل مشهورين .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب وما يجرى مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب الثامن من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أبلغ ما قيل في صفة الحرب قول الأوّل :

كأنّ الأفقَ محفوفٌ بنارٍ وتحتَ النارِ آسادٌ تزيّر

وقريب منه قولٌ محدثٌ ^(١) :

ويوم كأنّ المصطلينَ بجرّه وان لم يكن جمره وقوف على جمر

صبرنا له حتى تجلى وإنما تُفَرِّجُ أيامُ الكريهة بالصبر

ومن بليغ ما قيل في شدة الروع قول زيد الخليل :

والخيلُ تعلمُ أنّي كنتُ فارسها يوم الاكس به من تجدّة روق

وقول المفضل الكندي :

فداءٌ خالتي لبني حبي خصوصاً يومَ كس القومِ روقُ

معناه ان الاكس وهو القصيرُ الأسنان قد كلح من كراهة الحال وشدة

الروع حتى تراه كأنه أرووق وهو الطويل الأسنان ، آخذهُ أبو تمام فأجاده

في قوله * فخيّل من شدة التعبيس مبتسماً * على أنه ليس فيه مدح لأن

الكلوح في الحرب لا يدل على الشجاعة . ومما يدخل في هذا الباب وليس منه

قول أبي فراس بن حمدان في خيل طاردت يوم تلج :

ويوم كأن الأرضَ شابت لهوله قطعتُ بخيل حشو فرسانها الصبرُ

(١) هذا البيت لتهمش بن حري التميمي فهو ليس لمحدث وقد حضر حرب

صفيين ، ولعله أراد بمحدث أنه ليس بجاهلي - كما في هامش الأصل .

نسيرُ على مثلِ الملاءِ منشراً وآثارها طُرزٌ وأطرافها حُرٌّ
أجود ما قيل في اصطفاة الخيل قول الأعرابي :

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى تقول نساؤهم هذا الفنى
يخرجن من خلل الغبار عوابساً كأنامل المقرور اقمى فاصطلى
يتخالسون نفوسهم برماحهم فبمثلهم باهى المباهى واتمى
ومن أجود ما قيل في انصباب الخيل في الغارة قول ضمرة بن ضمرة :
والخيل من خلل الغبارِ خوارجٌ كالتمر ينثر من جراب الجريم^(١)
وقال آخر :

وربت غارة أوضعتُ فيها كسح الخزرجمي جريم تمر
وقد أحسن الاعرابي في قوله :

نقاذفُ بالفاراتِ عبساً وطيباً وقد هربت منا تميمٌ ومذحجٌ
بغزو كولغ الذئبِ غادٍ ورائحٍ وكسرى كصدع السيفِ لا يتعرج
وقال أبو فراس :

وسمر أعاد يلمع البيض بينهم وبيض أعاد في أكنفهم السمر
وخيل بلوح الخير بين عميونها ونصل إذا ما شمته نزل النصر
وقوم متى ما ألقهم روى القنا وأرض متى ما أغزها سبغ النسر
ومن أبلغ ما قيل في اعمال السيف قول عمرو بن كلثوم :

كان سيوفنا فينا وفيهم مخاريق^(٢) بأيدى لاعبيننا

وقول قيس بن الخطيم • كان يدي بالسيف مخراق لاعب •
ومن أحسن ما قيل في الضرب قول الحماني :

وإنا لتصبح أسياقنا إذا ما انتضين ليوم سفوك
منابرهن بطون الكف وأغادهن رؤوس الملوك

(١) جمع جارم الذي يجنى التمر. (٢) المخراق خرقة يلويها الصبيان وبديرونها بسرعة.

أخذه من قول سعيد بن ناشب :

فإن أسيافنا بيضٌ مُهندَةٌ عتقٌ وآثارها في هامكم جُدُدٌ

وإن هويتم سللناها فما غمدت إلوهاً بنى بكر لها غمدٌ

وقال مسلم * ونعمد السيف بين النحر والجيد * وقال أيضاً :

لو إنَّ قومًا يخلقونَ منيةً من بأسهم كانوا بنى جبريلاً

قومٌ إذا حمرَّ الهجيرُ من الوغى جعلوا الجمجمَ للسيوفِ مقبلاً

وقال حسان : ويثربُ تعلمُ أنا بها أسود تنفضُ ألبادها

إذا ما غضبنا بأسيافنا جعلنا الجمجمَ أغهادها

وأحسن ما قيل في الضربة الدامية قول ابن المعتز :

شقَّ الصفوفَ بسيفه وشفى حزازاتِ الأحن

دامي الجراح كأنه وردٌ تفتح في فنن

ومن عجيب ما قيل في كثرة الطعن يقع في الجسد قول بعضهم :

فلولا الله والمهرُ المندى لرحت وأنتِ غربالُ الأهاب

وقال قيس بن الخطيم في سعة الطعنة :

طعنتُ ابنَ عبدِ القيسِ طعنةً نائراً لها نَفَذٌ لولا الشعاعُ أضاءها

ملكْتُ بها كفى فأنهرتُ فتقها يرمى قائمٌ من دونها ما وراها

ومن أبلغ ما قيل في مضاء السيف قول النمر بن تولب :

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نمرٍ أسبَادَ سيفٍ قديمٍ اثره بادي

تظلُّ تحفِرُ عنه أن ضربت به بعد الذراعينِ والساقينِ والهادي

وهذا من الإفراط والغلو وهو عند بعضهم مذمومٌ إذا كان في هذا الحد وعند

آخرين ممدوحٌ ، يقول إذا ضربت به قطع المضرُوبَ وتجاوزه حتى غاص في

الأرض فاحتجت أن تحفرَ عنه فتستخرجه . ودون ذلك في الغلو قول النابغة :

بطيرٌ فُضاضاً بينهم كلُّ قونس^(١) ويتبعها منهم فراشُ الحواجب
 تقدُّ السلوقى المضاعفَ نسجهُ وتوقد بالصُّفَّاحِ نارَ الجباح^(٢)
 يقول أنها تقدُّ الدرعَ التى مُضوعف نسجها والفراس حتى تبلغ الأرض فتقدح
 النار بالصُّفَّاحِ: وهى حجارة . ومن بليغ ما قيل فى صفة السيف قول ابن
 يامين قال محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان عن الايامى القاضى عن الهيثم بن
 عدى قال لما صار سيف عمرو بن معدى كرب الذى يُسمى الصمصامة إلى الهادى
 وكان عمرو وهبه لسعيد بن العاص فتوارنه ولده الى أن مات المهدي فاشتراه موسى
 الهادى منهم بمال جليل وكان موسى من أوسع بنى العباس مُخلفاً وأكثرم عطاء
 للمال قال فجرده ووضع بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا ودعا بمكاتل فيه دنائير
 فقال قولوا فى هذا السيف فبدرهم ابن يامين فقال :

حاز صمصامة الزبيدى من يمين جميع الانام موسى الامين
 سيف عمرو وكان فيما سمعنا خير ما اعمدت عليه الجفون
 اوقدت فوقه الصواعق نارا ثم شابت به الرطاف القيون
 فاذا ماهزته^(٣) بهر الشمس ضياء فلم تكن تستبين
 يستطير الابصار كالبس المشعل ما تستقر فيه العيون
 وكان الفرند والجوهر الجا رى فى صفحته ماء معين
 نعم محراق ذى الحفيظة فى الهيجا بعضاتها ونعم القرين
 ما يالى إذا انتضاه لضرب اشمال سبط به أم يمسين
 وكان المنون نيطت اليه فهو من كل جانبيه منون
 أخذ عليه من هذه الايات تشبيهه السيف بالشمس ثم بالقبس لانه قدحطه
 درجات ، فقال موسى أصبت ما فى نفسى واستخفه الفرخ فأمر له بالمكاتل والسيف

(١) فُضاضاً متفرقا : والقونس أعلى الرأس . (٢) السلوقى : درع منسوب

لبلدة سلوق ، والجباح ما اقتدح من شرر النار . (٣) فى نسخة « سلته » .

فلما خرج قال للشعراء: إنما حرمتم لأجلى فدونكم المكتل ولي في هذا
 السيف غنى، قال فقام موسى فاشترى السيف منه بمال جزيل هـ .
 وذكر الهيثم بن عدي هبة عمر بن معدى كرب^(١) الصمصامة لسعيد بن العاص
 فقال قال سعيد بن العاص وهو بالكوفة لعمر بن معدى كرب هب لي الصمصامة
 فانك قد ضعفت عن حمله وكان وزنه ستة أرتال فقال عمرو ما ضعفت قناتي
 ولا جناتي ولا لسانى وان اختل جثمانى وهو لك على انه او حش من لا يؤنسه
 وأظلم من لا يقبسه^(٢) ثم قال :

خليل لم أهبه من قلاه ولكن المواهب في الكرام
 خليل لم أخنه ولم يخني على الصمصام أضعاف السلام
 قوله « أو حش من لا يؤنسه وأظلم من لا يقبسه » بقول اذا كنت أستوحش
 من جانب العدو آنسى واذا أظلم لي الليل اضاء لي . وقال البحترى :

مصنغ الى حكم الردى فاذا مضى لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
 متوقد يسرى بأول ضربة ما أدركت ولو أنها في يذبل
 فاذا أصاب فكل شيء مقتل واذا أصيب فماله من مقتل
 يغشى الوغى فالترس ليس بجنة من حده والدرع ليس بمعقل
 وذكر عمرو بن معدى كرب أنواع السلاح فأجاد: أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا
 أبو عبد الله بن عرفة قال أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابي قال حدثني رجل
 من ولد أبي سرحة الغفاري قال قدم عمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه فسأله عن سعد بن أبي وقاص فقال عمرو اعرابي في نمرته عاتق في
 حبلته أسد في تامورته نبطي في جيايته . فقال كيف علمك بالسلاح ؟ فقال
 بصير قال فأخبرني عن النبيل قال منايا تحظى . وتصيب قال فأخبرني عن الرمح

(١) كذا، ولعل صواب رسمها « معدى كرب » . (٢) لعل المعنى أن من لم يؤنسه

هذا السيف أصابته الوحشة ومن لم يقبسه عمته الظلمة . كما في هامش الأصل :

قال أخوك وربما خانك قال فأخبرني عن الترس قال هو المحنُّ وعليه تدور الدوائر
 قال فأخبرني عن السيف قال عنده قارعت أمك الشكلي قال بل أمك والحمى أضرتني
 لك . النمرة كساء أسود تلبسه الاعراب ، والعائق الجارية الكعاب وصفه بالحياة
 والنامورة ههنا الاجمة ، فقال نبطي في جبايته وصفه بالاستفصاء في جباية الخراج ،
 وقوله الحمى أضرتني لك أي الاسلام قيدني لك وأذنتي ولو كنت في الجاهلية
 ما كنتني بهذا الكلام ، وهو مثل العرب تضرب به عند الشيء . يضطرها الى الخضوع .
 ومثل ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دُرَيْد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة
 قال قال الاغرُّ النهشلي ووقع بينه وبين قومه شرٌّ فأرسل ابته وقال يا بُنَيَّ كن
 بدأ لأصحابك على قتالهم وإياك والسيف فانه ظلُّ الموت وأتق الرمح فانه رشاً
 المنية ولا تقرب السهام فانها رُسلٌ تعصي وتُطيع قال فبم أقاتل؟ قال بما قال الشاعر :
 جلابدُ املاء الاكف كأنها رؤوسُ رجالٍ حلقَّت في المواسم
 فعليك بها فالصقها بالاعقاب والسوق .

وقد أحسن التنوخي في صفة الحرب حيث يقول :

في موقف وقفَ الحامُ ولم يَزِغْ عن ساحتيه وزاغت الابصارُ
 فَقَنَّا بسيلُ من الدماء على قنا بطوالهنَّ تُقَصِّرُ الاعمارُ
 ورؤوسُ أبطالٍ تطايرُ بالظبي فكانها تحت الغبار غبارُ

وقد أجاد ابن المعتز في هذا المعنى حيث يقول :

قومٌ إذا غضبوا على أعدائهم جَرُّوا الحديدَ أزجَّةً ودُروها
 وكان أبديهم تُنْفَرُ عنهم طيراً على الأبدانِ كُنَّ وقوا
 وقال أيضاً :

بطعنٍ تضيعُ الكفُّ في لهُواتِهِ وضربٍ كما شقَّ الرداءُ المرعبل
 وقال أيضاً :

قرَبنا بعضهم طعنًا وجميعاً وضرباً مثل أفواه اللقاح

وقال البحترى وأحسن في ذلك :
 أوى إذا طمن المدجج صكهُ
 فأننا الذبير لمن تغطرس أوطنى
 وقد ظرف في قوله أيضاً :
 ولولم يحاجز لؤلؤ بفراره
 لكان لصدر الرمح في لؤلؤ ثقب
 ومن المختار قول مالك بن نويرة :
 بسمر كأشطان^(١) الجزور نواهل
 يجور بها ذو المنايا ويهتدى
 يقن معاً فيهم بأيدى كاتنا
 كأن المنايا للرماح بموعده
 ومن أبلغ ما قيل في صفة الضرب والطنن من قديم الشعر قول عبدمناف بن ربيع :
 فالطنن شعشة والضرب هيقعة
 ضرب المعول تحت الديمة العضدا
 وللقسى أزاميل^٢ وغمغمة^٣
 حس الجنوب تسوى الماء والبردا
 الهيقعة : وقع الشيء الصلب على مثله سمعت هيقعة الحجر والحديد ، وشبه
 أصوات القسى بصوت السحاب الذى فيه برد ، والمعول الذى يتخذ العالة وهو
 أن يعمد الراعى إذا خاف المطر إلى الشجر يتعضده ويجعل عضده على شجرتين
 متقاربتين ويستكن تحته ، والمعضد ما يعضد من الشجر أى يقطع والمعضد المصدر .
 ومن أجود ما قيل في نفوذ التدبير في الحرب مع الغيبة عنها قول ابن الرومي في صاعد :
 يظل من الحرب العوان بمعزل
 وآثاره فيها وان غاب شهيد
 كما احتجب المقدار والحكم حكمة^٤
 على الناس طراً ليس عنه معرر^(٢)
 أخذه من قول بشار بن برد :
 الدهر طلاع بأحدائه
 ورسله فيها المقادير
 محجوبة تسفد أحكامها
 ليس لنا عن ذلك تأخير
 وقال : حصرت عميد الزنج حتى تخاذلت
 قواه وأودى زاده المتزود

(١) جمع شطن وهو الجبل . (٢) أى مهرب .

وكانت نواحيه كثافاً فلم تزل نحيفها حتى كأنك مبرد
تُفرقُ عنه بالمكانيد جندَه وتزدارهم جنداً وجيشك محصد^(١)
سكنت سكوناً كان رهناً بوثة عماس كذاك الليث للوثب يلبد
فما رمته حتى استقل برأسه مكان قناة الظهر أسمر أجرد
مناك له مقداره فكأتما تقوض شهان عليه وصندد

فقال صندد بفتح حرف الردف وهو خطأ وليس في العربية فعل إلا درهم
وهجرع وهو الطويل الأحمق، وهبلع وهو الكثير البلع، وقلم وهو الكثير
القلع للأشياء، وكان بنى قصيدته على فتح الردف ولم يلزمه ذلك وكابر على
فتح صندد ورمدد وهما مكسوران فزعم محمد بن حبيب أنه رواهما بالفتح، وكابر
أيضاً على فتح الراء من «درم» في قصيدته التي أولها:

« أفيضاً دماً أن الرزايا لها قيم * وإنما هو «درم» .

وأحسن ما قيل في الكيد والحرب قول أبي تمام:

هزرت له سيفاً من الكيد أنها تجذب به الاعناق مالم يجرد
بسر الذي يسطو به وهو مغمد ويفضح من يسطو به غير مغمد

يقول إن أخفيت الكيد ظفرت وسررت وإن أظهرته افتضحت وخبت.

وقد أحسن في وصف الرماح حيث يقول:

أنهبت أرواحه الأرماع إذ شرعت فما تردُّ لرب الموت عنه يد
كأنها وهي في الأرواح والغنة وفي الكلى تجدد الغيظ الذي يجدد
من كل أزرق نظار بلا نظير إلى المقاتل ماني منه أود
كأنه كان خلدن الحب منذ زمن فليس يُعجزه قلب ولا كبد

ويُسببه بياض السيف بالملح فمن أجود ما قيل فيه قول النمرى:

ذكر برونقه الدماء كأنها يعلو الرجال بأرجوان فاقع

(١) أي قوى مجتمع متضافر .

وثرى مضارب شفرته كأنها ملح تنثر من وراء الدارع
 وبشبه الفرند بمدب الدر فمن قديم ما قيل فيه قول امرئ القيس :

مُتَوَّسِدًا عَضْبًا مَضَارِبُهُ فِي مَتْنِهِ كَدَبَةِ النَّمْلِ

وقول أوس بن حجر :

وذو شطبات قدّم ابن مجدع له رونق ذريه يتأكل

وأشبرنيه الهالك كأنه غدبر جرى في متنه الريح سلسل

وأخرج منه القين أثرًا كأنه مدب دبا سود سري وهو مسهل

وقال ابن المعتز وأبدع :

وجرد من اغماده كل مرهف إذا ما اتضته الكف كاد يسيل

تري فوق متنيه الفرند كأنما تنفس فيه القين وهو صقيل

وقال اسحق بن خلف :

ألتى بجانب خصره أمضى من الأجل الملاح

وكأنما ذرّ الهما عليه أنفاس الرياح

وقال قيس بن الخطيم :

أجادهم يوم الحديقه حامرا كأن يدي بالسيف مخراق لا عب

بسيف كأن الماء في صفحاته طحارير غيم أو قرون جنادب

أخذه ابن المعتز فقال :

ولي صارم فيه المنايا كوامن فما ينتفى إلا لسفك دماء

تري فوق متنيه الفرند كأنه بقيه غيم رق دون سماء

وقد أجاد ابن الرومي في قوله :

خير ما استعصمت به الكف غضب ذكر متنه أنث المهر

مانا ملتته بعينك إلا أبرقت صفحاته من غير هز

مثله أفرع الشجاع الى الدر ع فغالى به على كل بر

ما أبالي أصممتُ شفرتهُ في محزٍ أو جازنا عن محزٍ
 وقال آخر : جردوها فألبسوها المنايا عوضاً عوضت من الاغمادِ
 وكان الآجال بمن أرادوا وطبأها كانت على ميعادِ
 وقلت : تميلُ كفى من سيفٍ الى قلمٍ والعزُّ نصفانِ بين السيفِ والقلمِ
 وقال ابن المعتز :

وسيوفٍ كأنها حين سُلتِ ورق هزّه سُقوط قطارِ
 ودروعٍ كأنها شمطٌ جعدٌ دهينٌ يضلُّ فيه المدارى
 وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيل في صفة الرماح :

وبكلِّ عرَّاصٍ ألمهزةٍ مارٍ فيه سنانٌ مثلُ ضوءِ الفرقدِ
 أحسن ما قيل في صفة الرماح قول المزد :

أصم إذا ما هزَّ مالت سراته كما مال ثعبانُ الرمالِ الموائلِ
 له رائدٌ ماضى الفرار كأنه هلالٌ بدا في ظلمةِ الليلِ ناحلِ
 وقال الأصمى أحسن ما قيل في صفة الرمح قول أبي زيد :

وأصمٌ مربعٌ يرى ما أربته بصيرٌ إذا صوبته للمقاتلِ

وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيل في ذلك قول مسكين :

بكلِّ رُدْبِيٍّ كأنَّ كعوبه قطانسق يستورد الماءَ صائفِ

كأن هلالاً لاح فوق سراته جلال الغيم عنه والقنم الحراجف^(١)

وأحسن ما قيل في سرعة وقع الرماح وتداركه قول دريد بن الصمة :

نظرتُ إليه والرماحُ تنوشهُ كوقع الصباصى فى النسيجِ المعددِ

الصبصية الشوك الذى يسوى به الحائك الثوب ، والصبصية أيضاً الحصن

ويقال للناشر من ساق الديك الصبصية أيضاً . وقد أحسن البحرى فى قوله :

فى معركِ ضنكٍ تخالُّ به القنا بين الضلوعِ إذا نحنينَ ضلوعا

(١) الحراجف : فاعل جلا وهى الرياح الشديدة :

وأجود ما قيل في إدمان حمل الرمح قول الآخر :
 وقد طال حمل الرمح حتى كأنه على فرسي غصن من البان نابت
 بطول لسانى فى العشيرة مصلحاً على أنه يوم السكرية ساكت
 والسكوت فى الحرب دليل على سكوت الجأش ، وكثرة الصوت فيها أماراة
 الفرع ، وقد قيل * وكثرة الصوت والايعاد من فشل * وقلت فى الرمح :
 يغدو بصدق الكيوب لذن يهتز ما بين كوكبين
 أغنى الزج والسنان . وقال البحترى :

كأنما الحربة فى كفه نجم دحى شيعه البدر
 وقد شبهت العرب الرماح بالأشطان والاسنة بالشهبان فتركنا ذكر ذلك
 لشهرته واستفاضته . أجود ما قيل فى القوس من قديم الشعر قول أوس بن
 حجر^(١) وهو أوصف العرب للسلح :

فجردها صفراء لا الطول طابها ولا قصر أزرى بها فتعتلا
 كتوم طلاع الكف لادون ملها ولا عجمها عن موضع الكف أفضلا
 وحشو جفير^(٢) من فروع غرائب تنطع فيها صانع وتأملا
 بخير أنضاء وركبن أنصلا كجمر الغضا فى يوم ربيع تزيلا
 وقال الشماخ فى صوت القوس :

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم نكلى أوجعتها الجفائر
 وقال آخر : وهى إذا أنبضت عنها تسجع ترنم الشكى أبت . لا تهجم
 وقال آخر : تسمع عند النزاع والتوتير فى سيقها رنة الطنبور
 وقال الاصمعى : أحسن كلام فى الإيجاز قول عكلى فى صفة قوس :

* فى كفه معطية ممنوع * ومن أحسن ما قاله محدث فى القوس قول ابن المعتز بالله :

(١) هو الشاعر التميمى المشهور ، عمر طويل ولم يدرك الإسلام .

(٢) أى ورب حشو الخ ، وحشو الجفير هو السهام ، والجفير الكنانة .

أُتِيحُ لها هَفَانٌ يُخْطَمُ قومه^(١) بأصفر حَنانِ القَرَى^(٢) غيرَ أُعْزَلا
فأودَعَهُ سَهْمًا كِيدِرَى مواشِطٍ بعُنَ بهِ في مَفْرُقٍ فتغَلْغَلا
بطيئًا إذا أُسْرَعَتِ إِطْلَاقَ فَوْقَه ولكن إذا أَبْطَأَتِ في النَّزْعِ عَجَلا

وأجود ماشُسْبَه به أفواقُ السَّهَامِ قول الآخر :

أفواقها حَشَوُ الجَفِيرِ كأنها أفواهُ أفرخَةٍ من النَّغْرانِ

والنَّغْرانِ جمع نغرة وهي عصفورة . وقال الفندُ الزماني^(٣) :

* ونبلي وقفاها كعراقيبِ قَطَاً طحل * أخذهُ عَتَّابُ بنِ ورقاء فقال^(٤) :

وحطَّ عن منكبِهِ شَريانَةَ مما اصطنقِ باري القسيِّ وانثقى

أمَّ بناتٍ عَدَّها صانِعُها سَتِّينَ في كنانةٍ مما يرى

ذاتِ رُؤوسٍ كالصايحِ لها أسافلٌ مثلِ عِراقيبِ القِطا

ان حُرَّكت حنت إلى أولادها كحنة الواله من فقد الطلا^(٥)

حتى إذا ما قُرنَت يبعضها لانت ومال طرفاها وانثنى

وقال ابن الرمي في قوس بندق^(٦) :

كانَ قَراها والغرور^(٧) التي بها وان لم تجدها العينُ الا تتبعا

مذَرُّ سحبقِ المسكِ فوقَ صِلابَةٍ أدبٌ عليها دارجُ الذَّرُّ أكرُّها

ها أولُ طوعِ اليدينِ وآخِرُهُ إذا صمتهُ الاغراقُ فيه تمنعا

تطوعُ زاميا الرمايا كأنما دعاها له داعي المنايا فأصمعا

يُقلبُ نحوَ الجِوِّ عينا بصيرةً كعينك بل أذكى ذكاه وأسرعا

(١) جعل الأثر بمنزلة الخطام . (٢) القرى: الظهر . (٣) الفند الزماني :

اسمه شهل بن شيبان ، وهو الشاعر الجاهلي ، كان سيد بكر وقائدها في زمانه .

(٤) من أمراء العرب الأبطال . (٥) هو الصغير من أولاد الحيوان .

(٦) كرة صغيرة يقذفون بها . (٧) الغرور : الغضون

لما عولة أولى بها من تصيبه
 وهذا مثل قوله في امرأة :
 تشكى المحب وتلفي الدهر شاكية
 وقال المتنبي في سداد الرمي :
 يُصيبُ ببعضها أفواقَ بعض
 وقال الراجز في ضد ذلك :
 مستهترٌ بالرمي وإهٍ عضده
 أحصن شيء يوم يرمي طرفه
 وقال ابن الرومي في سهام :
 وكل أين ربح يسبق الطرف معبجه
 صنيعٌ مريشٌ قوم القين منته
 يغلغه في الدرع نصلٌ كأنه
 وقال ابن المعتز في قوس البندق :
 وماء به الطيرُ مربوطة
 غدونا عليه وشمسُ النهار
 فظلنا وظلت عيونُ القسي
 وقد أحسن القائل في صفة الرماح على العواتق :
 ترى غابة الخطي فوق رؤوسهم
 كما أشرفت فوق الصوار (١) قرونها
 وما يجرى مع ذلك قول أبي فراس بن حمدان :
 وما الذنب إلا العرير كبه الفتى
 وما ذنبه أن جاوزته المطالب
 ومن كل غير السيف كافل رزقه
 فلذل منه لا محالة جانب
 وما جاء عن أهل الجاهلية في النشاب شيء إلا قول سيف بن

(١) الصوار : جماعة بقر الوحش .

ذى يزن يذ كر القوس :

هزوا بنات الرياح نحوهم أعوجها طامح وزمزما
كانها بالفضاء أرشية يخف منقوضها ومبرمها
فأما النبيل فقد جاء فيها عنهم شيء كثير.

أجود ما قيل في الدروع : قال أبو عبيدة أحسن ما قيل فيها قول كعب بن زهير :
وبيض من النسج القديم كأنها نهاء (١) بقاع ماؤها مترابع (٢)
تصفقها هوج الرياح إذا صفت وتعقبها الأمطار فإلى راجع
وهو مأخوذ من قول امرئ القيس :

تفيض على المرء أردانها كفيض الأثني (٣) على الجدد
وقال البحترى :

يمشون في زرد كأن متونها في كل معركة متون نهاء
بيض تسيل على الحكمة فضولها سيل السراب بقفرة يبداء
وإذا الأسنه خالطتها خلتها فيها خيال كواكب في ماء
ومعنى البيت الأخير دقيق غريب حسن مصيب ما أظنه سبق إليه .

ومن مليح ما جاء في صفة الدرع قول بعض بني هاشم :

وعلى سابعة الذبول كأنها سلاح كسانيه الشجاع الأرقم

ومن مليح ما جاء في صفة الحرب ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن
أبي جعفر عن المدائني قال قال رجل من بني تميم لعبادي لم يكن لآل نصر بن
ربيعة صولة في الحرب قال لقد قلت بطلاً ونطقت خطلاً كانوا والله إذا أطلقوا
مُقل الحرب رأيت فرساناً تمور كرجل الجراد وتدافع كتدافع الامداد في فيلق
حافاته الاسل يضطرب عليها الاجل إذاهاجت لم تتناه دون بلوغ ارادتها ومنتهى غايات
طلباتها لا يدفعها دافع ولا يقوم لها جمع جامع وقد وثقت بالظفر لعز أنفسها

(١) جمع نهى وهو الغدير (٢) أى متردد (٣) أى الجدول .

وأيقنت بالغلبة لضراوة عاداتها فالها العلوُّ والتمكينُ ولمن ناوأها الذلُّ والتوهينُ
 خصتْ بذاك على العرب أجمعين . ومما يجرى مع ذلك ما أخبرنا به أبو القاسم
 عن العقدي عن أبي جعفر قال أنشد جريرٌ هشام بن عبد الملك :

لِقَوْمِي أَحْمِي لِلْحَقِيقَةِ مِنْكُمْ وَأَضْرِبُ لِلْجَبَّارِ وَالنَّقْعِ سَاطِعُ
 وَأَوْثِقُ عِنْدَ الْمُرْدَفَاتِ عَشِيَةً لِحَافًا إِذَا مَاجَرَدَ السِّيفُ لَامِعُ
 فقال هشام لم تترك نساءك حتى أردفن ألا جعلتم كنسوة الخبيل فما
 سمعنا بمرقيات قط أمنع منهن حيث يقول :

وَسَاقِطَةُ كُورِ الْحِمَارِ حِيَّةٌ عَلَى ظَهْرِ عُرْمَى زَالَ عَنْهَا جِلَافُهَا
 تَشُدُّ يَدَيْهَا بِالسِّنَامِ وَقَدْ رَأَتْ مُسَوِّمَةً بِأَوَى إِلَيْهَا رِطَالُهَا
 نَزَلْنَا فَسَاقِينَا الْكُمَاةَ دِمَاءَهَا سَجَالُ الْمَنَابِإِ حَيْثُ تُسْقَى سَجَالُهَا
 وأجود ما قيل في ثبات الرجال في الحرب قول الحرث بن عباد :

قَرَّبًا مَرْبُطًا النِّعَامَةَ مَنِ لَقَّحَتْ حَرْبٌ وَائْتَلَّ عَنْ حِيَالِ
 قَرَّبَاهَا فَإِنَّ كَفَى رَهْنًا أَنْ تَزُولَ الْجِبَالُ قَبْلَ الرِّجَالِ

وقد وصف الله ذلك في كتابه فقال (ان الله يحب الذين يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرَّضُونَ) ولم يصف أحدًا من المتقدمين والمتأخرين القتال في المراكب إلا البحترى: أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال سمعتُ عبد الله بن المعتز يقول لو لم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها ، وقصيدته في البركة ° ميلوا إلى الدار من ليلى نحيبها ° واعتذاراته في قصائده إلى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة إلى النعمان مثلها ، وقصيدته في دينار بن عبد الله التي وصف فيها ما لم يصفه أحدٌ قبله أولها ° ألم تر تغايس الربيع المبكر ° ووصف حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف إذا أضيف إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه . وكان كثيرًا ما ينشد له ويعجب من جودته :

غدوتُ على المأمونُ صباحاً وإنما
 إذا زججَ النوى فوقَ علتهِ
 يفضونَ دُونَ الاستنابِ عيونهم
 إذا ما علت فيه الجنوبُ اعتلى له
 إذا ما انكفا في هبوةِ الماءِ خلتُهُ
 وحولك ركبونَ للهولِ عاقروا
 تميلُ المنايا حيثُ مالت أكتفهم
 إذا رشقوا بالنارِ لم يكُ رشقهم
 صدمت بهم صهبُ العنانينِ دونهم
 كأن ضجيجَ البحرِ بينَ رماحهم
 تقارب من زحفهم فكأنما
 فمأرحت حتى أجلت الحرب عن طلي
 على حين لا نغمُ يطوحه الصبا
 وكنت ابن كسرى قبل ذلك وبعده
 جدحت له الموت الزعافَ فغافهُ
 مضى وهو مولى الريح بشكرُ فضلها

ومن أجود ما قيل في السهم من قديم الشعر قول عنتره :

أيننا فما نعطي السَّوامنِ عدونا قياماً بأعضاء السراء (١) المعطّف
 بكلِّ هتوفٍ عجبها رَضوية (٢) وسهم كبير الحبريِّ الموقفِ

وقال راشد بن سهاب (٣) البشكري :

ونبلِ قرانِ كاتسورِ سلاجيمِ وفلقِ هتوفٍ لاسقيِّ ولا نثمِ

(١) السراء : شجر تصنع منه السهام . (٢) نسبة إلى رضوى .

(٣) سهاب ككتاب بالسين المهملة - على ما في القاموس .

وَمُطَرِدِ الكَمْبِينِ أَحْمَرِ طَاقِدِ وَذَاتِ قَتِيرٍ فِي مَوَاصِلِهَا دَرَمِ
وصف النبل والقوس والرمح والدرع في بيتين فأحسن ، والادرم الأملس الذي
لاحجمه ، والسلاجم الطوال ، والسقى الذي يشرب الماء ، والنشم شجر .

ومن أجود ما قيل في البيض من قديم الشعر قول سلامة بن جندل (١) :

إذا ماعلونا ظهرَ نشزَ كأنما على الهام مناقبُ بيضٍ مفلسق

وقول الآخر * كأن نعام الدو باض عليهم * ورواه بعضهم :

كأن نجاج الجو باض عليهم * فليل له أخطأت من وجهين أحدهما أن النجاج

لأنكون في الجو والآخر أنها لا تبيض . ومن أحسن ما قيل فيه قول ابن المعتز :

وبيض كأنصافِ البدورِ أبية إذا امتحنهنَّ السيوفُ خيارُ

فتشبيها بأنصافِ البدورِ تشبيه غريب مصيب .

أجود ما قيل في اتباع الرجال الرئيس في الحرب قول البحترى :

حمرُ السيوفِ كأنما ضربت لهم أيدي القيون صفائحاً من عسجد

في فنية طلبوا غبارك أنه رَهجٌ ترفعُ عن طريقِ السؤدد

كالرمح فيه بضعُ عشرة فقرة مُنقادة خلفَ السنانِ الاصيدِ

وقد أحسن ابن هرمة في قوله وهو في غير هذا المعنى :

إذا شدُّوا عمائمهم ثنوها على كرمٍ وان سافروا أناروا

يبيعُ وبشترى لهم سوامٍ ولكن في الطعانِ مُهمُّ التجارِ

ومن أجود ما قيل في صفة الشجاع الجواد قول الآخر :

مُحَلِّقَتِ أَنَامِلِهِ لِقَائِمِ مُرْهَفِ وَلِبْثِ طَارِفَةِ وَذِرْوَةِ مَنَسْبِرِ

يلقى الرماحَ بوجهه وبصدره وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمُغْفَرِ

ويقولُ لِلطَّرْفِ اصْطَبِرْ لَشِبَا القَنَا فَهَدَمْتُ رُكْنَ المَجْدِ إِنْ لَمْ تَعْقِرِ

وإذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مقبلٍ مُتَسَرِّبِ سِرْبَالِ لَيْلِ أَغْبِرِ

(١) هو الشاعر الجاهلي التميمي الحجازي، يُعدُّ في طبقة ابتلس .

أوما الى الكوماء هذا طارق^١ نَحَرَ نَتَى الأعداء إن لم تنحس^(١)
 ومن أبلغ ما حذّر به الحرب قول بعض العجم : دافع بالحرب ما أمكن فإن
 النفقة في كل شيء من الأموال إلا الحرب فإن النفقة فيها من الأرواح .
 وقال النابغة الجعدي :

وتستلبُ المالَ الذي كانَ رَبيها ضنيناً به^(٢) والحربُ فيها الخرائبُ
 فنبهه أبو تمام فقال : والحربُ مشتقة من الحرب . وقول جند الطعان :
 دطاني أشبُّ الحربِ بيني وبينه فقلتُ له لا بل هلمَّ الى السلمِ
 وإياك والحربُ التي لأديهما صحيحٌ وما تنفكُ تأتي على الرغمِ
 فإن يظفرِ الحزبِ الذي أنتَ منهمُ وينقلبوا ملاء الأ كف من الغمِ
 فلا بُدَّ من قتلى لملك فيهمُ وإلا فجرحٌ لا يكون على العظمِ
 فلما أبى خليتُ فضلَ ردائه عليه فلم يرجع بحزيم ولا عزمِ
 وكان صريع الخليلِ أوَّلَ وهلةٍ فبعداً له مختارٌ جهلٍ على علمِ
 ومن أجود ما قيل في تهوين الحرب والقتل ما أنشدناه أبو أحمد في خبر أخبرناه

عن الصولي عن عبيد الله السكوني قال دخل محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن
 عليّ على بعض أمراء الكوفة وقد جرى عليه ظلمٌ فلم ينصفه فخرج من عنده وقال :
 يا أيها الرجلُ الذي يمينه غيثُ الزمانِ وصولُهُ الحدّتانِ
 أنعم صباحاً بالسيوفِ وبالقنا إن السيوفَ تحيةُ الفتيانِ
 قد أبطرتك سلامةٌ فنسيتَ ما أسلفتَ من برٍّ ومن إحسانِ
 والدهرُ خدنٌ مسرّةٌ ومضرةٌ مُتقلّبٌ بالناسِ ذو ألوانِ
 يخاطب نفسه ويأمرها بمجاهرة السلطان بالعصيان إذ ليس عنده للظلم نكير فيكون
 ذلك سبباً للحرب فيحبي بالسيوفِ فلا يفرع فانها تحيةُ الفتيانِ .
 وقال علي بن جبلة :

(١) تقدم بعض هذه الأبيات في الجزء الأول . (٢) في الاصل « بها » .

كأنَّ أرماحه تُعطى إذا عميت تحت العجاجة أسماً وأبصارا
ومن أحسن ما قيل في تقسيم الخيل في الحرب قول النابغة : أخبرنا أبو أحمد
قال أنشدنا محمد بن يحيى قال أنشدنا المبرد قول النابغة وذكر أنه أحسن ما قيل في
تقسيم الخيل في الحرب :

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ تحت العجاج وخيلٌ تملكُ اللججاً
قال ثعلبٌ قلتُ لابن الأعرابي الصائمة التي لا تصهل وغير الصائمة التي
تسهل فما هذه الأخرى ؟ قال التي تملك اللجج في الكمين .
أخذه محمد بن مسلمة البشري يصف تأديبه فرسه :

عودتهُ فيما بزور جبائي إمهاله وكذلك كلُّ مخاطر
فإذا احتبي قربوسه بعنانه علك الشكيم إلى انصراف الزائر
ومن أجود ما قيل في ارتفاع الغبار ولمعان الأسنان فيه من قديم الشعر قول النابغة :
تبدو كواكبهُ والشمسُ طالعةٌ نوراً بنورٍ وإظلاماً بأظلام
قالوا أراد قول الناس : لأرينك الكواكب نهاراً ، وقالوا أراد توضيح الأسنان
في سواد العجاج . ومن أحسن ما قيل في ذلك قول بشار :

كأن مثارَ النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه
وقال النمرى : ليل من النقع لا شمس ولا قمر إلا جبينك والمذروبة الشرع
وقول ابن المعتز :

وعمَّ السماءُ النقع حتى كأنه دخانٌ وأطرافُ الرماح شرارٌ
وأبلغ ما قيل في الاقدام والاقتدار على العدو قول بعضهم :

عشيةً كنا بالخيار عليهم أنقص من أعمارهم أم نزيدها
ومن بديع المعاني في صفة اللقاء قول بعض الأعراب :

على كلِّ جرداءٍ القسرى^(١) أعوجيةٍ إذا طردت لم ينج منها طريدها

(١) القرى : الظهر .

وما قادَ من قوم الينا جياذهم فنلقاهمُ إلا رجعنا تقودها
وقلت في معناه :

الى ابن الأولى شادوا المعالي بالظبي وعشوا البرايا بالهوى والغائب
إذا طلبوا روحَ الحياة وطيبها فبين سواقٍ للردى وحواصب
إذ البيضُ في سُود القساطل أنجم غواربُ تهوى في الطلى والغوارب
وتحمهم يومَ الكريهة مُضمرٌ تشولُ الى الهيجاءِ شولَ المقارب
فكم وقفة في الروع منهم وحمة أنارت بنات الخنف من كل جانب
تردُّ الجياد تحت قسطلة الوغى جنائب أو تقنادها في الجنائب
بأبيض مصقول كأنَّ بحده ضرائب من نصيبه في الضرائب
ومن أجود ما قيل في كثرة الجيش قول الأخنس بن شريق^(١) :

بجأواءَ ينفي وردُّها سرعانها كأن وميض البرق فيها كواكبُ
الجاأواء : الكتبية يضربُ لونها الى الكلفة وذلك من صدأ الحديد ، والسرعان :
الأوائل ، يقول ان المياه لاتسهم والامكنة تضيقُ بهم فكلما نزل فرقة منهم رحل
من تقدمهم . وقال أوس بن حجر :

ترى الأرضَ منا بالفضاءِ مريضةً مُعضلةً منا بجمعٍ عرمرم
التمضيل ان ينشب الولدُ في بطن أمه . ومثله قول النابغة :

جمعٌ يظللُ به الفضاءُ مُعضلاً^(٢) يدعُ الاكامَ كأنهنَّ صحارى
وأعجب من هذا قول زيد الخليل^(٣) :

(١) لعله الأخنس بن شهاب التغلبي الشجاع الجاهلي الذي حضر حرب البسوس
وقال فيها شعراً . (٢) عضل المكان تمضيلاً ضاق ، والأرض بأهلها غصت .
(٣) لقب زيد الخليل لكثرة خيله ، وهو زيد بن مهلل أحد أبطال الجاهلية
كن إذا ركب الفرس خطت رجلاه في الأرض ، كان خطيباً شاعراً كريماً ،
وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد قومه طيء وأسلم وُسراً به الرسول ﷺ

بجيش تفضل البلق في حجراته ترى الأكم فيه سُجداً للحوافر
 وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى كثيرٌ تواليه سريع البوادر
 أخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال يروى عن حماد الراوية قال
 قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها كم كانت خيل أهلك حيث يقول
 * بجيش تفضل البلق في حجراته * قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه .

قالوا وقتلت خشم رجلاً من بني سليم بن منصور فقالت أخته تربيته :

لعمري وما عمري على بهين لنعم الفنى غادرتم آل خشما
 وكان إذا ما أورد الخيل يشة^(١) إلى جنب اشراج أناخ فألجما
 فأرساها رهوا كأن رعاها جراد زهته ربح نجد فأنهما

فقبل لها كم كانت خيل أخيك قالت اللهم لا أعرف إلا فرسه . قوله « تفضل
 البلق في حجراته » غاية في صفة الكثرة لأن البلق مشاهير فاذا خفي مكانها
 في جمع فليس وراءه في الكثرة شيء ، والعرب تقول أشهر من فارس الأبلق ،
 ورؤساء العرب لا يركبون البلق في الحرب لثلاثهم فيقصدوا بشر .

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة أن
 النبي ﷺ لما انصرف من بدر الموعد لم يلق كيداً وأصحابه سبعون راكباً
 وفيهم فرسان فرس المزبير وفرس المقداد^(٢) قال حسان بن ثابت :

أقمنا على الرس^(٣) النزوع^(٣) لياليا بأرعن جرار عريض المبارك
 ترى العرفج الحولى^(٤) تدرى أصوله مناسم أخفاف المطى الرواتك
 إذا ارتحلوا عن منزل خلت أنه قريب المدى بالموسم المتعارك
 نسير فلا تنجو العافير وسطنا وان دألت منا بشد مواشك

(١) يشة : بلد . (٢) كان هذا في بدر الأولى لا بدر الثانية .

(٣) في ديوان حسان « التزيع » وكلاهما جائز .

(٤) في الديوان « العامي » وكذلك في بعض الالفاظ اختلاف .

دعوا فلبجات الشام قد حال دونها ضراب كما فواه المطى الأوازيك
 بأيدي رجال هاجروا نحو ربههم وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
 إذا قبل الغضروط من أرض عالج فقولا له ليس الطريق هنالك
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ويبضحك . ومثل هذا في ترهيب

العدو حسن . وقال أبو دغفل بن شداد الكلابي في المعنى الذي تقدم :

وأقبل طامر من بين سيراً إلينا ثم أقسم لا يديم
 بجمع تهلك اللقاء فيه فنشد المفضضة اللطيم
 ومن بليغ مقاله يحدث في كثرة الجيش وتكاتفه واجتماعه قول أبي نواس :
 امام خميس أدجوان كأنه قميص محوك من قنا وجياد
 الأدجوان : الأسود واشتقاقه من الدحي ، وروى الأرجوان وهو الأحمر
 وقال البحرى :

لما أتاك يقود جيشاً أرعناً يمشى عليه كثافة وجوعا
 وقال ابن الرومي :

فلو حصبتهم بالفضاء سحابة نفل عليهم حصبها بتدحرج
 وهو من قول قيس بن الخطيم :

لو أنك تُلقي حنظلاً فوق بيضنا تدحرج عن ذى سامة المتقارب
 السام : عرق الذهب والفضة وهو ههنا الطرائق المذهبة في البيض . وقلت :

ولقد نقود الخيل تخطر بالقنا قصبهن على العدى آجالا
 ما إن يلين لها مدى فتخالها تجرى بطاء إذ جرتين عجلا

وقال أبو عمرو بن العلاء أحسن ما قيل في صفة جيش قول النابغة :

أوزجروا مكفهراً لا كفاء له كالليل يخلط أصراماً باصرام
 تبدو كواكبهُ والشمس طالعة نوراً بنور وإظلاماً باظلام^(١)

(١) في ديوان النابغة الطبوع اختلاف عما ورد هنا .

فذكر ذلك ليونس فقال أحسن منه قول العجاج :

كأنما زهاؤه لمن جهر ليل ورز وغره إذا وغر

سار سرى من قبل العين فجر

والأول أحسن عندي . ومن أجود ما قيل في صفة السوط قول الشعبي :

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال كان الشعبي إذا تحدت كأنه لم يسمع من غيره لخلوة منطقته وعضوبة لفظه فتحدت يوماً فقال له رجل كان يجالسها يقال له حنيش : اتق الله ولا تكذب فقال له الشعبي ما أحوجك إلى محدرج عظيم الثمرة لين المهزة أحد من مفرز عنقي إلى عجب ذنب فيوضع على مثل ذلك منك فيكثر لك رقصاتك من غير جدل . قال وما هو بأبي أنت وأمي ؟ قال أمر لك فيه أدب ولنا فيه أرب . يعني السوط .

ومن أحسن ما وُصف به الرأس إذا حُمِل على القناة قول مسلم :

ويجعل الهام تيجان القنات الذئبيل . مأخوذ من قول جرير * تيجان كسرى وقيصره

ومن أجود ما قيل في المصلوب ما أنشدني بعض البصريين :

أنظر إليه ^(١) كأنه في جذعه لما توشح بالجبال ودُرَّعا

رام رمى عن قوسه بمدلق وأراد صحة رميه فتسمعا

وهذا من أتم ما قيل فيه . ومن المستحسن فيه قول البحتری :

قترأه مطرداً ^(٢) على أعواده . مثل أطراد كواكب الجوزاء

وقول ابن الرومي :

يلعب الدستبند ^(٣) فرداً وان كان له شاغل عن الدستبند

وقال مسلم بن الوليد :

(١) في الأصل « إلى » . (٢) أي مستقيماً . (٣) لعل الدستبند لعبة يأخذ

فيها الرجال أو النساء بعضهم بأيدي بعض ويرقصون ، وهذا يمد يده ليرقص وحده .

كَأَنَّهُ شِلْوُ (١) كَبِشٍ وَالْهَوَاءُ لَهُ تُدَوِّرُ شَاوِيَةَ وَالْجُدْعُ سُفُودٌ (٢)
 وَمَا يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو الْقَسَمِ عَنِ الْعُقَدِيِّ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ عَنِ
 الْمَدَائِنِيِّ قَالَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ خِرَاسَانَ لَوْ كَيْفَ قَتَلْتَ ابْنَ خَازِمٍ؟ قَالَ مَا صَرَخَ
 قَعَدْتُ عَلَى صَدْرِهِ فَحَاوَلَ الْقِيَامَ فَلَمْ يَقْدِرْ فَغَلَبْتَهُ بِفَضْلِ الْقَنَا وَقَالَتْ يَا ثَارَاتِ دُوْبَلَةَ
 فَقَالَ لَعْنَتُكَ اللَّهُ أَنْتَ قَتَلْتَ كَبِشَ مَضَرَ بِأَخِيكَ عَلِجَ لَا يَسَاوِيكَ كَفَّ نَوِيٍّ وَتَنْخَسَمُ فِي
 وَجْهِهِ فَمَا رَأَيْتَ أَحَدًا أَكْثَرَ رَيْقًا مِنْهُ . فَذَكَرَ ابْنَ مُهْبِيرَةَ يَوْمًا هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ
 هَلِ الْبَسَالَةُ إِلَّا أَنْ يَكْثُرَ الرَّيْقُ عَلَى نَتْلِ الْحَالِ .

وَمِنْ جَيِّدِ مَا قِيلَ فِي طَرَائِقِ الذَّمِّ عَلَى الْمُطْعَمُونَ قَوْلُ أَبِي خِرَاشٍ الْهَنْدِيِّ :
 وَنَهْنَهتُ أَوْلَى الْقَوْمِ عَنِّي بِطَعْنَةٍ كَأَوْشَحَةَ الْعِذْرَاءِ ذَاتِ الْقَلَانِدِ
 أَوْشَحَةَ جَمْعٍ وَشَاحٌ وَهُوَ سَيْرٌ كَأَنَّهُ شَرَاكَ عَلَيْهِ وَدَعَّ فُشِبَهُ لَوْنُ الدَّمِ
 بِالسَّيْرِ وَالزَّبْدُ بِالْوَدْعِ . وَمَا يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ ذِكْرُ الْخَنْزِرِ مِنَ الْمُوتُورِ مَا قَالَتْ فِيهِ :

لَا تَأْمَنَنَّ أَخَا الْعِدَاوَةِ إِنَّهُ إِنْ أَمَكَّتَهُ فِرْصَةٌ لَمْ يُمَهِّلْ
 اللَّهُ دَرْكَكَ كَيْفَ تَأْمَنُ مُحْتَقًّا تَغْلِي عِدَاوَةَ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ
 مَا الْحَزْمُ إِلَّا فِي اجْتِنَاثِ أُصُولِهِ وَالْإِيْمُ (٣) لَمْ يُؤْمِنْ إِذَا لَمْ يَقْتُلِ

وَمِنْ الْجَيِّدِ مَا قِيلَ فِي سَعَةِ الطَّعْنَةِ قَوْلُ بَشَرَ :

إِذَا نَفَذْتَهُمْ كَرْتٍ عَلَيْهِمْ بِطَعْنٍ مِثْلَ أَفْوَاهِ الْخَبُورِ (٤)
 الْخَبْرُ الْمَزَادَةُ وَالْجَمْعُ خَبُورٌ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ شَاسٍ (٥) :

بَطْنٌ كَالْبَزَاغِ (٦) الْمُحَاضِ إِذَا تَقَّتْ وَضُرِبَ كَأَفْوَاهِ الْمَفْرَجَةِ الْهَدَلِ
 شَبَّهَ اللَّحْمَ الَّذِي يَتَدَلَّى مِنْ فَمِ الْجَرْحِ بِمَشْفَرِ الْبَعِيرِ الَّذِي بِهِ قُرُوحٌ فِي فَمِهِ

(١) الشلو: المسلوخ . (٢) السفود كتنور : الحديدية التي يشوي بها .

(٣) الايم: الثعبان . (٤) الخبور: القرب .

(٥) هو الشاعر الجاهلي الاسدي ، شهد القادسية في الاسلام ، وله أشعار فيها .

(٦) إيزاغها أن ترفع ذيلها وتقذف بشيء من حياها على سائقها .

فيهدل لها مشفره . وقال عمرو بن شاس أيضاً :
 وأسيفنا آثارهن كأنها مشافر قرحى في مباركها همدل
 وقال غيره :

بضرب كآذان الفراء فضوله وطعن كلزاع الخاض تبورها
 الفراء جمع الفراء وهو حمار الوحش . وقال خلف الأحمر :
 وأطعن الشجساجة المشلله على غشاش دَهَش وعجله
 برد في نحر الطيب قتله

أى بسح الدم، وبشلله : يفرقه . وقال خدّاش بن زهير^(١) :

وطعنة خلس كفرع الأزاء^(٢) أفرغ في مشعب الخائر
 تهال العوائد من فرغها^(٣) ترد السبار على السابر
 السبار الشيء الذى تسبر به الطعنة أى تقدر والسابر الذى يسبرها ، والخائر
 المطمئن من الأرض المرتفع الحروف والجمع حوران ، والمشعب مسيل الماء .

هذا آخر صفة الحرب والسلاح وما يجرى معها ، والحمد لله حق حمده
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين وعلى الخلفاء الراشدين .

(١) شاعر جاهلى من أشرف بني عامر وشجعانهم ، أكثر شعره فى الحماسة والفخر .

(٢) هو منفذ الماء إلى الحوض . (٣) أى أن من يعدنه فى مرضه يهولن فرغ الضربة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قسم البيان بين القلم واللسان لتكون النعمة فيه مشتركة بين الغائب والحاضر والمقيم والمسافر آمناً للنعمة على عباده وإكلاً للعارفة في عمارة بلاده ودل على موضع الصنعة في البيان ونبه على موضع العارفة في اللسان حيث يقول تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) وأخبر عن عظيم قدر القلم وما تضمن من سوانح النعم حيث يقول تعالى (إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) وأعلى قدره وفخم أمره حين أقسم به على أجل أمرٍ وأنبه وأشرفه وأفضله فقال (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) فسبحان من جعل جلائل النعم وسوانح الآلاء والقسم في شخصٍ ضئيل وقد قصير تقل قيمته ونصفر قوته مع جلالة شأنه وعلو مكانه .

(هذا كتاب المبالغة)

في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وذكر البلاغة

وما يجرى مع ذلك ، وهو :

(الباب التاسع من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول)

(الفصل الأول)

في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس وما يسلك مع ذلك

من أحسن الاستعارة في ذكر الخط قول عبيد الله بن العباس بن الحسن

المولى الخط لسان اليد . وقال جعفر بن يحيى : الخط سمط الحكمة به يفصل
شذورها وينظم منشورها . وقلت في معناه :

الكتبُ مُعقلُ شواردِ الكلمِ والخطُ خيطُ فرائدِ الحكمِ
بالخطِ نَظَمَ كلُّ منثرٍ منها وفُصِّلَ كلُّ مُنتَظِمِ
والسيفُ وهو بحيثُ نرفهُ فرضُ عليه عبادةُ القلمِ
واختلف الناسُ في الخطِ واللفظِ فقال بعضهم الخطُ أفضلُ من اللفظِ لأنَّ
اللفظُ يُفهمُ الحاضرُ والخطُ يُفهمُ الحاضرَ والغائبَ . وقال بعضهم الخطُ كلامٌ
ميتٌ والمخاطبُ به حيٌّ يُمكنُ صاحبه أن يُبصرَه حتى يبلغ منه غرضه .
ومن أعاجيب الخطِ كثرةُ اختلافه والأصلُ واحدٌ كاختلافِ صورِ الناسِ مع
اجتماعهم في الصفةِ وخطِ الإنسانِ كحليته ونعته في الزومِ له والدلالةُ عليه والاضافةُ اليه
كإضافةِ القافةِ الآثارِ إلى أصحابها .

ومن أحسن ما قيل في حُسنِ الخطِ والشكلِ قولُ أحمد بن اسمعيلَ :
مستودِعٌ قِرطاسُهُ حَكْمًا كالروضِ مَيِّزِ بينَهُ زَهْرُهُ
وكانَ أَحْرَفَ خَطِهِ شَجْرُهُ والشكلُ في أضعافِهِ ثَمْرُهُ
ووصفَ أحمدُ بنُ صالحٍ جاريةً كاتبةً فقال كانَ خطُها أشكالَ صورِها وكانَ
مدادُها سوادَ شعرِها وكانَ قِرطاسُها أديمٌ وجهُها وكانَ قلمُها بعضُ أناملِها وكانَ
يأمنُها سحرٌ مُقلِّتها وكانَ سَكِّينُها سيفٌ لحظُها وكانَ مِقطُها قلبَ عاشقِها .
وقلتُ : وخطُ من التصحيحِ فيه معالمٌ من الحسنِ إذ يبدو عليه سببٌ
يُعبِّرُ عنه الروضُ وهو مُنمَّنٌ ويُخبِرُ عنه الوشْيُ وهو قشيبٌ
سوادُ مدادٍ في بياضِ صحيفةٍ يقولُ شبابٌ بالشيبِ مَشوبٌ
كانَ ظلامَ الليلِ أذرى دموعه فظَلَّتْ على خدِّ الصباحِ تصوبُ
ومن غريب ما قيل في الشكلِ ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدنا الصولى قال
أنشدنى عبد الله بن المعتز لنفسه :

فدو نكته موشى نمتمته
 بشكل يؤمن الاشكال فيه
 وقلت : يياض صحيفة تلتاح حسناً
 كغير رق في أطراف جو
 ويحكى أرض كافور صريح
 كمثل الليل في صبح صديع
 وبين سطوره مجسم^(١) مصيب
 وحاكته الأنامل أى حوك
 كأن سطوره أغصان شوك
 كتن السيف في كف المليح
 وماء ساح في قاع فسيح
 بها تبذ من المسك الذبيح
 ومثل الصدغ في وجه صبيح
 كمثل الخلال في الخلد المليح

وأحسن ما قيل في صفة الخط الجيد ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولى
 قال سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة فقال : إذا
 اعتدلت أقسامه وطالت ألفه ولامه واستقامت سطوره وضاهى صعوده وحدوره
 وتفتحت عيوناه ولم تشبه راؤه ونونه وأشرق قرطاسه وأظلمت أنقاسه^(٢) ولم تختلف
 أجناسه وأسرع في العيون تصوّره وإلى العقول تشره وقدرت فصوله واندمجت
 وصوله وتناسب دقيقه وجليله وخرج عن نمط الوراقين وبعُد عن تصنع المحررين
 وقام لكاتبه مقام النسبة والحلية كان حينئذ كما قيل في صفة الخط :

إذا ما تجلّل قرطاسه وساوره القلم الأرقش
 تضمن من خطه حلة كمثل الدنانير أو أنقش
 حروفاً أعيد لعين الكايل نشاطاً ويقروها لاخفش

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

أنا الذى نظرت الأعمى إلى أدبى وأصمعت كلبانى من به صمم
 إلا أنه أحسن الاخذ وأجاد اللفظ . ومن مליح التشبيه قول الاعرابى وقد قال له
 هشام بن عبد الملك أنظر كم على هذا الميل من عدد الأميال ، ولم يكن الأعرابى

(١) المجسم : النقط . (٢) النقش بالكسر : المداد ج أنقاس .

يحسن القراءة فمضى فنظر ثم عاد فقال رأيت شيئاً كراس المحجن متصلاً بحاقة صغيرة
تبعها ثلاث كاظباء الكلبة بفضى الى هنة كأنها قطعة بلا منقار . ففهم هشام
بالصفة أنها «خسة» (١) .

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العباس الربعي عن الطلحي عن أحمد
ابن إبراهيم قال دخل اعرابي الى الرشيد فأنشده أرجوزة واسمعييل يكتب
بين يديه كتاباً وكان أحسن الناس خطأ وأسرعهم بدأ وخاطراً فقال الرشيد
للاعرابي صف هذا الكاتب فقال ما رأيت أطيش من قلعه ولا أئبت من كلمه ثم
قال ارتجالاً :

رقيق حواشي الحلم حين تبوره يريك الهوينا والأموه تطير
له قلما بؤسى ونعمى كلاهما صحابته في الحالتين درور
يناجيك عما في ضميرك لحظة ويفتح باب الأمر وهو عسير

فقال الرشيد قد وجب لك يا اعرابي حق عليه هو بقضيك إياه وحق علينا
فيه نحن نقوم به ، ادفعوا اليه دية الحر ، فقال اسماعيل وله على عبدك دية العبد .
قوله « رقيق حواشي الحلم » ردى لان الحلم يوصف بالرزانة لا بالركة ،
واستعمل أبو تمام هذا اللفظ فغيب به . وقوله « يريك الهوينا والأموه تطير »
رويناه لمنصور النمرى .

وفاخر صاحب قلم صاحب سيف فقال صاحب القلم أنا أقتل بلاغرر وأنت
تقتل على غرر . قال صاحب السيف القلم خادم السيف ان بلغ مراده وإلا قالى
السيف معاده أما سمعت قول أبي تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حدّه الحدّ بين الجدد واللعب
وأبى ذلك ابن الرومي فقال :

كذا قضى الله للأعلام منذب بربت ان السيوف لها من ذم أرهفت خدم

(١) كانت مكتوبة بالحروف فرأس المحجن الخاء والحلقة الصغيرة الميم .

وقال أيضاً :

لعمرك ما للـسيفُ سيفُ الكميِّ بأخوفَ من قلمِ الكاتبِ
 له شاهدٌ إنْ تأملتَهُ ظهرتَ على سرِّه الفائبِ
 أداةُ المنيةِ في جانبيهِ فمن مثله رهبُ الراهبِ
 سنانُ المنيةِ في جانبِ وسيفُ المنيةِ في جانبِ
 ألم ترَّ في صدورِ كالسنانِ وفي الردفِ كالرَّهفِ العاضِبِ
 وقد أحسن الخالدي في قوله :

ففي كفِّ لِيثِ الوردِى للندى وفي كفِّ لِيثِ الشرى في الفياضِ
 وقلت : أبيت بالليلِ غريبِ الكرى يأخذُ منى الدرسِ والكتبِ
 وقيمُ الحكمةِ في أملى بصوغِ ما يسبكه اللبُّ
 أنفُ ضميرى حينَ أرعفتُهُ أفرغِ ما استوعبه القلبُ
 لسانُ كفى حينَ أنطقتُهُ أرضاك منه المنطقُ العذبُ
 منحفٌ في خلقه ذابلٌ معظَّمٌ في فعله ندبُ
 ان لم يكن كالعضبِ في حدِّه فانه في فعله غضبُ
 ينكسه المرءُ فيعلو به وربُّ نكسٍ غبته نصبُ
 ومذُ عرفنا لذَّةَ العلمِ لا يُعجبنا الحلو ولا العذبُ

وقال البحتري في تفضيل السيف على القلم :

ولما التقت أقلامكم وسيوفهم أبدت بُغاثَ الطير زرقَ الجوارحِ
 فلا غرَّني من بعدكم عزُّ كاتبِ اذا هو لم يأخذ بحجزة راحِ
 ومن أحسن ما وصِّف به القلم قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات :
 لك القلمُ الأعلى الذي بشباته تُنالُ من الأمر الكلي والمفاصلِ
 لعابُ الافاعي القاتلات لعابه وأرى جنى شارته أيد عواسلِ
 له ريقه طلٌّ ولكن وقمها بأثاره في الشرق والغربِ وابلِ

فصيحٌ إذا استنطقته وهو راكبٌ وأعجمٌ إن خاطبته وهو راجلٌ
 إذا ما امتطى الخس اللطاف وأفرغت عليه شعابُ الفكر وهي حوافل
 أطاعته أطراف الرماح وقوّضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل
 إذا استغزر الذهن الذكي وأقبلت أعاليه في القرطاس وهي أسافل
 وقد رفدته الخنصران وسدّدت ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل
 رأيت جليلاً شأنه وهو مرهفٌ ضني وسميناً خطبه وهو فاحل
 وقد أحسن القائل في تشبيه أنامل الكاتب على القلم بالقلم أنشدناه أبو أحمد
 عن الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحاق :

ماضر من أضنى بهجرانه قلبٌ كئيب القلب حرّانه
 لو فرج الكربة عن مدنفٍ نشفه لوعة أجزانه
 برقعة ينسظمها كفه نظم لآليه ومرجانه
 برهف الأحشاء ذي حلة موشية ترفع من شأنه
 لعابه يسرّ وعسر إذا جاد به تغليج أسفانه
 إذا امتطاه بشبيهاته (١) كشف أسراراً باعلانه
 يركض في ميدان قرطاسه ركض جواد وسط ميدانه
 وأحسن القصار في هذا المعنى بصف جارية كاتبة اسمها عم :

أفدى البنان وحسن الخط من علم إذا تقمّن بالحناء والكتّم (٢)
 حتى إذا قابلت قرطاسها يدها ترى ثلاثة أقلام على قلم
 ومن أحسن ما قيل في الدواة والأقلام قول أحمد بن إسماعيل :

في كفه مثل سنان الصعده أرقش بز الأفعوان جلدّه
 بلتهم الجيش الأسهم وحده لو صادم الطود المنيف هدّه
 لو صافح السيف الحسام قدّه بأوى إلى ظئر له محتدّه

(١) في الأصل « امتطاه شبيهاً به » . (٢) نبت يخط بالحناء . وإذا طيخ صار مداداً .

يُمزَجُ فِيهَا صَبْرٌ بِشُهْدِهِ يُرَضِعُهَا مِنْ مَقْلَةٍ مُسْوَدَةٍ
يَمُدُّهَا جَارٍ كَثِيفِ الْعُدَّةِ كَأَنَّهُ اللَّيْلُ إِذَا اسْتَمَدَّهُ
مُقْلَتُهَا مَكْحُولَةٌ بِنَدْوَةٍ

وقلت في القلم :

أَنْظُرْ إِلَى قَلَمٍ تَنْكَسُ رَأْسُهُ لِيَضُمَّ بَيْنَ مَوْصِلٍ وَمُقْنَصَلٍ
تَنْظُرْ إِلَى مَخْلَابٍ لَيْثٍ ضَيْغِيمٍ وَغَرَارٍ مَسْنُونٍ الْمُضَارِبِ مَفْصَلٍ
يَسْدُو لِنَاظِرِهِ بِلَوْنٍ أَصْفَرٍ وَمَدَامِعِ سَوْدٍ وَجَسِيمٍ مُنْجَلٍ
فَالدَّرَجُ أَيْضٌ مِثْلُ خَدٍ وَاضِحٍ بِثَنِيهِ أَسْوَدٌ مِثْلُ طَرْفِ أَكْحَلٍ
قَسَمِ الْعَطَايَا وَالْمَنَايَا فِي الْوَرَى فَذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ فَاحْذَرِ وَأَمَلِ
طَعْمَانَ شَوْبٍ حَلَاوَةٍ بِمِرَارَةٍ كَالدَّهْرِ يَخْطُ شُهْدَهُ^(١) بِالْحَنْظَلِ
فَإِذَا تَصَرَّفَ فِي يَدَيْكَ عِنَانُهُ أَلْحَقْتَ فِيهِ مُؤَمَّلًا بِمُؤَمَّلٍ
وَمُذَلَّلًا بِمُعَزَّزٍ وَلِرَبَّمَا أَلْحَقْتَ فِيهِ مَعَزَّزًا بِمَذَلَّلٍ
وَقَلْتُ : لَكَ الْقَلَمُ الْجَارِي يَبُوسُ وَأَنْعَمُ فَمِنْهَا بَوَادٍ تَرْجِي وَعِوَانِدُ
إِذَا مَلَأَ الْقَرطَاسُ سَوْدَ سَطُورِهِ فَتَلُكُ أَسْوَدٌ تَنْتَقِي وَأَسَاوِدُ
فَتَلُكُ جَنَّانٌ تَجْتَسِي ثَمَرَاتِهَا وَيَلْقَاكَ مِنْ أَنْفَاسِهِنَّ بَوَارِدُ
وَهَنَّ بَرُودٌ مَالِهِنَّ مَنَاسِجٌ وَهَنَّ عَقُودٌ مَالِهِنَّ مَعَاقِدُ
وَهَنَّ حَيَاةٌ لِلْوَلِيِّ رَضِيَةٌ وَهَنَّ حَتُوفٌ لِلْعُدُوِّ رَوَاوِدُ

وَأَنْشَدَنَا أَبُو أَحْمَدَ قَالَ أَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ الطَّائِي قَالَ

أَنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْبَغْلِ :

لَهُمْ هَمَمٌ تَسْطُطُ إِلَى الثَّرِيَا وَتَحْكُمُ فِي الطَّرِيفِ وَفِي التَّلَادِ
وَأَقْلَامٌ تُشَبِّهُهَا سُبُوفًا مَهْنَدَةٌ هَوَادٍ فِي الْهَوَادِي

(١) فِي الْأَصْلِ « شُهْدَهُ » بضم الشين وهو سائغ فقد جاء في القاموس

« الشهد بالفتح وبضم » .

يُخَطُّ بِهَا سَوَادٌ فِي بِيَاضٍ فَتَحْسَبُهُ بِيَاضاً فِي سَوَادٍ
 إِذَا فَرِعَ الصَّرِيخُ أَمْدَ خَيْلًا بِخَيْلٍ تَسْتَنَارُ مِنَ الْمَدَادِ
 وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي وَصْفِ الْكِتَابِ حَيْثُ يَقُولُ :
 مَتَمَنَّقٌ مِنْ جِلْدِهِ مَتَخَمٌ مِنْ خَصْرِهِ
 أَبَدًا تَرَاهُ وَصَدْرَهُ فِي بَطْنِهِ أَوْ ظَهْرَهُ

وقال ابن المعتز يذكر أرضة أكلت كتاباً :

شَغَلِي إِذَا مَا كَانَ لِلنَّاسِ شَغْلٌ دَفْتَرُ فِقْهِ أَوْ حَدِيثُ أَوْ غَزَلٌ
 أَرْقَطُ ذُو لَوْنٍ كَشِيبِ الْمَكْتَهْلِ تَخَالُهُ مَكْتَحِلًا وَمَا كَتَمَلُ
 رَاكِبٌ كَفَّ أَيْنَ مَا شَاءَ رَحِلٌ وَهُوَ دَلِيلٌ لِمَقَالٍ أَوْ عَمَلٍ
 يَقِيمُ وَزْنَ الْعَقْلِ حَتَّى يَعْتَدِلَ وَيُذَكِّرُ النَّاسِيَّ مَا كَانَ أَضَلُ
 كَأَنَّهُ يَنْشُرُ عَنِ نَقْشِ حُلِّ يَخَاطِبُ اللَّحْظَ بِنَطْقٍ لَا يَكْلُ

وَلَا يَمْلُ صَاحِبًا حَتَّى يَمْلُ

ثم قال في وصف الأرضة * تأكل أثمار القلوب لا أكل * وكتب صاحب
 في وصف كتاب : وصل كتابك فجعلت يوم وصوله عيداً أؤرخ به أيام بهجتي
 وأفتح به مواعيت غبطتي وعرفت من خبر سلامتك ما سألت الله الكريم أن
 يصله بالدوام ويرفعه على أيدى الأيام . وكتب أيضاً : وصل كتابه أيده الله بضحك
 عن أخلاقه الأربعة ويتهلل عن عشرته البهجة ويخبر عن طارية الله إياه عما رأيت
 شمل الحرية به منتظما وشعب المروءة له ملتما ويتحمل من أنواع بره ما أقصر عن
 ذكره ولا أطمع في شكره ويؤدى من لطيف اعتذاره في أثناء عتبه ما تزداد به
 أسباب السرور تمهداً . وقلت في كتاب أكلته الأرضة :

وَجَلِيسٌ حَسَنٌ الْمُحْسِرُ مَأْمُونٌ الْمُغِيبِ
 مَيِّتٌ يُخْبِرُ حَيًّا بِخَفِيَّاتِ الْغُيُوبِ
 أَبْلَهُ غَيْرُ لَيْبٍ وَهُوَ فِي حَالِ اللَّيْبِ

(١١ - ثانيا المعاني)

جاهلٌ غيرٌ أدبٍ وهو عوفٌ للأدب
 أحرصٌ غيرٌ خطيبٍ وله لفظٌ الخطيب
 مفحمٌ ينظمٌ شعراً مثل إقبال الحبيب
 ساكتٌ بروي حديثاً مثل إعراض الرقيب
 نمته الكفُّ حتى هو كالوشى القشيب
 من سوادٍ وبياضٍ كشبابٍ ومشيب
 فيه إمتاعٌ لأبصارٍ وأنسٌ للقلوب
 دبٌّ فيهنَّ ديبٌ كان من شرِّ الديدب
 من صغيراتٍ جسومٍ وكبيراتٍ الذنوب
 أخذت منها نصيباً فاتتوى منها نصيبى
 أفرحت قلباً جهولٍ وكوت قلباً لبيب
 ويل هاتيك المعانى من بديعٍ وغريب
 وأفانينٍ كلامٍ بين سهلٍ وصايب
 من بديعٍ وفصبحٍ وصحيحٍ ومُصيب
 بدّل الاصلاحُ منهم من بافسادٍ عجيب
 فنجومُ العلمِ والفهمِ تهوت للغروب
 كلُّ شىءٍ سوفَ يبقى عن بعيدٍ وقريب

ومن بديع ما وُصف به الوراق ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى
 عن أحمد بن يزيد المهلبى عن أبي هفان قال سألت ورأفاً عن حاله فقال :
 عيشى أضيقت من محبرة وجسمى أدق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج
 وحظى أخنى من شق القلم ويدى أضعف من قصبته وطعامى أمر من العفص وشرابى أسود من
 الحبر وسوء الحال ألزم لى من الصمغ . فقلت عبرت عن بلاءٍ ببلاءٍ فحسبك .
 وقلت فى المحبرة والاقلام :

منهلةً من أشرف المناهل تضمن رى الصفر الذوابل
مركبها ذوائب الانامل إذا مشت عالية الاسافل
بكت على الطرس بدمع هامل فارتبطت شوارد المسائل
وكشفت عن غرر الدلائل بيضاء تبدو في لباس التاكل
لكنها تلبسه من داخل

ومما لا أعرف في معناه خيراً منه قول كشاجم الكاتب (١) :

لا أحب الدواة تحشى براعاً هي عندي من الدوى معيه
قلم واحد وجوده خط فاذا زدت فاستزد أنبويه
هذه قعدة الشجاع عليها أبداً سيره وتلك جنبيه
ومن البديع الظريف قول أحمد بن اسماعيل :

كأنما النفس إذا استمدته غالية مذوفة بنده
ونتن الكرسف (٢) مما يُعاب به . ومن البديع المشهور ما أنشدناه أبو
أحمد عن الصولي عن أحمد بن اسماعيل للحسن بن وهب (٣) :

مدادٌ مثل خافية الغراب وأقلامٌ كمرهفة الحراب
وقرطاسٌ كرقاق السراب وألغازٌ كأيام الشباب
وقلت : أ أكثر ما مُثبته الأقلام لم تسع في زواله الأيام
بالك من خرس لها كلام موتى إليها النقض والابرآم

(١) هو أحد فحول الشعراء ، قيل إن لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان يتقنها : فالكاف من كاتب والشين من شاعر والالف من أديب والجيم من الجدل والميم من المنطق ، ثم طلب علم الطب فمهر فيه فزيد في اسمه طاء من طبيب فقيل طكشاجم ولكنه لم يشتهر . كان من شعراء عبداً به حمدان والد سيف الدولة .
(٢) الكرسف : القطن ومنه كرسف الدواة .
(٣) كان معاصراً لآبى تمام وهو من الشعراء الوجهاء ، لمات رثاء البحترى .

(٣) كان معاصراً لآبى تمام وهو من الشعراء الوجهاء ، لمات رثاء البحترى .

قِوَامٌ مَجْدٌ مَالُهُ قِوَامٌ نِظَامٌ مَلِكٌ خَانَهُ النِّظَامُ
أَصَاغَرُ شُؤْنَهَا الْعِظَامُ

ومن المختار في معناه قول الآخر :

إِنَّمَا الزَّعْفَرَانُ عَطْرُ الْعَذَارَى وَسَوَادُ الدَّوِيِّ عَطْرُ الرِّجَالِ
وَقَلْتُ فِي سَكِينٍ :

أَنْجَازٌ وَعَدُّكَ فِي السَّكِينِ مَكْرَمَةٌ غِرَاءٌ فَضْلُكَ فِيهَا غَيْرٌ بِمَحْمُودٍ
أَحْسَنُ بِهِ أَزْرَقًا فِي أَيْضٍ يَبْقَى لِمَنْطِقٍ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سَوْدٍ
خَلْفُ الْوَعِيدِ حَمِيدٌ لَا يَذْمُ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ خَلْفَ مَوْعُودٍ بِمَحْمُودٍ

وكتب كافي الكفاة في ذم قلم فأبدع : وليس العجب إلا من قلم منيت به
لا يستقر إذا تأنيت ولا يستمر إذا جريت طولها عرض. وإبرامه نقض تستغيث
الحروف من التوائه وتسانس السطور من استوائه ان قلت سر وقف وان
حثته بالانامل قطف فالفاظي في سنيه مأسورة ومعاني في شقيه محصورة وقد
صبرت عليه ألبسه مع سوء عشرته وأستمنحه مع فضل عشرته وأقول لعله يصلح
بطول المداراة وعسائه ينجح بكثرة المناواة وهو يزداد نفاراً أو يتضاعف زللاً وعثاراً .
ومما يدخل في هذا الباب قول كشاجم في غلام رآه يكتب ويخطى . فيمحو
ما يخطه بريقه وهو :

وَرَأَيْتُهُ فِي الطَّرْسِ يَكْتُبُ مَرَّةً غَلَطًا يُوَاصِلُ مَحْوَهُ بِرُضَايِهِ
فَوَدِدْتُ أَنِّي فِي يَدَيْهِ صَحِيفَةٌ وَوَدِدْتُ لَأَبْتَدِيَ لَصَوَابِهِ

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي
ابن سابق قال رأى المأمون في يد جارية له قلماً وكان ذا شغف بها واسمها منصف فقال :

أَرَانِي مَنْحَتُ الْوَدِّ مِنْ لَيْسَ يَعْرِفُ ، فَمَا أَنْصَفْتَنِي فِي الْحَبِيبَةِ مُنْصَفُ
وَزَادَتْ لَدَيَّ حِظْوَةً يَوْمَ أَعْرَضْتَ وَفِي أَصْبَعِيهَا أَسْمَرُ اللَّوْنِ أَهْيَفُ
أَصْمٌ صَمِيعٌ مَا كُنُّ مَتَحَرِّكُ ، بِنَالِ جَسِيَاتِ الْمَدَى وَهُوَ أَعْجَفُ

عجبت له أنى ودهرك معجب^ه يُقومُ تحريفَ العبادِ مُحرفٌ
وكتب الصاحبُ أبو القاسم في وصف كتاب : ومن هذا الذي لا يحبُّ أن يواصل
علم الفضل وواسطة الدهر وقرارة الأدب والعلم وجمع الدراية والفهم أم من لا يرغب
في مكاثرة من ينتسب إليه إلى خلقه ويكتسب محاسنه من طبعه ويتوشح
بأنوار لفظه ويتوضح بآثار لسانه ويده ، ووصل كتابه فارتحت لعنوانه قبل عيانه
حتى إذا فضضت ختامه أقبات الفكرة تتكاثر والذُررُ تتناثر والغررُ تترام
والنكتُ تتزاحم فإذا حكمت للفظة بالسبق أنت أختها تنافس وأقبلت لدنيا
تفاخر حتى استعفيت من الحكومة ونفضت يدي من غبار الخصومة وأخذت
أقول كأكن صوادير عن أصول بل أصل واحد فتسلمن ونواقده عن معدن فارد
فتصالحن وقد وليت النظر بينها من كمل لنسج برودها ووفى بنظم عقوقها .
ومثل ما تقدم من قوله في ذم القلم قوله أيضاً : على أنى يامولاي أنشأت هذه
الأحرف وحولى أعمال وأشغال لا يسلم معها فكر ولا يسمح بينها طبع وتناولت
قلماً كالابن العاق بل العدو المشاق فإذا أدركته استطال وإذا قومته مال وإذا حشنته
وقف وإذا أوقفته انحدر أجدل الشق مضطرب الشق متفاوت البري معدوم
الجرى مُحرف القط مشبج الخط ثم رأيت العدو له ضربة من الانقياد لأمره
والانخراط في سلكه فجهده على رغبه وكددته على صغره لاجرم أن جنابة
اللجاج يادية على صفحات الحروف لا تخفى وعادية المحك لا تحمى على وجوه تجلى .
وكتبت في وصف كتاب : والله أعلم أنى أخبرت بورود كتابه فاستغزني
الفرح قبل رؤيته وهز عطفى المرح قبل مشاهدته فما أدري أسمعتم بورود كتاب
أم ظفرت برجوع شباب ثم وصل بعد انتظار له شديد وتطلع إلى وروده طويل
عريض فتأملته فلم أدر ما تأمات أخطأ مسطوراً أم روضاً ممطوراً أم كلاماً منشوراً أم
شيئاً منشوراً ولم أدر ما أبصرت في أثنائه آيات شعر أم عقوق دُر ولم أدر
ما حملته أغيث حل بواد ظمآن أم غوث سيق إلى هلقان .

وكتب الصحابُ : ووصل كتابُ القاضى فأعظمتُ قدر النعمة في مطالعه
وأجلتُ محل الموهبة بموقعه وفضضته عن السحر الحلال والماء الزلال وسرحت
الطرف منه في رياضِ رقت حواشيها وحلل تائق واشيها فلم أتجاوز فصلا إلا
الى أخضر منه فضلا ولم أنخط سطرًا إلا إلى أحسن منه نظماً ونثراً .
ورفع رجلٌ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر قصةً يعتد فيها فرأى خطه رديئاً
فوقع : قد أردنا قبُولَ عذرك فاقطعنا دونه ما قابلنا من قبح خطك ولو كنتَ
صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركةُ يدك أو ما علمتَ أن حسن الخطِّ يُسناضِلُ
عن صاحبه بوضوح الحجَّة ويمكّن له درك البغية .
وقال عليٌّ رضی الله عنه : الخطُّ الحسنُ يزيد الحقَّ وضوحاً .
وقيل : حسن الخطِّ احدى البلاغتين .

ووصف الجاحظُ الكتابَ فقال : الكتابُ وعاءٌ مُسَلِّيٌ علماء وظرفٌ حثي
ظرفاً^(١) وإناء شجنٌ مزاحاً^(٢) وجداً ان شئتَ كان أبين من سبحان وائل وان شئتَ
كان أعيان من باقل وان شئتَ ضحكت من نوادره وان شئتَ شجبتك مواعظه
ومن لك بواعظٍ ملهٍ ويزاجرٍ مفرٍ ويناسكٍ فانك وبناطقٍ آخرس وبياردٍ حارٍ
ومن لك بطبيبٍ أعرابي وبرومي هندي وفارسي يوناني وبقديم مولد وبمبيت
متمتع ومن لك بشيءٍ يجمع الأول والآخِر والناقص والوافر والشاهد والغائب
والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل والمثل وخلافه والجنس وضده .
ودخل المأمونُ على بعض بنيهِ فوجدهُ ينظر في كتابٍ فقال يا بُني ما في
كتابك ؟ قال بعضُ ما يشحدُ الذهن ويؤنس الوحدة . فقال الحمد لله الذي رزقني
ولداً يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسده وظلّ مفكراً في قول ولده الطفل .

(١) الظرف بفتح الظاء بمعنى الظرافة ، ويضم بعضهم الظاء وهو غلط .

(٢) المزاح بضم الميم : الامم من المزح .

الفصل الثاني من الباب التاسع

في ذكر البلاغة

قال بعض الحكماء : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه ، قال الشيخ أبو هلال
 يعني قولاً واضح المعنى غير مُشكل المفزى . وسأل معاوية عمرو بن العاص من
 أبلغ الناس ؟ قال من اقتصر على الایجاز وترك الفضول . وليس يصلح الایجاز في
 كل مكان كما لا تصلح الاطالة في كل أوان بل لكل واحد منهما حين يحسن فيه
 ومقام يليق به ان أزلته عنه لم توفه حقه ولم تسلك به طريقه . وقال محمد الامين
 عليكم بالایجاز فان للایجاز افهاماً وللاطالة استنباهماً . أي عليكم بالایجاز فيما كان
 الایجاز فيه أحسن وأنجع فأما اذا كانت الاطالة أرد وأنفع فليس للایجاز موقع
 يحمّد ولا حال تعتمد . والایجاز بجميع الشعر أليق وبجميع الرسائل والخُطب
 وقد يكون من الرسائل والخُطب ما يكون الایجاز فيه عيباً ولا يعرفه البلاغة
 في جميع الشعر لان سبيل الشعر أن يكون كلامه كالوحي ومعانيه كالسحر مع قربها
 من الفهم . والذي لا بد له منه حسن المعرض ووضوح الغرض كقول النابغة
 الذبياني * فانك كالليل الذي هو مدركي * وقال الفرزدق :

والشيبُ ينهض بالشباب كأنه ليلٌ يصبحُ بجانيبه نهارُ
 وقال أعرابي : أبلغُ الناس أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهةً . وهذا
 حسنٌ جداً لأن سهولة اللفظ وحسن البديهة يدلان على جودة القريحة
 والبلاغة الغريزية ، ووعورة اللفظ تدل على تكاف وتعسف ولا شيء أذهب بماء
 الكلام وطلوته وروثه منهما ولا يحسن معهما الكلام أصلاً وان كان لطيف
 المعنى نبيل الصنعة . وقد أجاد ابن الرومي في قوله : البلاغة حسن الاقتضاب
 عند البديهة والغزارة يوم الاطالة . فجعل البلاغة في الغزارة كما جعلها غيره في الایجاز .

وقيل لهندي ما البلاغة؟ فقال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة .
وقيل لآخر ما البلاغة؟ فقال تصحيح الأقسام واختيار الكلام .
وقال الحسن بن سهل : البلاغة ما فهمته العامة ورضيته الخاصة . وقال عبيد الله بن
عتبة : البلاغة دنو المتأخر وقرع الحجمة وقابل من كثير . وروى هذا عن أكرم بن صيفي
أيضاً . وقال ابن المقفع : البلاغة اسم لمعان تجرى في وجوه فمنها ما يكون شعراً
ومنها ما يكون سجماً ومنها ما يكون خطباً ومنها ما يكون رسائل فعامه ما يكون من
هذه الأحوال فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ والإيجاز البلاغة . وتأويل
هذا ما قدمناه . وقال غيره : البلاغة قول يسير يشتمل على معنى خطير .
وقال الآخر : البلاغة علم كثير في قول يسير . وقال جعفر بن يحيى :
البلاغة أن يكون الاسم محيطاً بمعناك . ويجلي على مغزاك ولا تستعين عليه بطول
الفكرة ويكون سليماً من التكلف بعيداً من سوء الصنعة بريئاً من التعقد
غنياً عن التأمل . وقال اعرابي : البلاغة التقرب من معنى البغية والتبعد من
حشو الكلام وقرب المأخذ وإيجاز في صواب وقصد إلى الحجمة وحسن الاستعارة .
وقال محمد بن الحنفية : البلاغة قول مفقده في لطف . وقال علي رضي الله عنه : البلاغة
إيضاح المتبسات وكشف عوار الجهالات بأحسن ما يمكن من العبارات .
ومثله قول الحسن بن علي رضي الله عنهما : البلاغة الإفصاح عن حكمة
مستغلة وإبانة علم مشكل . ومثله قول محمد بن علي رضي الله عنه : البلاغة تسير
عسير الحكمة بأقرب الالفاظ . وقال ابن المقفع : البلاغة كشف ما غمض من الحق
وتصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق . والذي قاله صحيح
لا يخفى موقع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح
الثابت المكشوف ينادى على نفسه بالصحة ولا يجوز أن يتكلم لتصحيحه
حتى يوجد العيب فيه خطيباً وإنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن وتصحيح ما ليس
بصحيح بضرب من الاحتيال والتخييل ونوع من العلل والمعارض ليخفى موضع

الاساءة وينمض موضع التفصير فيه . وقد فسرت في كتاب صنعة الكلام مواضع الاشكال من هذه الفصول فتركتُ إعادتها ههنا فاذا أردتها فاطلبها في مظانها هناك تظفر بينيتك منها إز شاء الله تعالى . وقد أحب قومُ الأيجاز في بعض المواضع منهم جعفر بن يحيى قال - لكتابي : إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع فافعلوا . وقال بعضهم في المذهب الأول إذا كان الأيجاز كافياً كان التطويل عيباً وإذا كان التطويل واجباً كان التفصير عجزاً . وقيل لأعرابي ما البلاغة ؟ فقال الأيجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل . فانظر إلى كلام هذا الأعرابي فهو بليغ .

{ جمل من بلاغات العجم }

العجمُ والعربُ في البلاغة سواءٌ فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخراج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي ، وبذلك على هذا أيضاً أن تراجم خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها ، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعةً وربما كان اللفظُ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ العربي ، من ذلك قول العرب « ولدك من دمي عقبيك »^(١) وقول الفرس « هرك تزد نرود » واللفظُ الفارسي في هذا أفصح من اللفظ العربي وأحسن ، وقولهم « كشنند ميد » مثل قول العربي « من يسمع يخل » سواء في المعنى ، والفارسي أقل حروفاً ، وقولهم « أصيد بركة خورده »^(٢) وليس للعرب في معنى هذا المثل شيء ومعناه « المأمول

(١) كانت امرأة الطفيل بن مالك ولدت له عقيل بن الطفيل فتبنته كبشة فعر بهد عقيل على أمه فضربته فجاءتها كبشة وقالت ابني ابني فأجابها أمه بهذا المثل .
(٢) لعله « أميد به أزخوردن » كما يقوله بعض العارفين باللغة الفارسية حيث سأته عن صحة ذلك .

خير من المأكول « ولا يعبر عنه بكلام عربي أقل حروفاً مما ذكرته ومع ذلك
فإن حروف تفسيره بالعربية ضعفاً حروفاً بالفارسية ، وقد جاء عن بعضهم في
معنى هذا المثل « انتظار الحاجة خير لك من قضائها » وقد خالفهم الفرس في مثل واحد
وهو قولهم « به شاه آشنه نرود همدوره » والعرب تقول « جاور بجرأ أو ملكاً » .
وليس قصدنا لهذا المعنى فنطيل فيه ولكن لا يراد أمثلة في البلاغة
تكون مادة لصانع الكلام : فمن ذلك قول ابرويز : إذا نزل الخمول استكشف
النقص ، يبحث على طلب النباهة والتماس جلائل الأمور . وقال بهرام جور :
الحاكم ميزان الله في الأرض فوافق الله تعالى في قوله (والسماة رَفَعَهَا
وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) يعني العدل في الحكم . ونحوه قول علي رضي الله عنه :
السفر ميزان القوم . وقول الآخر : العروض ميزان الشعر وقال الآخر منهم :
أغلق أبواب الشهوات تفتح لك أبواب المحاسن . وقال آخر منهم : الصواب
قربن التثبت والخطأ شريك العجلة . وقال بزرجمهر : عاملوا أحرار الناس بمحض
المودة واملوا العامة بالرغبة والرهبه وسوسو السفلة بالخافة والهيبة . وقريب
من ذلك قول بعضهم : الكريم يلين إذا استعطف والثلثم يقسو إذا أظف .
وقال بعضهم : ينبغي للوالي أن يتفقد أمور رعيتيه فيسدفافة أحرارها ويقمع طغيان
سفلتها فأنما بصول الكريم إذا جاع والثلثم إذا شبع . وقال بعض حكماء الفرس :
أحزم الملوك من غلب جده هزله وقهر رأيه هواه وعبر عن ضميره فعله ولم يخذعه
رضاه عن - ظه ولا غضبه عن كيده . وقال أنوشروان : القصد غاية المنافع ،
وقال لابنه هرمز لا يكن عندك لعمل البر غاية في الكثرة ولا لعمل الاثم غاية
في القلة . ووافق هذا من العربي قول الافوه الأودي :

والخير تزداد منه ما لقيت به والشر يكفيك منه كلما زاد

وقالوا أيضاً : يوم العدل على الظالم أشد من يوم الظلم على المظلوم .

وقال ابرويز : لا تغشوا قلوباً لا تغشوا قلوباً كثيراً . وقال يوماً لجنده لا يشحن امرؤ

منكم سيفه حتى يشحذ عقله . وأظنُّ المتنبي ألمَّ بهذا فقال :
 الرأيُّ قبلَ شجاعةِ الشَّجَمَانِ هو أوَّلُ وهي المحلُّ الثاني
 وقال لكتابه : إذا فكرت فلا تمجِّلِ وإذا كتبت فلا تستعن بالفضول
 فإنها علاوة على الكفاية ولا تقصرن عن التحقيق فإنها هجئة في المقالة ولا تلبس
 كلاماً بكلام ولا تباعدن معنى من معنى واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول .
 ووافق هذا قول العربي : ما رأيتُ بليغاً إلا رأيتُ له في المعاني اطالةً وفي الألفاظ
 تقصيراً . بحث على الأيجاز . وقال له إذا أمرت فأحكم وإذا كتبت فأوضح وإذا
 ملكت فأسجع وإذا سألت فأبلغ ، ووافق هذا النمط قول أبي تمام :

يقول فيسمع ويمشى ^(١) فيسرع ويضرب في ذات الآله فيوجع
 وقال ازدشير بن بابك : من لم يرض بما قسم الله له طالت معتبتهُ وفحشُ
 حرصه ومن فحش حرصه ذلت نفسه وغلب عليه الحسدُ ومن غلب عليه
 الحسدُ لم يزل مغموماً فيما لا ينفعه حزيناً على ما لا يناله ، وهذا معنى قول الشاعر :
 * ليس للحاسد إلا ما حسد * وقال : من شغل نفسه بالأمي لم يخل قلبه من الأمي .
 وقال بعضهم : الحقوقُ أربعةٌ حقُّ الله تعالى وقضاؤه الرضا بقضائه والعمل بطاعته
 وإكرام أوليائه ، وحقُّ نفسك وقضاؤه تمهدها بما يصاحبها ويصحها ويحسم مواد
 الأدواء عنها ، وحقُّ الناس وقضاؤه مموئهم بالموادة ثم تخصيص كل واحد منهم
 بالتوقير والتفضيل والصلة ، وحقُّ السلطان وقضاؤه تعريفه ما خفي عليه من منفعة
 رعية وجهاد عدوِّه وعمارة بلده وسدِّ ثغره . وقال بزرجهر : لا ينبغي للعاقل أن
 يجزع من حطِّ السلطان إياه عن منزلة رفع اليها خاملاً فإن الأقدار لم تجر على قدر
 الأخطار . وقال بزرجهر : الزام الجهول الحجة يسير وإقراره بها عسير .
 وقال بزرجهر : ثمرة القناعة الراحة وثمره التواضع المحبة من قلوب الخلق .

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « ويمشى فيسرع » .

﴿ ومن كلام الفلاسفة ﴾

قال ارسطاطاليس : ليس الحاجة الى العقل أقيح من الحاجة الى المال .
وقيل له ما أشد الأشياء على الأحمق ؟ قال السكوت . وقيل له ما أحسن الأشياء ؟
قال الانسان المزين بالأدب . وقال : العقل سبب تنقيص العيش . والى هذا
المذهب ذهب ابن أبي البغل في قوله :

الصَّغْمُ يَصْفِرُ دَائِبًا وَلَا جِلَهَ حُبِسَ الْمِيزَارُ لِأَنَّهُ يَتَرْتَمُ
لَوْ كُنْتُ أَجْهَلُ مَا عَدْتُ لَسَرَّنِي جَهْلِي كَمَا قَدْ سَاءَ نِي مَا عَسِمُ
وقال المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
وقلت : أو اِصِلْ أَلْهَمَ فِي ضَبْقٍ وَفِي سَعَةٍ كَأَنَّ يَدِي وَبَيْنَ أَلْهَمٍ أَرْحَامَا
إِنْ إِمْرًا عَظَمَتْ فِي النَّاسِ هِمَّتَهُ رَأَى السَّرُورَ جَوَى وَالْوَفْرَ إِعْدَامَا
وقلت : وَأَكْثَرُ حَالَاتِ الزَّمَانِ بِعَمَى وَبِئْسَ لَعَمَّ الْعَارِفِينَ مَفْرَجُ
وروى الحسنُ البصري حزينًا فقيل له في ذلك فقال : غمى مكتسبٌ من
عقلي ولو كنت جاهلاً لسكنت في راحة من عيشي . وافتخر قومٌ بالمال عند
فيثاغورس فقال : وما حاجتي إلى المال الذي يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلكه السخاء
وقيل له ما أصعب الأشياء على الانسان ؟ قال أن يعرف قدر نفسه ويكتفم سره .
وقال بعض أهل الهند : ليس شيء أعرفُ بنفسه من الانسان ولا أجهدُ بهامنه .
وقيل لسقراط أي السباع أجمل ؟ قال المرأة . ومن التشبيه المصيب قول سقراط لرجل
استشاره في التزويج : ان المتزوجين مثل السمك الذي يصاد بالثغاف فما حصل
فيها يروم الخروج منها وما كان خارجاً يبغى الدخول فيها . وقيل لرجل منهم ما سبب
موت أخيك ؟ قال كونه . ومثل ذلك ما أخبرني به عم أبي أبو سعيد الحسن بن سعيد
أظنه عن أبيه قال : ورد البريد الى المأمون من خراسان بموت ابن المؤيد فاستدعاه

وجعل يعظه ويعزيه من غير أن يذكر له المصيبة فقال المؤيد لا عهد لي من أمير المؤمنين بهذا الكلام فما السبب فيه؟ قال مات ابنك قال قد عرفت ذلك قال ومتى عرفته وما سبق البريد خبيراً؟ قال عرفت ذلك يوم وُلِدَ. فمجبب المأمون من فهمه وقال بمثل هذا قدمتك هذه العصا وجملتك قوام دينها ومفرغها فيما ينوبها. وقال بعضهم حب المال وتدالبالاياء. وقال سقراط اللذة خناق من عسل.

وقيل لجاوس توفي ما نيدس فقال الوبح لي قد ضاع مسنٌ عقلي. وقيل له ما أحلى الأشياء قال الذي تشتهي. وقريب منه قول الاعرابي * وقلة ما قررت به العين صالح * وقال سقراط الحظ في إعطاء ما لا ينبغي ومنع ما ينبغي سواء. ومثل ذلك قول طاهر بن الحسين: التبذير للمال ذمة كحب التقدير فاجتنب التقدير وإياك والتبذير. وقريب منه قول العربي وقد قيل له إن فيك إمساكاً فقال لا أجد في حق ولا أزرور في باطل. ورأى بعضهم شاباً جاهلاً جالساً على حجر فقال هذا حجر على حجر.

ونحو هذا قول بعض المحدثين:

ما ان يزالُ يبغداد يزاحنا على البراذين أمثالُ البراذين
وقلتُ وقد رأيتُ غلاماً مليحاً طريراً يخدمُ شيئاً دميماً:

ان كنتَ ترنادُ منظراً عجباً فانظر الى البدر في يدِ القردِ
وانظر الى الضبِّ كيف يفترسُ السُّطبيَّ على مرقدِ من الوردِ
وذمُّ دهرًا بفيضُ أنعمه على اللئيم المذممِ الوغدِ
وانظر الى حمرةِ وأنته فوقَ مُتونِ السوايحِ الجردِ
فأسخنَ اللهُ عينهُ زماناً ماذا رأى في تجنبِ القصدِ

وقال بعضُ اليونانيين للاسكندر أخلاقك تجعل العدو صديقاً وأحكامك تجعل الصديق عدواً ويشهد عدم مثلك فيما كان بعدم مثلك فيما يكون. وقال بعض حكمائهم لتكبر: وددت أني مثلك في نفسك وان أعدائي مثلك في الحقيقة. وقريب من هذا المعنى قول علي رضي الله عنه لبعض أعدائه وقد مدحه: أنا دون ما تظهر بلسانك وفوق

ما تضرر في جنانك . وقيل لبطليموس ما أحسن أن يصبر الانسان عما يشتهي
قال أحسن منه أن لا يشتهي إلا ما ينبغي .

وقال أرسطاطاليس : انك ان لم تصبر على تعب التعليم صبرت على شقاء الجهل
ما بقيت - يخاطب جاهلا .

(محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب)

قال بعض حكمائهم : الصبرُ يناضل الحدثان . وقال آخر : الحلم فدام (١)
السفيه . وقال آخر : خاطر من استغنى برأيه . وقال غيره : الجزع من أعوان الزمان
والمودة قرابة مُستفادة . وفضل بعضهم المودة على القرابة فقال : القرابة
مُحتاجة إلى المودة والمودة مُستغنية عن القرابة . وقال غيره وسوى بين المودة
والقرابة : الصاحبُ مناسبٌ . وقالوا عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله . ومن
موجز الكلام قول بعضهم : من نال استطال والفاحشة كاسمها . وقولهم أصاب
مُتأملٌ أو كاد . وقولهم العفو زكاةُ الجاهل . وقولهم راحي البخيل مُكد .
وقول بعضهم قلما تصدقك الامنيةُ . وقيل الصيانة مألَف المروءة . وقال بعض
الحكماء البلاء رديف الرخاء . وقيل خمول الذكر أسنى من الذكّر الذميم . وهذا
خلاف ما سمعنا سمعت رجلاً يقول لأن أكون رأساً في الضلالة أحب إلى من
أن أكون ذنباً في الهداية .

وكانت قريش تستحسن من الخاطب الاطالة ومن المخطوب الايجاز فخطب
محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز ابنة أخيه فتكلم بكلام جاز الحفظ
فقال عمر الحمد لله الذي أنطق البلغاء ذى الكبرياء وصلى الله على محمد خير
الأنبياء أما بعد فإن الرغبة منك دعوتك الينا والرغبة فيك أجابتك منا وقد أحسن
بك ظناً من أودعك كريمته واختارك ولم يختار عليك وقد زوجناك على كتاب الله

(١) الفدام : شيء يشد على الفم .

وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فكان هذا من أوجز خطبة وأحسنها المراد .
 ومن موجز كلامهم : ليس مع الخلاف ائتلاف . وقولهم رضا الناس غاية
 لا تبلغ . وقولهم لا ينفعك من جارسوء توك . وقولهم سرك من دمك . وقيل
 من لم يمت لم يفت . وقولهم عقل الكاتب على قلبه . ومن الصدق الذي لا ارتياب
 فيه قولهم من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه . ومن الموجز المليح ما روى ان بنى أمية
 وفدوا على عبد الملك بن مروان فقال أهل الشام ما عسى أن يقول خطيبهم فقام
 رَجُلٌ منهم فقال يا أمير المؤمنين نحن من تعرفُ وحقنا ما لا تنكر وجئناك من
 بعد ومنتُ من قرب فهما تفعل بنا من خير فنحنُ أهله ، فتناول عبد الملك وقال
 يا أهل الشام هذا كلام قومي . ومن جيد الاستعارة قول بعضهم : كانوا في
 ظل رقيق الحواشي فطواه الدهرُ عنهم . وقيل القلم أنف الضمير والخط
 لسان اليد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم (جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ
 الْقَيْرَةِ) وقالوا الفكرة مُنْحُ العمل . وقيل الشيبُ خطام المنية . وقالوا
 المذاكرةُ حياة العلم . وقيل الحسولُ دفن الحى . وقلتُ السخاءُ سلمُ المجد .
 وقلتُ المراءُ ينقضُ مرَّ المودةِ والتواني يُشعِرُ الندامةَ والسكسلُ يُنتجُ الفقر .
 وقيل البياضُ علم الجمال . وقلتُ الحياءُ عنوان الكرم . وقلتُ العتابُ مُقَدِّمَةُ
 السخط . وقال ابن المعتز المعروفُ غُلٌّ لا يَفُكُه إلا شكرٌ أو مُكافأة ، وقلتُ
 العينُ رائدُ القلب . وقلتُ الذلُّ رَسِيلُ الدِّينِ والشكرُ ضامنُ المزيد والغنى
 مظنة البطر . وقال آخرُ لاحظ طرف الضمير . وقلتُ الشكرُ مرتبُ النعم . وقال
 آخر من جرى في عنان أمله عَشْرُ بأجله . وقال الأعمالُ ثمار النيات . وقيل
 التواضعُ سَلْمُ الشرف . وقلتُ المالُ عدوُّ الوفاء . وقيل التجنى رسولُ القطيعة .
 وقال الاحنفُ الأدبُ عُرْوَةُ العزِّ . ومن أصدق كلمة أعرها قول ابن المعتز : من
 قوى عقله كثر حلمه وقل غيظه . وقال الفرصةُ سريضةُ الفوت وبطيئةُ العود .
 وقال نرَّع خرق الدنيا ويتسع ونشعبها وتنصدع ونجمع منها مالا يجتمع .

ووقع جعفر بن يحيى الى بعض إخوانه : إذا وضع العذر لم يكن لسوء الظن مكان إلا لمن أراد التجنى . وقيل للأحنف إن حارثة بن بدر يقع فيك فقال :
 * عَشِيَّةٌ تَقْرِمُ جِلْدًا أَمْلَسًا * ^(١) وقال بعض الحكماء حصادُ المتى الأسف
 وعاقتها الندامة وليس لذي لب بها مستمتع . ومن فصيح أمثال العرب قولهم :
 الفرارُ بقرابٍ أكيس ^(٢) . وعزى اعرابي رجلاً فقال لا أراك الله بمد هذه
 المصيبة ما ينسبكها . وعزى شبيب بن شيبه ذمياً فقال أعطاك الله عن مصيبتك
 أفضل ما أعطى أهل ملتك . وقال عبد العزيز بن زرارة أول المعرفة الاختبار .
 وقال رجلٌ للأحنف ممن أنت قال ممن ودنى . وقال البلاغة البلوغُ
 عند الكفاية . وقيل للأحنف ما أحسن المجالس قال ما سافر فيه بالبصر
 وادّع فيه البدن وأمن فيه الثقل وكثرت فيه الفائدة .

وكتب المهلب ^(٣) إلى عبد الملك حين هزم الازارقة أما بعد فانا لقينا المارقة
 ببلاد الاهواز وكانت في الناس جولة ثم تاب أهل الدين والمروءة ونصرنا الله
 عليهم فنزل القضاء بأمرٍ جاوزت النعمة فيه الأمل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب
 سيوفنا وقتل رئيسهم في جماعة من حماهم وذوى الثبات منهم وأجلى الباقر ليلاً
 عن معسكرتهم وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها ان شاء الله تعالى .

وكتب الى الحجاج : الحمد لله الكافي بالاسلام ما وراءه الذي لا تنقطع مواد
 نعمه حتى تنقطع من خلقه مواد الشكر عليها وإنا كنا وعدونا على حالتين
 بسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم فلم يزل الله
 تعالى يزيدنا وينقصهم ويمحضنا ويمحقهم حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر
 القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

(١) مثل يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر في شيء فلا يقدر عليه . (٢) أي

الذي يفر ومعه قراب سيفه إذا فاته السيف أكيس ممن يفيت القراب

أيضاً . (٣) هو المهلب بن أبي صفرة . وفي الأصول « ابن عبد الملك »

وكتب ابن المعتز : قد علمتني نبوتك سلوتك وأسلمى اليأس منك الى الصبر
عنيك . وقال أعرابي لمعاوية هزرت ذوائب الرجال اليك إذ لم أجد معو لا إلا
عليك أمتطى الليل بعد النهار واسم المجاهل بالآثار بقودني نحوك الرجاء وتسوقني
اليك البلوى والنفس مستبظثة والاجتهاد عاذر وإذ بلغتك فقط . فقال معاوية أحطط
رحلك يا أعرابي . وقال سفيان الثوري رأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة وهو
يقول يارب عندي لك حقوق فهمها لي وللناس عندي حقوق فتحملها عنى ولي عندهم
حقوق فقيضها لي وأناضيحك اليوم فأجعل قرأى الجنة . وذكر بعضهم رجلاً
فقال كان قريب مدى الوثبة لين العطفة يرضيه القليل ولا يسخطه الكثير .

(أمثلة في البلاغة الكتابية)

أولها التحميدُ ومن عادة العارفين أن ينتدثوا في الأمور بالحمد لله رب العالمين
يقدمونه أمام طلابها كما بُدئ بالنعمة فيها قبل استيجابها . كتب حمد بن مهران :
الحمد لله الذي كثرت أياديه عن الاحصاء وجلت نعمه عن الجزاء . وكتب أيضاً :
الحمد لله ذى البلاء الجميل والعطاء الجزيل الذى جعل للأمر سنى الرتبة وعز الدعوة
ووصل له حُسن الولاية بشكر النعمة وقرن لا وليائه قوة الحججة بفضل الادالة حمداً
يؤدى الى الحق ويقتضيه ويستمد المزيد ويمتريه والى الله أرغبُ في زيادة الأمر
والزيادة به وعلى يديه والأيدي الصائلة على عدوه بمنه ولطفه . فأخذ ابن دُرَيْد
قوله (ويستمد المزيد ويمتريه) فقال : تحرس نعم الله عز وجل عندنا بالحمد عليها ويمتري
المزيد منها بالشكر عليها وترغب الأيادي اليه في التوفيق لما يُدنى من رضا
ويجبر من سخطه انه سميع الدعاء لطيف لما يشاء . وكتب الصابى : الحمد لله
ذى المنن والطسول والقوة والحول والغاية والوصول رافع الحق ومُعلية وقامع الباطل
ومردية ومُعز الدين ومُدبلة ومُذل الكفر ومذيله ^(١) المنزل رحمة على من جاهد

(١) أذاله : حقره وأهانته .

في طاعته والمحل عُقوبَتَه بمن جاهر بمعصيته المتكفل بتأييد حربه حتى يظفر
 وبخذلان حربه حتى يدحر الذي لا يفوته الهارب ولا ينجو منه الموارب ولا يبعيه
 المُعضل ولا يعجزه المشكل ولا تنهظه الأشغال ولا تؤوده الانتقال الغنى المُفتقر
 إليه القوي المعتمد عليه بالغ أمره بلا مُؤازر وممضى حكمه بلا مظاهر ذلكم الله
 ربكم فاعبدوه مخلصين له الدين . وروى عن النبي ﷺ أنه قال لما هزم الأحزاب
 « الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .
 وكتبت : الحمد لله الذي وفر على الأنام المحاسن واكتنفها بالميامن وبسط بالخير
 أيديها وأفاض بالاحسان وادبها وعلّمها البر بالأبرار والعطف على الأحرار واختيار
 الخيرة للاختيار فعادت وقد زكت شجرتها وحلت ثمرتها وتنت أغصانها وتهديت
 أفنانها ولانت أعطافها وتناهد أطرافها فكانت أيام أبي تمام التي وصفها فقال :
 أيامنا مصقولة أطرافها بك واليالي كلها أسحار

بما منح من حسن رأيك أطال الله في كنف السلامة بقاءك وحجب عن
 عيون الغير نعمائك وخوّلك من العزّ أوفره ومن الظفر أخضره وأعطاك من النعم
 أصفاه من الشوائب وأبدها من ملاحظة النوائب ومنحك من الخير برُمته
 كما قاد إليك الفضل بأزمته ولازال بك الزمان جديد الحسنتين مُطرز العرّتين
 مُتوّج المفرق بما ترك حالي الجيد بمفاخرك ولاسلبك نعمة ألبسك جمالها ولانزح
 عنك طرفة وفر عليك كالمها :

رأيت جمال الدهر فيك مُجدداً فكان باقياً حتى ترى الدهر فانيا
 وكتب بعضهم : الحمد لله الذي استسلمت نهاية الشكر لدون ما ألزم بصنائه .
 وكتبت : الحمد لله على ما تطول به من البرّ وما أوزع ^(١) على ذلك من
 الشكر حمداً يتخطى به إلى غاية رضوانه ويستدعي المزيد من جزيل إحسانه .
 وكتبت : الحمد لله الذي قبض لك السبق إلى البرّ والفوز بالمكرمة البكر

(١) أوزع : أي ألهم .

والاستيلاء على قصبات الحمد والشكر .

وكتب آخر : الحمد لله الذي جعل من ألبا بنا بصائر تقودنا إلى معرفته ومعارف
ترشدنا إلى الاقرار بربوبيته ليخرجنا من الظلمات إلى النور برحمته .

(ومن جيد الأدعية)

ما كتب الصاحب أبو القاسم بن عباد : أسعد الله سيدنا بالفضل الجديد
والنيروز الحميد سعادة متصلة المادة حافظة لجميل العادة مؤذنة بظاهر العز والبسطة
وتزايد السرور والغبطة مؤمنة من عوادي الأيام وبوادر الزمان وأراه سادتي
الفتيان قد اقتنى كل منهم مجده وحكى في طلب المعالي أباه وجده وجعل
سيدنا آخذاً من كل ماعى به ويُدعى به في الأعياد بأجزل الأقسام وأوفر الأعداد .
وكتب الصابي الى أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف : أطال الله بقاء مولاي
الأستاذ وأسعده بنيروزه الوارد عليه وأعاده ألف عام اليه وجعله فيه وفي أيامه كلها
معافى سالمًا فزناً غانماً مسروراً محبوباً محروساً موفقراً مخنوماً له يبلوغ الآمال
مطروفاً عليه ^(١) عين الكمال محظور الافنية عن ^(٢) النوائب محمى الشرائع عن ^(٣)
الشوائب مُبلغاً غاية ماتسمو اليه همته العالية المشتطة وأمانيه المنفسحة المنبسطة
بقدرته . والفصل الأخير من هذا يُشير الى قول ابن المعتز : أصحب الله بقاءك عزاً
يبسط يدك لوليك وعلى عدوك وكلامه تذب عن ودائع مننه عندك وزاد في
نعمك وان عظمت وبلغك آمالك وان بعدت .

وكتب بعضهم عش ماشئت كما شئت ، وهو من قول أبي نواس :
دارت على فتية ذل الزمان لهم فما يُصيبهم إلا بما شاؤا
وكتب بعضهم عش أطول الاعمار مُوقى من سوء الأقدار مرزوقاً نهاية
الآمال مغبوطاً على كل حال . وكتب آخرُ باغك الله نهاية من العمر لا نهاية
لمستزيد وراها . وقريب منه قول البحري :

(١) في الأصل (عنه) . (٢) في الأصل (على) . (٣) في الأصل (عنه) .

عمرت أبا سحوق ما صالح المومنين ولا زال معوراً بأيامك الدهر
وقول الآخر :

فلا زالت الأرض معورة بمسرك يا خير محسرها
ومما يجرى مع ذلك وليس منه قول أبي تمام :

من يسأل الله أن يُبقي سراتكم فأنتم أن يسبقكم الكرام
وقول المتنبي :

أعيذك من صروف دهركم فإنه بالكرام منهم
قلت : فلا زالت الأقدار دون محاسنكم سواقطاً والمكروه عنكم^(١) مقصراً

وقال بعضهم : جعلك الله من كل محبوب على شرف ومن كل محذور في كنف .
وكتب آخر : لا زالت الأيام لك مساعدة والليالي على هواك مُساعفة تتلقاك
بأوفر الجبور وتطلع عليك بعوائد السرور وتجري مقاديرها لك بالمحجوب وتتفاحس
عنك بالمخفور المرهوب ويحكم لك بالرشد والسعادة ويقضي على أعدائك بالذل
والقناعة^(٢) . وكتب ابن المعتز آخرتي العلة عن الوزير أيده الله فحضرت
بالدعاء في كتابي لينوب غني ويعبر ما خلته العوائق مني أسأل الله أن يجعل هذا
العيد أعظم الأعياد السالفة بركة عليه ودون الأعياد المستقبلية فيما يحب ويحب له
ويتقبل ما تتوسل به إلى مرضاته ويضاعف الإحسان إليه على الإحسان منه ويمتعه
بصحبة النعمة ولباس العافية ولا يرهه في مسرة تقيصة ولا يقطع عنه فيها عادة
جميلة . وهذا مأخوذ من قول سعيد بن حميد : تابع الله لك صالح الأيام ومحمود
الأعوام حتى يكون كل يوم منها موفياً على ما قبله مقصراً عما^(٣) بعده .

وكتب ابن المعتز : حفظ الله النعمة عليك وفيك وولى إصلاحك والإصلاح
لك وأجزل من الخير حظك والحظ منك ومن عليك وعلينا بك .

وكتب إلى علي : مسحك الله بيد العافية ووجه اليك وافد السلامة وملاك

(١) في النسخ « منكم » . (٢) القناعة : الذل ، والعطف تفسيرى .

(٣) في الأصل « على ما بعده » .

مأفادك وهنأك ما قسم لك وأمتع بك وليك وألان لك طاعة عدوك وجمل
الدولة بيقائك وزينها بدوام نعمائك . وكتب الصاحب أبو القسم : والله يديم
لمولانا ولي النعم التمكن والبسطة والعلو والقدرة والعز والنصرة ولا يسب
القلوب ما أودعها من محبة دولته ولا يعدم الصدور ما ضمنها من خشية صولته ليزداد
أولياؤه بصيرة في مناصحته ويضطر أعداؤه الى استعطافه واستقالته انه قد ير على
ما يشاء واليه أرغب في زيادة مولانا من فضله وصلة المناجح بسعيه وعزمه وتعرفه الميامن
في ارتحالته وحله وتوفيقه لما يحفظ رأى ولي نعمته ويستديم المقسوم له من محمده .
وكتب أبو الحسن بن أبي البغل الى علي بن عيسى : وهنأ الله الوزير
مأناه وجمله أيمن أمر من أمور الدين والدنيا بدءاً وفاتحة وأسلمه
مالاً وعاقبة وأطوله أمداً ومدة وأدومه انتظاماً واستقامة وأوفره كفاية لله
وجميل ولايته وصادق معونته حظاً وسهمة^(١) ويسر لديه العسير وقرب على يده
البعيد والشطير^(٢) إنه على كل شيء قدير . وقال اعرابي لرجل النعم ثلاث نعمه
في حال كونها ونعمة ترحى مستقبله ونعمة تأتي غير محتسبة فأدام الله لك
مأنت فيه وحقق ظنك فيما ترجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه .

(المديح)

قد صدرت الكتاب بذكر المديح على مذهب الشعراء وأنا أوردته هنا
صدراً على مذهب الكتاب ليشتمل الكتاب به على الكمال إن شاء الله تعالى :
ذكر رجل لبعض البلغاء فقال : هو أحلى من رخص السعر وأمن السبل
وادراك الأمانى وبلوغ الآمال . وكتب بعض الكتاب : وجرى لك من ذكر
ما خصك الله به وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدر وعلو المنزلة والذكر
وبعد الهمة ومضاء العزيمة وكال الاداة والآلة والتمهد في السياسة والايالة وحياطة

(١) السهمة بالضم : النصيب (٢) الشطير : البعيد والغريب .

الدين والأدب وإيجاب عظيم الحق بضعيف السبب مالا يزال يجري مثله عند كل ذكر بتجدد لك وحدث يؤثر عنك . وكتبت : من حل محل سيدنا في شرف المنصب وطهارة العنصر وزكاه الأصل ونماء الفرع وسنى الحسب وسرى النسب مع الشيم الطاهرة والمسكارم المتظاهرة كثرت الرغبة اليه وخيمت الآمال بين يديه وهو حقيق بتصديقهافية وتحقيقتها^(١) عند مؤمليه لكرمه في نفسه وتميظه من جنسه . وقال بعضهم لرجل : رحم الله أباك فانه كان يقرى العين جمالاً^(٢) والأذن بياناً . ومما يجري مع ذلك أن بعض الملوك رأى رجلاً قبيح المنظر عيب اللسان فأمر باسقاطه وقال ان روح الحياة وهى الانسانية إذا كان ظاهراً كان جمالاً وإذا كان باطناً كان بياناً فمن خلا من الجمال والبيان فليس بانسان . وكتب الصاحب : وايس بيدع أن يجود كلامه وتعتدل أقسامه ويتهدب بيانه ويتسع جناحه وقد راض العلوم حتى أعطته زمامها ومارس الآداب حتى ملكته خطامها فان عد الفقه كان البازل الذى ذلل الفحول موصولة وإن ذكر الكلام كان الجبل الذى فرع الأطواد مطاولة وإن تصرف في أيام الناس وأخبارهم وغصص عن سيرهم وآثارهم حاضر محاضرة الافراد وكأثر مكثر الآساد وإن جورى في سوائر الأمثال وفقر الأشعار ترك المجارى لا يدري أى طريق يركب وأى مذهب يذهب وأما الخطابة فهو جديلاً المحكك وعذيقها المرجب وقد سلمت اليه اختياراً من مواليه واضطراراً من معاديه . وقال رجل لخالد القسرى إنك تبذل ماجل وتجبى مااعتل وتكثر ماقل .

وكتب ابراهيم بن العباس : وإن أمير المؤمنين لو استغنى بنظر ناظر من ولاته واجتهاد مجتهد من كفاته الذين لهم الأثرة عنده والموضع الأخص عن الاستظهار عليه بنظره وعنايته وادتمامه كنت أولى من خفف بمكانه عن نفسه واقتصر على عنايته وتدييره دون إرشاده وتسديده فالله يعزه ويزيده في تأييده .

(١) فى الاصل (تحقيقاً) . (٢) أى يكرمها بذلك كما يكرم الضيف .

﴿ فاما الذم والتهجين ﴾

فمن بديع الاستعارة فيه قول أعرابي يذم رجلا : يقطع نهاره بأمتي ويتوسد ذراع الهم إذا أمسى . ودخل أعرابي بغداد فقال فاذا ثياب أحرار على أجساد عبيد إقبال حفظهم إديار حظ الكرم شجر فروعه عند أصوله شغلهم عن المعروف رغبتهم في المنكر . وقال بعضهم لرجل استضاف بخيلا : زلت بوادٍ غير ممطور ورجل غير مسرور فأقم بدمٍ وارحل بدمٍ . وقال أعرابي : أولئك قومٌ سلخت أبقاؤهم بالهجاء ودُبغت جلودهم باللؤم فلباؤسهم في الدنيا الملامة وزادهم في الآخرة الندامة . وقال أعرابي لا تُدنس شعرك بعرض فلان فإنه يمينُ المال مهزول المعروف من المرزوقين فجأة قصير عمر الغنى طويل حياة الفقر ، ومن ههنا أخذ أبو نواس قوله :

بما أهجوك لأدرى لسانى فيك لايجرى

إذا فكرت في عرضك أشقت على شعري

واستشارت امرأة امرأة في رجل تزوجه فقالت لا تفعل فإنه وكلةٌ تكلةٌ يأكل خله . وكلةٌ وتكلةٌ بمعنى واحد وهو الذى يتكلُّ في الأمور على غيره ولا يقومُ فيها بنفسه والتاء في تكلة واوكا قيل تُراثٌ وهو من ورت ، وانظلل ما يخرجُ من بين الأسنان عند التخلل وليس في اللؤم شيء من الكلام أبلغ من هذا . وقريبٌ منه قولهم فلان يُشيرُ الكلاب عن مرابضها ، يريدون أنه من طعمه وشربه يُشيرها يطلبُ تحتها شيئا قد فضل منها ، ومن ذلك قول الشاعر :

أمن بيتِ الكلابِ طلبتَ عظيماً لقد حدثتَ نفسك بالمحال

﴿ في الشكر (١) ﴾

وكتب ابن المعتز في الشكر : قد جلت نعمتك عن شكرى فتولى الله مكافأتك

(١) هذا العنوان غير موجود في النسخ .

عن عجزى بعد جهدي بما هو أرفع له وأقدر عليه بمنه ورافته ، وهذا من قول
 طريح بن اسمعيل . فقصرت مغلوباً وإني لساكرٌ . وكتب آخر : إذا كان
 مجهودي في شكر النعمة واعترافي بحق العارفة ببلغني أقصى نهاية الشاكرين
 وأبعد غاية المعترفين وكانت زيادة معروفك على قدر شكري كزيادة قيمتك في
 نفسي فقد أسقط الله تكلف ماجاوز الطاقة عني . وكتب بعضهم قلبي نجى
 ذكرك ولساني خادم شركك . ومما يجرى مع ذلك ما كتب بعضهم : أما بعد فإن
 أثقل الناس حملاً من تحمل آمال المؤمنين وأولاهم بالمكافأة من أخدمك عرسه
 فتذلل لك ونفسه فتواضع دونك وقلبه فكان في رجائك وتأميلك ولسانه
 فكان في ذكر محاسنك ونشر مناقبك . وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومي :

إن امرأ رفض المكاسب واغتدى يتعلم الآداب حتى أحكما
 فكسا وحلى كل أروع ماجدٍ من حرٍّ ماحاك الضمير ونظما
 متشاغلاً عما يُمارس غيره حتى لقد أثرى اللثام وأعدما
 نعمة برعى الأكرمين ذمامه لأحق ملتئم بأن لا يُجرماً

وكتبت : وتأملت التوقيع في معنى المعيشة فتصور لي الغنى بصورته وقابلني
 بصدق مخيلته وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتمتعت عن
 ساحتي خطوبه وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطعم في إداء شكرها بل عسى
 أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة بما خلص إلى منها
 وأنا معترف بذلك اعتراف الروض بحق الأنواء وقائل به كما أقول بفضل الوفاء .
 وقال ابن المقفع : الشكر نسيم النعمة . وقال علي بن عبيدة : النعمة كالروضه
 والشكر كالزهرة . وكتب ابن المعتز في معنى آخر : سألت عن خبري وأنا في
 طافية لا عيب فيها الا فقدك ونعمة لا مزيد فيها الا بك . وكتب أبو العباس بن
 ثوبان : وأنا أسأل الله إذا من بنعمة أن يجعلك المقدم فيها وإذا امتحن بمحنة
 أن يجعلني وقاءً لك منها . وكتب في فصل : وإذا ضاق على أن أفعل فليس

يضيق عليك أن تتفضل إذا كان كل واحد منا يجرى إلى غاية في البرّ والعقوق .
 وكتب أبو علي الضرير : تجاوز بي ذكر فضلك ووصف محاسنك والاختبار
 بما وهب الله للامام والأمة فيك إلى القول بحاجتي قبلك ليس لآتي جهل
 الحق على لك ولا لآتي ادخرتُ الثناء الجميل لغيرك والسكنى رأيتني فيما أعطى
 منه كالنخبر عن ضوء النهار الباهر الذي لا يخفى على ناظر وكلنبيه على الأمر الواضح
 الذي يستوى فيه العالم والجاهل فانصرفتُ عن الثناء عليك إلى الدعاء لك وولت
 الاخبار عنك إلى علم الناس بك .

قد انتهى بنا القول في هذا الباب إلى هنا لعلمنا أنا ان أردنا استيعاباً به
 لم نقدر عليه لسكثرتة ونرجو أن يقع الاكتفاء به إن شاء الله تعالى وهو حسبنا
 ونعم الوكيل والحمد لله وحده .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي دلّ على قدرته وأبان عن حكمته باختلاف ما خلق من الصور
 وتباين ما أنشأ من الفطر من ملكٍ وإنسان وبهيمةٍ وجان وطائر يمسخ صفحات
 التراب ويأخذ باهاب السحاب وحش ينطوى على أدراجه ويستوى مرة في اعوجاجه
 إلى غير ذلك من خَلْقٍ مُخْتَلَفَةٍ وأجرام متباينةٍ حقيرها جليلٌ وصغيرها كبيرٌ
 وجعل منافعها متاعاً للإنسان الذي كرمه تكريماً وفضله على كثير من خلق
 تفضيلاً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الخيل والابل والسير والفلوات
وذكر الوحوش والطيور والحشرات وما يجري مع ذلك وهو :

الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني وهو ستة فصول

الفصل الأول

في صفات الخيل

قد وصفها الناس في قديم الدهر وحديثه وصفاً كثيراً واتسع فيها قولهم اتساعاً
شديداً وأناحيه بالبديع الغريب من ذلك وأضرب عن غيره لكثرة واستفاضته
. لا حاجة بالناس إلى أن نورد عليهم ما عرفوه ووقفوا عليه وتداولوه إلا ما لا بُدَّ
من إيراده لفقده شبيهه وعدم نظيره : فمن بديع ما جاء عن القدماء في صفة الفرس
قول أبي دؤاد :

يحمل منه بعضه بعضه فراكب منه ومركوب

وقول الاعرابي :

وأحمر كالديباج أما ساؤه فرأيا وأما أرضه فمحول

سأؤه : أعاليه ، وأرضه : أسافله ، يعني حوافره .

ومن أجود ما قيل في تأنيف اذن الفرس ما أنشده القتيبي * كأن آذانها أطراف أقلام *

وأحسن ما قيل في اصطفاؤ ، الخيل قول الاسعري^(١) :

يخرج من خلل الغبار عوايساً كأنامل المقرور أفعى فاصطلى^(٢)

(١) في الأصل « الأشعر » بالمعجمة ، ولعل الصواب بالمهملة .

(٢) فإنه يمد أصابعه إلى النار فتكون جميعاً معاً لا تسبق إحداها الأخرى .

أى كلهن يُبادرُ الفارة فليس يفوت بعضها بمضاً . أخذته على بن جبلة
فقال رحمه الله :

كأنَّ خيلك في أئناءِ غمرتها أرسلتُ قطريتهاً فوقَ أرسالِ
يخرجنَ من غمراتِ النقعِ سامية نشر الأناملِ من ذى القرّة الصالى
والاول أجود . ومثل ذلك قول الراجز * مستويات كضلوع الجنب *
وفى وصف وقع قوائمها قول مالك بن حريم الهمداني :
وتهدى بي الخيل المغيرة نهدة اذا صبرت صابت قوائمها معا
ومن أحسن الاستعارة قوله :

وان عثرت احدى يديه بشيرة^(١) تجاوب أئناء الثلاث بدّعدا
وكن الاحسن أن لا يصفها بالعتار الا أن قوله * تجاوب أئناء الثلاث بدّعدا *
مستعار حسن يعنى على إساءته في وصفه إياه بالعتار ، ودّعدع مثل قولهم « لعا » وهو دعاء
للعاثر بالحياة . وأهدى بعضهم شهرياً^(٢) وكتب : بعثتُ بشري حسن المجموع لىن
الموضوع وطىء المرفوع همه أمامه وسوطه لجأته . وقد أحسن ابن المعتز فى قوله :
وخيل طواها القودُ حتى كأنها أنايب سمر من قنا الخلط زبل
صبينا عليهم ظالمينَ سياطنا فطارت بها أيدٍ سراع وأرُجل
فذكر أنهم ضربوها من غير أن تمنع شيئاً من مطلوب سيرها فكانوا ظالمين
لها . وقد أجاد فى قوله أيضاً * أضيع شىء سوطه اذ تركبه *
وقالوا أحسن يدت قاتته العرب قول جرير :

وطوى الطرادُ مع القيادة بطونها طى التجار بحضرموت برودا

وقد أحسن الاعرابى القول فى سرعة الفرس حيث يقول :

غابةٌ مجدٍ رفعتُ من لها نحن حوبناها وكنا أهلها

لو ترسلُ الريحُ لجئنا قبلها

(١) الثيرة : الكوم من التراب . (٢) الشهريّة بالكسر : ضرب من البراذين .

وقول الآخر :

جاء كمثل البرق جاش ماطرُه بسبح أولاهُ ويطفو آخره
فما يمسُّ الأرضَ منه حافرُه

وهذا غاية في وصف سرعة العدو إلا أن قوله * بسبح أولاهُ ويطفو آخره *
ردى، لأنه جعله مضطرب المقاديم والمآخير . وقول عبيدة بن الطيب في الثور :
يخفي الترابَ بأظلافِ ثمانيةٍ في أربعِ مسَّهنٍ الأرضَ تحليلُ
يقول أن مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصلة الخائف يمينه بالتحلة لانهراخي
بينهما ، والتحلة قول ان شاء الله .

ومن عجيب القول في سرعة الفرس قول ابن المعتز :

كأنَّ جنانَ الفلاةِ تضربه كأنَّ ما يهربُ منه يطابه

وقد أجاد القائل في صفة كلاب * كأننا يرفعن مالا يُوضع * ومن عجيب
ما قيل في ادامة الجري قول العرب يُبارى ظله ويُبارى عنانهُ ويُبارى شبابة
الرُمح . ويستحبُّ في الفرس، إشراف مقدمه ومؤخره فمن أجود ما قيل في
ذلك قول علي بن جبلة :

تحسبهُ أقبَدَ في استقبالهِ حتى إذا استدبرتهُ قلتَ أكبُ

وقد أجاد المتنبي هذا المعنى في قوله :

إن أدبرتْ قلتَ لانيلا لها أوأقبلت قلتَ مالها كفلُ

وقلت : طُرف إذا استقبلته قلتَ حبا حتى إذا استدبرته قلتَ كبا

ذو أربع يلقى الصفا بمثلها وللحصى من خلفها وثب دبا

إذا ترامينَ به في سيره تحسبهُ منها على أنف الصبا

ووصف النبي ﷺ إناث الخيل بأعجب وصف في قوله « فظهورها حرزٌ

وُبطونها كَنْزٌ » وقال الأشعرُ الجمعي في معنى قول النبي ﷺ ظهورها حرز :

ولقد علمتُ على توقِّي الردى أن الحصون الخيل لامدر القرى

ومن أجود ما وصف به مُحَضْرُ (١) الفرس قول الاعرابي في فرسه
« يحضر ما وجد أرضاً » وقد بالغ امرؤ القيس في قوله :

على هيكل يعطيك قبل سُؤْلهِ أفانينَ جري غير كزٍ ولا وان
قوله « قبل سُؤْلهِ » عجيب الموقع ، وقوله « أفانين جري » أعجب وأبلغ .
وأجود ما وصف به ظفره عند الطالب قوله :

وقد أغتدى والطيرُ في وكناتها بمنجردٍ قيدِ الاوابدِ هيكل
فجعل الاوابد وهي الوحش مقيدة له بناها كيف يُريد .

وقد أجاد أيضاً وأحسن القول في اليقين بالظفر حيث يقول :

إذا ما ولدنا قالَ ولدانُ أهلنا تعالوا إلى أن يأتي الصيدُ نخطبُ
وأحسن عمارة التقسيم في قوله في هذا المعنى :

وأرى الوحشَ في يميني إذا ما كان يوماً عِنانهُ في شمالي
ونقله الشماخ بن ضرار (٢) إلى وصف رام فأحسن حيث يقول :

قليلُ التلادِ غيرِ قوسٍ وأنهم كأنَّ الذي يرمى من الوحشِ نازرُ
أي جامدٌ باردٌ يصيبه كيف يُريد . وجعله أبونواس في نعت كلاب فقال :

بأكلبٍ ترمحُ في قاداتها تَعُدُّ غيرَ الوحشِ في أقواتها
وهو من قول أبي النجم ◦ تعد غابات اللوى من مالها ◦ وقوله :

يردى على حوافرٍ لا تحذله صم الشوى يحملها وتحمله

حافٍ وما يحفى وما تنمَّله نار عجاج مستطيل قسطه

تنفش منه الخيل مالا تعزله في جنبه الطائر ديث عجله

كأنَّ تُربَ القاع وهو يسحله ضيقُ شياطين رفتهُ شماله

(١) الحضر بالضم : ارتفاع الفرس في عدوه .

(٢) هو معقل بن ضرار المازني ، من المحضرمين أدرك الجاهلية والاسلام ،

كان سريع الخاطر في الرجز وهو من طبقة لبيد .

أَوْ خَلَقُ بِنَشْقِهِ عَنْهُ سَمْلَهُ تَرَى الْفَلَاحَ سَاجِياً لَا يَرُكَلُهُ
 بِعَطِيهِ مَاشَاءَ وَلَيْسَ بِسَأَلِهِ فَوَافَتْ الْخَلِيلَ وَنَحْنُ نَشْكَلُهُ
 وَيَسْتَحِبُّ فِي الْخَلِيلِ سَعَةَ الْمَنْخَرِينَ فَمَنْ أَبْلَغَ مَا قَبِلَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ مِرْزَا حَمِّ بْنِ
 طَفِيلِ الْعُقَيْلِيِّ ◦ مَنْ مَنَخَرَ كَوْجَارَ الثُّعْلَبِ الْخَرْبِ ◦ فَجَعَلَهُ خَرْباً لِيَكُونَ أَوْسَعُ .
 وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

مِلءُ الْحَزَامِينِ وَمِلءُ الْعَيْنِ يَنْفَشُ عِنْدَ الرَّبِّ مَنخَرِينَ

كَنَفَشِ كَبِيرِينَ بِكُنْفِي قَيْنِ

وَمَنْ أَبْلَغَ مَا قَبِلَ فِي طَوْلِ مُعْنَقِ الْفَرَسِ قَوْلَ مِرْزَا حَمِّ الْعُقَيْلِيِّ أَيْضاً
 ◦ كَانَ هَادِيَهُ جَذَعٌ عَلَى شَرَفٍ ◦ فَلَمْ يَرْضَ أَنْ جَعَلَهَا جَذَعاً حَتَّى جَعَلَهَا عَلَى شَرَفٍ
 كَصَنِيعِ الْخُنَسَاءِ فِي قَوْلِهَا ◦ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ ◦ وَقَلَّتْ :

بِمَعْقُودِ السَّرَاةِ عَلَى انْدِمَاجِ وَمِرْزُورِ الْقَمِيصِ عَلَى انْتِشَارِ

يُرِيكَ جَبِينَهُ لِمَانَ بَرَقِ وَسَاوَرُ جِسْمِهِ لِمَانَ قَارِ

فِي شِبْهِهِ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ لَيْلًا وَيَحْكِي الْخَالَ فِي خَدِّ النَّهَارِ

وَيَقْبَلُ حِينَ يُقْبَلُ فِي سَمَوِّ وَيُدْبِرُ حِينَ يُدْبِرُ فِي انْحِدَارِ

وَيُمْسِكُ وَهُوَ كَالْفَدْنِ الْمَعْلَى وَيَحْضُرُ وَهُوَ كَالسُّدِّ الْمَغَارِ

يَلُوحُ الْبَدْرُ مِنْهُ فِي جَبِينِ وَتَضْحُ الثَّرِيَا فِي عَذَارِ

وَقَدْ أَبْدَعَ الْقَائِلُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ أَبْلَقَ أَغْرَقَالَ :

وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ فِخَاضَ فِي أَحْشَاءِهِ

إِلَّا أَنَّهُ أَسَاءَ فِي الْعِبَارَةِ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّطْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الْخَدِّ وَضَرْبَ الْجَبِينِ

لَا يَسْمَى لَطْمًا وَالْقِصَاصُ يَكُونُ بِمِثْلِ الْفِعْلِ فَالْقِصَاصُ بِاللَّطْمِ اللَّطْمُ لَا الْخَوْضُ

فِي الْأَحْشَاءِ . وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ وَأَحْسَنُ فِي وَصْفِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ :

كَأَنَّمَا الْجَوْزَاءُ فِي أَرْضَاغِهِ وَالنَّجْمُ فِي جَبْهَتِهِ إِذَا بَدَأَ

وَنَحْوَهُ قَوْلُ كُشَا حَمِّ :

قد راحَ نَحْتِ الصَّبْحِ لَيْلٌ مُظْلَمٌ نو راحَ في السرج المحلى الأدم
 ضحك اللجينُ على سود أديمه وكذا الظلام تنير فيه الاتنجمُ
 فكانهُ بيناتٍ نعش مُلببٌ وكأنما هو بالثرية مُلجمُ
 وقلت: عارضتُ فيه النجمَ فوق مطهم يهوى لطيفه هوى الأعتب
 ذاوى العسيبِ قصيره ضافى السيبِ طويله صافى الأديمِ محبب
 كالنور بين العشبِ يبهرُ حسنهُ بين الجيادِ إذا بدا في موكب
 وتطيرُ أربعهُ بهِ في أبطح فكانه من طولها في مرقب
 صم الحوافر شرب صم الصفا منها الاهلةُ في الصفا والصلب
 وكان غرته نفضضُ وجهه والنقعُ يذهبهُ وإن لم يذهب
 وكان في أكفاله وتليله غسق النجوم فتستطيلُ وترتي
 وكأنما الارماغُ ماءٌ لم يسلم والجسمُ كأسُ مدامةٍ لم يقطب
 لم يُطلب إلا يفوتُ ويطلب إلا يفوزُ فلم يخب في مطاب
 والعاصفاتُ حسيرةٌ والبارقا تأسيرةٌ في شدة التلهب
 وكأنما يحوى مدارُ حزامه احناءً بيتَ بالعراءِ مطنب

وأول من شبه الحافر بالحجارة الأفوه في قوله ◦ يرمى الجلاميد بأمثالها
 ثم قال رؤبة ◦ يرمى الجلاميد بجلمود مدق ◦ وأبلغ ما وصف به شدة
 قوائم الفرس ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد عن الاثناندى عن الجرهمي :

سيبان نحت طموه وطموره أمم الفلا ومقابل الولدان
 يطاء الخبار فلا يطيرُ غباره ورضُ حافره حصى الحزان
 يقول سواء عنده إذا طما في سيره أي ارتفع وإذا طمر أي وثب ، الأمم
 وهي المرتفعات من الأرض فيها حجارة وطين والمقابل وهي ملاعب الصبيان
 إذا لعبوا بالتراب فدفوا منه طريقين بينهما كالجدول ثم خبوا خبيثاً فمن أخرجه
 فقد غلب ، والخبار الأرض السهلة ، إذا مشى فيه خفف وطأه فلم يثر غباراً وإذا

جری فی الحزان وهی الغلیظ من الارض مکن حافره فرض الحصى . ونحوه قول جریر * ضرم الرقاق مناقل الأجرال * يقول إذا صار فی الرقاق من الأرض اضطرم من جریه وإذا صار فی الأجرال وهی مواضع الحجارة ناقل فیها لتطمئن مواقع حوافره . وقول الآخر * شادخة تشدخ من أدلالها * يقول تبعد عن الطریق ولا تبالی سهلاً أخذت أم حزناً .
ومن الفرد الذی لاشبیه له قول ابن المعتز :

ولقد غدوت على طمرٍ قادحٍ رفعت قوائمه غمامة قسطل

ومحجلٍ غر اليمین كأنه متبخترٌ یمشی بکم مسبل

وقد أحسن القائل فی قوله :

مدى خطوه أقصى مواقع طرفه وأوله في منعه الخطو آخره

وقد قطعت من لونها الشمس غرة له وحجولاً ثم كالظل سائره

وقال ابن المعتز :

نمت له غرة كالشمس مشرقة يكاد سائلها عن وجهه يكف

إذا تقرط يوماً بالعدار غدا كأنه غادة في أذنها شنف

وقلت : إذا تحلى بالعدار ومشى قلت فتاة تصدى لفتى

كأنه نحت الحلى روضة در عليها الزهر أخلاف الحيا

وأبلغ ما قيل في طول الفرس في الهواء قول أبي ذؤاد :

إذا ماجرى شأوبين وابتل عطفه أناخ بهاد مثل جذع سحوق

كأنى إذا طاليت حوزة متنه تعلق برى عند بيض أنوق

وبيض الأنوق في أعلى موضع من الجبل ، فلا ترى أشد مبالغة من هذا البيت .

وقلت : مضطرم الغدو والرواح نخاله یمشی على أرماع

وأخبرنا أبو القسم عن العسدي عن أبي جعفر عن المدائني قال أهدى رجل

من الدهاقين الى خالد بن عبد الله القسري برذوناً وقعد بين يديه فقال ما هذا ؟

فقال أصلحك الله ان تركته نفس وان حر كنه طار . فقال صفته خير منه .

وقال ابن المعتز :

أسرع من لحظته إذا عدا أطوع من عنانه إذا جذب
ويشبه الفرس في عدوه بالنار فأجمع ما جاء فيه قول ابن المعتز :

ربما أغدو وتحتى طرف^١ لاحق^٢ بالمهاديات^(١) طمر

طوى الشحم على منتبيه مثل ما يطوى القباطى نجر

فهو نار^٣ والتراب^٤ دخان^٥ مستطير^٦ وحصى الأرض جمر^٧

وقال : وكم غدوت بفتيان^٨ تسيل بهم سوابق^٩ أحكمتهن^{١٠} المضامير

مكنفات^{١١} بأذان^{١٢} نواصيها كما يشق^{١٣} عن الطلع الكوافير

تنزوا^{١٤} كراتهم^{١٥} فى كل^{١٦} معترك^{١٧} كما يطير^{١٨} من الذعر^{١٩} العصافير

قوله « تسيل بهم سوابق » من أجود ما وصف به الجرى السهل . ويُستحب

فى الفرس الشدق وهو سعة الشدقين فمن المذكور فى ذلك قول بعض العرب

* وان يلق كلب^{٢٠} بين^{٢١} لحييه^{٢٢} بذهب * ومن ملبح ما قبل فيه قول ابن المعتز :

ناظر فى غرة^{٢٣} شمها^{٢٤} واسترطا

وإذا سار رعى^{٢٥} يده^{٢٦} والتقطا

وكأن^{٢٧} ماجمه^{٢٨} يفتحان^{٢٩} سفظا

وقال : وغدوننا^{٣٠} بأعنة^{٣١} خيل^{٣٢} تأخذ^{٣٣} الأرض^{٣٤} بأيدى^{٣٥} عجال

زينتها^{٣٦} غرر^{٣٧} ضاحكات^{٣٨} كبذور^{٣٩} فى^{٤٠} وجوه^{٤١} الليالى

ومن غريب التشبيه تشبيههم قوائم الفرس المحجلة عند السير بجراء كلاب

بيض ، قال الراجز :

كأن^{٤٢} اجراء^{٤٣} كلاب^{٤٤} بيض^{٤٥} دون^{٤٦} صافيه^{٤٧} الى^{٤٨} التعريض

وقال المعانى الراجز :

(١) فى نسخة (بالماديات) .

كأن تحت البطن منه أكلبا بيضاً صفاراً ينتهشن المنقبا
وتبعه الحمانى فقال :

وليل مثل خافية الغراب عبي مذهب وخفي باب
دلفت له بأسود مستمر كما نظر الغضاب إلى الغضاب
أجش كأنما قابلت منه تبعق جبة وحريق غاب
تراه كأن عينك لا تراه إذا وصل الوتاب إلى الوتاب
كأن لدي مغابنه التماطا مهادس عنده بقع الكلاب

وليس نظم هذا البيت بمختار ، وذ كر قوائمه ثم قال :

بخالس بينها رفعاً ووضعاً كما خفقت بنائك بالحساب
ومن أحسن ما قيل في الحصى الذى يترامى بسنبك الفرس إذا جرى قول امرى القيس :
كأن الحصى من خلفها وأمامها إذا نجلته (١) رجلها خذف أعسرا
وجعله أعسر لذهابه على غير استواء ، أخذه ابن المعتز فقال وغير لفظه وآتى بمعناه :

يقذف بالرجل حصى الطريق كأنه رامٍ بسلا تحقيق
وقال : ينقى خفاف الحصى والنقع منتشر كأنها خلف رجليه الزناير

وقد أجاد السكيت في قوله :

كأن حصى المعزاة بين فروعها نوى الرضخ يلقى المصعد المتصوب
فجعلها لكثرتها تتلاقى في الهواء وزاد في ذلك على الممزق ومنه أخذه وهو قوله :
كأن حصى المعزاة بين فروعها بوادى نوى رضاخة لم تدفق
وقد أجاد الراجز في قوله * ررضخ مايررضخ مالا ررضخ (٢) * يقول إذا
وطأ الحصى نبت من تحت سنبك فأصاب ما لم يطأه فدفعه من موضعه وكان ررضخه
أى رمحه والرضخ الرمح . وبشبهه الحافر بالقعب فمن قديم الشعر في ذلك قول امرى
القيس * لها حافر مثل قعب الوليد * أخذه ابن المعتز فقال :

(١) النجل : الرمى كما هو ظاهر . (٢) فى الاصل (بضرخ) فى مواضع .

قد اغتدى بقادحٍ مُسوّمٍ يعبوب
 ينفي الخصى بحافرٍ كالقمدح المسكبوب
 قد ضحكت غرْمُه عن موضع التقطيب
 وقد أحسن أبو تمام في قوله :

بحوافٍ حفرٍ وصلب صلب وأشاعرٍ شعيرٍ وحلقٍ أحلقٍ
 فجعل البيت كله تجنيساً ولعله ما سبق إلى ذلك . وقد طاب الأمدى قوله « وصلب
 صلب » وقوله « وحوافٍ حفرٍ » وقال ان الحوافر لا تحفر الأرض وأكثر
 ما ذكر في ذلك انها تثير الغبار قال وهو استقصاء المعنى ، قلنا وبعضهم يستحسن
 ذلك وبعضهم يكرهه . ومن المذكور في صفة الفرس قول البحترى وهو أوصف
 المحدثين للخيل وأكثروا إجادة في نعمتها :

أما الجوادُ فقد بلونا يومهُ وكفى بيوم مخبراً عن عامه
 جارى الجيادَ فطارَ عن أوهامها سبقاً وكاد يطيرُ عن أوهامه
 جذلان تلطمه جوانب غرة جاءت بجىء البدر حين تمامه
 واسودَّ ثم صفت^(١) لعيني ناظر جنباته^(٢) فأضاء في إظلامه
 مالت نواحي عُرْفه فكأنها عذباتُ أنبل مال تحت حمامه
 ومقدم الأذنين تحسب أنه بهما يرى الشخص الذى لأمامه
 وكان فارسه وراء قداله ردفٌ فلست تراه من قدومه
 لانت معاطفه فخيّل انه للخيزرانٍ مناسبٌ بعظامه
 وكان صهلته إذا استعلى بها رعدٌ يقمع في ازدحام غمامه
 مثل الغراب بدا يبارى صحبه بسواد صبغته وحسن قوامه
 والطرفُ أجلبُ زائرٍ لمؤونة مالم يزره بسرجه وجمامه
 وقوله أيضاً : وأغرّ في الزمن البهيم محجّل قد رُحْتُ منه على أغرٍّ محجّل

(١) في الأصل (صفا) . (٢) كذافي الديوان ، وفي الأصل (جلبابه) .

كلهبيكل المبني إلا أنه
 ذنب كاسحب الرداء يذب عن
 جذلان ينفض عذرة في غرة
 تسوهم الجوزاء في أرساغه
 وتراه بسطع في الغبار لهيبه
 هزج الصهيل كأن في نفثاته
 ملك العيون فان بدا أعطينه
 وقد أحسن ابن طباطبا في قوله :

عجباً لشمس أشرقت في وجهه
 واذا تمطر في الرهان رأيتُهُ
 وقال ابن المعتز :

تحملى طرفه صادرة واردة
 ترضيك في يومها وهي غداً زائده
 ورجلها تقتضى ويدها جاحده

وباسناد لنا أن رجلاً أنشد أبا البيداء قول أبي نخيلة :

لما رأيت الدين ديناً يؤفك وأمت القبة لانتمسك
 تفتق من أعراضها وتهتك سرت من الباب فسارت دكرك
 منها الدجوجى ومنها الارمك كالليل إلا انها تحرك

فقال لعنك الله ان كنت أنشدتها وأنت على غير وضوء ، قوله

كالليل إلا انها تحرك . استثناء عجيب . وقال ابن المعتز :

إذا ما بدا أبصرت غرة وجهه كعنقود كرم بين غصنين نوراً
 وردفاً كظهر الترس أسبل خلفه عسيباً كبيض الطود لما تحدرأ

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

قد أشهد^(١) الليل غرر على جياذ كتمانيل الصور
 كأنما خيطوا عليها بالابير أو صمّر الفارس فيها فانسمر
 وباسناد لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر أرق ذات ليلة فقال لكتابه أنا ثم
 أنت ؟ قال لا وأيد الله الأمير ، قال ما طيب الطعام ؟ قال طعام شهوة في
 أبان جوعة ، قال فما أذّ الشراب ؟ قال شربة ماء بارد تطفى بها غليلك
 أو كأس تعاطى بها نديمك ، قال فما أشهى النساء ؟ قال التي تدخل إليها
 والهأ وتخرج عنها هارياً ، قال فما أجود الخيل ؟ قال الأسنوق الأعنق الذي اذا
 طلب لحق واذا طلب سبق واذا صهل أطربك واذا بدا أعجبك . قال صدقت
 لله درك ، اعطه يا غلام ألف دينار ، قال أصلح الله الأمير وأين تقع منى ألفا
 دينار ؟ قال أوزدت نفسك ألفاً قال أوليس كذا ؟ قال لا ولكن حقق ظنه
 يا غلام . فأعطاه ألفي دينار .

وقيل لاعرابي أتعرف الجواد المبرز من البطيء المقرف قال نعم أما الجواد
 المبرز فهو الذي لهز لهز العير وأنف تأنيف السير اذا عدا اسلهبّ واذا اتضب
 اتلابّ ، والبطيء المقرف هو المدلوك الحجة الفحم الارنية الغليظ الرقبة
 الكثير الجلبة الذي اذا قلت أمسكه قال أرساني واذا قلت أرسله قال أمسكني .
 وقال المهدي لمطر بن درّاج : أي الخيل أفضل ؟ قال الذي اذا استقبلته
 قلت نافر واذا استدبرته قلت زاجر واذا استعرضته قلت زافر ، قال فأى
 البراذين خير ؟ قال ما طرفه أمامه وسوطه عنانه ، قال فأى البراذين شر ؟
 قال الغليظ الرقبة الكثير الجلبة إذا أرسلته قال أمسكني وإذا أمسكته قال أرسلني .
 ووصف رجل من العرب خيلاً فقال : إنها خلّيقة للجودة وآية ذلك انها سامية
 العيون لاحقة البطون مصغية الآذان افتاء الاسنان ضخام الركبات مشرفات
 الحجببات رحاب المناخر صلاب الحوافر وقمها تحليل ورفعها تعليل ان طلبت فانت

(١) في نسخة « قد أشهد الله » .

وإن طلبت نالت . واستوصف الحجاج ابن القرية فرساً فقال طويل الثلاث قصير
الثلاث حديد الثلاث رحيب الثلاث صليب الثلاث عريض الثلاث منيف الثلاث
أسود الثلاث . فاستفسره فقال طويل العنق والسيد والساق ؛ قصير الظهر والعنق
والشعر ، حديد القلب والسمع والمنكب ، رحيب المنخرين والشدقين والجوف ،
صليب الدخيس والكاهل والمعجب ، عريض اللباب والحجبة والخذ ، منيف الجوانح
والقذال والقوائم ، أسود الذكر والحافر والعين . وقال محمد بن منادر في وصف فرس :

وإذا أَعْرَضَ قَطْرِيهِ لَنَا وفيا واستوفيا قَدَّآ بَقَدَّ

فهو كالقَدْحِ أَقَامَتْ دَرَاهُ كفُّ باريهِ فما فيه أَوَدَّ

ووصف النظام فرساً فقال : هو صافي القميص جيد الفصوص وثيق القصب

نقى العصب يبوع يديه ويندس برجليه ويشير بأذنيه ويبعد مدى بصر عينيه
يلحق الأرانب في الصعداء ويجاوز الضباء في الاستواء إن حر كته طار وإن
زجرته حار وإن طرحت عنانه سار كموج في لجة أو سيل في فجوة إن وجد علفاً
أمعن وإن فقدته ضغن . وأنفذ جعفر بن يحيى إلى أبيه برذوناً وكتب إليه :
قد بعثت إليك ببرذون لين المرفوع وطىء الموضوع حسن المجموع طويل العذار
أمين العثار . ومما يجرى مع ذلك ما أخبرني به أبو أحمد عن أبيه قال حدثني أحمد

ابن طاهر انه كتب إلى الحسن بن علي بن يحيى يستهديه لجاماً لحاره :

جَعَلْتُ فِدَاكَ قَدِ أَمْسَى حَمَارِي لَهُ مَرَجٌ وليس لَهُ لُجَامُ

كُنْتُ الْعَاطِلَ الْحَسَنَاءِ أَمْسَتْ هَا حَكِيٌّ وليسَ لَهَا نِظَامُ

ثم قال * وأنت لكل ناقصة تمام *

﴿ الفصل الثاني من الباب العاشر ﴾

في ذكر الابل وسيرها وما يجرى مع ذلك من وصف أحوالها

أطرف ما قيل في صفة الابل قول القطامي :

يَمْشِينَ زَهْوًا فَلَا الْإِعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصَّدُورُ عَلَى الْإِعْجَازِ تَتَكَلَّمُ
فَهِنَّ مُعْتَرِضَاتٌ وَالْحَصَى رَمِضٌ وَالرَّيْحُ سَا كِنَةٌ وَالظَّلُّ مُعْتَدِلٌ
قَالَتِ الْعُلَمَاءُ لَوْ كَانِ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ فِي صِفَةِ النِّسَاءِ لَسَكَانَ أَحْسَنَ وَذَلِكَ لِمَارَاوَا
مِنْ تَمَامِ حَسَنِهِ وَظَرِيفِ لَفْظِهِ . وَالْبَيْتُ الْآخِرُ هُوَ مِنْ أَبْلَغِ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ هَاجِرَةَ .

وَمِنْ مَلِيحِ مَا قِيلَ فِي ضَمْرِ النَّاقَةِ قَوْلُ ابْنِ الْخَطِيمِ :
وَقَدْ ضَمَّرْتُ حَتَّى كَأَنَّ وَضَيْنَهَا ^(١) وَشَاحُ عُرُوسِ جَالٍ مِنْهَا عَلَى خَصْرِ
وُيُسَبِّهُ الزَّمَامَ بِالْحَيَةِ فَمِنْ أَوَّلِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

يَعَالِجُ مِثْنِي حَضْرَمِي كَأَنَّهُ حَبَابٌ نَقَا يَتْلُوهُ مَرَّ تَجَلُّ يَرْمِي
وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

رَجِيمَةٌ ^(٢) أَسْفَارٌ كَأَنَّ زَمَامَهَا شَجَاعٌ ^(٣) عَلَى يَسْرَى الذَّرَاعَيْنِ مَطْرَقٌ
وَأَخَذَهُ الْمُتَنَبِّيُّ فَقَالَ « كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا الْأَفَاعِيَا »
مِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي ضَمْرِ الْأَبْلِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

إِذَا مَا أُنِيخَتْ قَابِلَتْ عَنْ ظَهُورِهَا حَرَا جِيحِ أَمْثَالِ الْإِهْلَةِ شَسْفٌ
شَبَّهَهَا بِالْإِهْلَةِ لِضَمْرِهَا وَاحِدٌ بِدَابَّهَا . وَتُسَبِّهُ بِالْقَسِيِّ فَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي
ذَلِكَ وَأَجْمَعُهُ قَوْلُ أَبِي عِبَادَةَ الْبَحْتَرِيِّ :

وَحَدَانُ الْقَفْلَاصِ ^(٤) حَوْلًا إِذَا قَا بِلْنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجِمِ الْأَسْحَارِ
يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ ^(٥) وَقَدْ خَضَّسْنَ غَمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي
كَالْقَسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْمِمْ مَبْرِيَّةً بِلِ الْأَوْتَادِ
وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ :

أَلِيَّةٌ بِالْيَعْمَلَاتِ يَرْنَمِي بِهَا النَّجْمَاءُ بَيْنَ أَجْوَازِ الْفَلَا

(١) الْوَضِينَ كَالْحَزَامِ . (٢) أَيْ مَعَاوِدَةً . (٣) الشَّجَاعُ هُنَا : الْحَيَّةُ .

(٤) كَذَا فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ ، وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ « وَحَدَاقُ الْقَفْلَاصِ » .

(٥) كَذَا فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ ، وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ « بِالسَّرَابِ » .

خوص كأشباح الحنايا ضمير ير عن بالاشجاج من جذب البرى
يرسبن في بحر الدجى وفي الضحى يطفون في الآل^(١) اذا آل طفا

ومن غريب ما قيل في عين الناقة قول ذى الرمة :

كأما عينها منها وقد ضمرت^٢ وضمها السير في بعض الاضى ميم^٣
فشبهها بالميم لاستدارتها وغورها ، والاضى الواحدة اضاة وهي الغدير ، وقد
قصر بنى الرمة علمه بالكتابة . اخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن العلاء بن
عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدى قال قرأ حماد الراوية على ذى الرمة شعره
فراه ترك في الخط لأمأ فقال له ذو الرمة أ كتب لأمأ فقال حماد وانك لتكتب قال
لا أ كتم عليك فانه كان يأتى باديتنا خطا فعملنا الحروف تخطيطاً في الرمل في
البيالى المقمرة فاستحسنها فثبتت في قلبى ولم تخطها يدى .

ودخل أبو تمام على المأمون في زى اعرابى فأنشده :

دمن^٤ ألم بها فقال سلام^٥ كم حل^٦ عقدة صبره الامام^٧
فجعل المأمون يتعجب من غريب ما يأتى به من المعانى ويقول ليس هذا
من معانى الاعراب - فلما انتهى الى قوله :

هن الحمام فان كسرت عيافة^٨ من حائهن فانهن حمام^٩
فقال المأمون الله أكبر كنت يا هذا قد خلطت على الامر منذ اليوم
وكنت حسبتك بدوياً ثم تأملت معانى شعرك فاذا هي معانى الحضريين واذا أنت
منهم فقصر به ذلك عنده . وقال أبو نواس في في وصف الناقة :

ولقد تجوب^{١٠} بي الفلاة اذا صام النهار وقالت الصفر^(١١)
شدنية^(١٢) رعت الحمي فأتت^(١٣) ملء^(١٤) الجبال كأنها قصر

(١) في الأصل « والضحى ، بالآل » . (٢) العفر : الظباء التى يعلو

بياضها حمرة (٣) شدن : موضع باليمن تنسب اليه الابل ، وقيل هو اسم فحل .

(٤) فى نهاية الأرب « مثل الجبال » ولعله تصحيف .

أخذه من قول عنتره :

فوقفتُ فيها ناقتي وكأنها فدن لا تُقضى حاجة المُتَلوِّمِ
إلا أن يبت أبي نواس أحسن رصفاً . وذكر ذنب الناقة فقال :

أما إذا رفعته شامدة^(١) فتقول رنق فوقها نسرٌ
أما إذا وضعته عارضةً فتقول أسبل خلفها^(٢) سترٌ

أخذه من قول أبي دواد : قوادم من نسور مضرجات * وليس بيت أبي

دواد شيئاً مع بيت أبي نواس ، ثم قال :

وتسفٌ أحياناً فتحسبها مسترسماً يقتادهُ أثرٌ
فاذا قصرت لها الزمام سما فوق المقادِمِ ملطمٌ حرٌ
وكانها مُصغٍ لتُسمِعهُ بعضَ الحديثِ بأذنه وقرٌ

ومن أجود ما قيل في تقدم الناقة في السير قول القطامي :

المعن يقصرن من نجبٍ مُخَلَّسةٍ ومن عرابٍ بعيداتٍ من الحادى

أى يسبقن الحادى فيبعدن عنه ، ثم قال أبو نواس وأحسن :

تذرُ المطى وراءها فكأنها صفٌ تقدمهن وهى امامٌ

وأحسن ابن المعتز في قوله :

وناقةٌ في مهمه رمى بها ثم إذا نامَ الورى سرى بها

فهى أمامَ الركبِ فى ذهابها كسطرٍ بسمِ اللهِ فى كتابها

ومن مُصيبِ التشبيه فى موطىء الناقة قوله أيضاً :

تلقى الفلاة بجفٍّ لا يقرُّ لها كأنَّ مسقطه فى تربها طبقٌ

وقوله فى ارتفاع الناقة فى الهواء وعظمتها :

كأنا عندَ نهضته رفعتنا خباءً فوقَ أطرافِ الرماح

(١) فى الأصل غير منقوطة ، وفى ديوان أبى نواس «شامدة» وهى الناقة

الذى تشيل ذنبها نشاطاً . (٢) فى ديوان أبى نواس « أرخى فوقها ستر » .

ومثله قوله أيضاً :

ترنو بناظرة كأن حجاجها وقب أناف بشاهق لم يُجَال
وكان مسقطها إذا ما عرست آثار مسقط ساجد مُتَبَل
وكان آثار النسوع بدفها مسرى الأسود في دهاس أهيل
وبشد حادها بجبل كامل كعسب نخل خوصه لم يُنَجَل

وقال أيضاً :

كان المطايا إذ غدوَنَ بسحره تركز أفاحيص القطا في المبارك

ثم قال وهو من أجود ما قيل في سمن الابل :

لنا إبل ملء الفضاء كأنما حان التلاع الجو فوق الحوارك

وقد أحسن القائل في وصف سرعتها حيث يقول :

مُخَوَّصٌ تواج إذا حث الحداة بها حسبت أرجلها قد أم أيدنها

وذكر دعبل بن علي الخزاعي أن قائل هذا البيت القصافي لم يقل بيتاً جيداً

سواه وكان يقول الشعر ستين سنة ، وأخذه ابن المعتز فقال :

تخال آخره في الشد أوله وفيه عدو وراء السبق مذخور

وقد أحسن مسلم في قوله :

إلى الامام تهادانا بأرحلنا خلق من الريح في أشباح ظلمان

كان أفلاتها والفجر يأخذها أفلات صادرة عن قوس حبسان

وقال آخر :

كان يدها حين يجرى صفورها طربدان والرجلان طالبتا وتر

ومن يبلغ ماجاء في ذلك قول ابن المعتز :

زجرت بها سباح قفر كأنه يخاف لحاقاً أو يبادر أولاً

توارته الأيجاف حتى كأنه ليس ضئياً عجا الطيب المعدلاً

ومن بديع ماجاء في ذلك قول رؤبة بن العجاج^(١)
 كأن أيديهن بالقاع القرق أبدى العذارى بتعاطين الورق
 وقد أحسن أبو الشيبص^(٢) في قوله :

وابل يركب الركبان في أمواجه الخضر
 توكلت على أهوا لها بالله والصبر
 وأعمال بنات الربيع في المهمة القفر
 شمائل يصاغن متون الصخر بالصخر
 بإيجاف بقدر الليل عن ناصية الفجر

وقلت : لنا هجيات تنثنى سرواتها بأسنة مثل الاكلم سوامق
 خبطن الربيع وانفسن نباته كأمرت الاجلام فوق المفارق
 بناها بناء البيت حون رواعد نجى على آثار جون بوارق
 تدور بأحقيا البروق وتنثنى كأن عليها مذهبات مناطق
 وقال ابن المعتز :

وليل ككحل العين خضت ظلامه بأزرق لماع وأخضر صارم
 وطيارة بالرحل صرف كأنما تصافح رضراض الحصى بجماجم
 وقلت : وليلة خبطت من ظلماتها بنازح الخطو إذا الخطو دنا
 قد انبرى يعترف السير بنا في طرق يخبط فيهن الهدى
 ينهى الوجى^(٣) أمثاله عن السرى وساعدته ميعه تنهى الوجى
 ومن مصيب التشبيه قول الراعى :

في مهمه قلت بها هاماتها قلقت الغزوس إذا أرذن نصولا

(١) كمن عارفاً باللغة وحشياً وغريبها ، ولما مات قال الخليل : دفنا الشعر
 واللغة والفصاحة . (٢) هو محمد بن رزين الخزاعي ، كان معاصراً لأبي نواس
 ومسلم بن الوليد ، في شعره رقة . (٣) الوجى : الحفا .

وقول الآخر: حرام من نسل المهاري نسلها
 حسبتها غيري استغز عقلها آتى التي كانت تخاف بعلمها
 أى كأنها من عملها يديها ورجليها وسرعة تحريكها إياها غيري تخاصم وتشير
 يديها لا تفتت . وقلت :

ومهمه^(١) قلقت فيهار كائنا والليل في قلق تسرى ركائبه
 ركبته فكان الصبح راكبه ووجيته فكان النجم جائبه
 بكل ذى ميعه جد الوجيف^(٢) به فانه غاربه وانضم حاله
 وبات ينهب جنح الليل في عجل كأنه لاعب طابت ملاعبه
 حتى بد الصبح مبيضا ترائبه وأدبر الليل مخضرا شواربه
 وإنما النجح في ليل ترادفه إذا تأوب أو صبح يوا كبه
 وساهر الليل في الحاجات نائمه وذهب المال عند المجد كاسبه
 وقال أبو تمام :

على كل رواد^(٣) الملائم تهدمت عربكته العلياء وانضم حاله
 رعته الفياق بعد ما كان حقة رهاها وماء الروض ينهل ساكبه
 وقلت : واستنهضتكَ الى المآثر والملا هم نخال زهاؤهن جبالا
 أردفتن عزائما فكانما أردفت مرهفة النصال نصالا
 حملتها قلص الركاب كأنها قلص النعام إذا اتبعن ريبالا
 مهربية الرى السفاد بنحضا فتخالها تحت الرجال رحالا
 وقال مسلم :

اليك أمين الله رامت بنا السرى بنات الفياق كل مرت وفد^(٤)
 أخذن السرى أخذ العنيف وأمرعت مخطاها بها والنجم حيران مهتدى

(١) المهمه : المغازة . (٢) الوجيف : ضرب من سير الخيل والابل .

(٣) في ديوان أبي تمام (موار) أى مضطرب . (٤) أى المغازة .

لبسن الدجى حتى نضت وتصوبت هوادى نجوم الليل كالدهو باليد
وهذه استعارة بديعة حسنة عجيبة الموقع جداً . وقال أبو نواس :
يكئسى عُثْنُونُهُ زبدًا فنصيلاًهُ الى نحره (١)
ثم يغمُّ الحجاج (٢) به كاعظام النوف في عشره
ثم تذروه الرياحُ كما طارَ قطن الندفِ عن وتره
ومن فصيح الكلام قوله في هذا المعنى :

نفحن اللغام الجعد ثم ضربنه على كل خيشوم كريم الخطم (٣)
وقال الشماخ بن ضرار :

كأن ذراعيها ذراعا مُدَّة مُعيد الشباب حاولت ان تعذرا
من البيض أعطافاً إذا انصلت دعت بها شرف من زعفران وعندبر
تقول وقد بل الدموع خمارها أبت عفنى أو منصبي أن أعبراً
كأن بذفراها مناديل قارقت أكف رجال يصرون الصنوبراً
وقال الراجز : كأنها نائمة تُرجعُ تبكى بشجوى وسواها الموجعُ
وهو نحر قول الراجز : حسبتها غيرى استغز عقلها . ومثله قول الآخر :
كأن ذراعيها ذراعا بذية مفجعة لاقت حلائل من عُفر
سممن لها واستغرغت من حديثها فلا شئ يفري باليدين كما تفرى
فوصفها بأنها بذية وقد أوجعت ونيل منها ولقيت حلائلها عن عُفر أى بعد
زمان وتلك الشكوى في نفسها فجعات تحدث وتمحرك يديها في حديثها فلا تكاد
تسكنهما . وقال أبو تمام :

(١) العثنون : اللحية ، ولعله يريد أن زبده صعد بعثنونه . (٢) الحجاج :
المعظم المحيط بالعين . (٣) فى ديوان أبى نواس (نبيل الخطم) ونفحن :
حركن ، واللغام : الزبد ، والخطم : أنف البعير بوضع فيه الخطم .

فما صلاتي إذا كن الصلاة بها
المرضياتك ما أرغمت آنفها
وجمر الغضا الجزل إلا السير والابل
والهادياتك وهي الشرذ الضلل
وقال البحترى :

والعيس تنصل من دجأه كما انجلى
وقال ابن المعتز :

ولم نزل نخبط الفلاة بأخفاف المطايا والظلم معتدل
كأننا طار تحتنا قرع على أكف الرياح ينتقل
يفرى بطون النقا النقى كما يطعن بيض الجوانح الاسل
وقال في الناقة :

نصفي الى أمر الزمام كما عطف يد الجاني ذرى الغصن
وقال في لقاح :

حوامل شحم جامد فوق أظهر وان تستغث ضراتهن به ذابا
إذا مامكاء الدرجات بمشعب كما سل خيط من سدى الثوب فانسابا
وهذا في دقة الشخب (١) حسن جدا :

رأيت انهمار الدر فوق فروجها كما عصرت أيدي الغواسل اثوابا
خوازن نحض في الجلود كأنها تحمل كشيئا من الرمل أصلابا
وقد أحسن في الناقة والزمام :

وسل البيداء عن رجل
وقال : وقتت بها عيسى تطير بزجرها
يخطم الريح بشعبان ويأمرها وحى الزمام فترقل
طلوباً برجليها يديها كما اقتضت يد الخصم حقاً عند آخر يمطل
وقال بمض العرب :

تطير مناسمها بالخصى كما نقد الدرهم الصيرف

(١) الشخب و يضم : ما خرج من الضرع من اللبن ، وفي الاصل بالسین المهملة .

ومن غريب ما قيل في تقدم الناقة صواحبتها^(١) في السير قول بعض العرب :

جاءَ وقد ملَّ نَوَاءَ البحرينُ يَنْسَلُ مِنْهُنَّ إِذَا تَدَانِينَ

مِثْلَ انْسِلَالِ الْمَاءِ مِنْ جَفَنِ الْعَيْنِ

وأبلغ ما قيل في غزر الناقة قول أبي حية :

تَدِرُّ لِلْعَصْفُورِ لَوْ مَرَاهَا يَمَلُّ مَسْكَ الْفَيْلِ لَوْ أَنَاهَا

ومن جيد ما وصف به شعة الاخلاف قول ابن لجأ :

كَأَنَّا نَصَّتْ إِلَى ضَرَّاتِهَا مِنْ نَخْرِ الطَّلَحِ مُجَوِّفَاتِهَا

وقال مسلم بن الوليد في غير هذا المعنى :

أَتَتْكَ الْمَطَايَا تَهْتَدِي بِمَطْيِيَّةٍ عَلَيْهَا فَتِي كَالنَّصْلِ يُونِسُهُ النَّصْلُ

وقال أبو نواس :

أَيَا حَبْذًا عَيْشُ الْوَجَادِ وَضَجْعَةٌ إِلَى دَفِّ مَقْلَاقِ الْوَضِينِ سَعُومِ

تَرَامِي بِهَا الْإِيْجَافُ^(٢) حَتَّى كَأَنَّهَا تَحْيِفُ مِنْ أَقْطَارِهَا بِقَدُومِ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو قال

سمعت جنبد بن الراعي ينشد بلال بن أبي بردة :

نَعُوسٌ إِذَا دَرَّتْ جُرُورٌ إِذَا غَدَّتْ بُوَيْزِلُ حَامِ أَوْسَدَيْسٍ كِبَازِلُ

قال فكاد صدري ينفرج من جودتها حتى كتبتها . ودرة الأبل مع النعاس

والغنم تدر مع الاحتراس فن أجود ما قيل في ذلك قول جيبها الأشجعي :

رَقُودٌ لَوْ أَنَّ الدُّفَّ يُضْرَبُ تَحْتَهَا لَتَنْحَاشَ مِنْ قَازِوَرِهِ لَمْ تَنَّا كِرَ

أى من قاذورة فيها يقال رجل قاذورة إذا كان يتجنب النساء ويتقي مجامعتهم .

ومن الوصف الحسن قول القطامي في نوق :

جَفَادٌ إِذَا صَافَتْ هَضَابٌ إِذَا شَتَّتْ وَفِي الصَّيْفِ يَرُدُّدَنَّ الْمِيَاهُ إِلَى الْعَشْرِ

يشبهها بالأبكار من كثرة ألبانها في أيام الربيع والفيظ وهي في الشتاء كالهضاب

(١) في الاصل « حواجبها » . (٢) في ديوان أبي نواس « ترامت بها الأهوال » .

سمناً و إذا شربت في اليوم العاشر التقت في مشله وفي كروشها بقية من الماء .
وعرض شريح ناقة للبيع فقال له المشتري كيف لبنها ؟ قال احلب في أي اناء
شئت ، قال فكيف الوطاء ؟ قال افرش ونم ، قال فكيف قوتها ؟ قال احمل على
الحائط ماشئت : قال فكيف نجارها ؟ قال علق سوطك وسر . فاشترها فلم ير
شيئاً مما توهمه بصفة شريح فماد اليه فقال لم أر شيئاً مما وصفت قال ما كذبتك
قال فأقلى قال نعم فأقاله . وأنشد أبو أحمد رحمه الله :

جاءت تهادى مائلا ذراها تحنُّ أولاهها على أخراها
مشى العروس قصرت خطاها فاسمطت القيعان من رغاها
وانخذتنا كلنا طلاها

يقول انها كبيرة غزيرة إذا مشت سالت ألبانها فايضت القيعان منها والرها
جمع رغو ، وانخذتنا كلنا طلاها أي لشربنا ألبانها كأننا أولادها .

ومن أجود ما قيل في ارتفاع الابل وارتفاع اسنمها قول أبي ذؤاد :
فاذا أقبلت تقول أكلم مشرفات فوق الأكلم أكلم
وإذا أعرضت تقول قصور من سماهيج فوقها آطام
وإذا ما فجيتهما بطن غيب قلت نخل قد حان منه صرام
الغيب ماوارك من الشجر ، وسماهيج أرض بالبحرين .

(الفصل الثالث)

في ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجري مع ذلك

فمن أبلغ ما قيل في صفة بعد الغلاة قول مسعود أخي ذي الرمة :

ومهمه فيه السراب يلح بدأب فيه القوم حتى يطلحوا
ثم يظنون كأن لم يبرحوا كأنما أمسوا بحيث أصبحوا

وقال رؤبة بن المعجاج * يسكل وقد الريح من حيث انخرق *

ذكر أن الريح تكل فيه لبعده ، ووفد الريح مأخوذ من قول تأبط شرًا
* ويسبقُ وفد الريح من حيثُ ينتحي . وقال مُسلم بن الوليد :

تجري الرياحُ بهامرضي مولهةً حَسْرَى تَلوُذُ بِأَطْرَافِ الْجَلَامِيدِ
قوله « بأطراف الجلاميد » زيادةٌ لبست في بيت رُوْبَةٌ . وبشبهون استواء الفلاة
باستواء ظهر الترس قال الشاعر . ومهمة كمثل ظهر الترس
وأحسن ذو الرمة حيث يقول في هذا المعنى :

وَدَوَّ كَكْفِ الْمَشْتَرَى غَيْرَ أَنَّهُ بَسَاطٌ لِأَخْمَاسِ الْمَرَانِسِيلِ وَاسِعٍ
شبهه بكف المشتري لأن كفه ألصق ، وفي رواية أخرى لأن المشتري يبسط
كفه للصفق . وقلت في نحوه :

وَبِحَرِّ كَكْفِ الْأَكْرَمِينَ يَحْفَهُ صَعِيدٌ كَأَيْدِي السَّائِلِينَ مَدِيدٍ
وقال بعضُ المحدثين :

وَدَوَّيَّةٌ مِثْلَ السَّمَاءِ قَطَعْتَهَا مَطْوُوقَةٌ آفَاقَهَا بِسَائِمَاتِهَا
ومن عجيب التشبيه في وصف الآل قول بعض الاعراب :
كُنْفِي حَزَنًا نَأَانِي تَطَالَتْ كِيَّ أَرَى ذُرَى عَلِيٍّ دَمَخَ فَمَا يُرِيَانِ
كأنهما والآلُ يُنْجَابُ عَنْهُمَا من البعدِ عَيْنًا بُرْقِعَ خَلْقَانِ
وهذا من أغرب ما روي من تشبيهات القدماء . وقال جميل بن معمر في السراب :
أَلَاتِيكَ أَعْلَامٌ بِنْتَةٌ قَدْ بَدَتْ كَأَنَّ ذَرَاهَا عَمَمَتْهُ سَيْبِيبُ
طَوَامَسَ لِي مِنْ دُونِهِنَّ عَدَاوَةٌ وَلِي مِنْ وَرَاءِ الطَّامَسَاتِ حَبِيبُ
بَعِيدٌ عَلَى كِسْلَانٍ أَوْ ذِي مَلَالَةٍ وَأَمَّا عَلَى ذِي حَاجَةٍ فَقَرِيبُ
والسبيب الشقة البيضاء . وقال ابن المعتز :

وَالْآلُ يَنْزُو بِالصَّوَى أَمْوَاجِهِ نَزْوُ الْقَطَا السَّكْدَرِيِّ فِي الْأَشْرَاكِ
وَالظَّلُّ مَقْرُونٌ بِكُلِّ مَطْيَبَةٍ مَشَى الْمَهَارِ الدُّهْمِ بَيْنَ رِمَاكِ
ولا أعرف في هذا المعنى تشبيهاً أحسن ولا أصوب من هذا .

ومن عجيب التشبيه في وصف اعتدال الظل عند الظهيرة قول الراجز
 * واتعمل الظل فصار جوربا * وقال آخر :

إذا شئت أداني صروم مشيع^ه معى وعقام^ه تتقى الفحل^ه مُمقلت
 يطوف بها من جانبيها ويتقى بها الشمس حتى في الأكارع مبيت^ه
 أداني : أعاني ، صروم^ه : أى صارم^ه ، مشيع^ه : شجاع كأن معه أصحاباً
 يُشيعونه فهو جرى^ه يعنى قلبه ، العقام : التى لا تلد فذاك أشد لها يعنى ناقة ،
 والمقلت : التى لا يبقى لها ولد^ه ، وحى^ه فى الأكارع مبيت^ه : يعنى ظلاً قد ضارع
 عند انتصاف النهار . ومن بديع ما قيل فى السراب قول ابن المعتز :

وما راغنى بالبين إلا ظعائن^ه دعون^ه بكأنى فاستجابت سوا كبه
 بدت^ه فى يياض الآل والبعده^ه دونه كأسطررق^ه أمرض الخط كاتبه
 ولهم فى وصف الاسفار فى البحار شعر قليل^ه فمن أجود ما وصف به الموج قول الهذلى :
 * نجاج يرتمين الى نجاج *

ولا أعرف فى السير والنعاس أجود لفظاً واستعارة مما أنشدناه أبو تمام :
 يقول^ه وقد مالت بنا نشوة الكرى^ه نعاساً ومن يعلق^ه سُرى الليل يكسل
 أنخ^ه نعط^ه انضاء^ه النعاس^ه دواءها قليلاً ورقه عن قلائص ذبل
 فقلت^ه له كيف الاناخة^ه بعد ما حدا الليل عريان الظريقة^ه مُنجلى
 ومما يجرى مع ذلك قول الآخر :

عود^ه على عود^ه على عود^ه خلق كأنه والليل يرمى بالفسق
 مشاجب^ه وفلق^ه سقب^ه وطلق

عود : يريد شيخاً كبيراً ؟ على عود أى على بعير^ه مسين^ه ، على عود خلق أى
 طريق قديم دارس فكأنه يُريد^ه كأن ذلك كما قال رؤبة :

فيها خطوط^ه من سواد وبلق كأنه فى الجلد^ه نوليسع^ه البهق
 أى كأن ذلك شبه البعير بالمشاجب والطريق بالسقب وهو عمود^ه من عمد

الخباء ، وشبّه الشيخ بالطلق وهو القيد لانحنائه . وقريب منه قول الآخر :
 عودٌ على عودٍ قوود للابل يموت بالترك ويحيا بالعمل
 عودٌ : بعير ، على عود بمعنى طريقا ، يموت بالترك : بمعنى الطريق بدرس اذا لم
 يسلك ، ويحيا بالعمل : اذا سلك استبان . ومن المختار في صفة النعاس قول الآخر :
 فأصبحن بالمومة يحملن فتيةً نشاوى من الادلاج ميلُ العياثم
 كأن الكرى سقام صرخديّةً مُقاراً تمشى في المطا^(١) والقوائم
 وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن الأصمعي أن أبا عمرو
 ابن العلاء كان يستحسن قول بشامة بن غدبر ويعجب منه غاية العجب :

كان يديها وقد أرقلت وقد حرن ثم اهتدين السبيلا
 يدا سابج خرّ في غمرة فادرکه الموت إلا قليلا
 وما يجرى مع ذلك قول الاعرابي :
 بدان بنا وابن الليالي كأنه حسام جلا عنه القيون صقيل
 فما زلت أفتى كل يوم شبابه الى أن أتتك العيس وهو ضئيل

(الفصل الرابع)

(في ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجرى مع ذلك)
 فن أجود ما قيل في وصف الثور اذا عدا فيخفي تارة ويظهر أخرى قول
 الطرماح ، وكان الأصمعي يتعجب من حسنه :

يبدو وتضمرة البلاد كأنه سيف على شرف يسل ويغمد
 وقد أحسن عدى بن الرقاع^(٢) في وصف ثورين وما يثيران في عدو هما من الغبار وهو
 يتعاوران من الغبار ملاءة بيضاء مخرمة لها نسجاها

(١) المطا : الظهر . (٢) هو عدى بن زيد العاملي ، من معاصري جرير

مدح نبي أمية في الشام واختص بالوليد بن عبد الملك .

تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً وإذا السنايك أسهلت نشرها
لأعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتم من هذا . وأما قوله في صفة قرن الظبي فليس
له شبيه وهو من المشهور :

يُرْحَى أَعْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مَدَادَهَا
وقد أحسن الراعي في وصف الوعل :

يرودُ بها ذبُّ الرِّيَادِ كَأَنَّهُ فَتَى فَارِسِيٌّ فِي سِرَاوِيلِ رَامِحٍ
ذبُّ الرِّيَادِ أَيْ (١) الوعل ، ويرود يبحى ، ويذهب ، شبه ما على قوائمه من الشعر
بالسراويل وشبه قرنه بالرمح . وقال ابن المعتز :

كَأَنِّي عَلَى طَائِرٍ مِنَ الْوَحْشِ نَاشِطٍ نَخَالَ قُرُونِ الْأَجْلِ مِنْ خَلْفِهِ ظَبَا
الأجل : القطيع من بقر الوحش ، والغاب : الاجمة . وقال أيضاً :

وَجَرَتْ لَنَا سَنَحًا جَاذِرَ رَمَلَةٍ تَلُو الْمَاهَا كَاللُّؤْلُؤِ الْمَتَبَدِّدِ
قد أطلعت إِبْرَ القرون كأنها أخذ المراد من سحق الاشم
وقال ابن المعتز :

شَغَلَتْهُ لَوَاقِحٌ مَلَأَتْهُ غَيْرَةٌ فَهُوَ خَلْفُهُنْ كَمَى
قَابِضٌ جَمَعَهَا إِلَيْهِ كَمَا يَجْمَعُ أَيْتَامَهُ إِلَيْهِ الْوَصَى
كَمَا شَمَّ لَأَقْعَاسِيٍّ مِنْهَا رَأْسُ فِخْلِ بَرَجْلِهَا مَعْلَى
خَارِجٌ مِنْ ظِلَالٍ تَقَعُ كَمَا مَسَزِقُ جَلْبَابِهِ انْخِلِغُ الْغَوَى
قَدَطُواهَا التَّسْوِيقُ وَالشَّدْحَتِي هِيَ قَبْ كَأَنَّهَا الْقَسَى
هَرَبَتْ فِي رَوْوَسَهْنِ عَيُونٌ غَائِرَاتٌ كَأَنَّهَا الرِّكِي
وقال أيضاً : كَأَنَّ آتَارَ أَظْلَافِ الظَّبَاءِ بِهِ وَدَعَّ بِخَلْفِهِ أَضْلَافَهُ نَسَقُ

ومن فصيح ما قيل في الكلب وبليغه قول أبي نواس :

كَأَنَّ لِحْيِيهِ عَلَى افْتِرَارِهِ (٢) شَكَّ مَسَامِيرَ عَلَى طَوَارِهِ

(١) في الأصل « على الوعل » . (٢) في ديوان أبي نواس « لدى افتزاره » .

طواره : نواحيه .

سمع^(١) إذا استروح لم يماره إلا بأن يطلق من عذاره
فانصاع كالكوكب في انحداره لفت المشير موهناً بناره
شداً إذا أخصف في جداره^(٢) خرق أذنيه شبا اظفاره

وهذا مثل قوله :

من كل أخذى ميسان المنكب يشبُّ في القودِ مُشوبٌ المقرب
يلحق أذنيه بحد الخلب

المقرب : الكريم من الخيل يشد لكرمه بقرب البيوت ، ميسان المنكب أى
من سعة جلده يمس منكبه . ومن بديع الوصف قوله :

كأنما الأظفورُ في قنابه موسى صناع رُدِّ في نصابه
تراه في الحضرة إذا هاهبه يكادُ أن يخرج من اهايه
أخذه من قول ذى الرمة :

لابدخران من الابلال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأهب
والقناب : الغلاف . وقد أحسن في قوله وأجاد :

فجاء بُزجياً على شياتها شمّ العراقيبِ مؤنقاتها
مفروشة الأيدي شرنبثاتها مشرفة الأكتاف موفداتها
قود الخراطيم مخرطماتها غرّ الوجوه ومججلاتها
الموفدات : المشرفات ، خرطوم مخرطم مثل ليل أليل :

كأن أقماراً على لبّاتها ذل المآخير عملساتها^(٣)
لتمنأ الأرنب عن حياتها ان حياة الكلب في وفاتها

وقال ابن المعتز في سعة أشداق الكلاب :

(١) السمع : ولد الذئب . (٢) في ديوان أبي نواس (حتى إذا أخصف في

احضاره) (٣) في الاصل « زل المساخير معكساتها »

كأنها في حلقِ الاطواقِ ضواحك من سعة الاشداق
 وقال في شدة عدو الكلب * كأنها تعجل شيئاً تحسبه * من قول أبي نواس
 * كأنما بعجلن شيئاً لقطا * ومن بليغ ما قيل في شدة العدو قول الأحمري في الثور:
 وكأنما جهدت ألبته ان لا تمس الأرضَ أربعة
 ومن جيد وصف السرعة قول الحماني:
 يبادرُ الناظر وهو يبدُرُهُ كأنَّ من يُبصرُهُ لا يبصرُهُ
 وقال الأصمعي وأحسن ما قيل في صفة الذئب قول حميد بن ثور:
 ترى طرفيه ينسلانِ كلاهما كما اهتزَّ عودُ النبعةِ المتتابعُ
 ينامُ باحدى مُقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعُ
 وقال الأصمعي من أوجز الكلام قول الراجز في الذئب:
 أطلس يخفي شخصه غباره في فيه شفرتُه وناره
 هو الخبيث^(١) عينه فراره

ومما يجري مع ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن
 عن عمه عن أبي عمرو قال: رأيتُ باليمن غلاماً من جرمٍ ينشدُ عنزاً فقلت
 له صفها يا غلام فقال: حسراء مقبلة شعراء مدبرة بين عثرة الدهسة وقنو الدبسة
 سجحاء الخلدن خطلاء الأذنين فقساء الصورين كأن زمتيها تتوا قلنسوة يالها
 أم عيال وثمال مال. الحسراء: التي قل شعر مقدمها، والشعراء: التي قد أكثر
 شعرها، والعترة عثرة كدرة، والدهسة لون الأرض، والقنو شدة الحمرة،
 والدبسة حمرة كدرة، والسجحاء السهلة الخلدن، والخطلاء الطويلة الأذنين
 المضطربتهما، والفغساء المتباعدة بين طرفي القرنين، والصور: القرن.

(١) في النسخ غير منقوطة فصححناها من لسان العرب حيث يقول «الخبيث

عينه فراره: تعرف الخبيث في عينه إذا أبصرته». وفي النسخ «عينه» بالباء وهو تصحيف.

والزئمتان اللحمتان المعلقتان تحت حنك الشاة^(١) ، والتتو ذؤابة الفلنسة .

ولأعرابي في الذئب :

وأطلس ملء العين يحمل زوره وأضلاعه من جانبيه شوى النهد
له ذنب مثل الشواء يمدّه ومتن كتن القوس أعوج مُناد
طواه الطوى حتى استمر مريره فما فيه إلا الروح والعظم والجلد
يقضض عضلاً في أسرتها الردى كقضضة المقرور أرعدّه البرد
عوى ثم أقمى فارتجرت فهجته فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
وأبعته أخرى وأضلت نصله بحيث تلوى اللب والرعب والحقد

وقال غيره في الفيل :

أجرّد كالعود طويل النابين بعيد ما بين محطّ الرجلين

ينفض أذنين كفضلى بردين

وقال ابن الرومي فيه :

ولأعضل النابين حامل مخطم به حجن طوراً وطوراً به فعم
يقلب جثاناً عظيماً موثقاً يهدّ بركنيه الجبال إذا زحم
ويسطو بخرطوم يطاوع أمره ومشتبهات ما أصاب بها عم
ولست ترى بأساً يقوم لبأسه إذا عمل النابين في الناس أوصدم

{ الفصل الخامس من الباب العاشر }

في ذكر الطيور

مما جاء من منشور الكلام في وصف الحمام قول بعضهم : بهرمانى العينين حاجى

(١) قال المحبى في جنى الجنيتين في تمييز المثنيين « الزئمتان هنتان تكون للعمز

في حلوقها ، فان كانتا في الأذنين فهما زئمتان بالنون » ولم يخص

في القاموس هذا التخصيص .

المنقار أصهب القرطمتين ^(١) سبجي الجناحين كأنما خطا بقلمين درى الدفتين
فضى الحقيبة والبطن والكشحين أرجوانى الساقين والقدمين مُعتدل الهامة جاحظ
الحدقين رحب الأذنين والمنخرين واسع الحوصلة والشدين محدد المنكبين
والركبتين سبط الذنب والكفين طويلُ العنق والقوادم والفخذين قصير الخوافي
والساقين عريضُ الصدر والدفتين والوظيفتين غليظ القصب أجش الهدرة منتصب
الهامة ذكي الحركة بعيد الذرقة .

ووصف ابن المعتز حماماً طلبه من انسان : أريد حرمي الطرق طاجي المنقار
أغنّ الهدير ذا ذنبٍ قصير يسحبُ حوصلته إذا هدر وتروح صفقته إذا صفق
قرطاسي الدفتين سبجي الجناحين كأن رجله خاضتا دماً أو شربتا عندما وكان
عينه جرة ورأسه زُبدة . وقلت في حمام أبلق :

وَمُتَفَقَاتِ الشَّكْلِ مُخْتَلِفَاتِهِ لِبَسْنِ ظِلَامًا بِالصَّبَاحِ مَرَقَمَا
أَخَذْنَ مِنَ الْكَافُورِ أَنْفًا وَمَنْسَرًا وَخَضْبِنِ بِالْحَنَامِ كَفًا وَأَصْبَمَا
وَتَدْنُو بِأَبْصَارٍ إِذَا مَا أَدْرَتْهَا جَلُونَ عَقِيقًا لِلْعِيُونِ مَرْصَمَا
تَطِيرُ بِأَمْثَالِ الْجِلَامِ كَأَنهَا جَنَادِلُ تَدْحُوهَا ثَلَاثًا وَأَرْبَمَا
تَبُوعٌ ^(٢) بِهَا فِي الْجَوِّ مِنْ غَيْرِ فِتْرَةٍ كَأَنَّ بِجَاذِبًا تَبُوعُ بِهَا مَعَا
إِذَا هِيَ عَبَّتْ فِي الْغَدِيرِ حَسْبَتَهَا تَزُقُّ فَرَاخًا فِي الْمَقَادِرِ جُوعًا
وقال بعضهم في عين المعقوق :

يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ كَأَنَّهُمَا نَقَطْنَا زَيْبِق

ومن المختار في الديك ما أنشده الجاحظ :

كَأَنَّ الدِّيكَ دَيْكُ بَنِي نَمِيرٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى السَّرِيرِ

والناس يستحسنون قول ابن المعتز في الديك :

(١) قرطمتا الحمام : نقطتان على أصل منقاره - كما في جنى الجنتين للحجبي .

(٢) أى تسرع .

صَفَّقَ إِمَّا ارْتِيَا حَةً لَسْنَى الصَّبِيحِ وَإِمَّا عَلَى الدُّحَى أَسْفَا
وَقَالَ دَيْكُ الْجِنِّ :

أَوْفَى بِصَبْغِ أَبِي قَابُوسٍ مَفْرَقُهُ كَدْرَةَ التَّاجِ لَمَّا عَلَّيْتُ شَرْفَا
وَقَوْلُهُ « صَبْغُ أَبِي قَابُوسٍ » يَعْنِي شَقَائِقَ النَّعْمَانِ ، وَهَذَا كَلَامٌ بَعِيدٌ الْمُنَاوَلِ ظَاهِرِ
التَّكْلَافِ . وَقُلْتُ فِيهِ :

مُتَوَجِّجٌ بِعَمِيقٍ مَقْرَطٌ بِلَجِينِ عَلَيْهِ قَرَطُقٌ وَشِيٍّ مُشْمَرٌ الْكَفِينِ
قَدَزِيْنَ النَّحْرَمَنَةِ ثَنَانٌ كَالْوَرْدَيْنِ حَتَّى إِذَا الصَّبِيحُ يَبْدُو مَطْرَزَ الطَّرَاتِينِ
دَعَا دُعَاءَ طَرُوبٍ مُصَفَّقِ الْكَفِينِ بَرَهَى بَتَاجٍ وَطُوقٍ كَأَنَّهُ ذُو رَعِينِ
وَقَالَ السَّرِيُّ الرَّفَاءُ :

كَشَفَ الصَّبَا حُ قَنَاعَهُ فَنَالِقَا وَسَطَا عَلَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ فَأَطْرَقَا
وَعَلَا فَبَشَرَ بِالصَّبَا حُ مُدْرَعٌ بِالْوَشِيِّ نُوجٌ بِالْعَمِيقِ وَطُوقَا
مُرْحَى فُضُولِ التَّاجِ فِي لُبَّاتِهِ وَمُشْمَرٌ نَوْبًا عَلَيْهِ مَعْمَقَا
وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ :

وَقَامَ قَوْقَ الْجِدَارِ مُشْتَرَفٌ كَمَثَلِ طَرَفِ أَعْلَاهُ أَسْوَارُ
رَافِعُ رَأْسٍ طَوْرًا وَخَافِضُهُ كَأَمَّا الْعَرَفِ مِنْهُ مَنَشَارُ

وَمَنْ أَجُودَ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ النَّعْمَانِ قَوْلَ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ :

وَمَكَانَ زَعَلٍ ظَلَمَانُهُ كَرَجَالِ الْحَبُوشِ تَمْشِي بِالْعَمْدِ
فَقَالَ شَبَّهَ أَعْنَاقَهَا إِذَا مَدَّتْ بِالْعَمْدِ . وَمَنْ أَحْسَنَ تَشْبِيهِ أَخَذَهُ الْعَمَانِي :

كَأَنَّهَا حِينَ مَدَّتْ عُنُقَهَا حَرَقَا سُودَ الرِّجَالِ تَعَادَى بِالْمَزَارِيقِ
وَكَانَ يَذْبُقِي أَنْ يَقُولَ « مَدَّتْ أَعْنَاقَهَا » وَالَّذِي قَالَ رَدِيٌّ ، وَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَيْنَةَ :

يَاجِنَةُ فَاتَتْ الْجَنَانَ فَمَا تَبْلُغُهَا قَبِيْعَةٌ وَلَا تُؤْمِنُ
أَلْفُتْهَا فَاتَخَذَتْهَا وَطَنًا إِنَّ فُوَادِي لِحُبِّهَا وَطَنُ

أنظر وفكر فيما تطيفُ به إن الأريبَ المفكرَ الفطن
من سفنٍ كالنعامِ مقبلةٍ ومن نعامٍ كأنها سفنٌ

ومثله قوله :

زر وادى القصرِ نعم القصرُ والوادي
ترقى قراقيرهُ والعيسُ واقفةٌ

ووجذا أهلهُ من حاضرِ بادي
والضبُّ والنونُ^(١) والملاحُ والحادي

وقول الآخر :

كانَّ بالسهبِ على خربائه عرشاً يخرُ الريحُ في قصبائه
بضحكِ جنِّ الأرضِ من نحاها كأنَّ قوسَ الغسيمِ من ورائه

يعنى الغبار المنعرج خلفه . وقلتُ في فاتحة :

مررتُ بمطرابِ الغداةِ كأنَّها تُعلُّ مع الأشراقِ راحاً مُفلقلاً
ويروى « تُعلُّ رحيقاً في الغُصونِ مُفلقلاً » :

منعرة كدراء تحسبُ أنها تجلُّ من جلدِ السحابةِ مفصلاً
بدتُ تجتلي للعينِ طوقاً ممسكاً وطرفاً كما ترنو الخريدةُ أكحلاً
لها ذنبٌ وافي الجوانبِ مثل ما تُبشِّرُ طلعاً أو تجرِّدُ منصلاً
إذا حلقت في الجوّ خلتَ جناحها يردُّ صغيراً أو يحركُ جُلجلاً

وقال أبو نواس في حباريات :

يخطرُنَ من برانس قُشوبٍ من حبيرٍ مُحولينَ بالتذهيبِ

فهن أمثال النصارى الشيب

وقلتُ في قبجة^(٢) :

أهديتها كلهدي آنسة وهي سليلُ النواشزِ النفرِ
تلبسُ ممسورةً مُشورةً تصونُ أطرافها من العفرِ
وقد جرى المسكُ من محاجرِها فضمَّ لبَّاتها مع الثفرِ

(١) النون : الحوت . (٢) وهي الحجلة .

تخطرُ في حيلةٍ مُصدرةٍ كأنَّ أكامها من الحِبر
واحمرَّ منقارُها ومنخرها تفتُّح الوردِ في ندى السحر
كأنَّها حينَ نطقِ قرطمها تضربُ ياقوتةً على دُرِّ
وقال أبو نواس في طير الماء :

كأننا بصفرنَ من ملاعق صرصرة الاقلام في المهارق
ونقله الى موضع آخر فقال أيضاً :

بصفرُ أحياناً إذا لم يهزج من مثل حرفِ المجدح المغنّج

المجدح : ما يجده به السويق ، والمغنّج : المعطف .

وأحسن ما شبّه به ذلك قول بعض الاعراب يصف طيراً أنشده الاصمعي :

بضربنَ أحناءاً إلى الماءِ كلها لبيقٌ كمفروج المناقشِ أسجج

لبيقٌ : أي رفيقٌ بذلك حاذقٌ به ، يقول هذه الاحناك لبيقة بالشرب ،

والمفروج : المفتوح ماينه . وقلتُ في الخطاف :

وزائرةٌ في كلِّ عامٍ تزورنا فيُخبرُ عن طيبِ الزمانِ مزارها

تخبرُ^(١) أنَّ الجوّ رَقٌّ قميصُهُ وأنَّ الرِّياضَ قد توشى أزارها

وأنَّ وجوهَ الغُدرِ راقٍ يياضها وأنَّ وجوهَ الأرضِ راعٍ اخضرارها

تحنُّ البنا وهي من غيرِ شكلنا فتدنو على بُعدٍ من الشكلِ دارها

فيمعجبنا وسطَ العراضِ وقوعها ويؤنسنا بينَ الديارِ مطارُها

أغار على ضوءِ الصباحِ قميصها وفازَ بألوانِ اللياليِ بخارُها

تصيحُ كما صرّت نعالُ عرائس تمشّت إليها هندا ونوارها

تجاورُنا حتى تشبَّ صغارُها وتقضى لباناتِ النفوسِ كبارها

ولم أسمع في ذلك أحسن من قول بعض المحدثين :

وغريبة حنّت إلى أوطانها جاءت تبشرُ بالزمانِ المقبلِ

(١) في النسخ مهملة من النقط .

فرشت جناح الآبنوس وسطرت
وقلت في أصواتها :
بالعاج فيه وقهقهته بالصندل

أبا عجباً من آنس لك نافر
يزور على بُعد المكان ولم يُرد
له في الذررى شدرٌ يمرُّ وينثنى
وهذا معنى لم أسبق إليه . وقال أبو نواس في أصوات الخطاف :

كأن أصواتها في الجوّ طائرة
وقال ابن المعتز في البازي :

فارسٌ كفّ مائل كالأسوار
أو مصحف منمنم بأسطار
يرفع جفنًا مثل حرف الزنار
ذو جُجُجٍ مثل الرخام المرمار
ومقلّة صفراء مثل الدينار

وهذا تشبيه في غاية الاصابة . ومن أحسن ما قيل في منسر البازي قول أبي نواس :

ومنسر أكف فيه شيخا كأنه عقد ثمانينا

وقال ابن المعتز في عين البازي وأجاد فيه :

ومقلّة تصدقه إذا رَمَقْ
كأنها نرجسة بلا ورَقْ

وقال أبو نواس :

في هامة علياء تهدي^(١) منسراً
وقال ابن المعتز في بُزاة :

وفتيان غدوا والليل داج
كأن بُزاتهم أمراء جيش
وضوء الصبح متهم الطلوع
على أكتافها صدأ الدرّوع

وقال في عين البازي * كأنها في الرأس مسمار ذهب *

(١) في الأصل « غلباء تهدي » .

وقال أيضاً: ومنسر غضب الشباه دام كعقدك الحسين بالايهام
وخافق للصيد ذي اصطلام بنشره للنهض والاقدام

كنشرك البرد على المستام

وقال أيضاً: ذي جؤ جؤ محبر موشى ومقلة تلحق بالقصى
كانها دينار صيرفى واتصلت براته القوي

صاف كغصن الذهب المحلى

وقال أيضاً: أقر من ضرب بزاة قمر بصقل حمالاً شديد الطحر

كانه مكتحل متبر في هامة مات كلم الفقر

تريح ان راح لا مري بهر من منخر رحب كعقد العشر

وقلت في الصقر:

وصلتان فلتان أتمر كأنه إذا هوى للأعفر

معتبر هوى الى مزعفر بأبيض من البزاة أقر

منم الصدر كصدر الدفر بمثل اهداب جفون الاحور

وقلت: بصلتان سلط جصور نخاله في مفصل مزورور

ضم جناحيه على مهور معوج المنسر والأظفور

كالجيم في منقطع السطور

وقلت في عصفورة يقال لها السقا:

ومفتنة الألوان بيض وجوها ونمر تراقبها وصفر جنوبها

كان درارياً عليها قصيرة مرقمة أعطافها وجيوبها

تعدل ألوان الأغاني كأنما تعدل أوزان الأغاني عربيها

تسام استقاء في العشاء إذا عرى وعطل أيام المصيف ذنوبها

وكان الاصمعي يتعجب من حسن بيت الطرماح في صفة الظليم

مجتاب . وقلت في بلابل:

مررتُ بدكن القمص سودِ العمام نغني على أعرافِ غيدِ نواعم
 زُهينَ بأصداغِ تروقُ كأنها نجومٌ على أعضاءِ أسودِ فاحم
 ترى ذهباً ألقتهُ تحتَ ماخرِ لها ولجيناً بطنه بالمقدام
 فياحسنَ خلقٍ من نضارِ وفضةٍ وخزٍ وديباجِ أحمرٍ وقاتم
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي ذكوان وأبي خليفة عن التوزي قال
 قال عمرو بن الحارث الجمحي ما رأيتُ الاصمعي مثل نفسه قال الرشيد يوماً أنشدونا
 أحسن ما قيل في وصف العقاب فعند القوم لم يأتوا بشيء فقال الاصمعي أحسن ما قيل فيها:
 باتتُ بورقها في وكرها سغبٌ وناهضٌ يخلص الأتوات من فيها
 وقال امرؤ القيس :

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً ويا بساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالي
 فقال الرشيدُ ما بعلٌ^(١) القوم بشيء إلا وجدت عندك فيه شيئاً .
 وقال آخر في الفُراب :

وجرى بينهم غداةً نحلوا من ذى الأبارقِ شاجحٌ يتفندُ
 شبحُ النسا خرقُ الجناحِ نخاله في الدارِ إثرَ الظاعنينَ مقيدُ
 وقال آخر في عتق :

إذا بارك اللهُ في طائرٍ فلا بارك اللهُ في عتق
 طويل الذنابي قصير الجناح حمتي ما يجده غفلةً يسرق
 يُقلِّبُ عينين في رأسه كأنها قطرتنا زئبق

وقال آخر في الزناير :

لها حماةٌ كأنها شعرٌ تظهرُ مسودَّةً وتستترُ
 قد أذهبت في الجبينِ غرته إذ فضضت في جيانا الفرر
 وقلت في ظبية داجنة وقارى :

(١) بعل بأمره كفرح : دهش وفرق وبرم فلم يدر ما يصنع .

فيها مؤانسةٌ لنا وحشيةٌ نومي بناظرها إلى ظمياء
 تخنلُ في متصنلٍ متكفر تبراَ أرضاً بفضةٍ بيضاء
 ودقيقة الأطرافِ وهي جسيمةٌ رياً تمرمر في متونٍ ظاء
 ومغنيات من وراء ستائرٍ مشقوقة الأوساط والاحناء
 غنَّت فلم تحوج إلى مشهورةٍ وشدت فلم تفقر إلى الميلاء
 تبدو على أعناقهنَّ أهلةٌ سودٌ تبدل ظلمة بضياء

(الفصل السادس من الباب العاشر)

(في ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء
 والضب والبق والبراغيث وما يجرى مع ذلك)

كتب الصحاح أبو القاسم في وصف قنفذ : قد آخفتك ياسيدي بعلق نفيس
 يتعجب المتأمل من أحواله وبحار الناظر في أوصافه ويتبدل المعتبر في آياته فما تعرف
 بديهية النظر أمن الحيوان هو أم من الجماد أم هو من الشجر أم من النبات ومن
 الناطق هو أم من الصامت أم من الحار أم من البارد أم من الرطب أم من اليابس
 حتى إذا أعطى متدبره النظر أوفى حقوقه والفحص أكمل شروطه علم أنه حي
 سلاحه في حصنه ورام سهامه في ضمنه ومقاتل رماحه على ظهره ومخاتل سره خلاف
 جهره ومحارب حصنه من نفسه يلقاك بأخشن من حد السيف ويستتر بألين من
 مسه حتى إذا حذر جمع أطرافه فتحسبه رابية قتاد أو كرة حرشف ومتى أمن بسط
 أكنافه وهي أمضى من الأجل وأرمى من ثعل ان رآته الأرقام رأت حينها أو
 عاينته الأساود عاينت حتفها صعلوك ليل لا يججم عن دامسه وحارس ظلام لا يجين
 في حنادسه - شعر :

كغشم الفتيان غير مهبل سهد إذا ما نام ليل الهوجل

لجرمه من الضب شبهه ومن الفأر شكل ومن الورل نسبة ومن الدلدل سبب ولم أعمه عليك هو أنقد ولذلك قيل من لم يذق غماضا ولم يرقد حثانا بات بليلة الأتقد ، وذكره الشيهم وهو الشيزم وأثناء عيمة معرفة لا يدخل الألف واللام عليها كمنخوط ودجلة وكحل ، ولا أعنيك هو القنفذ ، ومن أحواله أن العرب تسلخ جلده فتخرجه كالشحمة البيضاء وتجمله من أنف مآكلها وأفخر مطاعها حتى تراه أرفع من الأفاعى وأنفع من الجرذان وتدعى جملة الاعراب انه من مراكب الشيطان وهو أطف من الفرس حساً وأصدق سمماً وقد جاء في المثل (أسمع من قنفذ) ومن أو ابده أنه يسود إذا هرم وبصير كأبر ما يكون من الكلاب وأعظم ويشبهه به ركب المرأة عقب التنف والنورة ولذلك قال ابن طاروق في أرجوزة له :

بصيرُ بعدَ حَلَقِهِ ونورَتِهِ كقنفذِ القفِّ اختبي في فروته
وُشِبَّهُ الساعى والنمام به نجبته ومكره واضطرابه في ليله قال أيمن به خريم :

كقنفذِ الرملِ لا تخفى مدارجُهُ خبُّ إذا نامَ ليلُ الناسِ لم ينم
وقال عبدة بن الطبيب (١) :

قومٌ إذا دَمَسَ الظلامُ عليهم حُدجوا قنافذَ بالنعيمَةِ تمرعُ
وقال جرير :

يَدبُونَ حَوْلَ رِكيانِهِم دِيبَ القنَافِذِ في العرفِجِ
فخذَه ياسيدي ممتعاً وأقبله شاكرآ برى فيه فاحتط عليه احتياط الشحيح
على ماله والجبان على روحه وارغب إلى الله تعالى في حفظه واسأله إطالة عمره وهو
حسبي ونعم الوكيل .

ولم أسمع في صفة الهرة أظرف من قول ابن طباطبا العلوى الاصفهاني قال فيها :
أرقتُ مُقلتي لِحَبِّ عَرُوسِ طفلةٍ في الملاحِ غَيرِ شَموسِ
فنتنتى بظلمةٍ وضياءِ إذ بدت لي كالعاجِ في الابنوسِ

(١) هو الشاعر الفحل الشجاع الذى شهد الفتوح ، وقال فيها شعراً .

تلقى الظلام من مُقلتيها بشمع يحكي شمع الشموس
 ذات دلّ قصيرة كلما قامت نهدي طويلة في الجلوس
 لم تزل تسبغ الضوء وتنفق كلّ عضولها من التنجيس
 دأبها ساعة الطهارة دفن العنبر الرطب في الحنوط اليبس
 ومن أجود ما قيل في الحية قول النابغة :

صلّ صفا لا ينطوي من القصر طويلاً الاطراف من غير خفر
 مهرونة الشدقين^(١) حولاً النظر تفر عن عوج حداد كلابر
 داهية قد صفرت من الكبر

وقال الآخر : خلقت لها زمة عربين ورأسه كالقرص فطح من دقيق شعير
 فكان شديقه إذا استعرضته شداً عجوز مضمضت لظهور
 وأجاد خلف في قوله :

ثم أتى بحية ماننجي أبت مثل ييدق الشطرنج
 وليس من شعر المحدثين في الحية أحسن من قول ابن المعتز :

كأنني ساورني يوم بينهم رقشاً مجدولة في لونها بلق
 كأنها حين تبدو من مكانها غصن تفتح فيه النور والورق
 ينسل منها لسان تستغيث به كما تعود بالسبابة الغرق
 وقوله أيضاً :

أنعت رقشاً لا يحى لديفتها لوقدها السيف لم يعلق به بلل
 تلقى إذا انسلخت في الأرض جلدتها كأنها كم درع قد بطل
 وقلت : وخفيعة الحركات تقترع الربى كالبرق يلمع في الغمام الرائح
 منقوطة تحكي بطون صحائف ابان تبدو من بطون صفائح
 رضى من الدنيا بظل صخيرة ومن المعاش باشتام روائح

(١) أي واسعة الشدقين .

- وهذا من قولهم ان الحية إذا هرمت لم تخرج الى الطعم واكتفت بالنسيم .
وقال اعرابي :

وحش كحلقة السوارِ غايتهُ شبرٌ من الاشبارِ
كأنه قضيبُ ماءٍ جارٍ يفتَرُّ عن مثل تَلْظِي النارِ

وقال آخر : يرقونه فكأنما يعني برقوته سواء

وقال أبو العباس ثعلبٌ يُقالُ أنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت وأنشد:
كأنما لسانه على فيه دخانُ مصباحٍ ذكت ذواكبه
وقال عبد الصمد بن المذل في المعرب :

ياربِّ ذى إفكٍ كثيرٍ مُخدِّعه يبرزُ كالقرنينِ حينَ يطلعه
في مثلِ ظهْرِ السبتِ حينَ تطلعه أسود كالسيحة فيه مصبعه
لا تصنعُ الرقشاءُ مالا تصنعه

وقالت فيها أيضاً :

وإذا شتوتُ أمنت لسة عقربِ كالنارِ طارت من زنادِ القادحِ
قد خلتها نَمشي بسبعة عابدِ كالأقدامِ نَمشي بصعدةٍ راحِ
وقال آخر: يحملُ رُمحاً إذا كموبٍ مُشتهرٍ فيه سنانٌ كالخريقِ يستمر
انفٌ تأنيفاً على حسنِ قدرِ تأنيفِ أنفِ القوسِ مُشدَّتْ بالوترِ

ومن أحسن ما قيل في الحرباء وهي دويبة شبيهة بالمظاة تأتي شجرة بالتنضبة
فتمسكُ يديها غصنين منها وتُقابلُ الشمس بوجهها فكما زالت عين الشمس
عن ساق منها خلت يديها عنه وأمسكت بساق آخر حتى تغيب الشمس فتسبح
في الأرض وترتعُ قال أبو دواد :

إني أتيج لها حرباءُ تنضبة لا يرسلُ الساق إلا ممسكاً ساقا
والعرب تقول أحزمُ من الحرباء لأنها لا ترسل غصناً إلا أمسكت بآخره ،

ويشبهه به الرجلُ الحصيفُ^(١) الذي لا يترك سبياً إلا أخذ بسبب أمتن منه .
قال ابن الرومي في امرأة وريقيها :

ما بالها قد حسنت وريقيها أبدأً قبيحٌ قبح الرقباء
ماذا إلا أنها شمس الضحى أبدأً يكون رقيها الحرباء
وقال بعض العلماء : الحرباء فارسية معربة وأصلها خورباة أي حافظ الشمس ،
وخور اسم للشمس بالفارسية . وكان ذو الرمة أنعت العرب للحرباء قال :
ودوية جرداء جداء خيمنت بها صبوات الصيف من كل جانب
كانت يدي حربائها متمسكاً يدا مذنب يستغفر الله تائب
وقال أيضاً : وقد جعل الحرباء يصفر لونه
ويسبح بالكفين سبحاً كأنه ويخضر من حر الهجير غباغه
وقال أيضاً : يصل بها الحرباء للشمس مائلاً أخو فجره أوفى به الجذع صالبه
إذا حوّل الظل العشي رأيت على الجدل إلا أنه لا يكبر
وهذه تشبيهات مصيبة مجيبة الاصابة دالة على شدة الخلق وتقوب الذهن ، وقد
أجمعت العرب أن ذا الرمة أحسنهم تشبيهات . وقال ابن المعتز :

ومهم فيه يضيأ القطا كسرا كأنها في الأفاحيص القوارير
كانت حربائها والشمس تصهره صال لنا من لهيب النار مقرر
وهذا تشبيه مصيب أيضاً إلا أن للأول ماءً وطلاوة ليس لذا .

ومن أحسن ما قيل في الضب قول الخناني :

نرى ضبها متسعاً رأسه كما مد ساعده الأقطع
له ظاهر مثل برد الوشي وبطن كما حسر الأصلع
هو الضب ما مد مكانه فاذ ضمه فهو الصفدع

ومن أجود ما قيل في البعوض وأجمعه قول بعضهم أنشده أبو عثمان :

(١) في نسخة « الحصيف » وفي أخرى « الخفيف » ولعل الصواب ما أثبتناه .

إذا البعوضُ زجلتُ أصواتها وأخذَ اللحنُ مُغنياتها
لم تُطربِ السامعَ خافضاتها وأرقَّ العينينِ رافعاتها
صغيرةٌ كبيرةٌ أذاتها بقصر عن بُغيتها بُغاتها
ولا يصيبُ أبداً رُماتها راححةً خرطومها قناتها

وقال آخر : * حنانة أعظمها إذاها * وقال ابن المعتز :

بِتُّ بلبيلٍ كله لم أطرفِ قرقسه^(١) كلزبير المنتف
ينقبُ الجلدَ وراءِ المطرفِ حتى ترى فيه كشكل المصحف
أو مثل روس العصفر المندف

وقلت : غناءً يسخنُ العينَ وينفي فرحَ القلبِ
ولا يأتي على الزميرِ ولا يجري مع الضربِ
غناء البسق بالليلِ بنافي طربَ الشربِ
إذا ما طرَّقَ المسرءُ جرى في طلق الكربِ
نجيفُ راح كالشنِّ ولكن بات كالوطبِ
إذا ما نقبَ الجلدَ ة أخفى موضعَ النقبِ
سوى حميرِ خفياتِ تحاكي نقطَ الكتبِ

وقد ذكروا أن كل معنى للأوائل أخذه المتأخرون وتصرفوا فيه لإقول

عنزة في الذباب فإنه لم يتعرض^(٢) له ولو رامه من رامه لافتضح وهو قوله :

وترى الذبابَ بها يُفنى وحدهُ زجلاً كفعلِ الشاربِ المترنمِ
هزجاً يحكُّ ذراعَه بذراعِهِ فعلَ المكبِّ على الزنادِ الأجمِ
وقلت : وبدا فغنائى البعوضُ مطرباً فهرقتُ كأسَ النومِ إذ غنائى
ثم انبرى البرغوثُ ينقطُ أضلعي نقطَ المعلمِ مُشكلَ القرآنِ
حتى إذا كشفَ الصباحُ قناعه قرأتُ لى الذُّبانُ بالالخانِ

(١) القرقس بالكسر : البعوض . (٢) فى الاصل «لا تعرض» .

وكتب أبو القاسم الأمدى : وصار كاتب الديوان أفرغ من حجام سابط
وحسبك أبدك الله أن كاتب الديوان في هذا الوقت شيخ كان يخلفى ويخلف من
كان بلى الديوان قبلى يُعرفُ بابن نوح حسن الشيبة عظيم الهامة كثير الصمت لو
رأيتَه لقلتَ هذا نوح النبي ﷺ ممتاً ووقاراً وليس له عملٌ خلف سلتَه إلا صيد
الذبانِ فهو أعلم خلق الله بأجناسها إذا مرَّ به ذبانٌ يطيرُ عرفه بطيرانه قبل
أن يسقط فيقول هذا ذكرٌ وهذا أنثى وهذا ربيعى وهذا صيفى وهذا مُلِحٌ وهذا
لجوجٌ يسقط على العين والأنف ويُطردُ فيعود وهذا يسمع وهذا ليس بلساع وهذا
يقع على الأقدار وهذا تزهُ عيوف لا يقع إلا على الماء كل الحلوة والأشياء
العذبة وهذا من صيد الليث وهو جنس من العناكب وليس هذا من صيده وهذا
يقع في شبكة الخدرنق - وهو العنكبوت الطويل الأرجل - وهذا يسفد وهو
يطير وهذا لا يسفد إلا واقماً وهذا مما يدُخلُ رأسه في رؤوس الذبان السبعة
التي تقع في الأحكال لأنه أقرح وهذا ان وقع رأسه في كحل عمى من يكتحل به لأنه
أحمر الجبهة وهذا يقبل بدنه على خرطومه وهذا لا يقبل وهذا هزجٌ مغنٌ وهذا
صموتٌ وهذا يُنذِرُ وهذا يُبشِّرُ بطنينه وزمرته فيصدق فيما يُعدُّ ويؤعدُّ
ويكون ذلك أخذاً بالكف . وقد ألف فيها كتاباً حسناً فيه نوادر وعبر .
وظننته قد نظر في باب الذباب والبعوض من كتاب الحيوان واستقى من مُهناك
ففاتمته فاذا هو لا يعرفُ الجاحظ ولا سمع بكتاب الحيوان قط ونظرت فاذا أبو
عثمان لم ينته في معرفة الذباب إلى شيء مما انتهى إليه وعرفه .

ومن أجود ما قيل في البراغيث قول بعضهم وقد ظرف في ذلك :

فيا لبلادِ الله ما لقبيلة إذ اظهرت في الأرض شدَّ مغيرها
فلا الدينُ ينهاها ولا هي تنتهى ولا ذو سلاح من معدٍ يضيرها

وقال آخر :

هنيئاً لأهل الرِّيِّ طيبُ بلادهم وأن أميرَ الرِّيِّ يحيى بنُ خالدٍ

بلادٌ إذا جنَّ الظلامُ تقاوتُ براغيثها من بينِ مثني وواحدٍ
ديازجةٌ سودُ الجلودِ كأنها نعالٌ بربدٍ أرسلتُ في المزودِ
وقلت: ومن براغيث تنفي النوم عن بصرى كأن جفتي عن عيني قصيران
يطلبن مني ناراً لستُ أعرفهُ إلا عداوة سودانٍ لبيضان
وقد شكاهن الرماح الأسدَى فأحسن في قوله :

تطاولَ بالفسطاطِ ليلى ولم يكن بحنو الفضا ليلى على بطولٍ
يؤرقني حُمدبٌ صغارٌ أذلةٌ وان الذي يؤذينه لذييلٌ
إذا ماقتلناهن أضعفن كثرةً علينا ولا ينعي لهن قتيلاً
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً وليس لبرغوثٍ إلى سبيلٍ
وقال ابن المعتز :

وبراغيث ان ظفرنَ بجسمى خلت في كلِّ موضعٍ منه خالا
وأما القمل فأعجب ما قيل فيه قول بعضهم :
للقمل حولَ أبي العلاءِ مصارعٌ من بين مَقْتولٍ وبين عقيرٍ
وكانهنَّ إذا علونَ قميصه فردٌ وتوأمٌ مسممٍ مقشورٍ
وقد أبدع جرير في قوله :

ترى الصبيانَ عاكفةً عليه كمنفقة الفرز دق حين شابا
وقلتُ في النمل :

وحى أناخوا بالنازلِ باللوى فصاروا بها بعدَ القطارِ قطينا
إذا اختلفوا في الدارِ ظلت كأنها تبددٌ فيها الريحُ بزَرَ قطونا
إذا طرقوا قدرى مع الليلِ أصبحت بواطنها مثلَ الظواهرِ جونا
لهم نظرةٌ يميني ويُسرى إذا مشوا كما مرَّ مرعوبٌ يخافُ كينا
ويمشون صفّاً في الديارِ كأننا يجرّونَ خيطاً في الترابِ ميينا
ففي كلِّ بيتٍ من يسوفى قريةً تضمُّ صنوفاً منهممٍ وفتوناً

فيا مَنْ رأى يبتأ بضيقٍ بخمسةٍ وفيه قريباتٌ يسعن مئينا
قالوا ومن الأبيات الجامعة للشرِّ قول بعض القدماء :

به البقُّ والحى وأسدُّ خفيَّةٌ وعمرو بن هند يعتدى ويجورُ
وبالمصر برعوثٌ وبقٌ وحصبةٌ ومُحمى وطاعونٌ وتلك شرورُ
وبالبدو جوعٌ لا يزالُ كأنه دُخانٌ على حدِّ الأكامِ يمورُ
ألا أئمتما الدنيا كما قال ربنا لأحمدَ حزنٌ تارةً وسرورُ

وقلت في الجراد :

أجنحةٌ كأنها أرديةٌ من قصبٍ لكنهما منقوطةٌ مثل صدور الكتبِ

وأرجلٌ كأنها مناشرٌ من ذهبٍ

وقلت : وأعرابيةٌ ترنادُ زاداً فتمرقُ من بلادٍ في بلادٍ

غدت تمشى بمنشارٍ كليلٍ تبوعُ به قرارةً كلَّ وادى

وتنشر في الهواء رداءً شربٍ على أرجائه نقطُ المدادِ

وتلبس تحت ذلك عطافٍ لاذٍ على أكنافه ودع الجسادِ

ومن عجيب ما قيل في الفأر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن

سعيد عن الرياشي قال دخل اعرابي البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر فقال في ذلك :

عجل ربُّ الناس بالعقابِ لعامراتِ البيتِ بالخرابِ

كحل العيونِ وقص الرقابِ مجرداتِ أحجل الأذنانِ

مثل مدارِ الطفلةِ الكمامِ كيف لها بأمرٍ وثابِ

مُسهرتِ الشدو حديدِ النابِ كأنما يكشرُ عن حرابِ

يفرسها كالأسدِ الوثابِ

آخر الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني والحمد لله حق حمده وصلواته على

محمد وآله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما أراد بنا من عاجل الخير وآجله ومؤتلفه وراهنه فجعل لنا في
أنفسنا مواعظ وفي أبداننا زواجر يرشدنا ويهدينا ويكفينا عما يُسر ديننا من مرض بعد
صحة وشيبة بعد شيبة لنعبر بتغير الأحوال علينا وتغير الحدوثان إيانا حمداً تتألف
أشتاتُه وتتصلُ مواده ، وصلى الله على محمد وآله .

(هذا كتاب المبالغة)

(في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمرأى)
والزهد وما يجري مع ذلك وهو :

(الباب الحادى عشر من كتاب ديوان المعانى)

فأولُ ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصُّولى قال سمعتُ ابن الأعرابى يقولُ
لأعرفُ في التفجع على الشباب وفي ذم الشيب أحسن من قول أبي حازم الباهلى
على قُرب عهده :

لا تكذبنَّ فما الدنيا بأجمعها من الشبابِ يوم واحدٍ بَدَلُ
شُرْخِ الشبابِ لقد أبقيتَ لى أسفاً ما جدَّ ذكرك إلا جدَّ لى ثكلُ
كفالك بالشيب ذنباً ^(١) عندَ غانيةٍ وبالشبابِ شفيعاً أيها الرَّجُلُ

(١) في نسخة « كفالك بالشيب عيباً » .

وأحسن منه عندي قول منصور النمرى^(١) :

ما تنقضى حسرة منى ولا جزعُ
إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ
بان الشبابُ ففانتنى بشرته^(٢) صروفُ دهرٍ وأيام لنا خُدعُ
ما كنتُ أو في شبابي كنهه غرته
حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع
قوله (فاذا الدنيا له تبع) من أشرف كلام وأنبله وأجمعه وأوجزه ، وسمعه الرشيد
فقال نعم لا خير في دنيا لا يُخطر فيها ببرد الشباب . وقال محمود الوراق :

لا يحسن النسك والشباب ولا البطالاتُ والخضاب
كلُّ نعيم وكلُّ عيش قبلَ الثلاثينِ يُستطاب

وقال غيره :

فقاتُ وهل بعدَ الثلاثينِ ملعبُ فقلتُ وهل قبلَ الثلاثينِ ملعبُ
وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي
قال حدثنا محمد بن سلام قال من كلام يونس بن حبيب : الكبر وكل عيب والعزل
وكل ذم والولاية وكل مدح والشباب وكل صحة واليسار وكل فضيلة والفقر وكل
ذلة . وقال ابن المعتز :

لهفي على دهر الصبا القصيرِ وغُصنه ذى الورقِ النضيرِ
وسُكره وذنبه المغفورِ و مَرَّحِ القلوبِ في الصدورِ
وطولِ جبل الأملِ المجرورِ في ظلِّ عيشِ غافلٍ غريرِ
أغدو وجنى الصبا أميرى ملء العيونِ الغاياتِ الحورِ
وقال الحماني :

وأيامه الفُسرُ مثل الخطوطِ في المسكِ فوقَ خُدودِ الحسانِ

(١) من شعراء الدولة العباسية ، استقدمه الفضل به بجي واستصحبه ثم وصله

بالرشيد ، وفي حضرته أنشد هذه الأبيات .

(٢) شِرة الشباب : نشاطه ، وفي الأغاني (بلذته) .

ليالى أنت جُذيل الصِّبا وأيامه وعُذيق الغواني
 وقال أيضاً: أيام كنتُ من الغواني كالسوادِ من القلوبِ
 فاذا استظمنَ خبائثي بين الخائقِ والجيوبِ
 وقال أبو عبد الله بن المعتز:

يا قلبُ ليسَ الى الصبا من مرجعٍ
 وقال يصف نفسه في شيبته:

من بعد ما قد كنتُ أى فتى كقضيبِ بانِ ناعِمِ رَطْبِ
 فاذا رأيتى عَيْنُ غدايَةِ قالتْ أو ابدُ طرفها حسي
 ونحوه قوله: إذا ما تمشت في عين خريدة
 وقال أعرابي: سقى الله أياماً لنا وليالياً
 إذ العيشُ غُضُّ والشبابُ بفرّةٍ
 وشاهدُ آفاتِ المحبينَ غائبُ

وانما آتى بالبيت والبيتين لآتى أعمد الفقرة فأوردها وأقصد النادرة فأكتبها
 وأتوخى المعنى الشريف واللفظ الظريف فأزفهما اليك وأجلوهما عليك ولو
 تحذقت^(١) في المعاني وأضفت^٢ الى كل شيء منها شكلاً وقرنت^٣ اليه مثله أو أكثر
 من عدد ما أورده من الأبيات لصار كل فصل من فصول كتابنا باباً طويلاً وكل
 باب منه كتاباً كبيراً حتى يكون جديراً بالاملال والاضجار وداخلاً في حدِّ
 الاكثار والاهذار ونعوذ بالله منهما .

تذكرُ إذ أنتَ قضيبُ رطيبِ عليه للحسنِ رداءُ قشيبِ
 خالطَ ماء الحسنِ في وجهه ماء شبابٍ لم يرقه المشيبِ
 إذا مشى يخطر في برده غابر فيه الشكل حسن رطيبِ
 كنتَ قضيبَ البانِ لم يقتضبِ وأنتَ من بعدُ قضيبُ قضيبِ
 فاللهو مغبرٌ مقاديرُ مفرُّ الوجهِ حريبُ سليبِ

(١) في الأصل (نحزقت)

خذ بنصيب من سرور الصبا فما لشيخ من سرور نصيب
وأول من بكى الشباب وذم المشيب عبید بن الأبرص في قوله :

والشيب شين لمن أمسى بساحته
وقال مزاحم العقيلي (١) :

عزاء على مافات من وصل خلة
ومثل ليالينا بحطمة فاللوى
وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

عريت من الشباب وكان غضاً
ألا ليت الشباب يعود يوماً
وقلت : قوام كما شاء المشيب معوج

وفرع جلاه الشيب حتى كأنما
وعهدى به بالأمس جونا كأنما
ليالى جاءتك الليالى عرائساً
حسان الوجوه كالرياض أنيقة
رقاق جلايب النسيم أريجة
وقال رؤبة وأحسن في ذلك :

كرّ الجديدان بنا وانطلقا ولا يجدان إذا ما أخلقا

(١) شاعر فصيح إسلامي صاحب قصيد ورجز كان معاصراً لجرير والفرزدق ، وكانت الشعراء تقرظه ، روى أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان فقال له أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال لا إلا أن غلاماً من بني عقيل يركب أعجاز الأبل وينعت الفلوات فيجيد ، ثم جاءه جرير فسأله فأجابته بجوابه ، ثم جاء ذو الرمة فسأله كذلك فأجاب بمثل جوابيهما وقال : غلام يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله . (٢) أى تقبض جلده .

ولو يبيعان الشباب أنفقا والشيب لاسوق له ان مسوقا
وقال المقنع أظنه :

وذادت عن هواه البيض بيض لها في مفرق الرأس انتشار
جديد^١ واللبس^(١) أعز منه وأحرى أن ينافسه التجار
وقد أحسن الفرزدق في قوله :

وفي الشيب لذات^٢ نخادع نفسه ومن قبله عيش^٣ تعمل جادبه
ومن الشعر الجذل السهل المطيع الممتع القريب البعيد الممكن المتعذر قول النمرى:

ومنازل لك بالحى وبها الخليط^٤ نزول
أيامهن^٥ قصيرة^٦ ومُرورهن^٧ طويل
وسعودهن^٨ طوالع ونحوهن^٩ أقول
والمالكية والشبا ب وقينة^{١٠} وشمول

ومن أبلغ ما قيل في كراهة الشيب قول البحترى :

وددت^{١١} يياض^{١٢} السيف يوم لقينى مكان يياض^{١٣} الشيب حل^{١٤} بمفرق
وقد أحسن أبو تمام الاحتجاج للشيب في قوله :

فأصغرى أن شيباً لاح^{١٥} بي حدثاً وأكبرى أنى في المهد لم أشب
لأنسكرى منه تجديد^{١٦}اً تجلله^(٢) فالسيف لا يزدرى أن كان ذا شطب
ولا يرو عنك إيماض^{١٧} القتير به فان^{١٨} ذلك ابتسام^{١٩} الرأى والأدب

ووجدت بيتاً فاسد السبك فأصلحته وقلت :

نجوم^{٢٠} مشيب^{٢١} في ظلام^{٢٢} شيبية^{٢٣} وما حسن^{٢٤} ليل^{٢٥} ليس^{٢٦} فيه^{٢٧} نجوم
وقال أبو عبد الله الاسباطى :

لا ير^{٢٨} عليك^{٢٩} المشيب^{٣٠} يا ابنة^{٣١} عبد الله^{٣٢} فالشيب^{٣٣} زينته^{٣٤} ووآقار
أما تحسن^{٣٥} الرياض^{٣٦} إذا ما ضحك^{٣٧}ت في^{٣٨} خلالها^{٣٩} الأنوار
وقال الخوارزمى - متأخر :

(١) أى الذى لبس كثيراً . (٢) فى ديوان أبى تمام «تجديداً تجلله» .

وقالوا أفق من سكرة اللهم والصبأ فقد لاح صبح في دجائك عجيب
 فقلت لهم كغثوا الملام وأقصروا فان الكرمى عند الصباح يطيب
 وهذا معنى مليح أظنه ما سبق اليه . وأول من تهاون بالشيب جرير في قوله :
 يقول العاذلات علاك شيب أهذا الشيب بمنعنى مراحي
 وتبعه الناس فمن أحسنهم قولاً فيه ابن الرومي حيث يقول :

لاح شيبى فرحت أمرح فيه مراح الطرف في العذار المحلى
 وتولى الشباب فازددت غياً في ميادين باطلى اذ تولى
 إن من ساءه الزمان بشيء لاحق امرى بان ينسلى
 وهذا من قول أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيت الشيب حل بياضه بفرق رأسي قلت للشيب مرحبا
 ولو خلت أنى إن كفت تحبتي تنكب عنى رمت أن يتكأبا
 ولكن إذا ما لكره حل تساحت به النفس يوماً كان للكره أذهباً
 وفي ألفاظ هذه الأبيات زيادة على معناها ، وأبيات ابن الرومي متوازنة اللفظ

والمعنى مع اصابة تشبيهه في قوله * مراح الطرف في العذار المحلى *

وقد بالغ في ذم الشيب أبو تمام فقال :

دقة في الحياة تدعى جلالاً ^(١) مثل ما سمى اللديغ سليماً
 غرة مرة ^(٢) ألا إنما كنت أغراً أيام كنت بهجماً

وقال ابن المعتز :

لقد أبغضت نفسى في مشيبي فكيف تحبني الخلود الكعاب
 وقلت : فلا تعجبا أن يعين المشيب فما عين من ذلك إلا معيبا
 إذا كان شيبى بفيضاً إلى فكيف يكون إليها حبيباً
 وقد كنت أرفل برد الشباب قشيباً وأرفل وشياً قشيباً

(١) في ديوان أبي تمام (جلالاً) . (٢) في الديوان (غرة بهمة) .

إذا ملتُ ملتُ قضيبياً رطيباً وان صلت صلت قضيبياً قضبوا
 ومن مليح ما قيل في الشيب وهزه النساء من صاحبه قول كشاجم :
 ضحكتُ من شبيبة ضحكتُ في سوادِ اللمة الرجله
 ثم قالتُ وهي هازلةُ جاءَ هذا الشيبُ بالعجله
 قلتُ من حبيك لا كبير شابَ رأسي فاثنتُ خجله
 وثنتُ جفنًا على كحلٍ هي منه الدهرُ مكتحله
 أكثرتُ منه تعجبها وهي تجنيه وتضحكُ له

ومن مليح ما قيل في ذلك وغريبه قول الآخر :

فظلتُ أطلبُ وصلها بتعطفٍ والشيبُ يغمزُها بأن لا تفعلِي
 وذكر مسلم بن الوليد كراهة الشيب و كراهة مفارقه إذا جاء فأحسن حيث يقول :
 الشيبُ كرهٌ وكُرهٌ أن يُفارقني أحبُّ بشيءٍ على البغضاءِ مودودُ
 فتبعه علي بن محمد الكوفي فقال :

بكي للشيبِ ثم بكى عليه فكانَ أعزُّ فقدأ من شباب
 فقل للشيبِ لا تبرح حبيداً إذا نادى شيباً بك بالذهب
 ونقله الى موضع آخر فقال :

لعمرك المشيبُ عليٌّ مما فقدتُ من الشبابِ أشدُّ فوتنا
 هذا البيتُ مضطربُ اللفظِ والرصفِ والصنعة فاعتبره :

تمليتُ الشبابَ فكانَ شيباً وأبليتُ المشيبَ فصارَ موتنا
 وكان من تمام الصنعة أن يقول « أشدُّ فقدأ » لقوله « فقدت من الشباب ». وقلت :
 والشيبُ زورٌ يجتوى وقربُه لا يرتضى وقدُهُ لا يُشتهي
 قد يشتهي كلُّ امرئٍ بلوغه وقلُّ من يبلغه إلا شكاً
 كأنما الشبابُ كانَ فرقةً له من الأنفسِ حبٌّ وقلبي
 وقد أجاد الأعرابي في قوله في صفة الشيب : أكره ضيفاً وأبغض طيفاً أحب

غائب وأفجع آيب . وقلت :

تكاف مدح الشيبِ عندي مُعمَّرٌ وهل يمدحن الشيبُ إلا تكلفا
فقلت انظرنى أولاً منه مؤملاً لقلب فتى أو آخراً منه مُتلفا
تصرَّم من عمرى ثلاثونَ حجةً لبستُ بها ثوبَ الشبابِ مُطرفاً
شبابٍ أطارَ الوجدَ عنى غيابهُ وصرفَ زمانٍ لم أجدَ عنه مصرفاً
أقمت به صدرَ السرورِ فلم يزلْ به الشيبُ حتى رده مُتحنفا
فطر بجناحِ الهوى في زمن الصبا فأخلق به إن شئت أن يتحيفا
تناولَ وخط الشيبَ أطرافَ عارضى فأصبح ليلاً بالصباحِ مُشنفا
ومن المشهور قول دعبل الخزاعي^(١) :

لا تعجبي يا سلم من رجلٍ ضحك المشيب برأسه فبكي
ومما يحتاج به المشيب على الشباب أن الشباب قلما يبقى أكثر من أربعين سنة وقد يعيش المرء في الشيب التسمين والمائة ، وقال امرؤ القيس في ذلك :

ألا إن بعدَ الفقرِ للمرء قنوةً وبعد المشيبِ طولَ عمرٍ وملبسا
وقال أعرابي : ما بال شيخ قد تخددلحه أبلى ثلاثَ عمائمَ ألوانا
سوداء داجية وسحق مفوف وأجدُّ لوناً بعد ذلك هجانا
قصر الليالي خطوه فتداني وحنونَ قائمَ ظهره فتعاني^(٢)
والموت يأتي بعد ذلك كله وكأئما يعنى بذلك سوانا
لأعرف في وصف الشيب من أول ما يبتدىء إلى أن ينتهى أحسن من هذا ، وقوله (وكأئما يعنى بذلك سوانا) من أبلغ ما يكون من الموعظة . وقلت :

وشباب خفَّ نازله ليته عادَ كما كانا
ومشيب آب نازله ليته إذ كان ما بانا

(١) شاعر متقدم مطبوع ، هجا الخلفاء ، ومن دونهم وهرب منهم لكيلا

ينتقموا منه . (٢) في الاصل « فتدانا ، فتعانا » .

خاني دهر^١ وثقت به^٢ رب^٣ موثوق به خانا

وأشدنا أبو أحمد :

وأنكرت^٤ شمس^٥ الشيب^٦ في ليل^٧ لتي^٨ لعمرى^٩ لليلي^{١٠} كان^{١١} أحسن^{١٢} من شمس^{١٣}
كان^{١٤} الصبا^{١٥} والسمت^{١٦} بطمس^{١٧} نوره^{١٨} عروس^{١٩} أناس^{٢٠} مات^{٢١} في ليلة^{٢٢} العرس^{٢٣}

ومن بديع الاستعارة في الشيب قول البحترى :

في الشيب^{٢٤} زجر^{٢٥} له^{٢٦} لو كان^{٢٧} بنزجر^{٢٨} وبالغ^{٢٩} منه^{٣٠} لولا^{٣١} أنه^{٣٢} حجر^{٣٣}
إبيض^{٣٤} ما أسود^{٣٥} من فوديه^{٣٦} وارتجعت^{٣٧} (١) جلية^{٣٨} الصبح^{٣٩} ما قد^{٤٠} أغفل^{٤١} السحر^{٤٢}
وللفتى^{٤٣} مهلة^{٤٤} في^{٤٥} الحب^{٤٦} واسعة^{٤٧} مالم^{٤٨} بمت^{٤٩} في^{٥٠} نواحي^{٥١} رأسه^{٥٢} الشعر^{٥٣}

ولا أعرف في الشيب أجمع من قول أبي تمام :

غدا^{٥٤} الشيب^{٥٥} (٢) محتطاً^{٥٦} بفودي^{٥٧} خطة^{٥٨} سبيل^{٥٩} (٣) الردى^{٦٠} منها^{٦١} إلى^{٦٢} النفس^{٦٣} مبيع^{٦٤}
هو^{٦٥} الزور^{٦٦} يجنى^{٦٧} والمعاشر^{٦٨} يجتوى^{٦٩} وذو^{٧٠} الألف^{٧١} يقلى^{٧٢} والجديد^{٧٣} يرقع^{٧٤}
له^{٧٥} منظر^{٧٦} في^{٧٧} العين^{٧٨} أبيض^{٧٩} ناصع^{٨٠} ولكنه^{٨١} في^{٨٢} القلب^{٨٣} أسود^{٨٤} أسفع^{٨٥}
ونحن^{٨٦} نرجيه^{٨٧} على^{٨٨} الكره^{٨٩} والرضا^{٩٠} وأنف^{٩١} الفتى^{٩٢} في^{٩٣} (٤) وجهه^{٩٤} وهو^{٩٥} أجدع^{٩٦}

ومن أعجب ما سمعت في الخضاب قول بعضهم :

عجبت^{٩٧} لما^{٩٨} رأيت^{٩٩} غادة^{١٠٠} ما بين^{١٠١} غيد^{١٠٢}
ضحكت^{١٠٣} إذ^{١٠٤} أبصرت^{١٠٥}ني^{١٠٦} قد^{١٠٧} تزيت^{١٠٨} لعيد^{١٠٩}
ثم^{١١٠} نادى^{١١١} جميعاً^{١١٢} باعتيقاً^{١١٣} في^{١١٤} جديد^{١١٥}
غرنا^{١١٦} منك^{١١٧} خضاب^{١١٨} قد^{١١٩} تراءى^{١٢٠} من^{١٢١} بعيد^{١٢٢}
لاتغالطنا^{١٢٣} فما^{١٢٤} نصلح^{١٢٥} إلا^{١٢٦} للصدود^{١٢٧}

وقال ابن الرومي :

فدعته^{١٢٨} إلى^{١٢٩} الخضاب^{١٣٠} وقالت^{١٣١} إن^{١٣٢} دفن^{١٣٣} المعيب^{١٣٤} غير^{١٣٥} معيب^{١٣٦}

(١) في الأصل (ارتجعت) . (٢) في ديوان أبي تمام (غدا اللهم) .

(٣) في الديوان (طربق) . (٤) في الديوان « من وجهه » .

وقال: عذار^ه كمثل^ه الانحامي مطر^ز وفرع^ه كلون^ه العبرى^ه محبر^ه
وقد كان^ه من صبغ^ه الشباب ممسكا فأصبح^ه في كف^ه المشيب مكفر^ه
فقل^ه للعدول أقصر^ه الآن إنني على الرغم من أنف^ه الصباية مقصر^ه
كفناك تكاليف^ه الملام كواكب^ه من الشيب في ليل^ه الشبية تزه^ه
لوائح من تحت^ه الخضاب كأنما سنى^ه الصبح في وجه^ه الدجنة يكشر^ه
وأول من ذكر^ه أنه شاب من غير^ه كبر ابن مقبل^ه (١) في قوله:

ما شبت^ه من كبر^ه والسكنى أمرؤ^ه عاجلت^ه قرع^ه نوائب^ه الدهر^ه
فرايتها^ه عضلا^ه موقمة^ه عزت^ه فما تسطاع^ه بالسكسر^ه
فلذاك صرت^ه مع^ه الشبية نازلا^ه في غير^ه منزلتى من العمر^ه
ومن أجود ما قيل في تقارب^ه الخطو قول^ه أبي الطمحان:

حننتى^ه حادثات^ه الدهر^ه حتى^ه كأتى^ه خاتل^ه أدنو^ه لصيد^ه
قريب^ه الخطو بحسب^ه من رأتى^ه ولست^ه مقيدا^ه أنى^ه بقيد^ه
وقد أحسن^ه الآخر في قوله أيضا:

الدهر^ه أبلانى^ه وما أبليته^ه والدهر^ه غيرنى^ه وما يتغير^ه
والدهر^ه قيدنى^ه بقيد^ه مبرم^ه فمشيت^ه فيه وكل^ه يوم يقصر^ه

وقوله « وكل يوم يقصر » من أحسن^ه العبارة عن ازدياد^ه الضعف وتقصير^ه الخطو
في كل يوم . ومن أعجب ما قيل في الصلح قول^ه الاعرابي:

قد ترك^ه الدهر^ه عصاتى^ه صفصفا فصار^ه رأسى^ه جبهة^ه الى^ه القفا
كأنما^ه قد كان^ه ربما^ه فعفا^ه يمسى^ه ويضحى^ه للمنايا^ه هدفا^ه
ومثله قول^ه الآخر:

ثم حسرت^ه عن^ه صفاة^ه تلمع^ه فأقبلت^ه قائله^ه تسترجع^ه
مارأس^ه ذا^ه إلا جبيننا^ه أجمع^ه

(١) هو تميم بن مقبل من بنى العجلان ، مخضرم معدود في الفحول .

ومثله أيضاً :

جلاه عن أهل الهوى قبح الجلا جبين وجه وجبين في القفا
وقال ابن الرومي في معناه بهجو رجلاً يجذب طرفه من قفاه الى وجهه :
يجذب من نقرته طرفة إلى مدى تقصر عن نيته
فوجهه يأخذ من رأسه أخذَ نهار الصيف من يله
وأشدنا أبو أحمد عن الصولي خلف بن خليفة :

وقام إلى رأسه حاذقٌ فصير من رأسه قرعه
يريك بريقاً كطست الجلا بيض كما نصب الطلعه
فما شوق عيني إلى قره كشوق يميني للصلعه
يسكاد وإن لم يردها الضمير تشوق الخليم إلى صفعه
فملنا عليه بأيماننا نسايله عن خبر الوقعه

وقال مالك بن أسماء :

أواري بذيال على العقب جثتي إذا الصلغ واروا هامهم بالقلانس
تود النساء المبصراتي أنه يعار فيستأجرنه للعرانس

وقلت في مدح الخلق :

قتل الشعر من خفيف ثقيل وكثير على الرؤوس قليل
ضيق الشعر حين طال قليلاً ضامه الله من قصير طويل
إنما الخلق راحة وجمال فاشد الكف بالمريح الجميل
ما أرى للحسام يصدأ حسناً إنما الحسن للحسام الصقيل

ويشبهون الرأس المخلوق بالصخرة أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد
عن عبد الرحمن عن عمه قال كان يزيد بن الطثيرة زير نساء يتحدث إليهن فتحدث
إلى امرأة من بنى أسد فهويها وهويته فخطبها إلى أبيها فرده ، وخطبها ابن عم له
فزوجه فدخل عليها ابن عمها وهي تقول :

لم يبق إلا شبعاً وعظماً وأدمعاً تنهلُ منها سجا
 علمت ما بي فجعفوت علماً من سئم الوصل تنجى الجرما
 فنهاها زوجها أن تتمثل فأنشأت تقول :
 تمثلتُ بيتاً ثم أذريتُ دمعاً فمن لامي فيه فبدل مايا
 فما أشرف الأفاع إلا صبايةً وما أضربُ الأمثال إلا نداويا
 فأتى الزوج أباه فأخبره فأتاها أبوها فقال والله لأن تمثلت لأضربن ظهرك
 وبطنك ، فدخل عليها زوجها وهي تقول :
 فان تضربوا ظهري وبطني كلاهما فليس لقلب بين جنبي ضارب
 فاشتد ذلك على زوجها وهم بطالاقها وخرج مغضبا وإذا يزيد بغنائها وهو يقول :
 ترامت وأستار من البيت دونها النا وحانت غفلة المتفقد
 بصيني مهاة تحدر الدمع منها بريمين شتى من دموع وأمد
 فجمع أهل بيته واخوته وآتى أخاه واستعداه عليه فضربه أخوه وحلقه . فقال
 وهو يحلق :

أقول لثور وهو يحلق لمتى بعقاء مردود عليها نصاها
 ترفق بها يا ثور ليس ثوابها بهذا ولكن غير هذا ثوابها
 فيأرب يوم قد تغلل وسطها أنامل رخصات حديث خضاها
 تولى بها (١) ثور ترف كأنها سلاسل درع لينها (٢) وانسكابها
 وأصبح رأسي كالصخرة أشرفت عليها عقاب ثم طارت عقابها
 وقد أحسن الفرزدق الاستعارة في وصف الشيب وهو قوله :
 والشيب ينهض بالشباب كأنه ليل يصيح بجانبه نهار
 ولأبي إسحق الصابي آيات في الصلع لم يسبق إلى معناها قالها على وجه المجون :
 لما رماني الزمان بالصلع وقل مالي وضاق متسمى

(١) رواية الاغانى « فراح بها » (٢) في الاغانى « خبؤها » .

حاسبت عن لمتى مزينها حساب شيخ للحق متبع
 قلت له اقنع من أصل واجبها بالثلاث مما به عملت معي
 واعمل على أنها مزارعة شكوت فيها شكاة متضع
 فاحطط خراج الذي أصبت به واستوف مني خراج مُزدرع

ومما جاء في مدح الصلح ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنباري عن ثعلب
 عن ابن الأعرابي قال ألح رجل النظر إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال له
 إلى أي شيء تنظر؟ قال إلى بطن مندهج وهامة صلحاء فقال عليه السلام أما البطن
 فأسقله طعم وأعلاه علم وأما الهامة فكما قال الشاعر:

بني إنا المجد آباء لهم شرفٌ صلح الرؤوس وسيا السؤدد الصلح
 وقال آخر: كفى حزناً أني أدب على العصا فيأمن أعدائي ويغضني أهلي
 ويوصي بي الوغد الضعيف مخافة علي وما قام الحواضن عن مثلي
 أقيم العصا بالرجل والرجل بالعصا فما عدت ميل عصا ولا رجلى
 وقال محمود الوراق في ذم الخضاب:

يشيب الناس في زمنٍ طويلٍ ولي في كل ثالثة مشيب
 وأخفى الشيب جهدي وهو يبدو كما غطى على الريب المريب
 وقلت: جريت لعارض غيث الليالي تحالك لونه فايض جبهه
 وصرت تقص ما يبيض منه أتلقه إذا ما يبيض كله
 تعز عن الشيبية والله عنها فان الليل ليس بدوم ظله
 وخل الشيب يضحك ناجداه فان الصبح لا يخفي مظهه
 وان حلت عرى اللذات فيه فلست بما قد ماجد جبهه

(الفصل الثاني من الباب الحادي عشر)

(في ذكر العلل والأُمراض والمرأى والتعازى والزهد)

أحسن ما قيل في الرمذ قول الواثق أنشدناه أبو أحمد عن الصولى قال وجدتُ
مع هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات من شعر الواثق بالله في خادم له قد اشتكت عينه :

لى حبيبٌ قد طال شوقى إليه لا أسمىه من حذارى عليه

لم تكن عينه لتجحد قلى ودمى شاهدٌ على جفنيه

ومن ههنا أخذ هذا المعنى فتدوول قال ابن الرومى أو الناجم :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل مسها الوصب

مُحَرَّتْهَا من دماء من قتلت والدم فى النصل شاهدٌ عجب

ومن بديع ذلك وغريبه ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى أيضاً :

يكسرى طرفاً به حمرةٌ قد خلط الترجس فى ورده

ما احمرت العين ولكنه يكحلها من وردتى خدّه

أخذه من بعض أهل زمانه :

قالوا بدت فى عينه حمرةٌ قد حازها من وردة الخدّ

فقلت لم يرمدٌ ولكنه يصفح الترجس بالورد

ومن مديح ما قيل فى شكايه الجيب قول العباس بن الأحنف^(١)

زعموا لى أنها صارت تحم ابتلى الله بهذا من زعم

اشتكت أكل ما كانت كما يكسف البدر إذا ما قيل تم

ومما قيل فى اصفرار اللون من العلة قول أبى تمام :

معدن الحسن والملاحه قد أصبىح لاسقم معدناً وقراراً

(١) شاعر غزل شريف مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، قدمه المبرد على

نظرائه وأطنب فى وصفه وقال رأيت جماعة من الرواة يقدمونه .

لم تشن وجهه الجميل ولكن جعلت ورد وجنتيه بهارا
ونحوه قول أحمد بن إسحق الطالقاني :

لقد حلت الحمى بساحة خدره فأبدت التفاح بالسوسن الغض
والأصل في ذلك قول عبد بنو الحسحاس أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا
أبو إسحق الشطبي قال حدثنا ابن أبي سعيد قال حدثنا الخزامي قال حدثنا عبد
الملك الماجشون عن يوسف بن عبد العزيز الماجشون قال كتب عبد الله بن
طامر إلى عثمان بن عفان : اني اشتريت لك عبداً حبشياً شاعراً . فكتب اليه عثمان
لا حاجة لي فيه فان قصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويشب بكرماتهم
فاشتراه بنو الحسحاس وكان يكسر في كلامه فقال يوسف لحدثني من رآه
في شجرة واضعاً إحدى رجله على الأخرى يقرض الشعر وينسب بأخبث نسب ويقول :

ماذا يريدُ السقامُ من قمرِ كلِّ جمالٍ لوجهٍ تبعُ
ما يبتغي خابَ من محاسنها أماله في القباح متسع
لو كان يبغى الفداء قلت له ها أنا دون الحبيب يا وجم

ثم يقول لنفسه « أحسنك والله » يريدُ أحسنت . وكان كما حدث عثمان
رضي الله عنه فانه ما زال يهجو مواليه ويشب بفتياتهم حتى قتلوه فضحكت منه
امرأة وقد ذهبوا ليقتلوه فقال فيها :

فان تضحكي مني فيارب ليلة جعلتك فيها كلقباء المفرج
وقال أيضاً :

ولقد تحدرت من جبين فتاتكم عرق على وجه الفراش وطيب
ومن عجيب ما يروى له قوله يمدح نفسه :

إن كنت عبداً فنفسي حرة كراماً أو أسود اللون اني أبيض الخلق
وهذا أحسن ما مدح به أسود .

ومن أحسن ما وصف به نحول العليل قول أبي نواس الحسن بن هانيء :

ياقمرًا للنصفِ من شهره أبدى ضياءً لثمان بقين
ومن أحسن ما قيل في تهوين الحمى على المحموم قول محمد بن زياد الكاتب :
قالوا محمدُ المحمدُ مُوجعُ الشمسُ تكسفُ ساعةً وتعودُ
فلئن مُحمت فلا مُحمت فانها داؤُ الاسودِ وفي الرجالِ أسودُ
وهذا عندي أحسن من قول البحترى :

وما الكلبُ محمومًا وإن طال مُعمرهُ ألا إنما الحمى على الأسدِ الورد
على أنه معنى مولد وشيء تدعيه العامة ولا تعرف صحته . وقلت :
وقد سرّني اني رأيتك واطنًا على عقبي داؤ تراخي فأدبرا
وقد ظلّ يبغى رائد البرء موردًا لديك ويبغى فارط السقم مصدرا
ولا غرو أن يفشاك عارضُ علةٍ فاني رأيتُ الورد يفشى الغضنفر
ولو كنتَ نجمًا ما كسفتَ وإنما كسوفك ان أمسيتَ بدمرًا مُنورًا

ومن ذلك قول علي بن العباس النوبختي :

لئن تخطتُ اليك نائبةً حطتُ بقلبي ثقلاً من الألم
فالدهرُ لا بُدَّ محدثٌ طبعاً في صفحتي كلِّ صارمٍ خذم^(١)
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه . وقال أيضاً في رَجَلٍ اعتل :
طالَ فكري نمجباً لمصوغِ ذهباً كان يقبلُ الاقضاء
والحسامُ الهذاذ^(٢) يزدادُ حسناً كلما زادهُ الصقالُ جلاءً

والرغبة من هذين البيتين في معناهما وأما سبقهما ووصفهما فلا خير فيه والبيت
الثاني أصلح والبيت الأول متكلف جداً . وقال عبد الصمد بن المنذر^(٣) بذكر الحمى :
فطوراً ألقىها مُسخنةً وطوراً ألقىها فستره

(١) سيف خذم : أى قاطع . (٢) أى القطاع .

(٣) من شعراء الدولة العباسية بصرى المولد والمنشأ ، كان هجاءً شديد

العارضة ، أبوه وجدته وأخوه من الشعراء .

وقد أعقبت خلفي حيدةً وأورثني الفها ضجره
 فلامبسد ان غاظني لظمةً وللحر ان ساءني زجره
 ويربو الطحال إذا ما شبعت فتعلو السترائب والصدرة
 وأمسي كآني من معدني لبست ثيابي على ذكركه
 أسائل أهلي عن سحنتي وأمنحهم نظرةً نظره
 وأجزع إن قيل بي صفرةً وأشفق إن قيل بي حمره

ومن أجود ما قيل في الفصد قول ابن الرومي :

أيها البدر لم تزل في كمال الأمر بدراً وفي التمام هلالاً
 كيف كانت عيني اقتصادك كانت صحة استفادةً واندمالاً
 واعتدالاً بين المزاج كما أو تبت في الخلق والخلق اعتدالاً
 فعل الله ذلك أنك ما زلت لمرضى ما ارتضى فعلاً
 وفي الفصد شعر كثير ليس في أكثر ما مر بي مختاراً إلا ما أنشدته لعلي بن

عبد العزيز الجرجاني :

يا ليت عيني تحملت أمك وليت نفسي تقسمت سقمك
 أوليت كف الطيب إذ فصدت عرقك أجرى من ناظري دمك
 أعرتة حسن وجنتيك كما تعيره ان لثمت من لثمك
 طرفك أمضى من حد مبضعه فالخط به العرق واغتمم أمك

ومن ملبح ما قيل في الزكام ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن أبي ذكوان
 الجرمي قال دعا عيسى بن علي عبد الله بن المقفع إلى الغداء فقال : أعزك الله
 لست يومى هذا للكرام باكيل . قال ولم ؟ قال لأنى مزكوم والزكمة قبيحة
 الجوار مانعة من عشرة الاحرار . قال وكانت عجوز من بنى عجل تقول :
 حقر من يحقر الزكام . ولم يمر بي في الصداع شيء ملبح أثبتته لك غير أنى سمعت
 لبعضهم أياتاً في صفر العمامة حتى أشبهت عصابةً بعصب بها الصداع وهي هذه الايات :

وقدّمتْ إليّ وعداً بأنك مُلبسِي ثياباً اليهنّ المحاسنُ تُنسبُ
 فلا تكسني منهنّ إلا عمامةً بأمثالها الامثالُ في النقصِ تضربُ
 يقولُ أناسٌ لي إذا ما لبستها أراذك هذا من صداعِ مُعصبُ
 على أن رصفها ليس بمختار . ولبشار بيت حسنٍ فيه ذكر الصداع وهو قوله :
 حلّ من قلبه محلّ شرابٍ يشتهي شرّبهُ ويخشى صداعه
 وقد قارب الآخر :

لطيرني بالصداع نالتُ فوقَ منال الصداعِ مني
 وجدتُ فيه اتفاقَ سوءٍ صدعني مثل صدعني
 وقتت في المعنى الأول :

يقومُ بقامةِ كنواةٍ قسبٍ وينشر لحيّةً مثلَ الشراعِ
 عليه عمامةٌ قصرتْ ودقتْ فتحسبهُ تعصباً من صداعِ
 وقال بعضهم في الجدرى :

وجههُ للحسنِ معدنٌ فتأمّلْ وتبيّنْ
 نقطُ من جدرى كدباني معيّنْ

وأما النقرس فقد مرّ بي فيه آياتٌ جياذٌ أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن
 سوار بن أبي شراعة عن عبد الله بن محمد الدمشقي الكاتب عن محمد بن الفضل
 ابن اسماعيل بن علي بن عبد الله أن أبا الفضل ناله نقرس في رجله فدخل إليه أبوه
 اسماعيل يعودُه فقال له كيف أنت يا بني ؟ فقال :

أشكو إلى الله ما أصبتُ به من ألمٍ في أناملِ القدمِ
 كأنني لم أطأ بها كبدًا من حاسدٍ سرّاً قلبهُ ألمي
 والحمد لله لا شريكَ لهُ لحمي للأرضِ بدمها ودمي
 مامنٌ صحيحٌ إلا ستنقله إلا يامُ من صحّةٍ إلى سقمِ

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن المبرد وأبي العينا. قال كان أبو علي الحرّمازي

في ناحية عمرو بن مسعدة وكان يجري عليه فخرج عمرو الى الشام مع المأمون وتختلف
الحرمازي ببغداد لنقرس ناله فقال :

أقام بأرض الشام فاختل جاني ومطلبه بالشام غير قريب
ولاسيا من مفلس حلف نقرس أما نقرس في مفلس بعجيب
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا قال ذكر اعرابي رجلاً قد
أثرى فقال قد تنقرس ، وذلك لقول الناس إن النقرس يعرض لذوى النعمة
والترفه ، ومنه قول الاعرابي :

فصرتُ بعدَ الفقرِ والتأيسِ يخشى على القومِ داءَ النقرسِ
ويقال للرجل العالمِ نقرسٌ وللداهية نقرس قال المتلمس . يخشى عليك من الجباء النقرس
ومن مليح النوادر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن يموت بن المزرع قال
حضر الجواز عند أبي يوماً ودخل رجلٌ فقال له ما أخرجك عنا فقال أصابني خلفه
أما ترى وجهي فقال الجواز ما بين الاختلاف على وجهك . وقال انتبني في الحمى :

وزاثرني كأنَّ بها حياةٌ فليس تزورُ إلا في الظلام
جعلتُ لها المطارفَ والحشايا فعاقتها وبانت في عظامي
إذا ما فارقتني غسلتني كأننا عاكفانِ على حرام

وهذا البيت معيب لان الفصل غير مقصور على الحرام وحده بل هو من الحلال
والحرام جميعا فليس لتخصيص الحرام به وجه . وقلت في حمى نالتني :

وأخبر آتى رحمتُ في حلة الضنى ليالى عشراً ضامها الله من عشر
تنفضني الحمى ضحى وعشبةٌ كما تنفضت في الدجنِ قادمتي نسر
تندرتُ على الورس في وضح الضحى وتبدله بالزعفرانِ لدى العصر
إذا انصرفتُ جاء الصداق مشمرآ فأرني عليها في الأذية والشر
وتجملُ أعضائي عيوناً دوامعا تواصل بين السكب والسجم والهمر
فتحسبه طلاً على أفعوانة وعهدى به يحكى جباباً على خمر

ولما تمادت عذتُ منها بحمية كمن ترك الرضاء وانفل في الجمر
وما منهما إلا بلاءٌ وفتنةٌ وضرت على الأحرار يالك من ضر
من مرض لمرض الجفون : أنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني أبو عبيد الله
ابن عبد الله لنفسه :

تمارضت لما لم تسكن لك علةٌ وقلت شهيدى ما بطرفي من السقم
فلا تجعلن سقياً بطرفك علةٌ فقد كان ذلك السقم في صحة الجسم
وقال غيره :

أحبت من أجله من كان يشبهه وكل شيء من المعشوقِ معشوق
وقد جلبت بجسمي سقماً مقلته كأن جسمي من عينيه مسروق
وقال الأخطل : كيف بضني بعد ما كا ن الضني عوناً لعينه

وقال ابن الرومي وقد مرض فتخلف أخوانه عن عيادته :

عليكم لا يعادُ من علةٍ وضيغكم لا يسدُّ من خلةٍ
لا إن جفونكم دنا المماتُ ولا إن زرتم تُنسؤن في أجله
ما ضرَّ مجفونكم جفاؤكم بالامس في جسمه ولا أمه

وأنشدني أبو أحمد عن الصولي لمحمد بن محمد بن إبراهيم اليزيدي :

مالي مرضت فلم تعد ورغبتُ فيك فلم تجد

الحبُّ يذهبُ الأذى فاحذرْ عليه ولا تعد

وهذا شعر مطبوعٌ مختار ، والبيت الأخير مأخوذٌ من قول الأعرابي :

فإن رأيتُ الحبَّ في القلبِ والأذى إذا اجتمعما لم يلبث الحبُّ يذهبُ
وقلتُ : وقد طادني الإخوانُ من كلِّ جانب وما قصرُوا في العرفِ والفضلِ والبرِّ
فلم لم تسكنْ فيهم فيكمل حسنهم أياظالمأأخلى النجومَ من البدر
وإذ كنتُ لم تنهضْ إلي ولم تكد فلم لم تسلْ عني فتخبر عن أمري
ومالك لم تبعثْ إلي بأسطير تجمعها إحدى يمينك في ظهر

تضنُّ بتسليمِ وزرةٍ ساعةٍ فكيفُ برحى جودكُ كفيتك بالوفر
فإن كنتَ لا تبقى على الحال بيننا فهلا تخاف سوءَ بادرةِ الشعر
إذا لم تكونوا للحقوقِ فمن لها وأنتم كرامُ الناسِ في البدو والحضر
وأنتَ إذا أنجيتَ تفرى أديمها فما ذنب ذى جهلٍ فرى مثل ما تفرى
وما لعداةِ العلمِ تذكرُ عيهمُ وأنتَ على أمثالِ غايرهم تجرى
ومن الغريبِ البديعِ مدح الموت وهو قول ابن الرومي :

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأكثروا الموت ألفُ فضيلةٍ لا تعرفُ
فيها أمانٌ لقائه ببقائه وفراق كل معاشرٍ لا ينصفُ
ومن أحسن ما قيل في مكابدة النفس عند الموت قوله أيضاً :
بات الأميرُ وبات بدرُ صمائنا هذا يُودِّعنا وهذا يكسفُ
ولعل ذلك مأخوذٌ من قول الأوَّل :

ألم يبلغك والانباء تنمى وللدنيا بأهلها صروف
صريعٌ لم يُوسِّدهُ قريبٌ ولم يشركه في الشكوى أليفُ
يظللُّ كأنه قمرٌ مُنيرٌ يجول على محاسنه كسوفُ

ولهذا البيت رونقٌ عجيبٌ وطلاوةٌ حسنة . ومن عجيب ما جاء في وصف
المصيبة قول حذيفة بن اليمان : إن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا صغيراً ثم يكبر
إلا المصيبة فإنها خلقت كبيرة ثم تصغر . وهذا قول مصيب لا يُتارى به ومنه أخذ قوله :
وكما تبلى وجوهٌ في الشرى فكذا يبلى عليهنَّ الحزنُ

ولأعرف في التعزى عن المصيبة كلاماً أحسن تقسيماً من قول الأعرابي ومات له
ثلاثة بنين في يوم واحد فدفنهم وعاد إلى مجلسه فجعل يتحدث كأن لم يفقد واحداً
فلم على ذلك فقال : ليسوا في الموت بيدع^(١) ولا أنا في المصيبة بأوحد
ولا جدوى للجزع فسلام تلومونى . فهذه الثلاثة الأقسام لارابع لها .

(١) في الأصل « بيدع » .

وعزى رجل رجلاً وقد ولدت امرأته ابناً وماتت في نفاسها فقال أعظم الله أجرك
فيما أبادوا أجزل حظك فيما أفاد .

ولأنعرف أحداً أجاده هذا المعنى كما أجاده عبد الملك بن صالح الكاتب : أخبرنا
أبو أحمد عن الصولى قال قيل للرشيدي أن عبد الملك بن صالح يُعبد كلامه ويفكر فيه
فلذلك بانت بلاغته فأنكر ذلك الرشيدي وقال هو طبع فيه ثم أمسك حتى جاء يوماً ودخل
عبد الملك فقال للفضل بن الربيع إذا قرب من سريري فقل له وُلد لأُمير المؤمنين
في هذه الليلة ابنٌ ومات له ابنٌ فقال له الفضل ذلك فدنا عبد الملك فقال :
يا أمير المؤمنين سررك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سررك وجعلها واحدة بواحدة ثواب
الشاكرين وأجر الصابرين . فلما خرج قال الرشيدي أهذا الذى زعموا أنه يتصنع
للإسلام ما رأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة قط ^(١) . وعزى اعرابى
رجلاً فقال لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسبكها .

أحسن مقيل في مدفون قول ابن الرومى في بستان جارية أم على بنت الراس :

لله ما ضمنت حفيرتها من حُسنِ مرأى وطهر مُختبر
أضحت من الساكنى حفاثرهم سُكنى الغوالى مداهن السرر
لو علم القبر من أتيج له لا تخفض القبر غير محتفر
وهذا البيت مأخوذ من قول الأَوَّل :

لو علم القبر من يوارى ناه على كل من يليه

وقالوا أحسن مرثية للعرب ابتداء قول أوس بن حجر :

أيتها النفسُ أجلى جزعاً ان الذى تحذرين قد وقعا

وأحسن مرثية لمحدث ابتداء قول أبى تمام الطائى :

أصم بك الداعى ^(٢) وإن كان اسمها وأصبح معنى الجودِ بعدك باقعا

فقال فيها : فتى كان شرباً للامانة ومرئى فاصبح لاهندية البيض مرتعا

(١) تقدمت هذه القصة . (٢) فى ديوان أبى تمام « الناعى » .

إذا ساءَ يوماً في الكربة منظرًا نصلاهُ علماً ان سيحسنُ مسمعا
 فان ترم عن محمدٍ تدانى به المدى فخانك حتى لم يجدُ فيك منزعا
 فما كنت إلا السيف لاقى ضريبةً فقطعها ثم انثى فتقطعا
 وقالوا أرثى بيت قالته العرب قول متمم بن نويرة في أخيه مالك قتل
 في الردة قتله خالد بن الوليد : أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن
 أبي حاتم عن الأصمعي قال كان متمم بن نويرة قدم العراق فأقبل لا يرى قبراً
 إلا بكى عنده فقبل له يموت أخوك بالملأ وتبكي على قبره بالعراق ! فقال :
 لقد لآمني عند القبور على البكا رفيفي لتذراف الدموع السوافك
 هذا البيت غير مختار الرصف عندي وفي ألفاظه زيادة على معناه :
 أمن أجل قبر بالملأ أنت نائمٌ على كل قبر أو على كل هالك
 فقلت له ان الشجي يبعث الشجي فدعني فهذا كله قبر مالك
 يقول قد ملأ الأرض مصابه عظماً فكأنه مدفون بكل مسكان . وهذا
 أبلغ ما قيل في تعظيم الميت .

ومنه أخذ القائل قوله أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأبارى عن ثعلب عن
 الرياشي لرجل يرثي عمر بن عبد العزيز وهو عندي من أرثى ما قيل :
 لطف عليك للهفة من خائف كنت الحجير له وليس مجير
 عمت صنائعه فعم مصابه فالناس فيه كلهم مأجور
 فالناس ماتهم عليه واحد في كل واد رنة وزفير
 يثنى عليك لسان من لم نوله خيراً لأنك بالثناء جدير
 ردت صنائعه اليه حياته فكأنه من نشرها منشور
 والصحيح أن يقول «منشر» لأنه يقال انشر الله الموتى فنشروا هم .

وقالوا أرثى بيت قالته العرب قول المحدث :
 على قبره بين القبور مهابةً كما قبلها كانت على صاحب القبر

وقالوا بل قول الآخر :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه
فطيب تراب القبر دل على القبر
وقالوا أرثاه قول ابن منادير :

أنمي فتى الجود إلى الجود
مامل من أنمي بموجود
أنمي فتى مص الثرى بعده
بقية الماء من العود

وأخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى قال سمعت محمد بن يزيد يقول

لو سُئِلْتُ عن أحسن أبيات تعرف في المرثى لم أختَر على أبيات الخزيمي :

ألم ترفى أبني على الليث بنية
وأحشي عليه التراب لا تخشع
وأعدده ذخرًا لكل ميلة
وسهم المنايا بالذخائر مولع
وإني وإن أظهرت مني جلادة
وصانعت أعدائي عليه لوجع
ولو شئت أن أبكي دماً لبكيتُه
عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وقال أبو عمرو بن العلاء أرثي بيت قول عبدة :

فما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بُنيان قوم تهدما
وقال خلف الأحمر أرثي بيت :

الآن لما كنت أكمل من مشي
واقترت نأبك عن شباه القارح
وتسكملت فيك المروءة كلها
وأعنت ذلك بالفعال الصالح

وقال الأصمعي أرثي بيت للعرب :

ومن عجب أنبت مستشعر الثرى
وردن^(١) بما رودتني مُنتعنا
ولو أني أنصفتك الود لم أبت
خلافك حتى تنطوي في الثرى معا

ومن أحسن ما قيل في بقايا آثار الميت قول الحسين بن مطير^(٢) :

فتى عيش في معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

(١) لعله (وبت) . (٢) في الاصل (الحسن) وهو شاعر من مخضرمي الدولتين

الأموية والعباسية، مقدم في القصيد والرجز فصيح .

وفي هذه القصيدة :

أيا قبراً معنٍ كنت أول حفرةٍ من الأرض خطتُ للسماحة مضجعها
وياقبراً معنٍ كيف وارتيت شخصه ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا
فلما مضى معنٍ مضى الجودُ والندى وأصبح عرنينُ المسكارم أجدا
وأنا أقول إن هذه الأبيات أرثى ما قبل في الجاهلية والاسلام .

وقالوا أرثى بيت قيل قول مهلهل في كليب :

نبئتُ أن النارَ بعدك أوقدتُ واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ
وتكلموا في أمرٍ كلُّ عظيمه لو كنت شاهدهم إذا لم ينبسوا
وكان كليب إذا أوقد ناراً لم يوقد أحدٌ ناراً ولم ينزل ضيفٌ إلا عليه وإذا
جلس مجلساً لم يتكلم فيه أحدٌ إلا هو .

وقالوا أحسن ما قبل في المرأى قول متمم بن نويرة في أخيه مالك :

وكنا كندمانى جذيمة حقةً من الدهرِ حتى قبلَ لن تصدعا
فلما تفرقنا كآنى ومالكا أطولِ اجتماعٍ لم نبت ليلةً مما
وليس في الحديثين أحسن مرأى من أبى تمام فن ذلك قوله :

غدا غدوة والمجد ^(١) نسج ردايه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر ^(٢)
فأثبت في مستنقع الموتِ رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر
فتى مات بين الضرب والطعن ميتة تقوم مقام النصر إن فاته النصر
فتى سلبته الخيل وهو لها رحى وبرزته نارُ الحرب وهو لها جر
كان بنى نهان يوم وفاته نجوم سماءٍ خراً من بينها البدر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة غداة نوى إلا اشتبهت أنها قبر
وكيف احتمى للسحاب ^(٣) صنيعه بأسقائه قبراً وفي لحده البحر
ولولا كراهة الاطالة لاوردت القصيدة كلها إذ ليس فيها الا مختار .

(١) في ديوان أبى تمام «والحمد» . (٢) في الاصل (أجر) . (٣) في الديوان (للغيوث) .

وقوله ^(١) في ادريس بن بدر السامي :

أدريس ضاع المجدُ بعدك كله
وضلَّ بك المرئادُ من حيث يهتدى
وتبسَّطُ كفاً في الخطوب ^(٢) كأنما
ولم أنسَ سعى الجودِ حولَ سريره
وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً

وقوله في بنى حميد :

عهدى بهم تستنيرُ الأرضُ انزلوا
ويضحكُ الدهرُ منهم عن غطارفة
فيا الثمالة إعلانا بأسد وغي
وقوله أيضاً: إذا فقدَ المفقودُ من آل مالك
خليلاً من بعد الأسي والجوى قفا
الما فهذا مصرعُ البأس والندى
خلى من بعد الأسي والجوى قفا
الم تر يا الأيام كيف فجعننا
خطوبُ اليه من نداءه وبأسه
وقد كثرت على محاسنه في هذا الباب فما أدري ما أورد وما أترك. وقد أحسن القائل:

وسميته بجي ليحيا ولم يكن
تيممت فيه الفال حين رزقته

وأخذ أبو تمام قول الفرزدق في جارية له ماتت وفي بطنها غلام :

وجفن سلاح من معد رزقته : والبيت :

وفي جوف من دارم ذو حميظة لو أن الليالي أنسأته لياليا

(١) أي قول أبي تمام . (٢) في ديوان أبي تمام « في الحقوق » .

(٣) في الديوان (فأصبح يدعى) . (٤) في الديوان « وحسب البكا ان قلت » .

وكان وجه الكلام أن يقول « وفي جوفه ذو حفيظة من دارم » فقال أبو تمام
وزاد زيادةً أسقط بها بيت الفرزدق حتى صار لا قيمة له معها وهو قوله في ابنين
لعبد الله بن طاهر قد ماتا صغيرين في يوم واحد :

نجمان شاء الله أن لا يطلعا إلا ارتداد الطرف حتى يافلا
أن الفجيمة بالرّياض نواضراً لا أجل منها بالرياض ذوابلا
لو بنسيان لكان هذا غاربا للمكرّمات وكان هذا كاهلا
لهفى على تلك الشواهد فيهما لو أمهلت^(١) حتى تكون شمائلها
لغدا سكونهما حجا وصباحها حلماً وتلك الأرميحية نائلها
أن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيكون^(٢) بدرأ كاملا
ثم قال يوسيه :

أن ترز في طرفي نهار واحد رُزّمين هاجا لوعة وبلا بلا
فالتقل ليس مضاعفاً لمطية إلا إذا ما كان وهماً بلا بلا
ثم قال أيضاً :

شمخت^(٣) خلالك أن يؤسبك امرء أو أن تذكر^(٤) ناسياً أو غافلا
إلا مواظق قادهالك سمحة اسجاح لبك سامعاً أو قائلها
هل تكاف الأيدي بهزّ مُهنّد إلا إذا كان الحسام الفاصلا
وقالوا ليس للعرب مرتبة أجود من قصيدة كعب بن سعد التي برئ فيها أخاه
أبا المغوار ويقول فيها :

أتى دون حلو العيش حتى امرء مُنكوبٌ على آثارهنّ مُنكوب
هوت أمه ما يبعثُ الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يؤوب
حليم إذا ما الحلم زين أهله مع العلم في عين العدو مهيب

(١) في الأصل « قد أمهلت » . (٢) في ديوان أبي تمام « سيمود » .

(٣) في الأصل (سمحت) . (٤) في الأصل (أو كان يذكر) .

هوت أمه ماذا تضمن رحله
فتى أريحي كيف بهتز للندى
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه
فان تكن الأيام أحسن مرة
وحدتني انما الموت بالقرى
وقال فيها: وداع دعا نانا من يجيب الى الندى
فقلت ادع أخرى وارفض^(١) الصوت مسمعا
ومن عجيب المرأى قول الرقاشى فى البرامكة :

الآن استرحنا واستراحت ركابنا
فقل للمطايا قد أمنت من الشرى
وقل للمنايا قد ظفرت بجمعفر
وقل للمطايا بعد فضل تعطلى
ودونك سيفا برمكيا مهندا
ومن جيد المرأى قول الآخر :

سأبكيك للدينيا والدين انى
ربيع إذا ضن الغمام بمائه
وقد أحسن أبو الحسن بن الانبارى القول فى ابن بقية^(٢) حين صاب :
علو في الحياة وفى المات بحق أنت^(٣) احدى المعجزات
كان الناس بعدك حين قاموا وفود نذاك أيام الصلات
وهذا البيت مأخوذ من قول ابن المعتز فى عبد الله بن سليمان حين توفي :
وصلوا عليه خاشعين كأنهم قيام خضوع للسلام عليه

(١) المعروف «وارفع الصوت» . (٢) كان برا جوادا ، نعم عليه عز الدولة أمرا
فقبض عليه وسمل عينيه ، ولما ملك عضد الدولة صلبه (٣) وفى رواية (لحق تلك) .

كَأَنَّكَ قَاتِمٌ فِيهِمْ خَطِيْبًا وَكَلِمُهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاتِ
 مَدَدَتْ بِدَيْكَ نَحْوَهُمْ جَمِيعًا كَدَّ كَمَا يَبْهَمُ بِالْهَبَاتِ
 وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ يَضُمَّ عُعْلَاكَ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ
 أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَاسْتَنَابُوا^(١) عَنْ الْأَكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ
 فَلَمْ أَرَ قَبْلَ جَذْعِكَ قَطُّ جَذْعًا تَمَكَّنَ مِنْ عُنَاقِ الْمَكْرُمَاتِ
 وَمَنْ جَيِّدٌ مَا قِيلَ فِي عَظْمِ شَأْنِ الْمَيْتِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ:

هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ فِي نَعْسِهِ قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ تَزُولُ الْجِبَالُ
 وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ:

بَنِي مَالِكٍ قَدْ نَبِهْتَ خَامِلَ الثَّرَى قُبُورٌ لَكُمْ مُسْتَشْرِفَاتٌ^(٢) الْمَعَالِمِ
 رَوَاكِدَ قَيْدٍ^(٣) الْكُفِّ مِنْ مَتَنَاوِلٍ وَفِيهَا عُعْلَاً لَا يُرْتَقَى بِالسَّلَامِ
 وَقُلْتُ: سَأَلْتُ الْقَبْرَ كَيْفَ أَضْمَرْتَ قَدْسًا وَأَبَانًا وَبِذْبَلًا وَحِرَاءَ
 مِنْ رَأْيِ الْبَدْرِ بِالْتَرَابِ تَوَارَى أَوْعَى ذُرُوقِ النَّمُوشِ تَرَامِي
 وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ وَأَحْسَنُ:

تَعَالَوْا تَزُرُّ قَبْرَ السَّمَاخَةِ وَالرَّفْدِ وَلَا تَعْتَنِرُوا مِنْ دَمْعِ عَيْنٍ عَلَى خَدٍّ
 لَقَدْ عَشْتُمْ لَمْ يَمْلُقْ بِفِعْلِكَ ذِمَّةً وَمُتَّ عَلَى رَغْمِ الْحَامِدِ وَالْمَجْدِ
 وَقَالَ أَيْضًا:

أَلَسْتَ تَرَى مَوْتَ الْعَلِيِّ وَالْحَامِدِ وَكَيْفَ دَفَنَّا انْخَلَقَ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ
 وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ يُسْتَنُّ عَوَامِدًا وَيَحْسَنُ أَنْ أَحْسَنَ غَيْرَ عَوَامِدِ
 وَقَالَ دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُزَاعِيُّ:

حَنَطَتَهُ يَا نَصْرُ بِالْكَافُورِ وَرَفَعْتَهُ لِلْمَنْزِلِ الْمَهْجُورِ
 هَلَا يَبْعُضُ خِلَالَهُ حَنَطَتَهُ فَيَضُوعُ أَفْقَ مَنَازِلِ وَقُبُورِ

(١) فِي رِوَايَةٍ (وَاسْتَعَاضُوا). (٢) فِي الْأَصْلِ (وَذَا كَمْ مُشْرِفَاتٍ).

(٣) فِي الْأَصْلِ (رَوَاكِدَ قَيْسٍ).

وقلت: على الرغم من أنف المكارم والعلی
 ألم تر أن البأس أصبح بعده
 فإرا على قبر المسود وانظرا
 فان بك واره التراب فكبرا
 ولانسا ما نوحا عليه مكررا
 فما كان قيس هلكه هلك واحد
 ولانحسبا آى أواربه وحده
 غدت داره قفرا ومغناه بقما
 أشل وأن الجود أصبح أجدا
 الى المجد والعلیاء كيف نخشما
 على الجود والمعروف والفضل أربما
 ونوحا لفقد العارقات مرجا
 ولكنه بنیان قوم تضعما
 ولكنى واریته والندی معا

ومن بارع المرأى قول ديك الجن الحمصى :

مات حبيب فمات ليث
 غاض بحر وبانخ نجم
 سممت عيون الردى إليه
 وهى إلى المكرمات تسمو
 مأمك اجتاح المنايا
 كل فؤاد عليك أم

ومما جاء فى صفة القبر قول الشاعر :

ورسم دار مقفر الجناب
 يزداد عمراناً على الخراب

وقالوا أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
 له عن عدو فى ثياب صديق

وهو مأخوذ من قول جرير فى وصف النساء :

دعين الهوى ثم اربمين قلوبنا
 بأسهم أعداء وهن صديق

وقالوا بل أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول الأول :

محتوفها رصد وعيشها نكد
 وصفوها رتق وملكها دول

وقلت: ما بال نفسك لانهوى سلامتها
 فأنت فى عرض الدنيا ترغبتها

دار إذا أنت الآمال تمرها
 جاءت مقدمة الآجال نخر بها

أصبحت تطلب دنيا لست تدركها
 فكيف تدرك أخرى لست تطلبها

ومن جيد ما قيل فى الزهد قول ابن المعتز :

نسيرُ إلى الآجال في كل لحظة
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه
وقلت: ألسنت ترى موتَ العالمِ والفضائل
فما الدنيا أغفلتُ كلَّ ناقص
على الرِّغم من أنفِ الملا سبقَ الردى
على أن من أبقتهُ ليسَ بخالدٍ
رأيتُ الدنيا بينَ غادٍ ورائح
ولم أرَ كالدينا حبيباً مُضرةً
وقال ابن المعتز:

كم بدارِ الموتِ من ذى إربةٍ عجزتُ منهُ على الموتِ الخيلُ
وملوكٌ بليتُ أيديهم وتقدتُ مطاياً للقبيلُ
وقلت: فتعجبتُ كيفَ لا ينجذُ الموتُ وأنفاسنا خطانا إليه
وقرأتُ للجاحظ كلاماً مفقودَ النظيرِ معدومِ الشبيه لا أعرفُ لأحدٍ مثله
وهو: أيها المستدل على أمور الدنيا كفاك بها على نفسها دليلاً وبومها لك من
غدها تشبيهاً وتمثيلاً تالله لقد أطلعتك بمؤلفاتها على حدوث تأليفها وأثبتت لك
الصانع بآثار صنعته فيها ووقفتك على معرفة كمالها بما توافى فيك من أجزائها
ودلتك بتحليل المركبات فيها على انحلال تركيبها. ووقفتك بقطع الشمس والقمر
قطرها على إدارها وانقطاعها فكشف لك انتهاء حدودها عن تنهاى أمدها وأبان
لك دُؤوبُ أطراد نهارها وليلها وتتابع دوران بروجها ونجومها وتعاقب أزمنة
بردها وحرها واعتدالها وحركات نيرانها ورياحها ومياهها أنها مسوقة محشونة
إلى أمدها كما تحث براياها بالأوقات الجارية إلى آجالها. ثم قال وتحدث ما تخوفك به
طوارق أحداثها وتوطنك على إبطان جثمانها حدثاً من أحداثها لا تمسك منها
بعمرة إلا شهدت على أشكالها فأية نصيحة أصدق لك من نصيحته أو عظة أشقى

وأبلغ من عظمتها أو شهادة أصح وأعدل من شهادتها بالفناء ، ألم تر أجزائها مؤتلفة بالاجتماع مختلفة بالطباع يهلك بعضها بعضاً ويعود إرهابها نقضاً ، فيا ناسياً للصخر وتهدمه وللحديد وتثله واثقاً ببقاء لحمه ودمه ومساعفاً لشبقه وقرمه إذ كر أن جسديك وشيكا مفارقك وأنه وإن جدته مخلقتك وأنتك تطلقه في شهواته ويوثقك وتبقى عليه من التعب ويوبقك فقيم تشتغل به عن مصلحتك وعلام تتكل في عقبيك - إلى أن قال وتقوى على الزهد فيما يتنافسه الجهال بذكر الموت وفجأته وبعثاته ووضوح آياته وغموض ميقاته وأنخذال المحالة عن دفعه وبأس النفوس من منعه عند غوصه عليها في الابدان وتخليه لها من الأعظم والأعصاب والعروق واللحم والاهاب حتى يسوقها من الاغراض والأوصال سباق رهاق مضيق للخناق محقق للفراق مؤيس من التلاق عند إحساسه بموت جسده عضواً فعضواً وفقدان قوته جزءاً جزءاً وهي تمرح في الصدر حشرجة وفي الجوانح ررجرة وفي اللهوات غرغرة وفي الخلقوم خرخرة بالترزع الجاذب والعلن الكاذب والفواق الدائب والانفاس الذواهب فهناك تنفس الصعداء وتوقد البرحاء وفي سممه وبصره بقية يرمى بها أولاده يتامى ونساءه أيامى وأمواله نهى وجموعه شتى ووجوه الشامتين به مشرقة والدموع من أحبته مستبقة والجيوب عليه مشققة والشعور مقطعة والحدود باللطم مبقعة وذلك غير عائد عليه ولا عليهم بمنفعة في كلام طويل .

ومن جيد ما قيل في إفضاء السلامة بصاحبها الى الهلاك قول النمرين تولب :
تدارك ما قبل الشباب وبعده^١ حوادث أيام تمر^٢ وتفغل
يود الفتى طول السلامة والغنى فكيف ترى طول السلامة تعقل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ينوء^٣ إذا دام القيام ويحمل^٤
وقيل لرجل من الاوائل : ما كان سبب موت أخيك ؟ قال كونه فأحسن ماشاء .
وقال بعضهم في معناه :

ما بال^٥ من آفته بقاؤه^٦ نقص عيشي كله فناؤه^٧

وقال آخر في نحوه :

فإنَّ الداءَ أكثرَ ماتراًهُ من الأشياءِ نحلوا في الخلق
ومن جيد ما قيل في موت الولد قول ابن الرومي :

بكاؤك كما بشفي وإن كان لا يجدي فجوداً فقد أودى نظير كما عندي
توفي حمام الموت أوسط صبيتي فله كيف اختار واسطة العقد
طواه الردى غنى فأضحى مزاره بعيداً على قرب قريباً على البعد
عجبت لقلبي كيف لم ينفطر له ولو أنه أقسى من الحجر الصلد
وماسرني أن بعته بشوابه ولو أنه التخليد في جنة الخلد
ولا بعته طوطاً ولكن غصبته وليس على ظلم الحوادث من معدى

وأما موت الأخت فقد روينا فيه خبراً مليحاً أخبرنا به أبو طاهر محمد بن يوسف
قال أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن بكر قال حدثنا أيوب بن سليمان قال حدثني
يوسف قال حدثنا صهيب بن محمد قال حدثنا إسماعيل بن عمرو قال حدثنا إسماعيل
ابن عياش عن عبد الله بن دينار قال قدم نعمن من سفر فلقى غلاماً له فقال
له ما فعل أبي؟ قال مات قال ملكت أمري فما فعلت أمي؟ قال ماتت قال ذهب همي
قال فما فعلت أختي؟ قال ماتت قال سترت عورتني قال فما فعلت امرأتي؟ قال ماتت قال
جدد فراشي قال فما فعل أخي؟ قال مات قال: أوه انقطع ظهري انتهى .

وذكر قدامة بن جعفر أن أبا جعفر المنصور لما دفن ابنه جعفر الأصغر قال للربيع

كيف قال مطيع بن إياس فأنشده :

يا أهل بكوا لقلبي القريح وللدموع الذوارف السفج
راحوا يبجي ولو نطاوعني الأقدار لم تبسكروا ولم ترح
ياخير من يحسن البكاء له اليوم ومن كان أمس للمدح
قد شمت الحزن بالسرور وقد أدبيل مكروهه من الفرح

فبكى المنصور ثم قال : صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر ، ثم أذن للناس فدخلوا
ونصبت الموائد فلم يقدر أن يمد يده من الجزع الذي كان خامره فقام شبيب بن
شبية فأنشده قول الثقفى في ابنه على وكان شرطة عبيد الله بن العباس باليمن فقتله
بشر بن أرطاة فقال يرثيه :

لعمري لقد أودى ابنُ أرطاةَ فارساً بصنماءَ واليثةَ الهزبرَ أبى الأجر
تأملُ فإن كانَ البكا رَدَّ هالِكاً على أحدٍ فاجهدُ بكاك على عمرو
فسرِّ عنه وأكل مع الناس ورفع الحزن مع رفع الطعام .

ومن عجيب المراثى قول الأشجع :

مضى ابن سعيد حين لم يبقَ مشرقٌ ولا مغربٌ إلا له فيه مادحٌ
وما كنتُ أدري ما فواضلُ كفه على الناسِ حتى غيبتهُ الصفائحُ
فأصبحَ في لحدٍ من الأرضِ ميتاً وكانَ بهِ حياً تضيقُ الأباطحُ
سأبكيك ما فاضتْ دُموعى وإن تغضُ فحسبك منى ما تحنُّ الجوانحُ
كانَ لم يمضِ حتى سواك ولم تقمُ على أحدٍ إلا عايك النوائحُ
لئن حسنتُ فيك المراثى وقيلها لقد حسنتُ من قبلُ فيك المدائحُ
وما أنا من رزءٍ وإن جَلَّ جازعٌ ولا يسرورٍ بعد موتك فارحُ

وأنشدنا أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم قال أنشدنا العقدي قال أنشدنا
أبو جعفر عن المدائنى لعرفجة بن شريك يرثى أوساً :

رأيتُ المنايا نصطفى سرّواتنا كأنَّ المنايا تبغى من تفاخره
فما كانَ قيسٌ عاجزاً غير أنه حتى أنفه من أن يضيعَ مجاوره
وطابَ لوردِ الموتِ نفساً ولم يخمُ وقد ضاقَ بالنكسِ اللثيمُ مصادره
فصادفَ رق الموتِ حرّاً مميديعاً إذا مثلَ المعروفِ لانت مكالمره
حتى أنفه أوس ولم يثن وجهه ويفنى الحياء المرءَ والرمح شاجره
ومن ههنا أخذ أبو تمام قوله :

(٢٤ - ثانى المعانى)

وقد كان الموت سهلاً فرّده عليه الحفاظ المرث والخلق الوعر
وعزى ابن السماك الرشيد عن ابن له مات فقال : أما بعد فإن استطعت أن
يكون شركك لله حين أخذه أكثر من شركك لله حين وهبه فافعل فإنه حين قبضه
أحرز لك هبته ولو بقي لم تسلم من فتنته ، عجبا لجزعك على ذهابه وتلفك على
فراقه أرضيت الدار لنفسك فترضاها لولدك أما هو فقد خلس من السكر وبقيت
معلقاً بالخطر والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يحصى عدده ولا يبلغ أمده ، وصلواته على سيدنا ونبينا محمد
وآله الطاهرين المختارين وسلم .

(هذا كتاب المبالغة)

(في صفة أشياء مختلفة يختم بها كتاب ديوان المعاني وهو :)

(الباب الثاني عشر منه فأول ذلك)

(القول في الحنين إلى الأوطان)

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال قال أبو سرح معمر
أبو دُلف أنشد :

لا يمنعك خفض العيش في دعية تزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد أنت ساكنها أهلاً بأهل وجيراناً بجيران

فقال : هذا الأُم بيت قائمه العرب . قال أبو هلال رحمه الله : النزوع ههنا ردى . والجيد النزاع ، وإنما جعل أبو دلف هذا البيت الأُم بيت لأنه بدل على قلة رعاية وشدة قساوة وحنين الرجل إلى أوطانه منقبة من علامات الرشد لما فيه من الدلائل على كرم الطينه وتمام العقل . وقالت الحكماء : حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد . وقال بزرجمهر : من أمارات العاقل بره بأخوانه وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه . وقال أعرابي : لا تشك بلدًا فيه قبائلك ولا تجف أرضًا فيه قوايلك . وقالت العرب : أكرم الخليل أشدها خوفًا ^(١) من السوط وأكيس الصبيان أشدهم بفضالهم كتب وأكرم الصغايا أشدها حنينًا إلى أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهاتها وأكرم الناس آفهم للناس . وقد بين الله تعالى فضل الوطن وكلف النفوس به في قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ إِخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) فجعل خروجهم من ديارهم كفؤ قتلهم لأنفسهم ومنه قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) وقوله تعالى (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا) فجعل إخراجهم إياهم من ديارهم بدلًا من العذاب المستأصل لهم لشبهه به عندهم . وقال بعض الحكماء : الخروج من الوطن أحد السبابين والجللاء أحد القتلين . وقال يحيى بن أبي طالب :

إذا ارتحلت نحو اليامة رفقةً دعاني الهوى وارتاح قلبي إلى الذكر
يقولون إنَّ الهجر يشفى من الهوى وما زددت إلا ضعف ما بي على الهجر
وكان كثيرٌ من العرب ممن يعتزى إلى فضل كرم لا ينتجعون وكذلك
كانت قريش . وقال الحارث بن ظالم :

رفعت الرَّمح ^(٢) إذ قالوا قريشٌ وشبهت الشائل والقبابا ^(٣)

(١) سقط من الأصل « خوفًا » أو ما بمعناها . (٢) في الأغاني « السيف » .

(٣) في الأغاني « وبينت الشائل والعتابا »

ولو أنى أطاوعُ كنتُ فيهم وما سيرتُ أتبع السحابا
وقال الحويدرة (١).

وتقيمُ في دار الحفاظ بيوتنا زمناً ويظمنُ غيرنا للأمرع
والأمرع جمع لا واحد له من لفظه، وكانوا يسمون منزلهم دار الحفاظ لأنهم
كانوا يقيمون فيه لقرى الأضياف وإعطاء الفقير وصلة المسكين وابن السبيل.
وقال أبو تمام: كم منزل في الأرض بأفغهُ القتي وحينئذُ أبدأً لأول منزل
وقد قالت الهمد: حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك لأن غذاءك منها
وغذاءهما منك. وقال آخر: أرض الرجل ظنره وداره مهده. وقال آخر: الحنين إلى
الوطن من رقة القلب وورقة القلب من الرعاية والرعاية من الرحمة والرحمة من كرم
الفطرة وكرم الفطرة من طهارة الرشد وطهارة الرشد من كرم المحتد قال الشاعر:
لقربُ الدَّارِ في الاقتار خيرٌ من العيشِ الموسعِ في اغتراب
وقال جالينوس: يتروح العليل بنسيم أهله كما تقوت الحبة بيل المطر إذا
أصاب الأرض. وقال أفلاطن: غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها. وقال يداوى
كل عليل بمقاير أرضه فإن الطبيعة تتطلع إلى هوائها وتنزع إلى غذائها. وقلنا:
ليس الإنسان أقنع بشيء منه بوطنه لأنه يتبرم بكل شيء ردى ويتدمم من
كل شيء كربه إلا من وطنه وإن كان ردى. التربة كربه الغذاء ولولا حب الناس
للأوطان لخرب أخابث الأرض والبلدان، قال الشاعر:

ألا ليت شعري هل تحنُّ ناقتي بصحراء من نجران ذات ثرى جعد
وهل تنفضنَّ الريحُ أنفانَ لمتى على لاحقِ الأطلين مطمر ورد
وهل أردن الدهر حسى مزاحم وقد ضربتهُ نفحةٌ من صبا نجد
وذكر ابن الرومي العلة التي يحب الوطن لاجلها وليس له في ذلك امام إلا

(١) في الأصل «الحويدرة» بالخاء المعجمة وهو غلط، ويقال له الحادرة لقب غلب
عليه، والحويدرة تصغيره (والحادرة الضخم) واسمه قطبة الثعلبي وهو شاعر جاهلي مقل.

أحمد بن اسحق الموصلي فانه قال :

أحبُّ الأرضَ تسكنها سليبي
وما دهري يحب تراب أرض
وقال ابن الرومي :

ولي وطنٌ آليتُ أن لا أبيعهُ
عهدتُ به شرحَ الشبابِ ونعمتهُ
فقد أفتتهُ النفسُ حتى كأنهُ
وحببَ أوطانَ الرجالِ إليهم
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
وقد ضامني فيها اللثيمُ وغرقي
فان أخطأتني من يمينك نعمة
وقلت في نحو من ذلك :

ثوى في حفرة العانات يمن
وإن تهو البقاع فليس غرواً
وقال ابن الرومي :

فإذا تصوّر في الضمير وجدته
وقبل لاعرابي كيف تصنع بالبادية إذا اشتدَّ القيظ واتعمل كل شيء ظله ؟
فقال وهل العيش إلا ذاك يمشى أحداً نا ميلاً وبرفض عرقاً ثم بنصب عصاه ويلقى
عليها كسائه ويجلس بكتال الريح فكأنه في إيوان كسرى . وذكر أعرابي
بلده فقال رملته كنت جنين ركامها ورضيع غمامها . وقالت أعرابية : إذا كنت
في غير أهلك فلا تنس نصيبك من الذل . وقال الشاعر في معناه
• نصيبك من ذل إذا كنت خاليا • وقلت :

حسبتُ الخيرَ بكثراً في التناهي فكانَ الخيرُ أكثرَ في التنادي

ذَكَرْتُ مَقَامَنَا بِسِرَاةٍ حَزْوِيٍّ فَسَرْتُ مَعَ الْوَسَاوِسِ فِي عَنَانِ
 أَلَا اللَّهُ حَزْمٌ وَأَصْطَبَارٌ تَقَامَهُ بِنِيَاتِ الزَّمَانِ
 عَزِيزٌ أَضْمَرْتَهُ نَوَى شَطُونِ فَظَلَّ مِنَ الْمَهَانَةِ فِي ضِمَانِ
 يَنَاطُ إِلَى الْعَزِيزِ إِذَا تَبَوَّى بِمَنْزِلِ غَرْبِيَّةٍ طَرَفِ الْمَهْوَانِ
 وَقَالَ آخِرٌ : يَحْنُ اللَّيْبُ إِلَى وَطْنِهِ كَمَا يَحْنُ النَّجِيبُ إِلَى عَطْنِهِ . وَقَلْتُ :
 إِذَا أَنَا لَا (١) أَشْتَاقُ أَرْضَ عَشِيرَتِي فَلَيْسَ مَكَانِي فِي النَّهْيِ بِمَكِينِ
 مِنَ الْعَقْلِ أَنْ أَشْتَاقَ أَوَّلَ مَنْزِلِ غَنِيَتٌ بِخَفْضِ فِي ذُرَاهُ وَلَيْنِ
 وَرَوْضِ رِعَاهُ بِالْأَصَائِلِ نَاطِرِي وَغَصْنِ ثَمَاهُ بِالْفَسَادِ بِمِيقَانِي
 وَقَالَ ابْنُ الْمَوْلَى :

سُرِرْتُ بِجَمْفَرٍ وَالتَّقَرُّبِ مِنْهُ كَمَا سُرَّ السَّافِرُ بِالْأَيَابِ
 كَمْطُورٌ بِبِلَدَتِهِ فَأُضْحَى غَنِيًّا عَنْ مَطَالَعَةِ السَّحَابِ
 وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

فَكُنْتُ فِيهِمْ كَمْطُورٌ بِبِلَدَتِهِ فَسَرَّ أَنْ يَجْمَعَ الْوَطَانَ وَالْمَطْرَا
 وَفَضَّلَ بَعْضُهُمُ السَّفَرَ عَلَى الْمَقَامِ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (عَلِمَ أَنْ سَبَّكَونَ
 مِنْكُمْ مَرْفُوعِي وَآخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَفِسُونَ مِنْ فَضْلِ
 اللَّهِ وَآخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قَالَ فَكَسَمَ الْحَاجَاتِ فَجَعَلَ أَكْثَرَهَا
 فِي الْبُعْدِ ، وَقَالَ تَعَالَى (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
 وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) قَالَ فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ مَخْرَجَ الْعَمُومِ وَلَمْ يَخْصِ أَرْضًا
 دُونَ أَرْضٍ وَلَا قَرِيبًا دُونَ بَعْدٍ ، وَبُنِشْدَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مَخْلُوقٌ لِدِيَابِجَتِهِ فَغَسْتَرَبُ تَتَجَدَّدِ
 فَانِي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ

وَقَالَ (٢) فِي الْحَثِّ عَلَى الْأَسْفَارِ وَالطَّلَبِ وَالتَّرْهِيدِ فِي الْمَقَامِ وَالدَّعَةِ : الرَّاحَةُ

(١) فِي الْأَصْلِ « لَمْ » وَيُصَحَّ « لَمْ أَشْتَقْ لِأَرْضٍ » . (٢) كَذَا .

عقلةٌ والبركاتُ في الحركاتِ ومن غلى دماغه في الصيف غلتِ قدره في الشتاء .

وقال عبد الله بن وهب : حبُّ الهويناء يكسب الضنى ، وقال أبو المعافى :

وإنَّ التواني أنكحَ المعجزَ بنته وساقَ إليها حينَ أنكحها مهرا

فراشاً وطيباً ثمَّ قال لها انكى فقُصراً كالأبدِّ أن تلد الفقرا

وقال نُهيك بن أساف :

أمُّ نُهيكِ إرفعى الطرفَ صادقاً^(١) ولا تيامى أن يثرى الدهر بانس

سيغنيك سعي^(٢) في البلادِ وغربى^(٣) وبعلى النى لم تحظَ في البيتِ^(٤) جالس

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دُرَيْد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال أكرم بن

صيفى : ما بودنى أنى مكفى وأنى أسمنت وأينت ، قيل ولم ذاك قال مخافة عادة المعجز .

وفي الحديث المرفوع « سافروا تغنموا^(٥) » وقال الشاعر وذمَّ طول الضجعة :

فانَّ تآتياى بالشتاء وتلمسا مكان فراشى فهو بالليل بارد

وقال آخر : أبيض بسام برود مضمجه واللقمة الفرد مراراً تُشبعه

وقال الخطيبه بهجو القعود والراحة :

دع المسكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكامى

وقال أبو عبادة البحتري :

وقد سألتُ فما أعطيتُ مرغبةً وكان حقى أن أعطى ولم أسل

أرمى بظنى ولا أعدو^(٦) الخطاء به فاعجب لاخطاء رام من بنى نعل

أسيرُ إذ كنت في طولِ المقام بها أ كدى لعلى أجدى عند مرئحلى

شرق وغرب فعهد العاهدين بما طالبت في ذملان الأبنق الذمل

(١) في الأغاني (صاعدا) . (٢) في الأغاني (سيرى) . (٣) في الأغاني

(ومطلبي) . (٤) في الأغاني (فى الحى) . (٥) روى هذا الحديث بألفاظ

مختلفة وزيادات لأحمد والطبرانى والحاكم وغيرهم .

(٦) فى ديوان البحتري « فما أعدو » .

ولا تقل أمم شئ ولا فرق (١) فالأرض من تربة والناس من رجل

وقال بشار بن برد :

تخاف المنايا إذ ترحل صاحبي كأن المنايا في المقام يناسيه
أخذه من قول الأعشى : ◦ وكم من رد أهله لم يرم ◦ والأول أجود سبكا
وأفصح لفظاً . وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهرى عن أبي زيد قال قال أبو الحسن
كان خالد بن عبد الله القسرى يطعم الأعراب في حطمة أصابتهم في كل يوم
يطعم ثلاثين ألف انسان خبزاً وسويقاً وتمراً فقبل لأعرابي لو أتيت خالداً فإنه
يطعم الأعراب فقال :

يقول ابن حجاج نجهز ولا نمت مهرانا بمران تعاوى كلابها
فقد خبر الركب أن جدیده تباح ورغفانا شباعاً رغابها
وماء فرات ما شتهيت وقرية تدب ديب النمل فيك شرابها
فأقسم لا أتباع روغان خالد بأرواح نجد ما أقام تراها
إذا باحت بالمرمتين وصارة رياح الخزامى حين تندى رحابها

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا الفضل بن محمد
العلاف قال لما قدم بغايين نمر كنت كثيراً ما آتيهم فلا أعدم أن ألقى منهم
الفصيح فجئت يوماً إليهم في عقب مطر فاذا شاب جميل قد نهكه المرض فليس
به حراك وإذا هو ينشد :

ألا ياسنى برق على قللى الحمى ليهنك من برق على كريم
لمت اقتداء الطرف والقوم هجج فهبجت أسقاماً وأنت سقيم
فهل من معير طرف عين خلية فانسان طرف العامرى كليم
رمى قلبه البرق اليماني رمية بذكر الحمى وهناً فبات بهم
قال فقلت ان فيما بك لسفلاً عن الشعر قال صدقت ولكن البرق أنظفنى .

(١) في الأصل (شقق) .

وقال عبد الله بن محمد الفقعسي :

ألا ليت شعري هل أيتن ليلة
وهل أحدٌ باد لنا وكأنه
يحول^(١) السراب الطلح بيني وبينه
فاني لأرعى النجم حتى كأني
وأشتاق للبرق اليماني إذا بدا
وله أيضاً :

ومن حاجتي لولا الحياءُ وأنني
مسيري مع الغنيان في طلق الهوى
فلم يبقَ من تلك^(٢) اللذازة عندهم
وقال أعرابي :

أُغترباً أصبحت في رآم مهر ممز
إذ أراح كعب مصعداً ان قلبه
وان الكئيب الفرد من أيمن الحمى
تفوقت ذرات الصبا في ظلاله
إذا هبَّ علوى الرِّياح استمالني
ومما يجري مع ذلك قول الآخر :

إذا عقدَ القضاء عليك أمراً
فمالك قد أقيمتَ بدار ذلِّ
تبلغ بالكفاف فكلُّ شيءٍ
وقال امرؤ القيس :

وقد طوّفت في الآفاق حتى
رضيت من السلامة بالاياب

(١) في الأصل (يحب) . (٢) في الأصل «ذاك» .

وقال البحرى :

وكان رجائى أن أؤوب مملّكاً فصارَ رجائى أن أؤوب سلباً

(فصل فى مدح الاخوان)

من أحسن التشبيه فى مدح الأخ ما^(١) أنشدنى أبو على بن أبى حفص عن جعفر بن محمد :

أخ لي كأيام الحياة أخاؤه تلون ألواناً على خطوبها
إذا عبتُ منه خلةً فهجرته دعنى إليه خلةً لأعيبها

وقال البحرى :

قدمت فأقدمت الندى بحمل الرضا إلى كل غضبان على الدهر عاتب
وجئت كما جاء السحاب^(٢) محرراً بديك بأخلاف تفى بالسحاب
فعدت بك الأيام وهى كواكب^(٣) جلا الدهر منها عن حدود الكواعب
وما أنسَ لأنسَ اجتذابك همتى إليك وترينى بأعلى^(٤) المراتب
فياخير مصحوب إذا أنا لم أقم بشرك فاعلم أننى شرُّ صاحب

وكتب بعضهم : لست أذم من أيامنا إلا قصرها وطول الحسرة على أثرها .
وقريب من المعنى الأول قول الآخر :

خليل إذا ماجت أبعيه حاجةً رجعت بما أبنى ووجهى بمائه
بلوت رجالاً بعده فى إخوانهم فما ازددت إلا رغبة فى إخوانه

وقال دعبل بن على :

أخ لي عاداه الزمان فأصبحت مذممة فيما لديه المطالب
متى متذوقه التجارب صاحباً من الناس رده اليك التجارب
وقال إبراهيم بن العباس :

(١) «ما» ساقطة من الأصل . (٢) فى ديوان البحرى (الربيع) .

(٣) فى الديوان «الايام زهراً كأنها» . (٤) فى الديوان (وترينى أخص المراتب) .

ومؤمل للنائبات إذا هب الزمان باذره هباً

لما رأى نهب حادثة جعل الذخائر دونها نهباً

وقال أيضاً :

ولكن الجوادَ أبا هشام وفي العهد مأمونُ المغيب

بطيء العهد ما استغثت عنه وطلاءُ عليك مع الخطوب

والبيتُ الأخيرُ يشيرُ إلى قول جرير * وإني لعف الفقر مشترك الغنى *

ونحوه قول إبراهيم أيضاً :

أسدٌ ضار إذا هيجته وأبٌ برٌّ إذا ماقلرا

يعرفُ الأبعدُ إن أترى ولا يعرفُ الأذنى إذا ما افتقرا

وقال أيضاً :

ولكنَّ عبدَ الله لما حوى الغنى وصارَ له من بين أخوانه مالٌ

رأى خلةً منهم تُسدُّ بماله فسامهم حتى استوت بهم الحال

ونحوه قوله أيضاً :

بدا حينَ أترى بأخوانه ففلل عنهم شبيه العدم

وذكره الحزمُ غيباً الأمور فبادرَ قبلَ انتقالِ النعم

ومما هو في هذا السبيل ما كتب بعضهم : ماشخصتُ حتى شخص عقلي فصار

عديلك واستقل ودي فأضحى زميلك ولا مطمع لي في مستقرهما حتى تستقر

النوى بك وتحقق الأمانى فيك ولك . وقال أبو تمام :

ليالي نحنُ في غفلاتِ عيش^(١) كأنَّ الدهرَ منها في وثاقٍ

وأياماً لنا وله^(٢) لدانا عريناً^(٣) في حواشيها الرقاقِ

وفي هذا الموضع أيضاً قوله :

(١) في ديوان أبي تمام «سنبكى بعمده غفلات عيش» . (٢) في الأصل «ولهم» .

(٣) في الأصل «عربيا»

أيا منّا ما كنتِ إلا مواهباً وكنتِ باسمعافِ الحبيبِ حبايباً
سفرّبُ تجديداً مهدك في البكا فما كنتِ في الأيامِ إلا غرايباً

وقلت في فضل الصديق على القريب :

رأيتُ بالودِّ عن القربى غنى وليسَ بالقربى عن الودِّ غنى
وصاحب الودِّ^(١) حسامٌ منتضى يزينُ في السلمِ ويكفي في الوغى

وقلت أيضاً في قوله :

ليسَ حدُّ الحسامِ أكفى وأغنى من أخ ذى كفايةٍ وغناءٍ
وأخُ المرءِ عصمةٌ في بلاءٍ يمتريه وزينةٌ في الرخاءِ

وقال شبيب بن البرصاء :

إذا المرءُ أغراه الصديقُ بدالهُ بأرض الأعداءِ بعض ألوانها الربدِ

ومن أجود ما قيل في الاغضاء عن الأخ قول النابغة :

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمهُ على شعثِ أي الرجالِ المهذبُ

وقال بشار بن برد :

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ معاتباً صديقك لم تلقَ الذى لاتعاتبه
فمض واحداً أو وصل أخاك فإنه مُقارِفُ ذنبِ مرّةٍ ومجانبه
إذا أنت لم تشربْ مراراً على القذى ظمئتَ وأى الناسِ تصفو مشاربه
وقال آخر : إلبس أخاك على تصبُّعه فلبَّ مُفتضح على النص

ما ظلتُ أغص عن أخى ثقةً إلا ذممتُ عواقبَ الفحص

وقال آخر :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرءُ نبلاً أن تُعدَّ معاتبه
وكتب صاحب في فصل : وتمثلت لى أخلاقك التى لولاها لم يسلس المساء
ولم يرق الهواءُ ولم ترع الحقوقُ والذمم ولم يعرف المجد والكرم أخلاقٌ جددٌ غير

(١) فى نسخة « الصديق » .

أخلاق لا تأخذ الأيام جدتها ولا تشهج الليالي بردتها .

ومن جيد ما قيل في اظهار الرغبة في الاخوان قول أبي فراس بن حمدان :

قل لآخواننا الجفأة رويداً إذ رجونا إلى احتمال الملل
ان ذاك الصدود من غير جرم لم يدع في موضعاً للوصال
أحسنوا في وصالكم أو فسيثوا لا عدمناكم على كل حال

وقلت في معناه :

كم قد منحتك حسناً وليس منك جزاءً
ترى يضرُّك أن لو يكون منك وفاءً
لا تبلننا بصدود إن الصدودَ بلاءُ
بل مالنا منك بُدً فاصنع بنا ما تشاءُ

وأشدنا أبو أحمد :

اذكر أخانا تولى الله صحبته إني وإن كنتُ لألقاهُ ألقاهُ
الله يعلمُ أني لستُ أذكره وكيف يذكركه من ليس ينساه

وقال الخريبي :

أخ لي كذوب الشهيد طعمُ إخوانه إذا اختلفت بيضُ الليالي وسودها
كأمنية الملهوفِ حزمًا ونائلاً وعوناً على عمياءِ أمرٍ بكيدها
له نعمٌ عندي ضعفتُ بشكرها على أنه في كلِّ يوم يزبدُها
تحملَ عنى شكرها فأراخي وللشكر مرقاةٌ كزودُ صعودها

وأشدنا أبو أحمد قال أنشدني أبو إسحق الشطبي قال أنشدنا حماد الراوية^(١) :

(١) هو حماد بن سabor بن المبارك ، كان طالماً بأيام العرب وأخبارها وأنسابها وأشعارها ولغاتها . ولد في الكوفة وجال في البادية ودخل الشام فحظي عند بني أمية ، قال له الوليد الأموي : بم استحققت لقب الراوية ؟ قال باني أروى لكل شاعر نعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم لا ينشدني أحد شعراً قديماً أو محدثاً إلا

تصفحتُ إخواني بعينِ عنايةٍ فأصلحتُ منها كلَّ ما أفسدَ الدهرُ
وأرضاك عفو الشكر دونَ اجتهادهِ وفي دونِ ما أوليتَ ما اجتهدَ الشكرُ
ومن مليح ما قيل في مدح الزمان :

رَقَّ الزَّمانُ لفاقتي ورثي لطولِ تحرُّثي
فأنالني ما أشتهي وأراحَ مما أتني
فلا غفرنَّ له الكثيرُ من الذنوبِ السَّبِقِ
حتى جنابتهُ بما فعلَ المشيبُ بمفرقي

(في ذم الاخوان والرفقاء وما يجري مع ذلك)

من قديم ما يروى في ذلك قول لبيد بن ربيعة :
ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيت في خلفِ كجلدِ الأجر
وضمنه جحظة البرمكي فقال :
قومٌ أحاولُ نيلهمُ فكأنني حاولتُ تنفَ الشعرِ من آناهمُ
قمُ فاسقنيها بالكبيرِ وغنني ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهمُ
وأشدنا أبو القاسم عن المُتقدي عن أبي جعفر لأبي الشيبس :
وصاحب كان لي وكنتُ له أشفقُ من والدِ علي وولدِ
كنا كساقِ يمشي بها قدمُ أو كذراعِ نيطتُ إلى عضدِ
حتى إذا دانت الحوادثُ من خطوى وحلَّ الزمانُ من عقدي

ميزت القديم من المحدث ، قال فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثير ولكنني
أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات
من شعر الجاهلية دون الاسلام ، قال سأمتحنك في هذا ، فأنشد حتى ضجر الوليد
فوكل به من يثق بصدقه فأنشده ألفين وتسماية قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد
بذلك فأمر له بمائة ألف درهم - كما في الاغانى وغيره .

أحول غنى وكان ينظر من
وكان لي مؤنساً وكنت له
حتى إذا استرقدت يدي يده

ومن جيد ما قيل في ذى الوجهين :

تعاشرتني ضحكاً كأنك ناصح
لسانك لي شهيدٌ وقلبك علقم
أراك إذا لم أهو شيئاً هويته
عدوك يخشى صوتي إن لقيته
وكم موطن لولاي طحت كما هوى
كأنك إن قيل ابن عمك غانم
بدا منك غش طالما قد كتتمته

وقريب من ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال أخبرنا أبو
ذكوان عن الرياشي قال سمعت أبا عبيدة يقول دخل رجل الكوفة فترز باآل
عطارد فلم يضيفوه ورأى لهم أبنية عالية فقال ارتجالاً :

تناهوا برفع الدور حتى كأنها
فليسوا بفتيان الساحة والندى
فقد أصبحت أضياف آل عطارد
خاصاً مطاياها خفافاً عباها

ومن ذلك قول الشاعر :

لعمري لقد أعطيت برداً وحلة
وما يك من خير فما تستطيعه
وعراك من توب الساحة سالبه
وما يك من شرٍ فانك صاحبه

وقال يزيد المهلبی :

فاذا غنيت فكلهم لي خاتل
واذا افتقرت فكلهم لي جاني

وما أ كثر أحد في ذم الزمان أكثر إبراهيم بن العباس فمن جيد قوله :

كم أخ كان مني فلما أن رأى الدهر جفاني جفاني
 مستعد لي بسهم فلما أن رأى الدهر رماني رماني
 وقال غيره: إحدَرَ مودَّةَ ماذقِ شاب المرارة بالحلاوة
 يمحصى العيوب عليك إيسام الصداقة للعداوة
 وقال إبراهيم:

بلوت الزمان وأهل الزمان وكل بلوم وذم حقيق
 فأوحشني من صديقي الزمان وآسنى بالعدو الصديق
 وقوله: أخ كنت أوى منه عند أدكاره إلى ظل آباء من العز باذخ
 سعت نوب الأيام بيني وبينه فأقلعن مناعن ظلوم وصارخ
 وإني وإعدادي لدهري محمداً كلتمس إطفاء نار بنافخ
 وقال بعض الجعفرين:

إنَّ الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن أفسد الناس
 فلا يفرنك أضغان مزملة قد يركب الدبر الدامي باحلاس
 قالوا هو من قول زفر بن الحارث:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كماهيا
 قالوا يعني الرجل يظهر لك الود ويضمخ خلافه كالنبات الحسن ينبت على
 القدر فيصير رائق الظاهر خبيث الباطن ، وقال آخرون: الدمنة حيث تنزل
 الأبل فتدمن بالأبوال والأبعار فلا تنبت شيئاً فإذا طال عليه العهد وسفته الرياح
 وأصابته السماء نبت بعد حين ، فيقول قد ينبت ذلك وهو مما لا ينبت ويتغير
 بالنبات وتبقى حزازات القلوب لا تتغير ، وهذا التفسير هو الصحيح لأن أفاظ
 البيت تقتضيه الأول فاسد لأنه ليس على مقتضاها .

وقال أبو فراس بن حمدان في ذم الاخوان فأجاد:
 تناساني الأصحاب إلا عصبية ستلحق بالأخرى غداً وتحول

فمن قبلُ كُنَّ الغدرُ في الناس سبباً
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه (١)
ومن ذا الذي يبقَى (٢) على الدهر إيتهم
وصرنا نَرَى أنَّ المَـتـارَـكَ محسنٌ
أقلبُ طرفي لا أرى غير صاحبِ
وقلت: إلى كم تستمرُّ على الجفاء
فمن لي أن أرى لك مثلَ فعلى
ألا إني لأعرفُ كلَّ شيءٍ
عريتَ من الوفاءِ وليس بدعاً
فان ترجع إلى الحسنى وإلا
وإن كُنَّ التقاربُ ليس مُجيدى
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدني ابن لُنكك البصرى لنفسه يذم الزمان:

يا زماناً أليسَ الاحـرارَ ذلاً ومهانَةً

لستَ عندي بزمانٍ إنما أنتَ زُمانَةٌ

وقلت: زمانٌ كُتوبِ الغولِ فيه تَلوَنٌ
وقال آخر في خلاف ذلك:

أرى حُلالاً تصانُ على رجالٍ وأعراضاً نهانُ فلا تصانُ

يقولونَ الزَّمانَ به فسادٌ وهم فسدوا وما فسَدَ الزَّمانُ

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد:

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته فكبَّ الأُطالُ بارتفاعِ الأَسافلِ

وقال أبو السمر موسى بن سحيم:

متى ما تفكر في الزَّمانِ وأهلِهِ
تقل لآعبٌ هَذَا وليسَ بلاعبِ

(١) في ديوان أبي فراس « خليله ». (٢) في الديوان « وإن الذي يبقَى ».

وأنشدنا الآخر أيضاً :

تبدل هذا الدهر فيمار جوته على انه فيما أحاذره نذب
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة لمحمد بن يعقوب بن داود :

لا تعجبنيك عمامتي فالقمر من تحت العمامة
والقمر في زمن اللثام لكل ذي كرم علامه

وقلت في قريب منه :

وليس ينفك كشحان بجاذبنا علامة الحر أن يبلى بكشحان
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه :

رب قد ضاقت النفوس من وقد قلت الحيل
فلك لا يدور إلا بما تشهى السفلى

وقال أبو تمام :

على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب
ومن عادة الأيام أن صروفها إذا سر منها جانب ساء جانب
وقال قابوس بن شمكير :

قل للذي بصروف الدهر غيرنا هل عاند الدهر إلا من له خطر
فإن تكن نشبت أيدى الزمان بنا ومسننا من تمادى يؤسه ضرر
ففي السماء نجوم غير ذي عدد^(١) وليس يكسف إلا الشمس والقمر
أما ترى البحر يعلو فوقه جيف وتستقر بأقصى قمره الدرر
وقريب من هذا ما قلته :

إن كنت تسلم من شغب الزمان ولا أعطى السلامة منه كلما شغبا
فالعاصفات إذا مررت على شجر حطمنه وتركن البقل والعشبا
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه في المعنى الأول :

(١) وفي رواية « لاعداد لها » .

يقولون زُرنا واقضِ واجبَ حقنا وقد أسقطتُ حالي حقوقهمُ عني
إذا أبصروا حالي ولم يأنفوا لها ولا لهم منها أنفتُ لهم مني
وأنشدنا أبو عبي بن أبي حفص قال أنشدني أبو جعفر للمطوي (١) :

لي خمسونَ صديقاً بين قاضٍ وأمير
لبسوا الوفرَ فلم أخلع بهم ثوبَ الفقير
كلهمُ كلَّ لي الحرَّ مانَ بالصاع الكبير
ومن ههنا أخذ ابن الرومي قوله :

سألتُ قفيزين من حنطة فجدتَ بكُبرٍ من المنع وافي
وقد تقدم . وقلت :

أليس صعباً أن ترى كاشحاً مالكُ يدٌ من مداراته
أصبحت في دار إسائه أعداد أنفاسي وساعاته
وأنشدني عم أبي لأبي الأسد الدينوري (٢) :

ليتك أدبتي بواحدة تقنعني منك آخرَ الأبد
تحلفُ لي لاتبرئني (٣) أبداً فإن فيها برداً على كبدي
اشف فؤادي مني فإن به على قرحاً (٤) نكاته بيدي
ان كانَ رزقي اليك فارم به في ناظري حية على رصدي
فكيفَ أخطأت لأصبت ولا تهضت من عشرة الى سدد

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بصرى المولد والمنشأ ، كان كاتباً شاعراً في الدولة العباسية ، له فن من الشعر لم يسبق اليه ذهب فيه الى مذهب أهل الكلام ففارق جميع نظرائه وخف شعره وروى واستعمله الكتاب وجملوه إماماً .

(٢) شاعر مطبوع من بني شيبان متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية كان مداحاً هجاءً مليح النواذر . (٣) في الأغاني « تحلف أن لاتبرئني » .

(٤) في الأغاني (منى جرحاً نكاته) .

لو كنتُ حُرّاً كما زعمتُ وقد
لكنني عُدتُ ثم عُدتُ فان
قد صرتُ من سوءِ ما بليتُ به
وقلتُ: العينُ تذرِفُ والفؤادُ يذوبُ
ولقمةُ الكرماءِ أنتُ مُضَيِّعٌ
تاللهُ لم تخطئكُ أسبابُ الغنى
فاصبرِ فقد عزّاك عن دركِ الغنى
طابوا قطوبِي ان تعذَرَ مطلي
وشحوبِ جسمِي من مواصلةِ السرى
واقعدِ بَدَلُكُ على كمالِ كرامتي
وتقدِ جِلا حزنِي وفرجِ كربتي
لاتعلمينَّ فنَّ ورائكُ طالبٌ
وقال أبو تمام :

هبّ من له شيءٌ يُريدُ حجابَهُ
مازالَ وسواسي لقلبي خادماً
ما ان سمعتُ ولا أراي سامعاً
ما كنتُ أدري لادريتُ بأنه

ما بال لاشيءٍ عليه حجابُ
حتى رجا مطراً وليس سحاب
يوماً بصحراءٍ عابها باب
يجري بأفنية البيوتِ سراب

(فصل فيما قيل في فضل الوعد ومدح الانجاز)

أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال حدثنا ابن زكريا عن ابن دينار قال
حدثنا محمد بن عبيد الله العتيبي قال كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد بن برمك
في حاجة لرجل فقال عده عنى قضاءها فقال وما يدعوك أعزك الله إلى العدة مع وجود
القدرة؟ فقال له يحيى هذا قول من لم يعرف موضع الصنائع من القلوب إن الحاجة إذا

لم يتقدمها موعد ينتظر به نجاحها لم تتجاذب الأنفوس بسرورها ولم تتلذذ بتناولها وإن الوعد تطعمم والإنجاز طعام . وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته وتمطق له وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تحتم بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل وحلاوة ذوق .

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبى قال أخبرنا البحترى عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال سألت الفضل بن سهل حاجة فقال أسوفك اليوم بالوعد وأحبوك غداً بالإنجاز فاني سمعت يحيى بن خالد يقول المواعيد شبك الكرام بصطادون بها محامد الاخوان وإن كان المعطي لا يمد لارتفعت مفاخر إنجاز المواعيد وبطل فضل صدق القول . وقال عيسى بن ماهان جلسائه انى أحب أن أهب بلا وعد وأحب أن أعد لا أخرج بالإنجاز من جملة الخلفين وأدخل في عداد الوافين ويؤثر عنى كرم المنجزين فإن من سبق فعله وعده وصف بكرم فرد وسقط عنه جميع ما ذكر . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أخبرني عون بن محمد قال ذكر العتابي المأمون فقال إنه ألقح معروفه عندى بالوعد وتبجه بالنجح وأرضه بالزيادة وشيبهه بالتههد وهرمه باستتمامه من جهاته وهناك بترك الامتنان به . ومن عجيب ما جاء في الحث على الإنجاز ما حدثنى به أبو أحمد عن الصولى عن يموت بن المزرع قال حدثنا عبد الصمد بن المذل قال شكرا رجل جمع بين يحيى الى أبيه بأنه وعده ومطله به . فوقع : يا بنى أنتم معاقل الاحرار ومظان المطالب ومعادن الشكوى فكونوا سواء في الأقوال والأفعال فإن الحر يدخر وعد الحر ويعتقده وينفقه قبل ملكته فإن أخفق أمله كان سبباً لذمه واتهامه وسوء ظنه حتى يوارى قبح ذلك وحسن تقيته فأنجذ الوعد وإلا قصر القول فانه أعذر والسلام . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن بونس عن الحميدى عن سفيان قال سمعت الزهرى يقول : حقيق على من أزره بالوعد أن يشمر بالفعل . ومن جيد ما مدح به المنجز قول أبى تمام :

نومٌ أبا الحسين وكان قدما فتي أعمارٌ موعده قصار
 تحنُّ عداته أثر التقاضى وتنتج مثل ماتج العشار
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن المغيرة بن محمد قال كلم المأمون في الحسين
 ابن الضحاك الخليل أن برداً عليه رزقه فقال المأمون: أليس هو القائل في الأمين:
 فلا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً
 فما زالوا به حتى أذن له أن ينشده فأنشده:

أبن لى فانى قد ظممتُ الى الوعدِ متى تُنجز الوعدَ المؤكد بالعهدِ
 أعيذك من صدِّ الملوك وقد ترى تقطع أنفاسى عليك من الوجد
 فالى شفيعٍ عندَ حُسنك غيره ولا سببٌ إلا التمسك بالوُدِّ
 أيبخلُ فردَ الحسنِ فردَ صفاته على وقد أفردته بهوى فرد
 فاستحسن الناسُ هذا التشبيب فلما قال:

رأى الله عبد الله خير عباده فإلكه والله أعلم بالعبد
 قال هذه بتلك وقد عفونا عنك . فقال يأمر المؤمنين فأتبع عفوك باحسانك
 فأمر برداً أرزاقه عليه وكانت في كل شهر خمسمائة دينار فقال المأمون لولا أنى
 نويت العفو عنه وجعلت ذلك وعداً له من قبل ما فعلته ، وإنما ذكر العهد في
 تشبيهه فذكرنيه . وما أحسن ما قاله بعضُ ملوك العجم : البخل بعد وعد يُضعف
 قبحة على البخل قبله فما قولك في أمر البخل أحسن منه وأجمل .

﴿ ما قيل في الضحك والبشر عند السؤال ﴾

أول من آتى بذلك زهير في قوله:
 تراه إذا ماجتته مُتهللاً كأنك مُعطيهِ الذى أنت سائله
 ولو قال مكان « إذا ماجتته » « إذا ماسأته » لكان أجود .
 ومن الجيد في ذلك قول أبي نواس:

بشرهم قبل النوال اللاحق
والغيث يخفي وقعه المرامق
وأخذ أبو تمام هذا فقال :

يستنزل الأمل البعيد يبشره
وكذا السحاب قلما تدعو الى
وتبعه البحرى فقال :

كانت بشاشتك الأولى التي بدأت
كالزينة استؤنفت أولى مخيلتها
وقال أبو عبد الله القطريلي قلت للبحترى وقعت دون أبي تمام في هذا المعنى
فقال لعمري ولكن سأرضيك فيه فقال في أبي الصقر :

يوليك صدر اليوم قاصية الغنى بفوائد^(٢) قد كن أمس مواعدا
سوم السحاب ما بدآن بوارقا في طارض إلا ثنين رواعدا
والرعد لا يكون إلا ومعه الغيث فكانه قال لإثنين مواعدا ثم رده فقال :
إنما البشر روضة فاذا أعقب بذلاً فروضة وغدير
وقال البحرى :

ملك عنده على كل حال كرم زائد على التقدير
وكأنا من وعده ونداه أبداً بين روضة وغدير
وقال : ضحكات في إثرهن العطايا وبروق السحاب قبل رعوده
وله أيضاً :

متهلل طلق إذا وعد الغنى بالبشر أتبع بشره بالناائل
كلزن إن سطعت لوامع برقه أجلت لنا عن ديمة أو وابل
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا الصولى لنفسه :

(١) في ديوان أبي تمام (بالربيع). (٢) في ديوان البحرى (بموائد).

لست تلاقى سائلاً برءٌ نعيد بشر سوؤدد ونبىدى
كالبرق يأتىك أمام الرعد بشرى الغيوث بحجاب رعد
يلقى بك الطالبُ نجم السعدِ بلغت فى الاعمار أقصى العد

(فصل فى تسمية الأشعار)

عمى عبد كان للاحول على أبى صالح محمد بن عبيد الله بيتاً غلط فيه ورسمه :
نظيف خفيف نظيف فابق نظيف مقبل بعلب نظيف
طريف مدل فابق نظيف فابق مقبل نظيف فابق
رشيق بدر معلب لمن نظيف مهذب معشوق نظيف
مهذب ملاحظ رشيق مغاضب نظيف . فأخرجه وكان البيت :

إذا قلتُ أسلو دامت العينُ بالبكا دماءٌ وحقتها مدامعُ حُفْلُ
وكان الجواب الصادر :

ألا أيها الشخصُ الذى كان نزهة يحصنه سترٌ من الله مسبلُ
لماذا هتكتَ السر عنك تعمداً ولستَ بحمدِ اللهِ ممنُ مجهلُ
رأيتك قد عميتَ بيتاً رسمتهُ بكلِّ خطأٍ فهو مثلكَ أحولُ
وكان لمتبول الفؤادِ معذبٌ أخى حسرةً بالهجرِ والصدِّ يُقتلُ
فقالَ وقد رامَ السلو فلم يجد وبات كئيباً بالياً يتملُّ
إذا قلتُ أسلودامت العينُ بالبكا دماءٌ وحقتها مدامعُ حُفْلُ
وعى حمزة الأصفهاني على أبى جعفر محمد بن أيوب بيتاً رسمه :

نرجس خيرى بنفسج حماحم شاهسفرم اقحوان نسرين
نسرين اقحوان نسرين مرزنجوش ورد ياسمين نسرين
زعفران تمام سوسن أفرنممشك آس منشور مرزنجوش
بنفسج بلحية ياسمين مرزنجوش نسرين تمام منشور

خيرى مشورا قحوان زعفران سيدسنبه خز امى بنفسج مرزنجوش. فأخرجه وكن البيت:

كفى حزناً أن الجوادَ مُقْتَرٌ عليه ولا معروفَ عند بنخيل
فكان الجواب الصادر :

فذاك أبا يغلى أخ لك لم يزل^١ بعدك ذخراً عند كل جليل
إلى أن قال :

فقال وقد جاب البلاد فلم يجد أختاً ثروة يسخى له بفتيل
كفى حزناً أن الجوادَ مُقْتَرٌ عليه ولا معروفَ عند بنخيل
ومن أحسن ما قيل فى هذا قول أبى سعيد الأصفهاني وقد عمى عليه زياد بن
جعفر الهمداني بيتاً فأخرجه وكان الجواب :

إذا العارضُ السحُّ بالوبلِ جادا وأنزلَ غيثاً أفاكَّ البلادا
وأسرجَ فيه وميضُ البروقِ مصاييحَ تزهراً منه انقادا
وثج^(١) فما شكَّ ذو ناظرٍ رأى سبيله أن فيه مزادا
فعمَّ بشربوبه سادى وخصَّ بأغزرِ سقى زيادا
زياد بن جعفر المستجار لصرفِ الزمانِ إذا ما تمادى
فذاؤك نفسى وإن سميتنى غناء طويلاً حماني الرقادا
أنتنى الطيورُ فساترنى بيت تعمقت فيه عنادا
إلى أن تمكنت من صيدها وقد صدتها إذ عرفت المصادا
وقلت لها غردى بالذى كتمت فأسر عن نحوى انقيادا
وأنشدت بيتاً معادَ الفصول ولست ترى فيه معنى مُعادا
ومن ذلَّ قلَّ ومن قلَّ ذلَّ ومن سادَ جاداً ومن جاد سادا
أردت سقاطى فما نلتها فنلتُ المنى وبلغتُ المرادا
وأبقاك ربى بقاء النعيم عليك وملاك منه وزادا

(١) أى سال .

وكتب إلى أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي جواباً عن معنى :

دمعي على الخلد سكبُ ونارُ شوقٍ تشبُّ
وليس يبقى على ما يلقاه قلبي قلب
لله عهد الليالي إذ مورد العيش عذب
وإذ شبابي لذنِّ وغصنُ قدِّي شطب
يا جعفر القوم يامن يدعي إذا جلَّ خطب
فذاك عبدٌ مشوقٌ إلى لقائك صبُّ
أبعدتني وسواءٌ بعدٌ لدى وقرب
أخلط طيب أنتني منها يبيسُ ورطب
قربتها نار طبع يدوم والنار تجبو
عودٌ ومسكٌ ذكيٌ وعنبرٌ مستحبُّ
أوردتها نار فكري ففاح شرقٌ وغرب
وهبٌ للفهم منها روائحٌ لا تهبُّ
فقلت بالشَّمِّ مالم ينله مُعجمٌ وعرب
بيتا كما اهتز روضٌ أو أكل الوشي عصب
شيبٌ وسنٌ وجهل هذا لعمرك صعب
بجعفرٍ وأخيه نالَ الوري ما أحبوا
نفسى فداكم وما قد أهلٌ بالحج ركب
ذنبى انقطاعى اليكم ان عُدَّ للناس ذنب
فذاك للخلق كهف وذاك للمجد قطب
لبثٌ إذا عضَّ دهرٌ غيثٌ إذا اشتدَّ جذب
لي منهما اليوم رأى يُرى غداً وهو كسب

والنعمية أن تجمل مكان كل حرف من البيت اسماً على مثال ما تقدم فإذا

مضت الكلمة تدبر دائرة على ذلك حتى تأتي على آخر البيت . ووجه استخراج المعنى أن تنظر الى الأسماء التي جعلت مكان الحرف فما تكرر منها وكثير في البيت فظن أنه للألف وربما لم يصدق هذا الظن ولكنه الأمر أكثر فاطلب بعده اللام فإنها تقع بعد الألف كثيراً وانظر الى ما طال في البيت من الكلمات فإذا رأيت الألف في أولها فظن بالثانية أنها لام وربما تكرر ذلك في موضعين من البيت وثلاثة ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضاً أن يقع بعد الاسم إذا ظننت أنه الألف حرفان على صورة واحدة في مثل اللبيب والليل والبيت وفي قولك الله وما أشبه ذلك ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضاً أن يقع في البيت كلمة على حرفين وقد عرفت الألف واللام فتكون الكلمة تزداد يقيناً في الألف واللام وإذا صحت لك الألف واللام رأيت في البيت كلمة على حرفين والثاني منهما ألف فظن أنها « ما » أو « ذا » أو « يا » لأن ذلك أكثر ما يقع فإذا صحت الميم من (ما) ثم رأيت كلمة على حرفين فظن بها أنها (من) فإن رأيت كلمة على حرفين وأولها ألف فظن بالثاني أنه نون أو واو أو ميم ، فإذا عرفت الألف في أول كلمة ورأيت قبلها حرفاً فظن أنه واو أو فاء أو باء أو كاف فإذا عرفت الألف ورأيتها وقد وقعت آخر البيت فظن بالحرف الذي قبلها أنه هاء أو كاف لأن ذلك أكثر ما يقع فإذا تكررت لك هذه الحروف في البيت وقفت منه على أكثره ، ثم تعمد الى الحروف التي يقل تكرارها في البيت فنظرت الى الكلمة الرباعية أو الخماسية فنظنت أنها أبدأ أن فيها أحد الحروف الستة اللام والراء والنون والفاء والتاء والميم لأنها لا تخلو من حرف منها أو حرفين . ولا ينفع ما مثلناه من هذه الأمثلة إلا مع جودة التريخية وشدة الذكاء والفتنة ومع النشاط وصدق الشهوة .

وذكر بعض أهل العلم وأظنه أبا الحسن العروضي أنه سمى له قول الشاعر :

وكن ذا كراً بيت النوبيغ إنه سيحلو على سمع اللبيب ويعذب

فكانت تعميته : زيد بكر عمرو سعد بدر بكر سهل صقر فهد بدر شهر

عمرو زيد صقر سهل رشد بدر عمرو حمد قصر عقر مكر شهر زيد بدر فخر شهر
 صقر قصر سلم فخر بدر شهر شهر سهل صقر سهل زيد صقر فخر سعد سهل صقر.
 قال فأول ما استخرجت منه الألف لأنها أكثر ما فيه من الحروف ثم عرفت
 بعدها اللام لأنها واقعتان في قوله (النويبع) وفي قوله (اللييب) فلما صحت الألف
 واللام رأيت اللام قد تكررت فعلمت أنها لا تتكرر إلا في مثل اللييب واللطيف
 وكان أقربها في ظني اللييب ، عمدت بعد ذلك إلى الكلمة الثالثة فرأيت الباء
 والياء فيهما وبقي الحرف الثالث فعرضته على الحروف فخرج لي بيت ويدي ويش
 وبيض وبيع وبين فلم أجزم على شيء منها فتركتها موقوفة ثم قصدت إلى الكلمة
 السابعة فرأيت فيها اللام والياء فلم أشك أن الحرف الأول العين وأن الكلمة
 (على) ثم قصدت الكلمة الثامنة فرأيت العين في آخرها فطلبت على هذا المثال
 ما آخره عين فجاء في جمع ورجع ودمع وسمع فتركتها موقوفة ثم عمدت إلى الكلمة
 الأخيرة فرأيت فيها ما تبينته وعرفته الياء والعين والياء فعمدت إلى الياء والعين
 فوضعتهم مع سائر الحروف فخرج لي : يعتب ويعجب ويعذب ويعرب ويعطب وما
 شاكل ذلك فقابلت ما خرج من وجوه الكلمة الأخيرة على ما يقرب في المعنى مع
 ادخال اللييب بينهما فصح لي أن الثامنة (سمع) وأن الأخيرة يعذب وعلت أن زيداً
 في أول الكلمة الأخيرة وأولها ص (على سمع اللييب) لم أشك أن الكلمة السادسة
 (سيحلو) قد ظهرت فيه السين والياء واللام والواو والألف فلما عرضت الكلمة مع
 سائر الحروف لم يطابق يعذب في المعنى إلا يحلو فلما ظهر ذلك علمت بالمعنى والوزن
 جميعاً أن الذي ظهر من البيت يدل على أنه في ذكر شيء فيه كناية في وسط
 البيت وأولها ألف والنون تليها كثيراً فأدى الوزن إلى أن بعدها هاء وان الكلمة
 (إنه) فلما ظهرت النون وكنت قد عرفت الواو من الكلمة الأخيرة علمت أن
 أول كلمة في البيت (وكن) بغير شك وان الثانية « ذا كراً » لأن الذال ظهرت في
 يعذب والالف معروفة والكاف قد بان من الكلمة الأولى والالف الثانية

معروفة بقيت الراء فلما عرضتها على سائر الحروف لم يجيء غير الراء ثم قصدت الى
الكلمة الرابعة فلم أجد فيها حرفاً غير ظاهر قد عرفته إلا اللغين فقط فلم أدر ما هو
فلولا أن الوزن أدى اليه بعد طول تعب لم يكن يظهر فلما علمت أنها (النويغ)
لم أشك أن الثالثة (بيت) وظهر البيت كله .

ومن المعنى بغامض الحساب قول ابن طباطبا :

ان رحت مافي يديه ملتماً وكنتُ أشكو اليه ضيقَ يدي
أحصت ألوفا يسراً أربعة منقوصة سبعة من العدد
وفي هذا المعنى شيء كثيرٌ هذا أجوده فاعرف ذلك . وقلت في ضرب من المعنى :
وأصفرُ تمحراً أطرافه بأحسنه من مطرف مُعلم
صدره الانسان في بيته وهو مُهانٌ ليسَ بالمكرم
والمرءُ قد يعلو على ظهره وهو سليم الدين لم يَأثم
وهو على ما كان من ذلةٍ سُسى باسم الملك الأعظم
أعنى حصيراً والملك يُسمى حصيراً ، قال الشاعر :

ومقامه غاب الرقاب كأنهم جندٌ لدى باب الحصير قيام
وقات: وميت لا يسكاد المرء يدفنه إلا إذا عادَ حياً بعد ما ماتنا
وميت غيبوا في الأرض جثته عمد الكي يجعلوا الأحياء أمواتنا

الأول الذكر والثاني الفخ . ومن مליح المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد قال حدثنا
ابن عمار قال حدثنا يعقوب بن اسرائيل قال حدثنا عبد الحميد بن عقبة قال حدثني
أبو عثمان المازني قال هجا أبو عيينة اسماعيل بن جعفر بن سليمان بشعر مُورى
فلم يفهمه وكان كلما جاءه من يأنس به عرضه عليه حتى دخل رجلٌ فأقرأه إياه وهو قوله :

ابني أحاجيك فاعلمنَّ فما لؤلؤةٌ منك قد تقبناها
وكرمةٍ من أيك منبتها حتى إذا أينعت قطفناها
نخبرنا ماها وما سُبلٌ تشعبت منك قد سلكناها

لم نمش فيها ريثاً ولا عجبلاً ولم نطأها وقد وطئناها
 فان تصبها فانت ذو فطنٍ وحاجتي أن تصيب معناها
 فقال أيها الأمير انه كلامٌ رديءٌ أكره أن أستقبلك به فقال هاته قال
 أما اللؤلؤة فالبنت وأما الكرمة من أيك فلاأخت وأما السبيلُ التي تشعبت
 فالأم لم نطأها بالاقدام ووطئناها بالفعل. وقال الآخريذ كر دعوة يدعو بها على رجل:
 وسارية لم تسر في الأرضِ تبتغي محلاً ولم يقطع بها البيدَ قاطعٌ
 سرت حيث لم تسر الركب ولم تمنخ لورد ولم يقصر لها القيد مانع
 نكر وراء الليل والليل مظلمٌ إذا قرع الأبواب منهن قارعٌ
 اذا وفدت لم يردد الله وفدها على أهلها والله راء وسامعٌ
 واني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانعٌ

(أحسن ما قيل في تقبيل اليد)

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن خالد عن أبي بكر بن محمد بن خلاد
 الباهلي عن محمد بن الفضل عن أبي الزناد عن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى عن
 عبد الله بن عمر قال كنت في غزوة في بعض مصالح رسول الله ﷺ فتلقانا العدو
 فخاص الناس حيصه^(١) فكنت فيمن حاص ثم قلنا حين رجعنا إلى أنفسنا كيف
 ننظر في وجوه القوم وقد بؤنا بغضب من الله ثم قلنا نأتى المدينة فنبيت بها ثم
 نخرج فلا يرانا أحدٌ فلما أتينا المدينة قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ
 فأتيناه فلما خرج إلى الصلاة قلنا يا رسول الله نحن الفرارون. قال « بل أنتم الكرارون »
 فقبلنا يده قال ثم قلنا يا رسول الله إنا هممنا بكذا فقال إنا فئة المسلمين ثم قرأ
 (إِلَّا مُتَحَرِّرًا قَالِقَتَالِ أَوْ مُتَحَبِّبًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ قَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ).
 وبأسناد لنا أن ابن أبي ليلى قبل يد أبي مسلم فقال له رجل أنقبل يد أبي مسلم ؟
 قال أوليس أبو عبيدة قبل يد عمر ؟ قال أو تجمل أبا مسلم مثل عمر ؟ قال أو تجملني

(١) أي جالوا جولة يطلبون الفرار .

مثل أبي عبيدة . وحدثنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن زكريا عن محمد بن عبيد
الله العتيبي قال قبل رجل^١ يد المهدي فقال يد أمير المؤمنين أحق يد بتقبيل لعلوها
في المكارم وطهارتها من الماء ثم وإنك ليوسفى العفو اسمعيلى الصدق شعبي الرفق
فمن أرادك بريدة خوف أو سوء فجعله الله طريد خوفك وحصيد سيفك .
ومن أجود ما قيل في ذلك من الشعر ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولى لبراهيم بن العباس
في الفضل بن سهل قال أنشدنا ثعلب وأبو ذؤان :

فضل بن سهل يد^٢ تقاصر عنها المثل^٣

فبسطتها للغنى وسطوتها للأجل

وباطنها للندى وظاهرها للقبل

فأخذه ابن الرومي فقال للقسم بن عبيد الله رحمه الله :

أصبحت بين خصاصة وتجمل والمرء بينهما يموت هزبلا

فأمدد إلى يد^٤ تعود بطنها بذل النوال وظهرها التقبيل

وقال أيضاً * له راحة فيها الحطيم وزمزم * . وقلت :

فظاهرها للناس ركن^٥ مقبل^٦ وباطنها عين^٧ من الجود عيم

هو البحر لا عين^٨ من الجود عيلم^٩ عفاء على عين من الجود عيلم

يجل عن تقبيل ظاهر^{١٠} كفه وباطنها عن أن تقاس بزمزم

ومما جاء في كراهة ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن الغلابي عن

العتبي قال استأذن رجل هرون الجعدي في تقبيل يده فأبى وقال انها لمن العربي ذلة

ومن المعجمي خدعة فلا حاجة لي في أن تذلي أو تخدع فاعفني من ذلك .

(الحض على السلام)

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن إبراهيم بن عبد الله النمري عن الضحاك بن

مخلد عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إذا

جاء أحدكم المجلسَ فليسلمَ فإن قام والقومُ جلوسَ فليسلمَ فإن الأولى ليست بأحقَّ
 من الآخرة (وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابراهيم بن فهد عن عبد الله بن
 رجاء عن سعيد بن سلمة عن أبي بكر عن نافع عن ابن عمر أن رجلاً مرَّ برسول الله
 ﷺ وهو بهرق الماء فلم عليه الرجل فرد عليه فقال إنه ما حملني على الرد عليك
 إلا أني خشيتُ أن تقولَ سلمتُ عليه فلم يردَّ عليَّ فاذا رأيتني هكذا فلا تسلمْ عليَّ فإنك
 إن تفعل لأردُّ عليك السلامَ » وعنه عليه السلام « تمامُ التحيةِ أخذُ باليد » وحدثنا
 أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العباس بن بكار عن المفضل الضبي عن
 جدته عن مكعب الأسدي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يقولُ أبو مكعبٍ صادقاً عليك السلامُ أبا القاسمِ

سلام الآتِه وريحانِه وروح المصلين والصائم

فقال رسول الله ﷺ « عليك السلامُ نحيمةُ الموتى » قال المصنف تقول

العرب للميت « عليك السلام » قال الشاعر :

عليك أبا بشر سلامٌ ورحمةٌ وقد بنت منا كلنا لك حامد

فلا يُبعدنك اللهُ ميتاً فانما حياةُ الفتي سيراً الى الموتِ قاصدٌ

وقال عبدة بن الطبيب :

عليك سلامُ الله قيس بن حاصم ورحمتهُ ماشاء أن يترحما

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن ابن عائشة قال دخل الحسن بن

الكناني على عبد الله بن جعفر ذي الجناحين^(١) فأنشده قوله فيه :

عليك السلامُ أبا جعفرٍ وسيد فهر لدى المحضر

فأنت المهذبُ من هاشمٍ وخير قريشٍ إذا تذكر

(١) لقبه به النبي ﷺ لما قتل شهيداً في غزوة مؤتة وكانت قطعت فيها يده

وهما ممسكتان للراية فقال الرسول ﷺ « إن الله تعالى قد أبدله بها جناحين

يُطيرُ بهما في الجنة حيثُ شاء » كما في جنى الجنيتين في تمييز نوعي المثنيين للمعجب

فقال له عبد الله أخطأت مرتين (عليك السلام) أكثر ما تستعمل هذه اللاموات وقد
 أمكنتك أن تقول سلام عليك أبا جعفر * ثم جعلت لي ما كان لرسول الله ﷺ
 ووصفتني بصفته ، قل فاستمع البيت الذي سقت له ماسقت قال هاته فقال :
 فهذي ثيابي قد أخلقت وقد عضني ز من منكر
 فقال عبد الله هذي ثيابي لك بها ، ودعا بغيرها ودفعا اليه .

(السلام على الكفار)

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي
 قال سلم نصراني على الشعبي فقال له الشعبي وعليك السلام ورحمة الله ، فقال له
 رجل سبحان الله تقول لهذا النصراني ورحمة الله ! فقال الشعبي أليس في رحمة الله
 يعيش قال بلا قال فما وجه الانكار على عافك الله تعالى وإيانا برحمته .

(رد السلام بالاشارة)

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن العباس بن الفضل الاسفاطي عن ثابت عن
 عبد العزيز عن هشام بن سعد عن نافع عن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله
 ﷺ الى البقيع فقام فصلى فجاءت الأنصار تسلم عليه قال فسألت بلالاً كيف
 كان يرد عليهم قال كان يشير اليهم بيده . وأنشدنا عنه عن محمد الأسدي عن
 أبي هفان عن أبي محلم لابي طراد أسعد بن البكا البكري :

مررنا قتلناها السلام عليكم فبلغها ضيق المحل غيور
 وما كنت أدري أن في الخيرية ولا ان رجماً بالسلام بضير

(ماجاء في المصافحة)

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الأسفاطي عن يعقوب بن حميد عن اسحق
 ابن ابراهيم بن سعيد عن صفوان بن سليم عن ابراهيم بن عبيد بن رفاة عن ابن
 (٢٨ - ثانی المعانی)

أبي ليلي عن حذيفة قال قال النبي ﷺ « إذا لقيَ المؤمنُ المؤمنَ فصاحَ
أحدهُهما صاحبه تناثرَتِ الخطايا بينهما كما يتناثرُ ورقُ الشجرِ »

وقال الحسن : المصافحة تزيد المودة . وحدثنا عنه عن الغلابي عن ابن عائشة قال
دخل سوار العنبري على المنصور فقال يأمر المؤمنين على ما أحدث الناس اليوم أم
على ما كان عليه الأوائل ؟ قال بل على ما كان عليه ، فدنا فصاحه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المنذر يقول دخل الفقهاء على المتوكل ونحن
وقوف بين يديه فاستدناهم فكلُّ قبَّلَ يده إلا اسحق بن اسرائيل فإنه قال يأمر
المؤمنين ما ينقصك أن أقبلَ يدك - ولم يقبل يد المتوكل - وقد حدثني الفضل
ابن عياض عن هشام بن حسان عن الحسن قال المصافحة تزيد في المودة وسعى بها
المؤمنين فبسط المتوكل يده فصاحه ، ووصله المتوكل بأكثر مما وصل به أصحابه .

وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم المازحي لبعض شعراء الشام :

تصاغت الأُكفُ وكان أشهى الينا لو تصاغت الحدودُ
نموت إذا التقى كُفٌّ وكُفٌّ فكيف إذا التقى جيدٌ وجيدٌ
وقال آخر :

فصاغت من لاقيتُ في البيتِ غيرها وكلُّ الهوى مني لمن لم أصاغ

وقال أبو العتاهية بهجو عبد الله بن معن بن زائدة :

أخت بني الشيبان مرَّت بنا ممسوطَةً كوراً على بقل
قد نقطت في كفها نقطةً مخافة العين من الكحل
لقبته يوماً فصاغتَه فقال دع كني وخذ رجلي

{ حياك الله وبياك }

معنى حياك الله سلام عليك ، والتحية أيضاً الملك فحياك الله على هذا التأويل
ملكك الله ، والتحية البقاء ، وهو على هذا التأويل أبقاك الله ، قال الأصمعي يياك

أضحكك ، وقال على الأحمري أرادوا بؤاك منزلاً فقال يياك للاتباع كما قالوا
 الغدايا والعشايا ، وقال ابن الأعرابي معناه قصدك بالتحية وبيدت الشيء . قصدته
 واعتمدته . وحدثنا عنه عن زياد بن خليل التستري عن إبراهيم بن بشار الرمادي
 عن سفيان عن محمد بن سوقة قال أنا ميمون بن مهران فقلت له حياك الله فقال
 مه هذه تحية الشباب قل حياك الله بالسلام .

وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد عن إسحق الموصلي قال نزل الطماح العقيلي
 بقوم من بني تميم فأحسنوا إليه فأراد الرحيل عنهم فقال :

حياكم الله فاني مُنقلبٌ بشكرٍ إحسانكم كذا يجب
 وإنما الشاعر كالكلب الكلب يملك عند رغبٍ وان رهب
 لا يرعوى لمبغض ولا مُحِبَّ أكثر ما يأتي على فيه الكذب
 وأنشدنا عنه عن المبرد لعمارة :

حياً الآله خيالها من دان لو كانَ زارَ زيارةَ اليقظان
 لو كانَ عَرَجَ أو تَعَلَّ ساعةً حتى نَسائلهُ عن الأوطان
 كفانٍ شبيدنا بناءَ محامدٍ لمهذبٍ هسَّ أخى إخوان
 تلقى له دعة الكهولِ وحلمهم وتقاهمُ وحلاوةَ الفتيان
 وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم :

حياك من لم تكن ترجو نحيته لولا الدراهم ما حياك إنسان

(قولهم مرحباً)

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن يزيد المبرد النحوي عن أبي عثمان
 المازني قال لما أتى الرشيد الرقة تلقاه محمد بن ذؤيب العماني فأنشده :

هرون يابن الأكرمين حسبا لما ترحلت و كنت كئيبا
 من أرض بغداد تؤم المغربيا طابت لنارريح الجنوب والصبا

ونزلَ الفيثُ لنا حتى ربا ما كانَ من نشرٍ وما تصوبا

فرحبا ومرحبا ومرحبا

فقال الرشيدُ وبك مرحبا وأهلا ، ووصله بصلة سنية . وحدثنا عنه عن عبيد

الله بن عبد الله قال لما دخل أبو مضر أنشده سعيد بن الوليد المعروف بالبطين :

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابن ذى الجودِ طاهرِ بن الحسينِ

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابن ذى الفرثينِ فى الدوثينِ

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابن ذى المختدينِ فى المصرينِ

مرحبا مرحبا بمن كفه البحرُ إذا فاضَ مُزبدِ العبرينِ

فوصله وقدمه . وقديما ما استعملوا مرحبا فى كلامهم ، (ومنه) قول طفيل الغنوى (١) :

وبالسهل ميمون النقيةِ قوله ملتمس المعروفِ أهلٌ ومرحبٌ

وأخبرنا عنه عن محمد بن العباس اليزيدى عن محمد بن الحسن الرزقى عن

الحسين بن على العلوى المدينى عن بعض أصحابه عن المازنى قال كان اعرابى يلزما

وكان فصيحاً فقال له على بن جعفر بن سليمان وكان جافياً لا يعطيه شيئاً إلا مرحباً

فقال فيه الاعرابى :

وما مرحباً إلا كريح تنسنت إذا أنت لم تخط نوالاً بمرحب

ومثل هذا قول جحظة البرمكى :

قائلٌ إن شدوت أحسنت زدى وبأحسنت لا يباع دقيقٌ

وأخبرنا عنه عن أبى العيناء قال استأذن رجل على الحسن بن سهل فقيل له من أنت

قال رجل أمر له الأمر يوم كذا بعشرة آلاف درهم فأمر بادخاله فلما رآه قال مرحباً

بمن توصل الينا بنوا وشكر إحساننا الينا ، وأكرمه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المدبر الكاتب الضبي يثنى على ابن الجهم فى

(١) هو طفيل بن عوف ، شاعر جاهلى من الفحول ، وهو أوصف العرب

للخيل ، لذلك لقب بطفيل الخيل .

صداقته ومروءته فقال في ذلك كنت واقفاً بين يدي المتوكل وقد حىء برأس
إسحاق بن إسماعيل وجه به بغا ، فارتجى على بن الجهم شعراً وقال :

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بما يشفى من الغليل
بجملة تغنى عن التفصيل برأس إسحاق بن إسماعيل
ومر بأبيات فاستحسن ذلك المتوكل ووصله بصلة سنية ، قال وأنشدني ثعلب :
فمالك نعمة سلفت الينا وكيف وأنت تبخل بالسلام
سوى أن قلت لي أهلاً وسهلاً وكانت رمية من غير رام
وقلت : تضن بتسليم وزورة ساعة فكيف برجسي جودك كفيك بالوفر
وأنشدنا عنه عن أبي موسى محمد بن موسى مولى بني هاشم قال أنشدني عبد السلام
ابن رغبان الحمصي المعروف بديك الجن لنفسه :

بأبي وإن قلت له بأبي من ليس يعرف غيره أربي
قرطست عشراً في مودته لبلوغ ما آملت من طلبي
ولقد أراني لومددت يدي شهرين أرمى الأرض لم أصب

أنشدنا عنه قال أنشدنا عبد الله بن المعتز لنفسه :

قلت يوماً لها وحررت العود بمضراها فغننت وغنني
ليتني كنت ظهر عودك يوماً فاذا ما أخذته صرت بطنا
فبكت ثم أعرضت ثم قالت من بهذا أنباك في النوم عنا
قلت لما رأيت ذلك منها بأبي ما عليك أن آتمني

قال وسمعت محمد بن عبيد الله بن يحيى الوزير يقول دخل أبو العيناء إلى أبي
فقال له كيف حالك فقال أبو العيناء أنت أعزك الله الحال فانظر كيف أنت لي .
فوصله ووقع له بأرزاقه . وحدثنا عنه عن عون بن محمد الكندي عن عبيد الله بن
عمر قال قيل لرجل من قريش كيف حالك ؟ فقال كيف حال من يهلك ببقائه
ويسقم بصحته ويؤذي من مأمنه . ومثله :

ماحال من آفته بقاؤه نقص عيشي كله فناؤه

وقال سعيد بن حميد :

لك عبدٌ فلو سألت به كيف حاله
ياقريباً مزاره وبعيداً نواله
حاضراً لي صدوده حين يرجي وصاله
مسعدٌ لي مقاله فانك لي مطاله
محسنٌ في كلامه ومسيءٌ فعاله

(ماجاء في أطال الله بقاءك)

أول من قاله عمر رضى الله عنه - روى عن رفاعه بن رافع قال شهدت نفرآ من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن بكر بن المؤدبة فاختلفوا فيها فقال عمر أنتم أصحاب رسول الله ﷺ تختلفون فكيف بمن بعدكم فقال علي عليه السلام إنها لا تكون موءودة حتى يأتي عليها الحالات السبع فقال له عمر صدقت أطال الله بقاءك .

قال ابن لهيعة المعنى لا تكون موءودة حتى تكون نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم عظماً ثم لحماً ثم تظهر ثم تستهل فينثد إذا دُفنت فقد وُئدت وليس كما يقول بعض الناس إن المرأة إذا تداوت فأسقطت فقد وأدت . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شبيب قال كتب إلي بعض إخواني من البصرة إلى المدينة : أطال الله بقاءك كما أطال جفاك وجعلني فداك إن كان في فداؤك - شعر :
كتبت ولو قدرت هوى وشوقاً اليك لكنت سطرآ في الكتاب
قال الشيخ أبو هلال رحمه الله تعالى : والبيت لأبي تمام .

(جعلت فداك)

دخل الزبير على النبي ﷺ وهو عليل فقال ما بعهدك جعلني الله فداك فقال

الذي صلى الله عليه وسلم « يازبير أمارت كـ أعرايتك بعد » وحدثنا عنه عن يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن إسحق قال حجبتني خادم جعفر بن يحيى يقال له نافذ فانتظمت عنه فسأل عني فعرفه سبب انقطاعي فقال قل له إن حجبتك إنسان فافعل به - لا يكني - قال فحئت فحجبتني فكتبت إليه ارتجالاً في الحال :

جُعلت فداءك من كل سوء إلى حسن رأيتك أشكو أنا سا
 يحولون بيني وبين الدخول فما أن أسلم إلا اختلاسا
 وأنفذت أمرك في نافذ فما زاده ذلك إلا شماسا
 فضحك لما قرأ الأبيات وأدخاني وقال أفعت يا أبا إسحق فقلت بهض ذلك، وتقدم
 إلى نافذ وغيره أن لا أحجب متى حضرت .

﴿ دعاء المكاتب ﴾

حدثنا عنه عن أبي ذكوان قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول ما أظن قول الكتاب : وقد منى الله قبلك مأخوذ إلا من قول الأغر بن كلسر في أخيه صقر :
 أخی أنت في دين ودنيا كلاهما أسرُّ بأن تبقى سليماً وأفخرُ
 إذا ما أتى يوم يفرقُ بيننا بموتٍ فكن أنت الذي يتأخر
 فقيل له هذا يروي لحاتم فقال وما على من لا يدري أن ينسب شيئاً إلى غير
 قائله . فأما قولهم (وآتم نعمته عليه وزاد في إحسانه إليه) فهو من قول عدى بن الرقاع :
 صلى الآله على امرئ ودته وآتم نعمته عليه وزادها
 قالوا وأول من قال « وأسأله أن يصلي على محمد » إسحق بن سليمان بن علي .
 وأنشد للسري في ضد قولهم مُت قبلك وإن الحظ عنده أن يكون هو ومن
 يحب يموتان في وقت واحد :

لأمت قبلك يا أخي لا باخلا بالنفس عنك ولا تمت قبلي
 وبقيت لي وبقيت فيك ممتعاً بالبر والنماء والفضل

حتى إذا قصد الحمام لنا
 من بعد عمرٍ وورد الجبل
 مُتنا جميعاً لا يؤخرُ واحد
 عن واحدٍ لمرارة الشكل
 وكفأك من نفسى شهيداً ناطقاً
 يا صاح أنك عندها مثلى
 وفي نحو ذلك قول الآخر :

إني لأشفقُ أن أؤخرها
 بعدى وأكره أن أقدمها
 وقال يعقوب بن الربيع :

فلو أنها إذ حان وقت حمامها
 أحكمتُ في أمرى لساطرنها عمري
 فخلّ بنا المقدارُ في ساعة معاً
 فانت ولا أدري ومت ولا تدري
 وقريب منه قول الآخر :

لامت من قبلي ولا مت من
 قبلك بل عشنا الى الحشر
 حتى نوا في الموت في ساعة
 لأنت تدري بي ولا أدري

(كيف أصبحت)

حدثنا عنه عن أيوب بن سليمان بن داود المهلبى عن محمد بن عباد قال كان جرير
 ابن حازم يقول : العرب تقول كيف أصبحت من نصف الليل إلى نصف النهار ،
 وكيف أمسيت من نصف الزوال إلى نصف الليل الأول ، وتقول في يومك
 كان الليلة كذا إلى الزوال فإذا زالت الشمس قلت البارحة ، هذا معروف عندهم ،
 وحدثنا عنه عن الفضل بن الحُباب عن التنوخى قال العرب تقول صبحتك الأنعمة
 بطيبات الأظعمة . وحدثنا عنه عن البلعى عن أبي حاتم عن الأصمى قال قيل
 لأبي عمرو بن العلاء كيف أصبحت قال أصبحت كما قال الربيع بن ضبع الفزارى :
 أصبحت لأحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفراً
 والذئب أخشاه إن مررت به وحدى وأخشى الرياح والمطرا
 وحدثنا عنه عن أبي ذكوان عن التنوخى عن الفراء قال كنت عند الكسائى

فقال له رجلٌ كيف أصبحت؟ فقال أصبحت كما قال الصمة بن عبد الله بن طافيل القشيري (١):

أصبحتُ مالى من عزّ ألوذ بهِ إلا التعرُّزُ بعد السيفِ والبدنِ
بعرضةِ جانبِ الأذنونِ جانبِها والأهلُ بالشامِ والاخوانُ باليمنِ
وأنشدنا عنه قال أنشدنا محمد بن يزيد المبرد النحوى قال أنشدنى المازنى
عن أبى زيد:

كيف أصبحتَ كيف أمسيتَ مما يُثبتُ الوُدَّ في فؤادِ الكريمِ
وحدثنا عنه عن محمد بن الفضل بن الأسود عن عمر بن شبة عن الحسين
ابن الضحاك الخليل قال كنت في المسجد الجامع بالبصرة إذ دخل علينا أبو نواس
وعليه جبة خز جديد فقلت له من أين لك هذه يا أبا علي؟ فلم يخبرنى فتوهمت أنه
أخذها من مويس بن عمران لأنه دخل من باب بنى تميم فقامت فأجد مويسا وقد
لبس جبة أخرى فقلت:

كيف أصبحتَ يا أبا عمرانِ يا كريمَ الاخاءِ والاخوانِ
فقال صبحك الله به وأسمعك خيرا. فقلت:

إنَّ لى حاجةٌ فرأيتُ فيها إننا فى قضائها سببانِ

فقال هاتها على اسم الله تعالى فقلت:

جبة من جيايك الخرز حتى لا يرانى الشتاء حيثُ يرانى

قال خذها، ومد كفه فذرعتهما وجئت فقال أبو نواس من أين لك هذه؟ قلت من
حيثُ كانت لك تلك. وحدثنا عنه عن وكيع عن علي بن عبد الله بن حمزة بن
عتبة الهمداني قال دخلت على محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومي أعوده فقلت له
كيف أصبحت فقال كما قال الشاعر:

(١) شاعر إسلامي بدوي مقل، من شعراء الدولة الأموية. وولده قرة بن

هبيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

إنَّ الليالي أسرعَتْ في نقضي أخذنَ بعضي وتركنَ بعضي

أقعدنني من بعد طول نهضي

وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر :

ياخيرُ إني قد جعلتُ أشتمرُ أرفعُ من ثوبي ما كنتُ أجرُ

وحدثنا عنه عن الفلابي عن محمد بن عبد الرحمن التيمي عن أبيه قال لقي

بكر بن عبد الله المزني أبا نيمية الهجيمي فقال كيف أصبحت أبا نيمية ؟ فقال أصبحت

بين ذنوب قد سترها الله علي ما يقدر أحدٌ أن يعيرني منها بذنب وبين محبة

قد ألقاها الله في قلوب الناس است لها بأهل وقد خفت أن أهلك بين هذين

وأنا ضعيف الشكر . قال وقيل لقريبة الديرية كيف أصبحت ؟ فقالت :

بخير علي أن النوى مطمئنةٌ بليلي وإن العينَ يجرى مَعينها

وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ قال بخير أحسب علي الله بالحسنة ولا

أحسب علي نفسي بالسينة . وقال رجلٌ لأبي العيناء وقد كبر وضعف : كيف

أصبحت ؟ فقال في الداء الذي يتمناه الناس لأعدائهم .

وحدثنا عنه عن الفلابي عن إبراهيم عن عمر عن أبي عبيدة قال قيل للنمر بن

تولب كيف أصبحت يا أباريعة ؟ فقال ارتجالاً علي البديه :

أصبحتُ لا يحملُ بعضي بعضا أشكو العروقَ النايات نبضا

كما تشكى الأرجى الفرضا كأنما كان شبابي قرضا

وحدثنا عنه عن القاسم بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن ابن داب قال

قيل لمحارب بن دثار كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت كما قال الشاعر الأعمش :

أرقتُ وما هذا السهادُ المورقُ ومأبى من سقم ومأبى تعشقُ

ولكن أراني ما أزال بمحادثُ أفادى بمالم يمس عندي وأطرقُ

وحدثنا عنه عن المقدمي عن أبي عمر بن خلاد قال قال الربيعُ الحاجب

لأبي المتاهية كيف أصبحت فقال :

أصبحتُ والله في مضيق هل من دليلٍ على الطريق
أفّ لدينا تلاعبتُ بي تلاعبَ الموج بالغريق
أصبتُ فيها دُرهماتٍ فبغضتني إلى الصديق

وحدثنا عنه عن علي بن الصباح عن بشر بن مسعود المازني قال كان لسفيان بن عيينة جارٌ سمىء الحال فحسنت حاله فقال له سفيان كيف أصبحت وكيف حالك لقد سُمرتُ بما صرتَ إليه بعد غم بما كنتَ فيه فدعا الرجل له ومضى ، فقال له بعض جلسائه كيف تكلم هذا؟ قال هو جارٌ قال إنه قد صار صراطاً لهمؤلاء ، قال سفيان إن كان في الناس أحدٌ طلب الدنيا من حيث يستحق فهذا . وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد المهلب قال قدم أبو العتاهية البصرة إلى عيسى بن جعفر فأقام شهوراً ثم اعتل فقال :

أصبحتُ بالبصرة ذاغربة أدفعُ من همٍّ إلى كربه
أطلبُ عُتبي من حبيب نأى وليس لي عُتبي ولا عُتبه

وحدثنا عنه عن المبرد قال قال الجاز لا أتبي العالمة كيف أصبحت ؟ قال على غير ما يحب الله وغير ما أحب وغير ما يحب إبليس لأن الله تعالى يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك وإبليس يحب أن أعصى الله ولا أطيعه ولست كذلك وأنا أحب أن أكون على غاية الثروة والصحة ولست كذلك .

حدثنا عنه عن الحسن بن الحسين الأزرق عن العباس بن محمد عن عمرو بن الحارث عن محمد بن سلام قال قال أبو حرائة وهو من بني ربيعة بن حنظلة يزيد بن المهلب : كيف أصبحت أصلح الله الأمير ؟ قال كما تحب يا أبا حرائة قال لو كنت كذا لكنت قائماً مثلي و كنت أنا قاعداً في مقعدك وكان قبص ابني المرقوع على ابنك والتومتان اللتان في أذن ابنك على ابني . قال يزيد فالحمد لله الذي جعلك كذا وجعلني كذا ، فقال إلا أتى في ضيق أنتظر سعةً وأنت في سعة تنتظر ضيقاً . وحدثنا عنه عن أبي العيناء عن العتيبي قال قيل لأعرابي كيف

أصبحت قال أصبحت أعر بالبعرة وأقيد بالشمرة وأفرع من النعرة . وحدثنا عنه
 عن الغلابي عن دماذ عن الهيثم بن عدى قال كان هرم بن سنان المزني قد آلى على
 نفسه أن لا يسلم عليه زهير إلا وهب له غرة من ماله فأشفق عليه زهير من ذلك
 وكان يمر بالمجلس وهرم فيهم فيقول أنعموا صباحاً غير هرم خيركم تركت ففخر
 عقبة بن كعب بن زهير بذلك في قوله :

إني لأصرف نفسي وهو سادية^١ عن مصعب ولقد بانتي لي الطرق
 رعوى عليه كما أروع على هرم قبلي زهير^٢ وفيما ذلك الخلق
 مدح الكرام وسعى في مدحهم ثم الغنى وبد الممدوح منطلق^٣
 ومثله قول حاجز الأزدي (١) :

وإني لأستبقي إذا العسر مسني بشاشة وجهي حين تبلى الطبايع^٤
 فأعفى ثرى قومي ولو شئت نولوا إذا ماتسكى الملحف المتضارع
 مخافة أن أقل إذا جئت زائراً وترجعني نحو الرجال المطامع
 ومن مليح ما قيل في فديتك :

فديتك النفس وهي أقل بذل^٥ صلى حسن المقال بحسن فعل
 أربى منك في أمرى نهوضاً^٦ يبين أن شغلك بي كشغلي

وأخبرنا عنه عن محمد بن خلف بن المرزبان قال اجتمع عندي أحمد بن أبي
 طاهر والناشي ومحمد بن عروس فدعوت لهم مغنية فجاءت ومعها رقيقة لم ير الناس
 أحسن منها قط فلما شربوا أخذ الناشي رقعة فكتب فيها :

فديتك لو أنهم أنصفوا ردوا النواظر^٧ عن ناظر بك
 تردن أعيننا عن سواك وهل تنظر العين إلا إليك
 ألا يقرؤا ويحهم ما يرون من وحي حسنك في وجنتيك
 وقد جعلوك رقيباً علينا فمن ذا يكون رقيباً عليك

(١) هو حاجز بن عوف ، شاعر جاهلي مقل ، مشهور بالعدو .

قال فشفقنا بالآيات فقال ابن أبي طاهر أحسنت والله وأجملت قد والله حسدتك
هذه الآيات والله لاجلست وقام وخرج من ساعته ولم يعد الى الشرب بقية يومه .

﴿ ماجاء في الدعاء للخارج إلى السفر ﴾

أخبرنا عنه عن ابراهيم بن فهد الساجي عن نصر بن علي عن عبد الله بن
داود عن مسعر عن مبصرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ودع رسول الله ﷺ
رجلاً أراد سفرًا قال « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتمك » وحدثنا عنه
عن أبي علي العتابي قال رأيت أبا شراعة القيسي آخذاً بسفينة ابراهيم بن
المدبر وقد عزل عن البصرة وهو يريد الخروج وأبو شراعة ^(١) ينشده :

ليت شعري أي قوم أجذبوا فأغيثوا بك من طول ^(٢) العجب
نزل الرّحّب ^(٣) من الله بهم وحرمناك لذنب قد سلف
أما أنت ربيع باكره حيثما صرّفه الله انصرف
ياأبا اسحق سر في دعة حيثما شئت ^(٤) فامنك خلف
وأخبرنا عنه عن الغلابي عن الزبير قال ودع ابن المعافى صديقاً له أراد سفرًا
فأنشده عند وداعه :

خلف الله الذي خلفته ووقاك الله وعشاء السفر
إنني أشكر ما أوليتني لم يضع حسن بلاه من شكر
ردك الله إلينا سالمًا بعد غم واغتياب وظفر

(١) هو أحمد بن محمد بن شراعة شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية
جيد الشعر جزله وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره .
(٢) رواية الأغانى « أى أرض أجديت فأغيثت بك من جهد العجب » .
(٣) في الأغانى « الرحم » . (٤) في الأغانى « وامض مصحوباً » .

﴿ الدعاء للقادم من السفر ﴾

أُشِدْنَا عَنْهُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَخِيطَلِ :

أَقْدَمَ قَدَمْتَ قَدُومَ عَارِضِ مُرْزَنَةَ يَهْتَزُّ بَيْنَ أَهَابِهَا الْفَضْفَاضُ
 مِنْ كُلِّ مَثْعَبَةِ الرِّيحِ ثَقِيلَةً تَمْشِي بِهِ مَشَى الْوَجَى الْمَنْهَاضُ
 مُسْوَدَةٌ مُبْيِضَةٌ فَكَأَنَّهُا دُحْمٌ مَوْلُوعَةٌ الشَّوَى بِيِضَاضِ
 وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

قَدُومٌ سَعَادَةٌ وَقَفُولٌ يَمِينُ هِيَ السَّرَّاءُ تَمْحَقُ كُلَّ حَزْنِ
 أَظْلَتِكَ السَّلَامَةُ مَا تَغَنَّتْ مُطَوَّقَةٌ عَلَى فَنِّ نَفْسِي

قوله (أظلتك السلامة) في غاية الرشاقة وأحسن منه قوله : تمحق كل حزن .

﴿ الدعاء للمهزوم ﴾

حَدَّثَنَا عَنْهُ عَنِ الْغَلَابِيِّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الضَّحَّاكِ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ عَنِ عَوَانَةَ
 قَالَ لَمَّا انْهَزِمَ أَسْلَمُ بْنُ زُرْعَةَ الْكَلْبِيُّ مِنْ مَرْدَاسَ بْنِ أَذْيَنَةَ بَأْسَكَ^(١) وَكَانَ فِي الْفَنَى
 رَجُلًا ، وَمَرْدَاسُ الْخَارِجِيُّ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، وَفِيهِمْ يَقُولُ شَاعِرُهُمْ :

أَأَلْفَا مُؤْمِنٌ^(٢) مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَبِهَزْمِكُمْ بَأْسَكَ أَرْبَعُونَ
 كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَلِكَ كَمَا زَعَمْتُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَ
 هُمْ الْفِتْنَةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ^(٣) عَلَى الْفِتْنَةِ الْكَثِيرَةِ يَنْصَرُونَ

فَدَخَلَ أَسْلَمُ الْبَصْرَةَ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهِ وَاللَّهِ لَأَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا خَيْرٌ
 مِنْ أَنْ تَمُوتَ شَهِيدًا ، وَلِأَنَّ تَدُومَ عِبَادَتِكَ بِحَيَاتِكَ أَزْلَفُ لَكَ مِنْ أَنْ تَنْقَطَعَ بِمَاتِكَ ،

(١) آسك : بلد من نواحي الأهواز قرب أركان .

(٢) في معجم البلدان (ألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلكم) .

(٣) في معجم البلدان (هم الفئة القليلة غير شك) .

قال ودخل على ابن زياد فدفننه واستعجزه فقال أيها الأمير كنت في ألفين جميعهم
 مثلي وقالت أربعين كل واحد منهم مثلي ويزيد على ولان يذمني الأمير حياً
 خير من أن يمدحني ميتاً . وحدثنا عنه عن القسم بن اسماعيل عن رفيع بن سلمة
 عن أبي عبيدة قال لما هزم أبو فديك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بهجر
 قدم البصرة في ثلاثة أيام فدخل عليه الناس وفيهم صفوان بن عبد الله بن الأهم
 المنقري أبو خالد بن صفوان والناس لا يدرون كيف يُدعى للمهزوم حتى قال
 صفوان أم والله أيها الأمير لقد تعرضت للشهادة جهديك وطلبتها طاقتك ووسعتك
 فعلم الله فقرنا إليك وقلة عوضنا منك فاختر لنا عليك يبقائك ولم يخترك علينا
 باستشهادك فالحمد لله الذي زين بك مصرنا وآنس ببقائك وحشنا وجلا بسلامتك
 غمنا . فعلم الناس كيف يُدعى للمهزوم فسلخوا هذا المسلك .

ومن أحسن الاعتذار للمهزوم قول فروة بن مُسيك العظيفي وأجاد :

فان نهزم فهزّامون^(١) قدماً وان نهزم فغير مهزميننا
 وما ان طبننا جبن^٢ ولكن منايانا ودولة آخرينا

فقوله « ودولة آخرين » من أحسن الاعتذار الواقع من المهزوم .

(الدعاء للعزول)

أنشدنا عنه عن عون بن محمد الكندي لأبي تمام الطائي :

ليهنك ان أصبحت مجتمعَ الشملِ وراعى المعالي والمحامى عن المجد
 وانك صنت الامرَ فيما وليته وفرقت ما بين الغواية والرشد
 فلا يحسب الأعداءُ عزلك مغنا فان إلى الاصدار ماغاية الورد
 وما كنت إلا السيف جرداً للوغى وأخذ فيه ثم رُدَّ إلى الغمد
 وأخبرنا عنه عن الحسين بن يحيى قال - حدثنا إسحاق قال عُزل هشام بن اسمعيل

(١) في الأغاني (فان تغلب فغلابون قدماً) .

المخزومي عن المدينة فاشتد العزل عليه فقال له عروة بن أذينة :
 فان تكن الأمانة عنك زالت فانك للغيرة والوليد
 وقد مر الذي أصبحت فيه على مروان ثم على سعيد
 وأخبرنا عنه قال دخلت يوماً مع أبي العباس محمد بن يزيد النحوي إلى عبد الله
 ابن الحسين القطريلي وقد صرف عن عمل فقال أقول لك ما قاله أبو عبادة البحرى :
 شهد الخرج إذ توليته أنسك في جمعه الأمين الأعف
 حيث لا عند مجتبي منه إظا ظ^(١) ولا في سياق جايه عنف
 سيرة القصد لا الخشونة عنف لتعدى المدى^(٢) ولا اللين ضعف
 وعلى حالتك يستلح الناس^(٣) أباء من جانبك وعطف
 لن يولى تلك الطساسيج إلا خلف منك آخر الدهر خلف
 إن تشكت رعية سوء قبض بك أو أعقب الولاية صرف
 فقديماً تداول العسر والبسر وكل قذى على الريح يطفو
 يفسد الأمر ثم يصلح عن قر ب والماء كدرة ثم يصفو
 ولما عزل إبراهيم بن المدر عن البصرة أنشده أبو صفوان الثقفى :
 أبا إسحق إن تكن الليالى عطفن عليك بالعزل اللثيم
 فلم أر صرف هذا الدهر يجرى بمكروه على غير الكريم
 وقال أبو العتاهية في محمد بن هشام السدرى :

لا يهنا الأعداء عزل ابن هاشم فكل مولى قصره الصرف والعزل
 لقد كان ميمون الولاية قابضاً يد الجور مبسوطاً به الحق والعدل
 يروم رجال حظه وهو سابق أبى الله إلا أن يطول وأن يعلو

(دعاء الأعياد)

أخبرنا عنه عن جبلة بن محمد الكوفي عن أبيه قال قال ابن شبرمة لعيسى

(١) أى إلحاح . (٢) فى الأصل « الندى » (٣) فى ديوان البحرى « الأرض » .

ابن موسى يوم أضحى : قبل الله منك الفرض والسنة واستقبل منك الخير والنعمة
وقرن بالاقبال يومك .

(ما قيل في القيام للأجلاء)

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الأ كبر قال حضر
بعض العرب مجلساً فجاء صديق له فتلغاه من بعيد وقال :

لئن قمتُ ما في ذلك عندي غَضَاضَةٌ عِلىَّ وإني للشريف مُذال
على أنه منى لغيرك ذِلَّةٌ ولكنّه بيني وبينك يَجْمَلُ

ومن مشهور ما قيل في هذا المعنى :

فلما بصرنا به مائلاً حللنا الحبي وأبتدرنا القياما

فلا تنكرن قيامي له فان الكريم يجلك الكراما

وأشدنا أبو أحمد عن الصولي عن يحيى البحرى لأبيه في عبيد الله بن
عبد الله من قصيدة طويلة :

وُمبجل وسط الرجال خفوفهم لقيامه وقيامهم لقعوده

فالله بكلّوه لنا ويحوظه وبعمره ويزيد في تأييده

وقال غيره :

أتعجب أن أقوم إذا بدالى لأكرمه وأعظمه هشام

فلا تعجب لاسراعى إليه فان مثله خلق القيام

وقال البحرى :

يقومون من بعد إذا بصروا به لأبج موفور الكرامة^(١) أروع

ويتدّر الراؤون منه إذا بدا سنى قمر من سدة الملك مطلع

إذا سار كف اللحظ عن كل منظر سواه وغضّ السمع^(٢) عن كل مسمع

(١) في نسخة « الجلالة » . (٢) في ديوان البحرى « الصوت » .

فلست ترى إلا إفاضة شاخصٍ إليه بعينٍ أو مشيراً بأصبعٍ

(ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال)

فنه قول الفرزدق وأجاد في ذلك :

إذا ما مضى عشرون يوماً تحركت أراجيفُ بالشهرِ الذي أنا صائمه
وطارت رقاغُ بالسوا عبيدٍ بيننا لكي يلتقي مظلومٌ قومٍ وظالمه
فان شالَ شوالٌ مُثَلُّ في أكفنا كؤوسٌ تعادى العقلَ حينَ تسالمه
ومعاني هذه الأبيات كلها مبتكرة لم يسبق إليها الفرزدق .

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الرياشي عن أبيه :

وقفنا فلولا اننا راضنا الهوى لهتكنا عندَ الرقيبِ نجيبُ
ومن دون ما نلقاهُ من لوعةِ الهوى نَشَقُ جُيوبُ بل نَشَقُ قلوبُ
على انَّ شوالاً أشالَ بوصلنا ومرتعهُ للعاشقينَ خِصيبُ
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشدنا ابن بسام لنفسه :

سقى لشهرِ الصومِ من شهرٍ عندي له ماشاء من مُشكرٍ
كم من عزيزٍ فيه فزنا به أنهضهُ الليلُ من الوكرِ
ومن إمامٍ كانَ لي وصلهُ إلى كجبلِ العينِ بالسحرِ
لو كانَ يدري بالذي خلفهُ أعجلهُ ذاكَ عن الوترِ
وخلةٌ زارتك مُشتاقه في ليلةِ القدرِ على قدرِ
فانصرفَ الناسُ بما أملاوا وبؤت بالآتامِ والوزرِ
وأنشد المبرد للحارثي :

شهرُ الصيامِ وإن عظمت حرمتهُ شهرٌ طويلٌ بطيء السيرِ والحركة
يمشي الهويونا إذا ما رامَ فرقنا كأنهُ بطةٌ تنجرُ في شبكة
لا يستقرُّ فأما حينَ يطلبنا فلا سليلك بُدانبه ولا ساكه (١)

(١) من عدائي العرب المشهورين .

كانه طالب ناراً على فرس
 يصدق من قال أيام مباركته
 أجد في إثر مطلوب على زمكه (١)
 إن كان يكنى عن اسم الطول بالبركه
 وقال آخر :

مضى رمضان محموداً وأوفى علينا الفطرُ بقدمه الشرورُ
 وفي مرّ الشهور لنا فناءً ونحن نحب أن تفتي الشهورُ
 وحدثنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا الحسين بن يحيى قال كتب الحسين بن
 وهب إلى الحسن بن رجاء يوم شك وقد أفطر الواثق :

هزنتك للصباح وقد نهانا أمير المؤمنين عن الصيام
 وعندى من قنان المصر عشر تطيب بهن دائرة المدام
 فكن أنت الجواب فليس شيء أحب إلى من حذف الكلام
 وقال غيره :

أقول لصاحبي وقد بدا لي هلال الفطر من تحت الغمام
 سنسكرك سكرة شنعاء جهراً وننعم في قفا شهر الصيام
 وقال محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله الجعفرى :

هل لك في صهباء مشمولة ليست من الدبس الذي ينبذ
 فان شعبان على طيبه درب إذا فكرت لا يتغذ
 وقال أحمد بن يزيد :

ألا سقياني من معتقة الخمر فلا عذر لي في الصبر أكثر من شهر
 وإن كنتما لم تعلمما فتعلمنا بأن زمان الصوم ليس من العمر
 وحدثنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا أبو الحسن محمد بن أبي الموج الرازى
 وقال حدثني أبي قال كتب على بن جبلة إلى أبي دلف يستسقيه نبيذاً في يوم عيد الفطر
 فوجه إليه بما كفاه وبمائتي دينار فقال على بن جبلة :

وأبيض عجلت رأيت غمامه وأسبافه تقضى على الحدّثان
 مَدَدتُ اليه ذمّي فأجارها وأغنى بدى عن غيره ولساني
 شربتُ ورَوَّيتُ النديمَ بماله وأدركتُ نارَ الراح من رمضان
 وكانَ لسؤالِ عليّ ضمانةً فكانت عطايا جوده بضمان
 وحدثنا عن الصولي قال حدثنا أبو ذكوان القسم بن اسماعيل قال حدثنا التوزي
 عن أبي عبيدة قال أسلم اعرابي في أول الاسلام فأدركه شهر رمضان فجاج وعطش
 فقال الاعرابي يذكر ذلك :

وجدنا دينكم سهلاً علينا شرائه سوى شهر الصيام

(فصل في معان مختلفة)

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه قال كانت عند رجل من بني
 أسد ابنة عم له وراها فدخل إليها يوماً وهي مُتغضبة فقال ماشأنك؟ قالت إنك
 لا تشبب بي كما يشبب الرجال بنسائهم، قال أفعل ثم أنشأ يقول :
 نمتُ عُبيدةً إلا في ملاحظتها والحسنُ منها بحيثُ الشمسُ والقمرُ
 ما خالف الظبي منها حين يُبصرها إلا سوافه والجيدُ والنظرُ
 قلّ لذى طابها من حاسد حنق أقصر فرأسُ الذي قد عبت والحجرُ
 وأنشدنا للمديب بن الفرّج العجلي (١) :

هل تقضين لمستهام حاجةً نيطت إليك بها جبالُ رجائه
 أفنى نجلده بقاء دموعه وأدام عبرته فناؤه عزائه

وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن محمد الخراساني قال كنت في مجلس
 ابن ثوابة فناظره رجلٌ عن ضيعة له فاستقصى الحجة وأخذ بنفسه فقال ابن ثوابة

(١) شاعر مقل من شعراء الدولة الاموية وكان له ثمانية أخوة وأمهم جميعاً

إمراة من بني شيبان .

يامابون فوثب الرجل وهو يقول :

كلانا يرى الجوزاء يا جمل إن بدت ونجم الثريا والمزارع بميد
فتحدث الناس بها مدة . قال أبو بكر ويشبه هذا حديثاً حدثناه أبو العيناء قال
خاصم يوماً جيلان القمي المقبول الزيادي فقال المقبول يادعي فأنشأ جيلان يقول :
بُيْدِنَةُ قَالَتْ يَا جَمِيلُ أُرِيْتِي فَقُلْتَ كَلَانَا يَا بَشِيرُ مُرِيبُ
فبلغ هذا ابن عائشة التيمي فقال : جيلان في التمثيل بهذا البيت في هذا الموضع أشعر من
جميل قائله . أنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد لنفسه بهجو بعض النحويين :

عَظَيْرُ إِنَّا اخْتَلَفْنَا فِي الْفَعْلِ مِنْ فَاعِلِينَ
فَقَالَ قَوْمٌ بَيْتِي لَجَعْنَا الْهَمَزَتَيْنِ
وَقَالَ قَوْمٌ بَعْدِي بَمَلْتَقَى السَّاكِنِينَ
وَأَنْتَ أَعْلَمُ مِنَّا بِذَا وَذَاكَ وَذِينَ
لَا نَكَ الدَّهْرَ فَعَلُ يَعْتَلُ مِنْ جَهْتَيْنِ

وأنشدني عم أبي رحمه الله :

صَحْبَتِكُمْ دَهْرًا طَوِيلًا لَمَسْرَتِي أُرْحَى نَجَاحًا وَالظَّنُونُ فَنُونُ
فَمَا نَلْتُ مِنْكُمْ طَائِلًا غَيْرَ انِّي تَعَلْتُ ذُلَّ الْعَيْشِ كَيْفَ يَكُونُ
وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا فِي مَسْجُونُ

لَنْ حَجَبَتِكَ الْحَجْبُ عِنَّا فَرِيمَا رَأَيْنَا جَلَابِيبَ السَّحَابِ عَلَى الشَّمْسِ

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن المسيب عن ابن الرومي :

خَيْرُ مَالٍ مَوْزُونُهُ لِنَوَى الْحَمْدِ كَمَا خَيْرُ حَمْدِهِمْ مَوْزُونُهُ
وَأَصْحُ^(١) الْأَرَاءِ مَا ظَنَّ ذُو الْأَفْسَنِ بِذِي الرَّأْيِ أَنَّهُ مَا فُونُهُ

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

وَإِذَا أَنْتَكَ مَذْمُوتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي فَاضِلٌ

(١) في الأصل «وَأَظَنَّ» وفي ديوان ابن الرومي المخطوط «وَأَصْحُ» .

والمحلُّ الخلاءُ من كلِّ ضيفٍ ومضيفٍ مُعطلٌ مسكُونُهُ
 وأخسُّ الرجالِ من راحَ فيهمُ مُسلمَ العرضِ سالماً ماعونُهُ
 أنفقَ المالَ قبلَ انفاقك الممـــــرَ ففي الدهرِ رَبُّهُ ومنونُهُ
 لا تظننَّ أنَّ مالكَ شيءٌ كدمِ الجوفِ خيرُهُ محقونُهُ
 قلما ينفعُ الثراءُ بخيلاً علقَتْ في الثرى المهيلِ رهونُهُ
 كلُّ وأطعمَ فر بما راع ريباً^(١) زاكياً من تعوله ونمونُهُ
 وإذا ما ظننتَ شراً فخفه رُبَّ شرٍّ يقينه مظنونُهُ
 كم ركونٍ جنى عليك حذاراً من أطالَ الرُّكونَ قلَّ ركونُهُ

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن الأنباري عن أبيه :

يموتُ قومٌ فيحبي العلمُ ذكرهمُ ويُلحقُ الجهلُ أحياءَ بأموالٍ
 ونحوه قول دعبل :

سأقضى بيتَ يحمدهُ الناسُ أمرُهُ ويكثرُ من أهلِ الروايةِ حامله
 يموتُ ردىءُ الشعرِ من قبلِ رَبِّهِ وجيِّده يبقَى وان ماتَ قائله

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن

خالد عن يونس : دخل الطرماحُ بن حكيم على خالد بن عبد الله القسري فقال له :

أنشدني بعض شعرك فأنشده قوله :

وشيبني أن لا أزال مُناهِضاً بغيرِ غنى أسمى به وأبوعُ
 وإن رجالَ المالِ أضحوا وما لهم لهم عندَ أبوابِ الملوكِ شفيح
 أمحترمي ريبُ المنونِ ولم أنلُ من المالِ ما أعصى به وأطيع
 فأمر له بعشرين ألفاً وقال له اعص بها الآن وأطع إذا شئت .

(١) في الأصل «فكل ماراع ريباً» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط .

(التفاضل بين الاخوان)

أشدنا أبو أحمد عن أبي بكر :

وبعض الأمر أصاحه ببعض
فان الفث يحمله السمين
تري بين الرجال المين فضلا
وفيما أضمرُوا الفضل الميين
كلون الماء مشتبها وليست
تخير عن مذاقه الميون

(الحث على موافقة الناس)

من أحسن ماورد في ذلك قول الشاعر :

الناس ان وافقتهم عذبوا
أولا فان جنام مر
كم من رياض لانظير لها
ترك لان طريقها وعر
وقلت : لما أدل أملنى فسلوته
من ذا يدل فلابمل محبه
نالله ما أتبع النبي محمد
لو كان فظاً أو غليظاً قلبه

(إغباب الزيارة)

قال مسلم بن الوليد :

إني كثرت عليه في زيارته
فمل والشئ مملول إذا كثرا
قد رايت منه أنى لا أزال أرى
في عينه قصر آعنى إذا نظرا
وقال الكعبى : * ولولم تغب شمس النهار لملت * فأخذه أبو تمام فقال :
فانى رأيت الشمس زبدت محبة
الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد
ونقله آخر الى ذكر الغيث :

عليك باقلال^(١) الزيارة إنها
تكون متى دامت^(٢) إلى الهجر مسلكا
فانى رأيت القطر^(٣) يسأم دائبا^(٤)
ويطلب بالأيدي^(٥) إذا هو أمسكا

(١) وفي رواية « إغباب » (٢) وفي رواية (إذا كثرت كانت إلى) . (٣) في

رواية (الغيث) . (٤) في الأصل (دائما) ، (٥) وفي رواية (ويسأل بالأيدي) .

وقال آخر: وأغبيتُ الزبارةَ لاملالاً ولكن من محاضرة الملل

وهذا كله من قول النبي ﷺ « زُرْ غِبًّا تَزِدُّ حُبًّا » (١)
 وقلت: ما زلتَ تلقاهُ فضاقتَ صدرهُ وعادَ من بعدِ الوصالِ هجرهُ
 من أكثر الغشيانِ خسَّ قدرهُ لو كثرَ الباقوتُ هانَ أمرهُ
 ولم يعزَّ حمرهُ وصفرهُ ولا علا بين الأنامِ ذِكرهُ

﴿ في ذم العجائز قول الشاعر ﴾

رأيتُ البيضَ قد أعرضَ عني فمن لي أن تساعدني عجوزُ
 كأنَّ بمجامعِ اللحينِ منها إذا حسرتَ عن اللحينِ كوزُ
 ومن المشهور قول الحرمازي:

لا تنكحنَّ عجوزاً إن دعيتَ لها واخلع ثيابك عنها ممعناً هرباً
 فإن أتوك وقالوا إنها نصفُ فإن أطيبَ نصفها الذي ذهباً
 وقال آخر: وما غرني (٢) إلا خضابُ بكفها وكلُّ بعينها وأثوابها الصفرُ
 وجاءوا بها قبلَ المحاقِ بلبلةٍ فكانَ محاقاً كلهُ ذلك الشهرُ

﴿ ما ورد في فضل الحمام ﴾

قال السري بن عبد الله الرفاه:
 أسمعيدُ هل لك في زيارة منزلِ تثنى عليه جوارحُ الزوارِ
 رحب تَرى الجُدران فيه بنابعاً (٣) وترى السماءَ كثيرةَ الأقمارِ (٤)
 ينضو حبي الوجهِ ثوب حيايه فيه فيخطرُ كالحسامِ العارِ
 وترى على غدرايه (٥) جهم الوغى يخطرَن ما بين القنا الخطارِ

(١) رواه البزار وأبو نعيم والبيهقي في الشعب وابن جبان في صحيحه (٢) في نسخة

(وما راغني) . (٣) في ديوان السري المخطوط . رحب تلاقى الجدر منه

ينابع . (٤) في الديوان (عليه كالأقمار) . (٥) في الديوان « على جدرائه » .

سُئِلَتْ سِيوفُهُمْ بِغَيْرِ بَوَارِقٍ وَجَرَّتْ مُخَيَّوْلُهُمْ بِغَيْرِ غَبَارٍ
مع آيات أخر غير مختارة الرصف . وقلت :

قَمَّ بِنَا نَنْزَلُ فِي خَيْرِ دَارٍ وَهِيَ إِنْ مَيَّزَتْهَا شَرُّ دَارٍ
مَنْزَلٌ نَخْلَعُ دِبْنِكَ فِيهِ حِينَ تَأْتِيهِ خَلِيعَ الْإِزَارِ
لَا تَرَى فِيهِ الشَّمْسُ نَهَارًا وَتَرَى الْإِقْتَارِ نَصْفَ النَّهَارِ
وَعَلَى حَيْطَانِهِ أَسَدٌ حَرَبٍ فَوْقَ أَمْهَارٍ وَفَوْقَ مَهَارِ
شَهِدُوا الْحَرْبَ بِأَرْمَاحِ زَوْرٍ وَسِيوفِ نَائِيَاتِ الشَّفَارِ
وَتَرَى الْإِبْدَانَ حِينَ أَنْتَهُ تَكْتَسِي الصَّحَّةَ وَهِيَ عَوَارِي
بَيْنَايِعَ كَقَضْبَانِ دُرٍّ تَتَكَافَأُ مِنْ وَرَاءِ الْجِدَارِ
وقال عبد الله بن المعتز في ذم حمام :

وَحَامُنَا كَالعَجُوزِ يَشْتَقِي بِهَا الْوَارِدُ
فَيْتٌ لَهُ مُنْتَنٌ وَبَيْتٌ لَهُ بَارِدٌ

ولقد أخذ هذا اللفظ بعينه بعض المحدثين وزاد فيه فقال :

وَحَامُنَا هَذِهِ كَالعَجُوزِ تَلْدُ وَيَشْتَقِي بِهَا الْوَارِدُ
فَيْتٌ لَهَا مُنْتَنٌ ضَيْقٌ وَبَيْتٌ لَهَا وَاسِعٌ بَارِدٌ

ومن أجود ما قيل في صفة الشورة قول الآخر :

وَمَجْرَدٌ كَالسَيْفِ أَسْلَمَ نَفْسُهُ لِمَجْرَدٍ يَكْسُوهُ مَا لَا يُنْسَجُ
ثَوْبًا تَمَزَّقُهُ الْأَنْمَلُ رِقَّةً وَيُنْدِيهِ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ فَيَهْجُ
وَكَانَهُ لَمَّا التَّقَى فِي خَصْرِهِ نَصْفَانِ ذَاعَاجٌ وَذَا فَيُرْوِجُ

(الشطرنج - قلت فيه)

إِذَا أُعْفِيَتِ الصَّهْبَا مِنْ قَدْحٍ وَمِنْ شَجٍّ
وَكَانَ الْكَأْسُ لَا يُجْدِي وَمَرْجِي الرِّاحَ لَا يَرْجِي

(٣١ - ثاني المعاني)

وألقى اللهب من يلقى وأرجى الشرب من يرجى
 لأيام أخاضنا من الأحران في الج
 فمنها الجسم في نقص ومنها القلب في وهج
 فما أنفك في حر وإن أصبحت في تلج
 وما من شرها ناج وما من كيدها منجى
 تمتعنا بمسوع ملبح النظم والنسج
 وتلو ذكر من نهوى على نرد وشرنج
 كأننا منه في هرج ولسنا منه في هرج
 تمشى الزنج للروم وقام الروم للزنج
 فما أحسنها بيضا تمشيين إلى دعج
 أقمنا بيننا حرباً بلا عج ولا ميج
 شهدها بلا طبل ولا بوق ولا صنج
 وجناها بلا سيف ولا رُمح ولا زج
 ترى أفراسنا نعدو بلا لجم ولا سرج
 مشى الفرزان معوجاً لأمر غير معوج
 وريح ينتحي نهجاً فلا بعدو عن النهج
 وفيل ليس يحدوه بدا شلح ولا عالج
 وعند الشاة منصوب لواء النصر والفلج
 وحولى أوجهه غر عليها سيمة السرج
 إذا مادون الحسن تراهم أول الدرج

ماورد في النرد

وقال السرى بن عبد الله الرفاء :

ومحكان على النفوس وربما لم يحكما فيهن حكماً عادلا

يلقاهما المرزوقُ سعداً طاعاً وبراها المحروم سعداً آفلاً
 فاذا هما اصطجبا على كف الفتي ضرّاه أو نفعاه نفعاً عاجلاً

﴿ وأما القدر ﴾

فأجود ما قيل فيه قول ابن مقبل :

مُخْرَجٌ مِنَ الْعَمَى إِذَا صَكَ صَكَةً بدا والعيونُ المستكفنةُ تلمحُ
 غدا وهو بمجدولٍ وراح كأنه من المسِّ والتقليبِ بالكفِ أو طحُ
 إذا امتحنته من معدِّ عصابة غدا وبه قبل المفيضين مقدحُ

﴿ انتظار الفرج ﴾

أنشدنا أبو أحمد عن ابن دُرَيْد :

إذا اشتملت على اليأسِ القلوبُ وضاقَ بما به الصدرُ الرَّحِيبُ
 وأوطنت المكارهَ وأطانت وأرست في مطامنها الخطوبُ
 أنك على قنوطٍ منك غوثٌ يمينُ به اللطيفُ المستجيبُ
 وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهت فقرونٌ بها الفرجُ القريبُ
 وقلت : لكلِّ مُلَمَّةٍ فرجٌ قريبٌ كمثلِ الليلِ بتلوه الصباحُ
 وإنَّ لكلِّ صالحةٍ فساداً كذلك لكلِّ فاسدةٍ صلاحُ
 وللأيامِ أمدٌ باسطاتٌ وأفنيةٌ موسعةٌ فساحُ
 وقد تأتي وأوجهها صباحٌ كما تأتي وأوجهها قباحُ
 وللحالاتِ ضيقٌ واتساعٌ وللدنيا انفلاقٌ وانفتاحُ
 فلا تجزع لها واصبر عليها فإنَّ الصبرَ عُقباهُ النجاحُ
 وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهت فقرونٌ بها الفرجُ المتاحُ

﴿ معنى آخر ﴾

قد ينفع الأدبُ الأحداثَ في مهلٍ وليس ينفعُ بعدَ الكبرةِ الأدبُ

إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قُوَّتْ مَتَاهَا عَدَلَتْ ۖ وَلَا بَلَيْنٌ إِذَا قُوَّتْهُ الْخَشْبُ ۖ
 وَأَجُودٌ مَا قِيلَ فِي أَرْذَحَامِ الْمُتَجَمِّعِينَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَفْضَلِينَ الْبَيْتِ الْمَشْهُورِ ۖ
 مَنْ أَكْثَرَ الْإِحْسَانَ مِنْ فِعْلِهِ ۖ وَعَمَّ بِالْفَضْلِ جَمِيعَ الْأَنْامِ ۖ
 بَرَزَ دَحْمُ النَّاسِ عَلَى بَابِهِ ۖ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الرِّحَامِ ۖ
 وَقَالَ أَبُو الْهَوْلِ ۖ

إِذَا السَّمَاءُ آبَتْ إِلَّا مَحَاذِرَةً ۖ سَحَّتْ بِدِ الْفَضْلِ يَاقُوتًا وَعَقِيَانَا
 تَرَى الرَّفَاقَ إِلَى أَبْوَابِهِ زَمْرًا ۖ وَرَدَّ الْقَطَا أَقْبَلَتْ مِثْنِي وَوَحْدَانَا

(معنی آخر)

لَيْسَ جُودٌ أُعْطِيَتْهُ بِسُؤَالٍ ۖ قَدْ يَهْزُ السُّؤَالُ غَيْرَ جُودٍ ۖ
 إِنَّمَا الْجُودُ مَا أَنْتَاكَ ابْتِدَاءً ۖ لَمْ تَنْذُقْ فِيهِ ذَلَّةَ التَّرْدَادِ

(ومن أجود التشبيهات في المحجمة قول بعضهم)

وَخَضِرَاءُ لَا مِنْ بَنَاتِ الْهَذِيلِ ۖ يُلْفُفُ بِالسَّيْرِ مِنْقَارَهَا
 كَأَنَّ مَشَقَّ عَيُونِ الْقَطَا ۖ إِذَا هُنَّ تَوَمَّنَ آتَارَهَا
 وَقَالَ أَيْضًا فِي الْحِجَامَةِ ۖ

أَمَا وَأَيْبُكَ لَا أَنْسَاهُ تَدْمِي ۖ مُضَارِبُ سَيْفِهِ الْبَطْلَ الْكَمِيَا
 وَبَرَقًا فِي أَنْامِلِهِ إِذَا مَا ۖ نَالِقَ فَتَّحَ الْوَرْدَ الْجَنِيَا
 إِذَا ظَهَرَتْ فَرَاحُ أَيْبِكَ يَوْمًا ۖ سَقَاهَا مِنْ رِقَابِ النَّاسِ رِيَا
 وَإِنْ جَرَحَ الْأَخَادِعَ مَطْمَئِنًّا ۖ كَسَا الْوَجَنَاتِ دِيبَاجًا بِيَا
 وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ يَأْتِي عُقُوقًا ۖ وَيَدْعُوهُ الْوَرْدِي بَرًّا تَقِيَا
 وَقَالَ آخِرُ ۖ أَبُوكَ أَوْهَى النَّجَادُ طَاتِقَهُ ۖ كَمِ مَنْ كَمَى أَدْمِي وَمَنْ بَطَلَ
 بِأَخْفَنَ مِنْ مَالِهِ وَمَنْ دَمَهُ ۖ لَمْ يَمْسُ مِنْ نَارِهِ عَلَى وَجَلِي

﴿ ومما قيل في حطل الرأي قول الآخر ﴾

عُذْرُكَ عِنْدِي بِكَ مَبْسُوطٌ وَالعَنْبُ عَنْ مِثْلِكَ مَحْطُوطٌ
لَيْسَ بِمَسْخُوطٍ فِعَالٌ أَمْرِي . كُلُّ الَّذِي بَأْتِيهِ مَسْخُوطٌ
وقال آخر :

يَا مَنْ يِقْلَقُهُ طَنِينُ ذَبَابٍ وَيَقْلُقُهُ عَزْمَتُهُ صَرِيرُ الْبَابِ
ضَرَبَ السَّرَادِقُ فِي رُؤَايَ بَابِهِ وَالذَّارُ نَعَجَزُ عَنْ مَقِيلِ ذَبَابِ
وَأَقَامَ لِلْبُؤَابِ حَاجِبَ حَاجِبِ أَرَأَيْتَ حَاجِبَ حَاجِبِ الْبُؤَابِ

﴿ إفساد المعروف بالمن ﴾

قال بعضهم :

أَلْبَانٌ إِبْلٌ نَعْلَةٌ بِنِ مُسَاوِرٍ مَا دَامَ يَمْلِكُهَا عَلَى حَرَامٍ
وَطَعَامٌ عَمْرُو بْنُ أَوْفَى مِثْلَهُ مَا دَامَ يَسْلُكُ فِي الْبَطُونِ طَعَامِ
أَنَّ الذَّيْنِ يَسُوغُ فِي أَحْلَاقِهِمْ زَادُ يَمْنٌ عَلَيْهِمُ لِلشَّامِ
لَعَنَّ الْآلَةَ نَعْلَةَ بِنِ مُسَاوِرٍ لَعَنَّآ بِشْنُ عَلَيْهِ مِنْ قُدَّامِ

﴿ من يعيب غيره وهو معيب ﴾

من المشهور في ذلك قول الشاعر :

أَرَى كُلَّ إِنْسَانٍ يَرَى عَيْبَ غَيْرِهِ وَيَعْمَى عَنِ الْعَيْبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ
وَمَا خَيْرٌ مِنْ تَخْفِي عَلَيْهِ عَيْبُوبُهُ وَيَبْدُو لَهُ الْعَيْبُ الَّذِي لِأَخِيهِ
وَلَأَبِي دَلَامَةٌ (١) فِي مَعْنَاهُ :

إِذَا النَّاسُ غَطُّوْنِي تَغْطِيَتِ عَنْهُمْ وَإِنْ بَحْثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ

(١) هو زند بن الجون، وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول زيد - بالياء - وهو

زيد بالنون . وهو كوفي ، نبغ في أيام بني العباس وانقطع إلى أبي عباس والمنصور
والمهدي فكانوا يصلونه .

وان حفروا بئرى حفرتُ بئارهم ليعلم قوم ما تضمُّ النبائث (١)

(معنى آخر)

صديقك حين تستغنى كثيرٌ ومالك عند فقرك من صديق
فلا تغضب على أحد إذا ما طوى عنك الزبارة عند ضيق
في مدح قوادة حاذقة :

نكادُ لو لم تك إنسيةً تجري من الانسانِ جمرى الدم
لا نعصم الحسنا من كيدها ولو توت في منزل الأعصم
وقول الآخر في ذلك :

تسهل كل ممنوع عسير وتأتى بالمراد على اقتصاد
فلو كافتها تحصيل طيف الخيال ضحى لزار بلا رقاد
وقريب من ذلك قول الآخر :

من ذم إدريس في قيادته فانى شاكره لادريس
من بمستصعب فجاء به أطوع من آدم لا بليس
وكان في سرعة المجيء به آصف في حمل عرش بلقيس

(معنى آخر)

مالزددت في أدبي حرقاً أسره به إلا تزبدت حرقاً تحته شوم
انّ المقدم في حنق بصنعتيه أنى توجه منها فهو محروم
وقريب منه : ولربما رزق الفتى بسكوته
ومن الجيد في ذلك قول الآخر :

إذا اجتمعت في امرء بين صناعة وأحببت أن تدرى الذى هو أحق
فحيث يكون النقص فالمال واسع
وحيث يكون الخلق فالرزق ضيق

(١) في نسخة « النوابث » وفي الأغانى « ليعلم يوماً كيف تلك النبائث » .

﴿ معنى آخر ﴾

إذا قل مال المرء لانت قناته
ومثله قول الآخر: المرء بكرم للغنى
وقال آخر: غضبان يعلم أن المال ساق له
فمن يكن عن كرام الناس يسأني
وقال آخر: كفي حزناً أني أروح وأغتندي
وأكر ما ألقى صديقي بحر حباباً
وقال آخر في معناه:

أجلك قوم حين صرت إلى الغنى
وليس الغنى إلا غنى زين الفتى
وكل غنى في القلوب جليل
عشية بقرى أو غداة ينيل

﴿ ماورد في حظ الجاهل ﴾

فمن جملة ذلك قول الشاعر:

ومالب اللبيب بغير حظ
رأيت الحظ يستتر كل عيب
بأغنى في المعيشة من فتيل
وهيهات الحظوظ من المعقول

والعرب تقول إسمع بجعد أودع . وقال الخارث بن حلزة:

والعيش خير في ظلا
لكل حر مبتلى
والنحس في طالعه
فكن رقيماً ساقطاً
وكن رقيماً ماجداً
هيهات أن يحظى الفتى

وقال آخر: الجد أنهض بالفتى من عقله
وإذا تمسرت الأمور فارجها
فانهض بجدي في الحوادث أودر
واستأنف الأمر الذي لم يعسر

ما أقرب الأشياء حين يسوقها قدراً وأبعدها إذا لم يقدر

﴿ الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة ﴾

قال بعضهم: ولن يلبث الجاهل أن يتمضموا أبا الخلم ما لم يستعن بجهول

وقال الأحنف بن قيس:

وذى ضغن أمت القول منه بحلم واستمر على المقال

ومن يحلم وليس له سفينة يلاقي المضلات من الرجال

وقال غيره: لا بُدَّ للسيد من أرماح ومن عديده يتقى بالراح

ومن سفينة دائم النباح

﴿ معنى آخر ﴾

وما الجود من فقر الرجال ولا الغنى ولكنهُ خيم النفوس وخيرها

فنفسك أكرم عن أمور كثيرة فمالك نفس بعدها تستعيرها

وقد تخدع الدنيا فيمسي غنيها فقيراً وبغنى بعد يؤس فقيرها

وكم طامع في حاجة لا ينالها وكم آيس منها أتاه بشيرها

﴿ الاقتداء بالقرين ﴾

أجود ما قيل فيه قول رسول الله ﷺ « المرء على دين خليله »^(٢)

ومن أقدم ما قيل فيه قول عدى بن زيد العبادي:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فان القرين بالمقارن مقتدى

(١) في الأصل (ومن) ٠ (٢) بقية الحديث « فلينظر أحدكم من يخالل »

رواه أبو داود والترمذي وحسنه والبيهقي والقضاعي وغيرهم، قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

فان كان ذا شر فجنبه سرعة وان كان ذا خير فقارنه تهتدى

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتزدى مع الردى

وليس رصفه بالجيد . وقال غيره :

ولا يسأل الانسان إلا قريته وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد

{ المأخوذ بذنب غيره }

قال الشاعر في ذلك :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليت به إن القى بآبى عم السوء مأخوذ
ومن قديم ما قيل في ذلك قول النابغة :

أحملتني ذنب امرئ وتركتهُ كذى العر يكوى غيره وهو رافع
وقال غيره : إني وقتلي سليكاً ثم أعقله كالثور يضرب لما طافت البقر

{ في النهي عن الظلم قول الاول : }

البنى يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم
وقال النبي ﷺ « الظلم ظلمات يوم القيامة » (١) . وقال بعضهم :

ظلمك من خلقك مستخرج والظلم مشتق من الظلمة

وقلت في عامل صودر :

لو أنصف الظالم من نفسه لأنصف الظالم في نفسه
إن كان لا يرحم في يومه لكان لا يرحم في أمه

{ ماورد في الجبن }

وأفتنا هجين بنى سليم بُفدى المهر من حب الأياب
فلولا الله والمهر المفدى لا بت وأنت غربال الأهاب

وقال آخر :

بانت تُشجني هند وقد علمت أن الشجاعة مقررُون بها المعطبُ

(١) حديث متفق عليه عن ابن عمر مرفوعاً ، ورواه مسلم وغيره عن جابر

بلفظ « إن تقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » .

ياهندُ لاوالذي حجَّ الحجيجُ له مايشتهى الموتَ عندي من له أدبُ
وقال آخر في المعنى :

نجوتُ نجاتاً لم يرَ الناسُ مثله كأنني عُقابٌ عندَ تيمنِ كاسرٍ
وقال آخر :

يقولُ ليَ الأميرُ بغيرِ شكِّ تقدّمَ حينَ جدّ بنا الميراسُ
ومالي إن أظعتك من حياةٍ ومالي بعد هذا الرأسِ راس

(ومن المضحكات قول الآخر)

ألم ترني وعمراً حينَ نغدو إلى الحاجاتِ ليس لنا نظيرُ
أسايرُهُ على يُمنى يديه وفيها بيننا رُجلٌ ضريبُ
ومن المضحكات قول القاساني في الجبن والتطفيل :

أرَى في النومِ رُحماً أوسناناً فأسلحُ في الفراشِ على مكاني
ولكني المُبارزُ حينَ أدعى إلى أكلِ العصيدِ والفراني
وما عمروُ هناك أشدَّ مني ولا العبسيُّ عنترَةُ الطعان
ولا زيدُ الفوارسِ حينَ أدنو فألقى بالكلاكلِ والجران
تراني عندها ليناً نغيراً إذا ما اصطكَّ مني الماضغان
أشدُّ على الخبيصةِ لأبلى بأى جنوبها وقعتَ بناني
وكم طبقِ رَدَدْتُ وليس فيه من البقلِ المحصلِ حبتان

(الخلق من الثياب)

قال الحدوني :

طالَ تردّأدهُ إلى الرفوحِ لو بعثناه وَحدهُ تهدي
وقال آخرُ : قال غسّالي لما جئته قولاً صحيحاً
ياعزيزي أنا لا أغسلُ بالصابونِ ريحا

وأحسن من ذلك كله وأشهر قول الآخر :
يا ابن حرب كسوتني طيلساناً ملّ من صُحبة الزّمان وصدّاً
إن تمنحت فيه بنحز عبراً أو تحركت فيه ينقدّ قدّاً

(من أحب لبناته الموت)

قال بعض الأعراب :

انى وإن سيقَ إلى المهرُ ألفٌ وعبدان وذودٌ عشرُ
أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

وقال عبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر :

لكلّ أبى بنتٍ يُراعى شؤونها ثلاثةُ أصهارٍ إذا مُطلبَ الصهرُ
فبعلٌ يُراعيها وخدرٌ يكنها وقبرٌ يُوارىها وخيرُهما القبرُ
جعل القبر خير الثلاثة الأصهار فإنه نعم الصهر فى السر . كلام الملحدين لعنهم الله :

فمنهم ديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصى :

هى الدنيا وقد نعموا بأخرى وتسويفُ النفوس من السوافى
فان كذبوا أمنت وإن أصابوا فان المبتلىك هو المُعافى
وأصدق ما أثبتك ان قلبى بتصديقِ القيامةِ غير صافى

وقال ابن أبى البغل :

باح ضميرى بمضمير الأمرِ وذلك أنى أقولُ بالدهرِ
وليسَ بعد الماتِ حادثهٌ وإنما الموتُ بيضةُ العقرِ
وقال آخرُ : يا ناظرآ فى الدين ما الأمرِ لا قدرٌ صحَّ ولا جبرُ
ماصح عندى من جميع الورى يُذكرُ إلا الموتُ والقبرِ

فبهم الله لقد أعظموا القول ولم ينتفعوا إلا بالفضيحة فى الدنيا والائم فى
الآخرة . وإنما أورد مثل هذا لتعرف أهله ولأن تسمية الكتاب توجبه . ونحوه

قول ابن الرومي وأجاد :

أيارب إن سويتَ يني وبينه
فكيف وقد أعلتَه وخفضتني
لما كان عدلاً أن نكونَ سواءَ
فكنتُ له أرضاً وكانَ سماءَ

(فصل آخر)

كتب أبو الشيبص إلى رجل كان وعده مخدّة فأبطأت عليه :
يا صديقي وأخي في كل ما يبرو وشده
ليت شعري هل زرّعتم بذرَ كنانِ المخدّة
وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال أهدى بعض العمال
إلى دعبل بن علي الخزاعي برذوناً زماناً فرده وكتب إليه :

وأهديتُه زَميناً فانيا فلا للركوب ولا للثمن
حملت علي زَمينِ شاعراً فسوف يكافئ بشعرِ زمن
أيا الفضل ذمّاً ومُغرمّاً فما كنت ترجو بهذا الغين

ووعده رجل دعبلأ نعلا يهد بها إليه عند قدومه من الحج فأبطأت عليه فقال دعبل الخزاعي :
وعدت النعلَ ثمَّ صدفتَ عنها كأنك تشتهي شتماً وقدفا
فإن لم تُهد لي نعلاً فكنها إذا أعجمت بعد النونِ حرفاً
وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال كتب إلى أبو علي
البصير يستهديني بخوراً كنتُ أهديتُ منه إلى بعض إخواني ، والأبيات :

يا شقيقي ويا خليلي إياه المرجسي لكل خيرٍ ومير
أنت من أطيب الأنام بخوراً غيرَ أني شممتُه عندَ غيري
وهو جَمُّ لَدَيْكَ فابعث بدرجٍ منه إن لم أكن تُعدّيتُ طوري
فكتبتُ إليه :

قد بعثنا اليك منه بدرجٍ وأزرناك منه أطيبَ زور

بين نديّ وبين عودٍ مطرّاً ماله مشبهٌ بنجدٍ وغور
 أنت منه أزكى وأطيب عرفاً وهو أزكى من كل طيبٍ ونور
 ما عدّيت فيه طورك عندي فتبخر منه بأيمنٍ طير

وحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد قال حدثني أبو دعامة الشاعر قال
 كتب العتّابي إلى مالك بن طوق يستزيده ويستهديه ويدعوه إلى صلاة الرحم والقراية
 بينه وبينه وكان مما كتب : إن قرابتك من قرب منك خيره وإن ابن عمك من
 عمّ نفعه وإن عشيرتك من أحسن معاشرتك وإن أحب الناس إليك أجداهم
 بالمنفعة عليك وإن أهداهم إلى مودتك من أهدى إليك ، ولذلك أقول :
 وقد بلوتُ الناسَ شتمَّ سبوتهم ووصلتُ ما قطعوا من الأسباب
 فإذا القراية لا تُقربُ قاطعاً وإذا المودةُ أقربُ الانسابِ

قال أبو هلال رحمه الله : هذا آخر ما رأينا تضمنه هذا الكتاب وبالله التوفيق
 والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين .

(فهرس الجزء الثاني من ديوان المعاني)

	الصفحة
الباب السابع : في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم .	٣
الفصل الأول : في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه .	٣
الفصل الثاني : في ذكر الرياض والأنوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك .	١٢
الفصل الثالث : في ذكر النسيم .	٤٦
الباب الثامن : في صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب ، وما يجري مع ذلك .	٤٩
الباب التاسع : في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس وذكر البلاغة ، وما يجري مع ذلك .	٧٤
الفصل الأول : في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وما يسلك مع ذلك .	٧٤
الفصل الثاني : في ذكر البلاغة .	٨٧
من كلام الفلاسفة وما يقاربه من شعر ونثر الأدباء .	٩٢
محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب .	٩٤
أمثلة في البلاغة الكتابية .	٩٧
ومن جيد الأدعية .	٩٩
المدح عند الكتاب نترأ .	١٠١
الذم والتهجين نترأ ، كلمات في الشكر مأثورة عن البلغاء .	١٠٣
الباب العاشر : في صفات الخيل والابل والسير والفلوات وذكر الوحوش والطيور والحشرات ، وما يجري مع ذلك .	١٠٦
الفصل الأول : في صفات الخيل .	١٠٦
الفصل الثاني : في ذكر الابل وسيرها ، وما يجري مع ذلك من وصف أحوالها .	١١٨
الفصل الثالث : في ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجري مع ذلك .	١٢٨

- ١٣١ الفصل الرابع: في ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجري مع ذلك .
 ١٣٥ الفصل الخامس : في ذكر الطيور .
 ١٤٣ الفصل السادس : في ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء والضب والبق والبراغيث ، وما يجري مع ذلك .
 ١٥٢ الباب الحادى عشر : في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمرائى والزهد ، وما يجرى مع ذلك .
 ١٥٢ الفصل الاٲول : في الشباب والشيب والخضاب ، وما يتصل بها .
 ١٦٥ الفصل الثانى : في ذكر العلل والأمراض والمرائى والتعازى والزهد .
 ١٨٦ الباب الثانى عشر : في صفة أشياء مختلفة يختم بها ديوان المعانى .
 ١٨٦ القول فى الحنين إلى الأوطان .
 ١٩٤ فصل فى مدح الاخوان .
 ١٩٨ فى ذم الاخوان والرفقاء . وما يجرى مع ذلك .
 ٢٠٤ فصل فيما قيل فى فضل الوعد ومدح الانجاز .
 ٢٠٦ ما قيل فى الضحك والبشر عند السؤال .
 ٢٠٨ فصل فى تعمية الأشعار .
 ٢١٤ أحسن ما قيل فى تقييل اليد .
 ٢١٥ الحضر على السلام .
 ٢١٧ السلام على الكنار ، رد السلام على الكنار ، ماجاء فى المصافحة .
 ٢١٨ قولهم : حياك الله وبياك .
 ٢١٩ قولهم مرحباً .
 ٢٢٢ ماجاء فى : أطال الله بقاءك - جعلت فداك .
 ٢٢٣ دعاء المسكابة .
 ٢٢٤ قولهم : كيف أصبحت .
 ٢٢٩ ماجاء فى الدعاء للخارج إلى السفر .

- ٢٣٠ الدعاء للقادم من السفر . الدعاء للمهزوم .
- ٢٣١ الدعاء للمعزول .
- ٢٣٢ دعاء الأعياد .
- ٢٣٣ ما قيل في القيام للاجلاء .
- ٢٣٤ ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال .
- ٢٣٦ فصل في معان مختلفة : نسيب ، هجو ، مدح . .
- ٢٣٩ التفاضل بين الاخوان . الحث على موافقة الناس . اغياب الزيارة .
- ٢٤٠ في ذم العجائز . ماورد في فضل الحمام .
- ٢٤١ الشطرنج وما قيل فيه .
- ٢٤٢ ما ورد في الترد .
- ٢٤٣ القدح . انتظار الفرج . معان أخرى .
- ٢٤٤ العطاء بلا سؤال . ما قيل في المحجمة والحجام .
- ٢٤٥ ما قيل في خطل الرأي . إفساد المعروف بالمن . من يعيب غيره وهو معيب .
- ٢٤٦ فرار الأصدقاء عند الضيق . حرفة الأدب .
- ٢٤٧ اغترار الناس بالغنى . حظ الجاهل .
- ٢٤٨ الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة . عزة النفس . الاقتداء بالقرين .
- ٢٤٩ المأخوذ بذنب غيره . النهي عن الظلم . ماورد في الجبن .
- ٢٥٠ ومن المضحكات . الخلق من الثياب .
- ٢٥١ من أحب لبناته الموت .
- ٢٥٢ أبو الشيص ورجل وعده بمخدة . نعل دعبل الخزاعي . استهداء بخور .
- ٢٥٣ المودة أقرب الانساب . متهى الديوان .

(اختلافات نسخة المتحف البريطاني وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الثاني)
وأكثرها من استدراقات الأستاذ الدكتور كرنكو

الصفحة السطر	الصفحة السطر	الصفحة السطر
٢٠ ١٠٩ زفته	١٢ ٤٣ في القدور	٤ ١ عن نسختي
٢٢ ١٠٩ ضرار الغطفاني	١١ ٤٩ المفضل النكري	٢٣ ٤ آتى بمطر
١٥ ١١٠ كالفدن	١ ٥١ سعد بن	٥ ٦ بمدا مع لم
٢ ١١١ على سواد	٤٣ ٥٣ عمرو بن	١٠ ٦ دوا لخصمت
٤ ١١١ عارضت	٧ ٥٥ الجرور	١١ ٦ حفل اللقاح
١٩ ١١٢ تعلق بزى	١٨ ٦٤ السواء عندونا	١٢ ٦ سجم.. فواجم
٧ ١١٤ تهاش عنده	١٩ ٦٤ المؤنف	٨ ٧ لدمات
١٨ ١١٤ نوادى.. تدقق	٢٠ ٦٤ شهاب	٢٢ ١٢ بعميم النبت
١ ١١٥ بقارح	٢١ ٦٤ كالسيور	٢٢٤٩ ١٣ وحوذان
١٧ ١١٦ دكدك	١ ٦٥ أحمر عاتر	٤ ١٥ بن المعذل
٦ ١١٨ مناذر	١ ٦٦ تنحري	٦ ١٥ مغان
١ ١١٩ رهوأ	٦ ٦٦ جذل	١٢ ١٥ وشث
٦ ١٢١ مضر حيات	١٠ ٦٨ بن شهاب	٢٢ ١٦ الحمانى
١٢ ١٢١ بخت غنيسة	١١ ٦٨ وميض البيض	١٣ ١٧ وجنى رباها
١٧ ١٢٢ حسيان	٣ ٧٠ العضروط	١٤ ١٨ ترحف
١١ ١٢٣ البيت جون	٨ ٧١ أخذ من	١ ١٩ لعسجد
١٨ ١٢٤ أودى السفار	٨ ٧٢ الدم	٦ ٢٠ جاسد
٩ ١٢٥ السباب	٨ ٧٣ ومشلشلة: مفرقة	٩ ٢٠ لؤلؤ كالاقحوان
١١ ١٢٥ بهاشرق	٢ ٧٧ كأطباء	١٢ ٢٠ مجتاز
٢١ ١٢٧ جفار	٥ ١٠٨ عبدة بن الطيب	١ ٢٣ المعذل
٢٢ ١٢٨ وفد الريح	٢٢ ١٠٨ الأسمع	٨ ٢٣ تبارى.. مغدا
٢٠ ١٣٢ أظلافه نسق	١٣ ١٠٩ تارز	٢ ٣٢ ودستبوى
٢٠، ١٦ ١٢٤ قعساء	١٨ ١٠٩ ثار عجاج	٨ ٣٣ على كرات
٤ ١٣٥ مثل الشراع	١٩ ١٠٩ تنفش	٢٢ ٣٧ قرط

الصفحة السطر	الصفحة السطر	الصفحة السطر
يداشلج ١٧ ٢٤٢	معز الدولة ٢٢ ١٧٩	فيه شنج ١٣ ١٤٠
وعند الشاه ١٨ ٢٤٢	تمر وأغفل ١٨ ١٨٣	ينفيد ١٣ ١٤٢
من الغمي ٥ ٢٤٣	يفعل ١٩ ١٨٣	شنج ١٤ ١٤٢
بالكف أقطع ٦ ٢٤٣	رام ٢٠ ١٨٣	كتحوط ٤ ١٤٤
أبه .. يقده ٧ ٢٤٣	بسر بن ارطاة ٤ ١٨٥	لهازمه ... فطوح ٩ ١٤٥
الهديل ١٢ ٢٤٤	أرضاً فيها ٦ ١٨٧	بالعظاءة. التنضية ١٧ ١٤٦
د م ٢٣ ١٦	يحي بن طالب ١٦ ١٨٧	فجرة ١٠ ١٤٧
يتأكل ٥ ٥٧	راح ركب ١٣ ١٩٣	على الجذل ١١ ١٤٧
ونواقد ٩ ٨٥	بأخلاق ٩ ١٩٤	تقافزت ١ ١٥٠
الهزار ٦ ٩٢	عيابها ١٧ ١٩٩	الشدق ١٩ ١٥١
ومواد ١٦ ٩٦	أبو الشعر ٢١ ٢٠١	بعد شبية ٤ ١٥٢
وعدوننا ١٧ ٩٦	أفرنجمشك ٢١ ٢٠٨	سواد اللبة ٣ ١٥٥
وآبانه ١٢ ١٣٧	بشؤوبه ١٣ ٢٠٩	مخطمة ٦ ١٥٥
أدب ١٠ ١٦٤	روان الجعدى ١٨ ٢١٥	بان الا مروبان ١٠ ١٧٢
جذيمة ١٢ ١٧٦	٩٤٨ مكعت ٢١٦	ابن مناذر ٣ ١٧٥
	الزرقى ١١ ٢٢٠	الخرمى ٧ ١٧٥
	الارحبي ١٧ ٢٢٦	عن شباة ١٥ ١٧٥
	معشق ٢٠ ٢٢٦	١٨ وزدت بمازودتى ١٨ ١٧٥
	قدرأ وأسلم ماسواه البرجد ٢٣ ٢٤١	مجتاب شملة برجد بسرائه ٢٣ ٢٤١

﴿ فهرس لأسماء الشعراء مرتبة على الحروف ﴾

باعتبار الشهرة في الأثر

الأخنس بن شهاب ٦٨	(١)
الأخطل ج ٢ : ٢٥ ، ١٧١ ، ٢٣٠	ابراهيم بن اسماعيل النسائي ١٨٢
ادريس بن أبي حفصة ٦٣	ابراهيم بن العباس ٦٦ ، ٩٠ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ،
اسحق بن خلف ج ٢ : ٥٧	٢٧٤ ، ٢٨٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ج ٢ :
اسحق الموصلي ٣٤٧	١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢٠٠ ،
الأسدي ٣٥	ابن أبي أمية ج ٢ : ٣٤
أسعد بن البكاء البكري ج ٢ : ٢١٧	ابن الأعرابي ٣٥٩
الأسعر الجعفي ج ٢ : ١٠٨ ، ١٠٦ ، ٥٠	ابن أمية الكاتب ٥٩
الأسود بن يعفر ٢٥٤	ابن الأنباري ١٤٨ ، ج ٢ : ١٧٩ ، ٢٣٨
أشجع ١٧ ، ٦٣ ، ٩٢ ، ٦٤ ، ١٤٥ ،	أبو الأسد الدينوري ٣٠ ، ٦٣ ، ج ٢ : ٢٠٣
ج ٢ : ١٨٥	أحمد بن ابراهيم ٢٣٢ ، ج ٢ : ٢١٩
الأعشى ٢٤ ، ٤٤ ، ٧٩ ، ١٠٩ ، ١٤٣ ،	أحمد بن أبي طاهر ٤٨ ، ٩٤ ، ج ٢ : ١١٨ ، ٢٥٢
١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،	أحمد بن اسحق الطالقاني ج ٢ : ١٦٦
٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٨ ، ج ٢ :	أحمد بن اسحق الموصلي ج ٢ : ١٨٩
١٢ ، ٢٢٦	أحمد بن اسماعيل الخطيب ١٣٠
الأغر بن كاسر ج ٢ : ٢٢٣	أحمد بن اسماعيل ج ٢ : ٧٥ ، ٧٩ ،
الأفوه الأودي ج ٢ : ٩٠	٨٣
الاقيل القيني ٨٨	أحمد بن زياد الكاتب ج ٢ : ١٥٧
أمامة بنت الجلاح ٦١	أحمد بن محمد بن اسحق ج ٢ : ٧٩
امروء القيس ٨١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٦١ ،	أحمد بن يزيد ج ٢ : ٢٣٥
٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٥ ، ج ٢ : ٣٥٧ ، ٣٠٣ ،	أحمد بن يوسف ٩٥
٦٢ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٩٣ ،	أحمد المادرائي ٣١٦
١١٠ ، ٤٦ ، ٢٦ ، الصلت	الأحمر ج ٢ : ١٣٤
أوس بن حجر ١٢٤ ، ١٣٩ ، ١٧٦ ،	الأخطل ٢١ ، ٢٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٨٣ ،
ج ٢ : ٤ ، ٧ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ١٧٣ ،	١٧٥ ، ٣١٣ ، ٣١٤
أيمن بن خريم ج ٢ : ١٤٤	

الحسين بن اسماعيل ٢٢٣
 الحسين بن الضحاك ٢٠٢ ، ٢٧٣ ، ج ٢ :
 ٢٢٥ ، ٢٠٦
 الحسين بن مطير الأستدي ٤١ ، ج ٢ :
 ١٧٦ ، ١٧٥ ، ٦
 أبو الحسين بن أبي البغل ج ٢ :
 ٩٢ ، ٨٠
 حصين بن حمام ١١٥
 الخطيئة ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٠ ،
 ٤٣ ، ١١٨ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٩٩ ،
 ج ٢ : ١٩١
 الحلبي ج ٢ : ٤٥
 حاطلة بن قيس ١٣٣
 حماد الراوية ١٨١ ، ج ٢ : ١٩٨
 حماس بن ثامل ٤٤
 الحناني ٨٥ ، ٢٣١ ، ٣٣٩ ، ج ٢ :
 ١٦ ، ٥٠ ، ١١٤ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ،
 ١٥٤ ، ١٥٣
 الحمدوني ٢٧٨ ، ج ٢ : ٢٥٠
 حمزة بن يضر ١٠
 حميد بن ثور ٣٢٦
 الحويدرة ج ٢ : ١٨٨
 أبو حية ج ٢ : ١٢٧

(خ)

خارجة بن مليح المكي ٦٢ ، ٦٣ ،
 خالد بن زهير ١٥٨

٣٠٠ ، ج ٢ : ١٩٨ ، ٢٠٢ ،
 جذل الطعان ج ٢ : ٦٦
 جران العود ٣٣٨
 جرير ٣١ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٩ ،
 ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨١ ،
 ٢٠٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥١ ،
 ج ٢ : ٦٣ ، ١٠٧ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ،
 ١٥٧ ، ١٨١
 جعفر بن محمد ج ٢ : ١٩٤
 جميل ٧٨ ، ١٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٤ ،
 ج ٢ : ١٢٩ ، ٢٣٧
 جندل بن الراعي ج ٢ : ١٢٧
 أبو جندب ٨٢ ، ٨٣

(ح)

حاجز الأزدي ج ٢ : ٢٢٨
 الحارث بن ظالم ١٧٠ ، ج ٢ : ١٨٧
 الحارث بن عباد ج ٢ : ٦٣
 الحارثي ج ٢ : ٢٣٤
 أبو حازم الباهلي ج ٢ : ١٥٢
 ابن حريثان ١٧٤
 أبو علي الحرمازي ج ٢ : ١٧٠ ، ٢٤٠ ،
 حسان بن ثابت ٣٢ ، ٣٧ ، ٨٩ ، ١٨٢ ،
 ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٣١٤ ، ج ٢ :
 ٥١ ، ٦٩
 الحسن بن وهب ٢٥٧ ، ٢٧٢ ، ج ٢ :
 ٨٣ ، ٢٣٥
 الحسن بن الكناني ج ٢ : ٢١٦

ابن الدمينه ٣٤٦
 أبو دهب الجمحي ١٣٩
 أبو دواد ١٤٢ ، ج ٢ : ١٠٦ ، ١١٢ ،
 ١٤٦ ، ١٢٨
 ديك الجن ٥٦ ، ١٠٦ ، ١٣٠ ،
 ١٩٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ،
 ٢٦٩ ، ٢٧٠ - ٢٧٢ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ،
 ٣٢١ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠ ، ج ٢ : ١٣٧ ،
 ١٨١ ، ٢٢١
 الديلي ٢٠١

(ذ)

أبو ذؤيب ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٥٧ - ١٥٩ ،
 ٣٦١ ، ج ٢ : ٤

(ر)

راشد بن شهاب اليشكري ج ٢ : ٦٤
 الراعي ج ٢ : ١٢٣ ، ١٣٢
 رؤبة بن العجاج ج ٢ : ١٢٣ ، ١٢٨ ،
 ١٣٠ ، ١٥٥
 الربيع بن أبي الحقيق ج ٢ : ٣٩
 الربيع بن ضبع الفزاري ج ٢ : ٢٢٤
 رزين العروضي ١٩٩
 الرقاشي ج ٢ : ١٧٩
 الرواح الأسدي ج ٢ : ١٥٠
 ذوالرمة ١٨١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ،
 ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٧٥ ، ٣٣٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،
 ٣٥٠ ، ج ٢ : ٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،

خالد الكاتب ٣ ، ٢٥١ ، ٢٨٤ ، ٣٥٠
 الخالدي ٢٠٨ ، ج ٢ : ٧٨
 الحجاز البلدي ج ٢ : ٤٢
 خدش بن زهير ج ٢ : ٧٣
 أبو خراش ١٣١ ، ج ٢ : ٧٢
 خريم بن فاتك ٢٦
 الخريمي ٧٤ ، ٢٧٩ ، ج ٢ : ١٧٥ ، ١٩٧
 ابن خلاد ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ج ٢ : ٣٦
 خلف بن خليفة ٧٥ ، ١٠٤ ، ج ٢ :
 ١٤٥ ، ١٦٢

خلف الأحمر ج ٢ : ٧٣

الخليل بن أحمد ١٣٤ ، ١٤٧ ، ١٨٥ ،

ج ٢ : ٣٠

الخنساء ٤١ ، ١٣٨

الخوارزمي - متأخر ج ٢ : ١٥٦

(د)

دريد بن الصمة ٥٥ ، ١٢٢ ، ١٤١ ،
 ج ٢ : ٥٨
 ابن دريد ٢٧ ، ٣٢٠ ، ج ٢ :
 ١١٠ ، ١١٩ ، ٢٣٧
 دعبل الخزاعي ١٢٧ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،
 ٢٠٧ ، ج ٢ : ١٥٩ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ،
 ٢٣٨ ، ٢٥٢ ، ٢٧٧
 أبو دغفل الكلابي ج ٢ : ٧٠
 أبو دلامة ج ٢ : ٢٤٥
 أبو دلف العجلي ٩١ ، ٢٧١

زياد الأعجم ١٧٠، ١٧٧، ١٨٠،

زيد الخيل ج ٢: ٤٩، ٦٨،

زينب بنت الطرية ٥٧

(س)

سالم بن وابصة ٣٥٧

أبوسرح ج ٢: ١٨٦،

السري الرفاء ٧٢، ١٩٩، ٢٢٥،

٢٣٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٩٠، ٢٩٤،

٣٠٩، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٧،

٣٤١، ٣٤٥، ٣٦١، ج ٢: ١١، ١٧،

٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٥، ٣٧،

١٣٧، ٢٢٣، ٢٤٠، ٢٤٢،

سعد بن ناشب ج ٢: ٥١،

سعيد بن أبان بن عينة ١٣٣،

سعيد بن حميد ٩٥، ٢١٦، ٢٦٧، ج ٢:

٢٢٢، ٢٨٤، ٣٤٩،

سعيد بن العاص ١٩٦،

سعيد بن الوليد البطين ج ٢: ٢٢٠،

أبو سعيد الاصفهاني ج ٢: ٢٠٩،

أبو سعيد الخزومي ١٨١،

ابن السكن ٢٠٨،

سلامة بن جندل ج ٢: ٦٥،

أبو السمح الطائي ٢٩،

السموأل ٣٧، ٨٣،

سهل بن هرون ٢٨٢،

سيف بن ذي يزن ج ٢: ٦٢،

١٢٩، ١٣٣، ١٤٧،

ابن الرومي ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٤٢،

٤٣، ٤٥، ٤٨، ٥٤، ٦٨، ٧١، ٧٤، ٧٥،

١١٩، ١٢٥، ١٣٠، ١٣٢-١٤٤،

١٥٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٩،

١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٧-١٩٠،

١٩٤-١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢١٠،

٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٧،

٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩-٢٤٤،

٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٩،

٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٢-

٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩،

٣١٠، ٣١٤، ٣٢١، ٣٣٠، ٣٣٥،

٣٦٠، ٣٦١، ج ٢: ١٧، ١٨،

٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٣٧،

٤٥-٤٧، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦١،

٧٠، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٨١، ٨٤،

١٣٥، ١٤٧، ١٥٧، ١٦٠-١٦٢،

١٦٥، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣-١٨٤،

١٨٩، ٢٠٣، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٣٧،

الرياشي ج ٢: ٢٣٤،

(ز)

أبر زيد ج ٢: ٥٨،

زفر بن الجارث ج ٢: ٢٠٠،

ابن الزمكدم ١٩٥،

زهير ٢٩، ٣١، ٤٦، ٥٢، ١٠٥،

١١٤، ٢٣٠، ج ٢: ٢٠٦،

طاهر بن علي بن سليمان ٣٤٧
 ابن طباطبا ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٩٨ ، ٢١٢ ،
 ٢١٦ ، ٢٣٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٣٣ ،
 ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٦٠ ،
 ج ٢ : ١١ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ١١٦ ، ١٤٤ ، ٢١٣ ،
 طرفة ج ٢ : ٧
 الطرماح ٣٤٦ ، ج ٢ : ١٣١ ، ١٤١ ،
 ١٧٥ ، ٢٣٨
 طريق بن اسماعيل الثقفي ٢٤ ، ٥٢ ، ١٢٦ ،
 طفيل الغنوي ج ٢ : ٢٢٠
 الطراح العقيلي ج ٢ : ٢١٩
 أبو الطمجان ٢٢ ، ٢٣ ، ج ٢ : ١٦١

(ع)

عائشة بنت أبي وقاص ٩
 العباس بن الاحنف ١٦١ ، ٢٢٥ ،
 ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
 ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٤٩ ، ج ٢ : ١٦٥
 العباس بن جرير ١٢٣
 العباس بن مرداس ١١٠ ، ١١٤ ،
 ج ٢ : ١١٠
 عبد الصمد بن المعذل ١٢١ ، ١٢٥ ،
 ١٧٨ ، ج ٢ : ١٥ ، ٢٣ ، ٤٠ ، ١٤٦ ، ١٦٧
 عبدالعزيز بن زرار ٨٨
 عبد العزيز بن عبدالله بن طاهر ٣٣٨
 عبدالله بن أيوب التيمي ٦٠
 عبدالله بن الحسن ٢٦٢

(ش)

شبيب بن البرصاء ج ٢ : ١٩٦
 أبو شراعة ج ٢ : ٢٢٩
 الشماخ بن ضرار ١١٥ ، ٢٣٠ ، ج ٢ : ٥٩ ،
 ١٠٩ ، ١٢٥
 الشمردل بن شريك ٣٥٨
 أبو الشمقمق ١٩٨
 أبو الشيبص ٢٥٥ ، ج ٢ : ١٢٣ ، ١٩٨ ، ٢٥٢

(ص)

أبو إسحق الصابي ج ٢ : ١٦٣
 صاحب بن عباد ١٦٧
 أبو صفوان الثقفي ج ٢ : ٢٣٢
 صفية الباهلية ١٧
 أبو الصلت ٩٢ ، ٣٠١
 الصلتان ١١٩
 الصمة بن عبدالله القشيري ج ٢ : ٢٢٥
 الصموت الكلابي ٦٨
 الصنوبري ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٩٢ ،
 ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ج ٢ : ١٢ ، ٣٠ ، ٣٢ ،
 الصولي ١٤٦ ، ١٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ،
 ٢٤٧ ، ٣٥٠ ، ج ٢ : ١٦٥ ، ٢٠٧

(ض)

ضمرة بن ضمرة ٨١

(ط)

ابن طارق ج ٢ : ١٤٤
 أبو طالب عم النبي ﷺ ٣٧

عروة بن حزام العنزي ٢٨١
 عروة بن الورد ١٠٧، ١٩٥
 أبو عروة المدني ١١
 العطوي ج ٢ : ٢٠٣
 عتبة بن كعب بن زهير ج ٢ : ٢٢٨
 علقمة بن عبدة ١٠٤، ٢٥٠
 العلوي الأصفهاني ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٣٨،
 ٣٤١، ٣٤٥، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٧
 علي بن جبلة العكوك ٢١، ٢٨، ٥٠، ٥١
 ١٠٦، ج ٢ : ٦٦، ١٠٧، ١٠٨، ٢٣٥
 علي بن الجهم ٨٠، ١٠٤، ٢٥٣، ج ٢ : ٢٣،
 ٢٢١
 علي بن الخليل ٣٤٨
 علي بن عاصم ٢٨٤
 علي بن العباس النوبختي ج ٢ : ١٦٧
 علي بن عبد العزيز الجرجاني ج ٢ : ١٦٨
 علي بن محمد بن الأفوه ٤٩
 علي بن محمد البصري ١٠٨
 علي بن محمد الكوفي ج ٢ : ١٥٨
 عمارة بن عقيل ٧٧، ١٣٦، ٢٤١، ج ٢ :
 ٢١٩، ١٠٩
 العماني ج ٢ : ١٣٧
 عمران بن حطان ٣١٥
 عمران بن عصام ٣٣
 عمر بن أبي ربيعة ١٢٢، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢
 عمرو بن الاطنابة ١١٤
 عمرو بن شأس الأسدي ٢٢٤، ج ٢ : ٧٢، ٧٣
 عمرو بن قبيصة ٢٧٦

عبد الله بن عبد الله بن عبدة ٣١٤
 عبد الله بن محمد الفقعسي ج ٢ : ١٩٣
 أبو عبد الله الأسباطي ج ٢ : ١٥٦
 ابن عبد الأسد ١١
 عبد الملك بن مروان ٢٦٢
 عبد مناف بن ربيع ج ٢ : ٥٥
 عبد بن الحساس ٢٦٠، ج ٢ : ١٦٦
 عبدة بن الطيب ج ٢ : ١٠٨، ١٤٤
 ١٧٥، ٢١٦
 عبيد بن الأبرص ١١٨، ج ٢ : ١٥٥
 عبيد بن أيوب ١١٣
 عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١٠٨،
 ٢٥٠، ج ٢ : ٢٥١، ٢٦٠
 عتاب بن ورقم ج ٢ : ٦٠
 العنابي ج ٢ : ٩
 أبو العتاهية ٢٠، ٧١، ١٠٥، ١٢٠،
 ١٢٥، ج ٢ : ١٥٥، ٢١٨، ٢٢٦
 ٢٣٢، ٢٣٧
 ابن أبي العتاهية ١٩٨
 العجاج، ج ٢ : ٧١
 عجير السلوي ٣١٥
 عدى بن الرقاع ج ٢ : ١٣١، ١٣٢،
 ٢٢٣، ٢٣٥
 عدى بن زيد ج ٢ : ١٣٧، ٢٤٨
 العدلي بن الفرغ العجلي ج ٢ : ٢٣٦
 عرفة بن شريك ج ٢ : ١٨٥
 العرجي ١٠
 عروة بن أذينة ج ٢ : ٢٣٢

القاسم بن حنبل ٤٣
 القصار ج ٢ : ٧٩
 القصاني ٣٥٣
 القطامي ١٢٤ ، ٢٤٢ ، ٢٥٩ ، ٣٢٩ ،
 ج ٢ : ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٧
 قيس بن الأسلت ٢٤٣
 قيس بن الخطيم ١٧٠ ، ٢٢٩ ، ٢٧٦ ،
 ج ٢ : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٧٠ ، ١١٩
 قيس بن ذريح ٢٧٠
 قيس بن عاصم ١٣٥ ، ١٥١

(ك)

أبو كبير ٢٨
 كثير ٥٨ ، ٦٣ ، ٢٣٠
 كشاجم ٦٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ، ٢٢٤ ،
 ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٤٠ ، ج ٢ :
 ٢٩ ، ٣٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١١٠ ، ١٥٨ ،
 ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣٠٤ ،
 ٣٢٦ - ٣٢٨
 كعب بن الأشرف ج ٢ : ٣٩
 كعب بن زهير ١٩٩ ، ج ٢ : ٦٢
 كعب بن سعد ج ٢ : ١٧٨
 كعب بن مالك ١١٥
 كعب الغنوي ٣٣٧
 كلثوم بن عمرو ١٥٤
 السكيت ج ٢ : ١١٤

(ل)

ليد ١١٨ ، ٣١١ ، ج ٢ : ١٩٨ ، ١٢

عمرو بن كلثوم ٩٠ ، ج ٢ : ٥٠
 عمرو بن محمد التقي ٢٩
 عمرو بن معد يكرب ١١١ ، ج ٢ : ٢٣ ، ٥٣
 أبو العميل ٥٣ ، ١٦٣ ، ٢٧٣
 عنزة العبسي ١١٠ ، ٣١٧ ، ج ٢ :
 ٦٤ ، ١٢١ ، ١٤٨
 عوف بن قطن ١١٧
 عوف بن محلم ٢٦٢
 عون بن محمد الموصلی ٣٥٢
 عيسى بن أوس ٢٤
 ابن أبي عينة ١٩٠ ، ١٩١ ، ج ٢ :
 ١٣٧ ، ١٣٨
 أبو عينة ج ٢ : ٣١ ، ٢١٣

(ف)

أبو فراس ج ٢ : ١٢ ، ٤٩ ، ٥٠ ،
 ٦١ ، ١٩٧ ، ٢٠٠
 الفرزدق ٢١ ، ٤٩ ، ٧٨ ، ٤٣ ، ١٤٥ ،
 ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ج ٢ : ٨٧ ، ١١٩ ،
 ١٥٦ ، ١٦٣ ، ١٧٧ ، ٢٣٤ ، ٢٨١
 فروة بن مسيك الغطيني ج ٢ : ٢٣١
 أبو الفضل بن العميد ٣٠١
 أبو فضلة ٣٣٥
 الفند الزماني ج ٢ : ٦٠
 ابن أبي فتن ٢٨٤ ، ٣١٥ ، ٢٤٥

(ق)

قابوس بن وشمكير ج ٢ : ٢٠٢
 القاساني ج ٢ : ٢٥٠

محمد بن أبي الموج ٢٣٦
 محمد بن يعقوب بن داود ج ٢: ٢٠٢
 محمود الوراق ج ٢: ١٥٣، ١٦٤
 المخبل ج ٢: ٦٣
 مخلد الموصلی ٣٣٥
 المرار الفقعی ١٢٤
 مروان بن أبي حفصة ٤٧، ٥٢
 ١٠٥، ١٣٥
 مزاحم العقيلي ج ٢: ١١٠، ١٥٥
 مزرد بن ضرار ٣٠٥، ج ٢: ٥٨
 مسعود أخو ذی الرمة ج ٢: ١٢٨
 مسكين الدارمي ٧٩، ٢٩٧، ج ٢: ٥٨
 مسلم بن الوليد ٢٠، ٧١، ١٠٣، ١١٦،
 ١١٧، ١٦٢، ١٧٨، ٢٥٣، ٢٦٦،
 ٢٧٧، ٢٨١، ٣١١، ٣٤٣، ج ٢:
 ٥١، ٧١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٩،
 ١٥٨، ٢٣٩
 مصعب بن عمير الليثي ٢٠٢، ٢٠٣
 المصيصي ٢١٥
 مضر بن ربيع ٣٤٣
 أبو مطاع ٢٦٨
 مطيع بن إلياس ج ٢: ١٨٤
 أبو المعافى ج ٢: ١٩١، ٢٢٩
 ابن المعتز ٧٠، ٧٧، ٨٥، ٨٨، ١٤٤،
 ٢٠٧، ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧،
 ٢٤١ - ٢٤٣، ٢٤٧ - ٢٥٢، ٢٥٧،
 ٢٥٩، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٧ -

ابن لجاج ج ٢: ١٢٧
 لقيط بن زرارۃ ٨١
 لقيط بن يعمر الأيادي ٥٥
 ابن لنكك ١٨٩، ج ٢: ٢٠١، ١٨٠
 ليلي الأخيلى ٤٤

(م)

المؤمل ٢٢٦، ٢٥١
 مالك بن أسماء ج ٢: ١٦٢
 مالك بن حريم الهمداني ج ٢: ١٠٧
 مالك بن نورة ج ٢: ٥٥
 مان الموسوس ٢٥٢، ٢٨٣
 المبرد ١٤٥
 مبشر بن هذيل الشمخي ٨٩
 المتلس ١٣٥
 متم بن نورة ج ٢: ١٧٤، ١٧٦
 المتبي ١٠٨، ١٩٦، ج ٢: ٦١،
 ٧٦، ٩١، ٩٢، ١٠٠، ١٠٨، ١١٩،
 ١٧٠، ٢٣٧، ٢٦٤، ٢٦٨، ٣٢٢،
 المجنون ٢٧١، ٢٨١، ٣٤٦، ٣٤٩
 محمد بن أيوب ج ٢: ٢٠٩
 محمد بن بشر الأزدي ٣٤
 محمد بن جعفر بن محمد ج ٢: ٦٦
 محمد بن ذؤيب العماني ج ٢: ٢١٩
 محمد بن زياد الكاتب ج ٢: ١٦٧
 محمد بن عبد الله بن طاهر ٢٧٠
 محمد بن عبد الله الجعفری ج ٢: ٢٣٥
 محمد بن محمد اليزيدي ج ٢: ١٧١
 محمد بن مسلبة البشري ج ٢: ١٧

٦٦٨ ، ٦٧ ، ٥٢ ، ٣٩ : ٢ ج ، ٣٤٦

٢٤٩ ، ١٩٦ ، ١٤٥ ، ٧٠

الناجم ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٨٠

٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٨ : ٢ ج ، ١٦٥

الناشي ، ٢٣٥ ، ٢٥٤ ، ٣١٢ ، ٣٣٤

٢٢٨ : ٢ ج

النجاشي ١٧٦ ، ١٧٧

أبو النجم ١١٣ ، ٢٧٩

أبو نخيلة ج ٢ : ١١٦

أبو النشاش ٨٨

نصر بن أحمد ٢٤٦ ، ٢٧٢ ، ٢٩٧

ج ٢ : ٣٧

نصيب ١٧ ، ٣٣ ، ١٢٩ ، ٢٦٢

النظار الفقعي ٢٨٢ ، ج ٢ : ٧

النمر بن تولب ١٢ ، ٨٠ ، ٢٢٩ ، ٢٥٥

٢٦٥ ، ج ٢ : ١٣ ، ٣٩ ، ٥١ ، ١٨٣

٢٢٦

النميري ٢٦٠

نهل بن حري ٦٥

نبيك بن أساف ج ٢ : ١٩٨

أبونواس ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٨ ، ٧١ ، ١٢٧

١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٧٩ ، ١٨٦

١٨٧ ، ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٢ - ٢٢٣ ، ٢٢٣

٢٣٠ - ٢٣٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠

٢٥٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦

٣٠٨ ، ٣١١ - ٣١٣ ، ٣٢٠ ، ٣٢١

٣٤٣ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ج ٢ :

٢٠ ، ٧٠ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١٢٠

٢٨٩ ، ٣٠٧ - ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٥

٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ -

٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣

٣٥٥ - ٣٦٠ ، ج ٢ : ١٠ ، ١٦ ، ٢٤ -

٢٦ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦

٤٧ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٧ - ٥٩ ، ٦١ ، ٦٥

٦٧ ، ٧٥ ، ٨١ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢

- ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٦

١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧

١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ :

١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٧٩ -

١٨٢ ، ٢٢١ ، ٢٤١

المعدل بن غيلان ٢٨٠

معن بن أوس المزني ١١٣ ، ١٥٣

المفضل التكري ج ٢ : ٤٩

ابن مقبل ج ٢ : ١٦١ ، ٢٤٣

المقنع الكندي ج ٢ : ١٥٦

أبو مكعت الأسدي ج ٢ : ٢١٦

ابن منذر ج ٢ : ١١٨ ، ١٧٥

منصور النمري ٢٨ ، ٣٥ ، ٥٨ ، ٥٩

٢٥٣ ، ج ٢ : ٥٦ ، ٦٧ ، ١٥٣ ، ١٥٦

مهلب ١٧٣ ، ج ٢ : ١٧٦

موسى بن سحيم ج ٢ : ٢٠١

ابن ميادة ١٢٣

(ن)

النايفة الجعدي ٣٤ ، ٣٦ ، ج ٢ : ٦٦

النايفة الديباني ١٥ - ١٧ ، ١٩ ، ٢٠

٢٧ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٨ ، ٢٨٠

٢٧٦، ٢٦٩ - ٢٦٦، ٢٦٤، ٢٦٣
 - ٢٩٢، ٢٩٠ - ٢٨٨، ٢٧٩، ٢٧٨
 ، ٣٠٤، ٣٠٢، ٢٩٨، ٢٩٧، ٢٩٥
 - ٣١٧، ٣١٣ - ٣١٠، ٣٠٨ - ٣٠٦
 ، ٣٣١، ٣٢٨، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣١٩
 - ٣٤٩، ٣٤٧، ٣٤٥ - ٣٣٥، ٣٣٣
 ، ٣٥٩، ٣٥٧، ٣٥٦، ٣٥٤، ٣٥١
 ، ٣٣ - ١٥، ١١ - ٩، ٢ ج، ٣٦٠
 ، ٥٩، ٥٨، ٤٨ - ٤١، ٣٨ - ٣٥
 - ٨٠، ٧٨، ٧٦، ٧٥، ٧٢، ٧٠، ٦٨
 - ١١٠، ١٠٨، ١٠٠، ٩٣، ٩٢، ٨٤
 - ١٣٦، ١٢٩، ١٢٤، ١٢٣، ١١٢
 ، ١٥٠، ١٤٨، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٢
 ، ١٦٤، ١٦٣، ١٥٩ - ١٥٤، ١٥١
 ، ١٨٢ - ١٨٠، ١٧١ - ١٦٩، ١٦٧
 ، ٢٠٤ - ٢٠١، ١٩٧، ١٩٦، ١٨٩
 ، ٢٤١ - ٢٣٩، ٢٢١، ٢١٥، ٢١٣
 ٢٤٩، ٢٤٧، ٢٤٣
 أبو الهندي ٣١١
 أبو الهول ج ٢: ٢٤٤
 أبو الهيثم ١٧٧

(ي)

ابن يامين ج ٢: ٥٢
 يحيى بن زياد الحارثي ١٢٦، ٣١٨
 يحيى بن طالب الخنفي ج ٢: ١٨٧
 يزيد بن الطثرية ٣٣٤، ٢٥٩، ج ٢: ١٦٢
 يزيد بن معاوية ٣٠٨
 يزيد المهلب ج ٢: ١٩٩
 يعقوب بن الربيع ج ٢: ٢٢٤

١٣٤ - ١٣٢، ١٢٧، ١٢٥، ١٢١
 ٢٠٦، ١٨١، ١٦٦، ١٤٠ - ١٣٨

(و)

الواثق بالله ج ٢: ١٦٥
 أبو وجزة السعدي ٥٩
 وضاح اليمن ٢٢٥، ٢٢٦
 وهب بن عمرو ١٥٧
 ابن وهب ٢٨

(هـ)

هرون بن علي ٩٣، ٣٢٧
 هرون بن محمد الآملي ١٩٦
 ابن هرمة ٣٣، ١١٩، ٢٨٩، ٣٥٨، ج ٢: ٦٥
 أبو هفان ٦٥، ٨٠
 أبو هلال العسكري مؤلف الديوان ٢ -
 ، ١٣، ٥، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٧
 ، ٢٩، ٣٠، ٤٢، ٤٣، ٥٣، ٥٥ - ٥٩
 ، ٦٠، ٦٤، ٦٤، ٦٩، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨٤
 ، ٨٨ - ٩٠، ٩٢، ٩٩، ١٠٠، ١٠٧
 ، ١٠٩، ١١٠، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤
 ، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٠
 ، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٨، ١٥١، ١٦١
 ، ١٦٧، ١٧٨، ١٨٠ - ١٨٤، ١٨٦
 ، ١٨٨، ١٩١ - ١٩٣، ١٩٧، ٢٠١
 ، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠
 ، ٢١١، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٥
 ، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١
 ، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٧ - ٢٤٩، ٢٥١
 ، ٢٥٣، ٢٥٥ - ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦١



www.lisanerab.com

Faint, illegible text from the background manuscript page, appearing as bleed-through from the reverse side.



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com

رابطہ بدیل